

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين
والشريعة والحضارة
قسم : العقيدة ومقارنة الأديان

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية - قسنطينة -
الرقم التسلسلي : /

شعبة : مقارنة الأديان

رقم التسجيل :

الموطن اليهودي بين النصوص الدينية والبعث التاريخي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في مقارنة الأديان

إشراف الأستاذ

الدكتور : عبد القادر بخوش

إعداد الطالبة:

نعمة بلحاج

لجنة المناقشة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	أستاذ محاضر	رئيسا	- د. محمد بوروايح
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	أستاذ محاضر	مقررا	- د. عبد القادر بخوش
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	أستاذ محاضر	عضوا	- د. لمير طيبات
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	أستاذ محاضر	عضوا	- د. نجيب بن خيرة

الجنة الحراصة :

1427-1426 هـ / 2005-2006 م

الإهداء

إلى من وارى التراب ولم يثمة جهدي
إلى روح والدي حمادة بلحاج أهدي هذا العمل مرحمة الله
وأسكنه فسيح جنانه
كما أهدي هذا البحث المناضع إلى ابنتي سندس

شكر وتقدير

أشكر الله الشكر الجزيل والحمد الكثير الذي أعانني على إتمام هذا

البحث المنواضع ووفقتني فيه

وأشكر الأستاذ الفاضل "عبد القادر نخوش" الذي أشرف على هذا

البحث

وأخني تواضعا وبكل احترام وتقدير وشكر أمام زوجي الفاضل محمد

لمين بوزيدي، الذي أعانني على تحمل أعباء هذا البحث وهون علي مناعبه

وذلك صعوباته

وأقدم شكري إلى والدي أطل الله عمرها على إعانها لي ولن أنس

فضلها ما حييت وبفضلها تم إنجاز هذا البحث

كما لا أنسى صديقتي الوفية الطالبة تفاحته هباش التي لم تبخل علي بنصحها

ومرشدتها

كما أشكر زوج أختي توفيق عولمي سالم الذي مد لي يد العون دوما

وإلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد

حقة كفة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد أخذت كلمة الموطن بعدا خاصا لدى اليهود ، وحددت بشكل مغاير تماما عما ألفته الأمم والشعوب ، ووضعوا مفهوما آخر جديدا لما يتطلعون إليه ، فالموطن وضع في أذهانهم وحاولوا إثباته قانونيا باعتمادهم على المصدر الديني ، وإثبات ذلك من التوراة والعهد القديم ، على الرغم أن القانون الدولي لا يقر ولا يعترف بذلك المصدر الديني الذي قدمه اليهود في إثبات أحقيتهم في الأرض المقدسة ، بل يؤمن القانون بما كان قائما وبما هو موجود من قرائن ثابتة تؤكد ذلك ، غير أنه تجاهل هذه المرة وغفل عن تلك الأسس .

فمفهوم الموطن ورد في التعريف القانوني له ، بأنه مفهوم لا يخرج عن المؤلف المتعارف عليه ، والسائد في أذهان الكثير .

فكان يقصد به الدولة التي يسكنها الشخص على أن يكون بصلة مستمرة بها وبنية الاستقرار فيها، بحيث إذا تركها كانت لديه نية الرجوع إليها⁽¹⁾.

فالموطن إذن مقرون بشروط متفق عليها ، غير أن اليهود أوجدوا إثباتا للموطن مخالفا للشروط التي ألفتها الأمم والشعوب في الأزمنة القديمة والحديثة ، ومخالفا لما درسناه سابقا ، فهو يفتقر لتلك المرتكزات الأساسية .

وحاول اليهود جعل الأسانيد الدينية حقائق تاريخية في الإقرار بأنه كانت لهم أرض هي فلسطين ، وفرضوا ذلك وعملوا به ، وحاولوا كسب تأييد الغرب فيما قرروه .

فرقة الموطن لم ترو عطش اليهود والذي لم يعد يسد حاجاتهم كما اعتقدوا ، بل تطلعو للبحث عن ثروات في مناطق أخرى يسدون بها هذا الطمع ، ولم يكتفوا بذلك بل آمنوا بأن كل ما تدوسه أقدامهم فهو لهم كما ذكرت التوراة ، وكل مكان تواجدوا به قديما هو ملك لهم ، ولهم الحق أن يطالبوا باسترجاعه بعد تهيئة الظروف المناسبة ، وخلق ادعاءات أخرى ، فبات اليهود يتحدثون باسم دينهم ووظيفه في خدمة مشاريعهم ، وجعلوا منه ذريعة لخدمة أغراضهم وما يطمعون إلى تحقيقه ، ورسموا بذلك خرائط لموطنهم الجديد ، غير آبهين بالعرب والمسلمين ، وعدم اعتبار أي حسابان لهم وعدهم ضمن دائرة الصراع ، ويمثلون أحد الأطراف المعادية لليهود في تنفيذ ما يصبون إليه ، وقد أعلنوا ذلك في تصريحات زعمائهم ، ووقفوا موقف المراقب لأوضاع الدول العربية والإسلامية لإعلان تدخلهم في المنطقة وعملوا على تقسيم الدول العربية وتجزئتها حتى تسهل السيطرة

1. عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، 1990م) ، ج6 ، ص 473 .

عليها ، وذلك بإثارة القلاقل والأكاذيب وتزوير الحقائق .

وعمل اليهود على بسط نفوذهم في الكثير من المناطق والاستيلاء عليها ، واستعمال القوة والضغط عليها ، وسلبها كل مصادر القوة ، وإضعافها بحيث تكون عاجزة عن صد أي هجوم ، أو مواجهة أية مخططات يهدف إليها اليهود .

وعانت فلسطين وغيرها من الدول إلى اعتداءات اليهود المستمرة الذين وظفوا كل الوسائل لإسكات الشعوب وتخويفها واستغلال مساندة العالم الغربي لخدمة أغراضهم والوقوف إلى جانبهم ومساعدتهم في احتلال فلسطين وما جاورها وضمها إليهم ، واعتبارها الموطن الأصلي لهم ، وذلك بإخراج شعبها من دائرة هذا الموطن ، والتنكيل به وقمعه وتشريده ، وعد كل من يقف في وجه اليهود خارجا عن القانون ، ومحرضا على التخريب ، وعاملا على بث الفوضى ونشر الذعر . وهنا تظهر طبيعة الفكر اليهودي الداعي إلى السلام المزعوم وإنكار ذلك على الآخرين .

وقد اعتمدت في البحث عن الموطن اليهودي على النصوص الدينية منها : التوراة والعهد القديم الذي يعد جزءا من الفكر الديني اليهودي ، والذي عرض فترة تاريخية كبيرة لبني إسرائيل ، كما اعتمدت أيضا على القرآن الكريم الذي تحدث مطولا في كثير من سوره عن بني إسرائيل واليهود وما تعلق بهم من أحداث ، وقدم بعض الإشارات فيما يتعلق بقضية زمان ومكان بني إسرائيل التي تفهم من سياق بعض آياته ، كما اعتمدت أيضا إلى ما ذهب إليه بعض الباحثين والمؤرخين في تقديم بعض الحقائق المبهمة والغامضة عن بني إسرائيل ، وحاولوا من خلال بعض النصوص التاريخية التي تعتمد في غالب الأحيان إلى وثائق وسجلات وما توصل إليه علم الآثار من حفريات في منطقة فلسطين وما جاورها للوصول إلى تدعيم ما يطابق التوراة والعهد القديم وما ذهب إليه القرآن الكريم . وقد حددت الفترة الزمنية في هذا البحث ابتداء من عصر الآباء وانتهاء بعصر الرومان ، على أساس ما اتفق عليه الباحثون والمؤرخون ، وما ذهبت إليه نصوص التوراة والعهد القديم ، ولم أتعرض إلى تاريخ اليهود الحديث ، وإن كان هناك ذكر للموطن اليهودي في العصر الحديث عند ذكر الحركة الصهيونية واختيارها كنموذج .

وقد دفعني إلى ذلك بناء على ما سبق التساؤل الآتي : هل كان هناك لليهود موطن استقروا به عبر تاريخهم الطويل ؟ فهذا التاريخ الذي عرف بأنه كان متأرجحا بين عدم الاستقرار والهجرة من أرض إلى أخرى ، والتبعية للدول الكبرى آنذاك التي فرضت سيطرتها وأخضعت اليهود لسلطانها ،

وابتعد اليهود بذلك عن الأماكن التي تواجدوا بها ، وشكلوا أقليات في مجتمعات مختلفة من أنحاء العالم ، فبعضهم فضل الاندماج والعيش تحت كنف الدول ، وألّفوا شعوبها ، وبعضهم الآخر فضل الإنعزال والعيش في بوتقة خاصة بهم ، والانطواء على أنفسهم والتمسك بمعتقداتهم الدينية ، وظهرت أثناء هذه الفترة فكرة الموطن اليهودي واستيقضت في أذهان مفكري اليهود ، وتبنتها الحركة الصهيونية ، وظهرت من خلال مساعيها وأهدافها وتطلعاتها المستقبلية ، وحاولت صياغة بعض المعتقدات في شكل وعود توراتية ، واعتبارها أسانيد وحجج تثبت أن فلسطين أرضهم ، وربطت الموطن بجذور تاريخية ورسمت حدودا له وفق تصورات سابقة ومعتقدات قديمة ووفق التطورات الراهنة .

وقد اقتضى هذا التساؤل بالضرورة طرح تساؤلات أخرى منها : من أين يبدأ تاريخ اليهود ؟ أو ما هي البدايات الأولى لهذا الشعب ؟ وفي تحديد تاريخ نشأة اليهود وجد تعارضا كبيرا بين الباحثين والمؤرخين ، فليس هناك اتفاق بينهم على الأقل في البداية الأولى لظهورهم ، فهو متباين بين اعتبار إبراهيم عليه السلام كأول بداية لتاريخ بني إسرائيل ، وبين اعتبار النبي يعقوب وموسى عليهما السلام أنهما يمثلان المرحلة الأولى لظهور بني إسرائيل على أساس عدة اعتبارات .

ومن خلال الأحداث التي وقعت لبني إسرائيل نتساءل ما هي المواطن التي تواجدوا بها ؟ ولماذا كانت متعددة ؟ إن بني إسرائيل عرفوا بعدم الاستقرار بمكان واحد ، وانتقلوا من مكان إلى آخر ، واتخذوا أرض كنعان مكانا لهم ، ولم يطل بهم المقام هناك نتيجة لأسباب وظروف معينة ، فكان انتقالهم مع النبي يعقوب عليه السلام إلى أرض مصر ، حيث عاشوا فترة طويلة هناك ، واستمرت إلى عصر موسى عليه السلام حتى جاءهم الأمر الإلهي بالدخول إلى الأرض المقدسة ، وبعد سكنهم بأرض كنعان وفي أجزاء محدودة منها مدة من الزمن انتقلوا إلى أرض العراق بعد السبي الأشوري والبابلي ، وعاشوا تحت وطأة الإمبراطوريات الكبرى آنذاك .

كما ينبغي لنا أن نتساءل لماذا تمسك اليهود بفلسطين دون غيرها من المواطن التي تواجدوا بها ؟ وفيما تمثلت ادعاءات الحركة الصهيونية ؟ وما هي حجتها في إثبات فلسطين كموطن أصلي وحقيقي لليهود ؟ وما تفسيرهم لاستمرارية الوجود الكنعاني وغيره من الشعوب رغم الظروف وطبيعة البيئة التي تعرضت لها الجماعات في بعض الأوقات ، على خلاف الوجود اليهودي الذي ظل منقطعا وغير متواصل في مناطق شتى حل بها .

وفي آخر التساؤل نقول ، هل يمكن أن يتواجد بنو إسرائيل واليهود كشعب ثم ينشأ الموطن ؟ وهل بمجرد السكن في منطقة معينة مدة من الزمن تصبح ملكا خاصا بهم ؟ ويحق أن يرثها الورثة منهم ؟ ويحق أن يطالبوا به بعد أن تخلوا عنه ؟ وإذا كان كذلك لماذا لم تكن الأرض للورثة من العرب دون اليهود الذين أثبتوا وجودهم طوال التاريخ القديم ودافعوا عن فلسطين ولم يتخلوا عنها . إن هذه الدراسة "الموطن اليهودي بين النصوص الدينية والبعث التاريخي" قد دفعتني عدة أسباب للأقدام عليها وهي :

أولا : محاولة التعرف على موطن بني إسرائيل و اليهود ، و البحث عن نشأتهم من خلال الرجوع إلى نصوص التوراة والقرآن الكريم ، والحديث عن الأصل الأول لهم وبمن ارتبط وجودهم ، وإبراز نظرة النصوص الدينية في إعطاء مفهوم عن بني إسرائيل واليهود وما تعلق بهم ، مع توضيح الصورة التي قدمها الباحثون والمؤرخون ، وما توصل إليه علم الآثار وما قرره من خلال البحث والتنقيب .

ثانيا : بيان أهمية القرآن الكريم الذي تحدث عن بني إسرائيل واليهود ، والذي غفل عنه المؤرخون وعلماء الآثار الغربيون ، وتبعهم في ذلك المؤرخون العرب ، والذي يعد مصدرا من مصادر البحث المهمة فهو صالح لكل زمان ومكان ، والذي كشف عن معلومات تاريخية وحقائق جديدة لم يُتوصل إليها ولم تكتشف بعد وعجز عنها علم الآثار ، وهو مصدر يحوي الكثير من المعلومات الغامضة والمهمة عن بني إسرائيل ، ولذلك فهو يتطلب دراسة جديدة أوسع من السابق وأعمق من ذلك بكثير ومحاولة إعادة دراسة التوراة في ضوء القرآن الكريم .

ثالثا: الكشف عن حقيقة المملكة التي تمسك بها اليهود وتحدثوا عنها بإسهاب ، وظلت تروى من جيل إلى جيل ، والكشف عن سر تعلقهم بها وإصرارهم عليها ، ومعرفة فيما تتعلق عظمة ملك النبي سليمان عليه السلام .

رابعا: بيان جذور فكرة الموطن اليهودي ، وكيف نشأت هذه الفكرة ومع من ظهرت ، ومعرفة الخلفية الدينية والتاريخية التي استند إليها اليهود.

خامسا: الرغبة الذاتية وحب التطلع إلى معرفة حقيقة هذا الموطن ، وسر تمسك اليهود بفلسطين دون غيرها من الأراضي التي سكنوا وعاشوا بها فترة من الزمن ، ومحاولة إيجاد تبرير لوجودهم بفلسطين ، و تحليل الوقائع التاريخية وفق أهوائهم وأهدافهم واحتياحهم لمناطق مختلفة ،

وقتلهم لبعض سكانها واعتقلهم ، وارتكابهم المجازر الوحشية على مرأى ومسمع من العالم ، وإعطاء شرعية لاحتلالهم المناطق الفلسطينية وغيرها ، وطمس معالمها وتحويلها ، وضرب القرارات الدولية عرض الحائط ، ومحاولة اليهود استغلال الأوضاع الدولية ، وانشغال العالم بقضايا أخرى ، وإيجاد الفرص المواتية ، مع اختلاق الحجج للمساهمة في محاربة ما جاورهم من أجل توسيع حدودهم ، وإنشاء مشروع إسرائيل من النيل إلى الفرات بل أبعد من ذلك .

وهذا البحث بهذه الخطة أحسبه دراسة جديدة ، حيث أنه ورد بخطة مخالفة في تقسيمها لهذه الدراسات الجديدة ، على أي استفدت من مراجع في هذا المجال ، ومن خلال الإطلاع على بعضها ، وجدت أنها تناولت تاريخ بني إسرائيل ونشأتهم وتطورهم وكل ما تعلق بهم من زاوية تاريخية ، وبعض المراجع تناولت تاريخهم من زاوية دينية ، معتمدة على تحليل النصوص الدينية ، وبيان وضعية بني إسرائيل والحديث عن الوعود التي أعطيت للأنبياء ، والإسهاب في الحديث عن مملكة داود وسليمان عليهما السلام ، كما اعتمدت بعض الدراسات على تاريخ بني إسرائيل من خلال عرض مفصل مستمد من التوراة والعهد القديم مع بعض التحليل ، بينما بعض الدراسات طرحت الموضوع من وجهة أخلاقية ، وبينت وضع بني إسرائيل مستعينة بمنهج القرآن الكريم في تحليل ذلك .

وقد استخدمت في هذا البحث المنهج التاريخي وذلك أثناء الرجوع إلى الفترة الزمنية من ظهور بني إسرائيل من عصر الآباء إلى عصر الرومان ، كما استعنت بالمنهج المقارن الذي يستلزم بطبيعة الحال النقد والتحليل ، وإبراز أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بعد عرض للنصوص الدينية من التوراة والقرآن الكريم ، وعرض الأخبار التاريخية ونقد ما ينافي الحقائق ، كما استخدمت المنهج الوصفي الذي يعتمد على وصف حال بني إسرائيل ومواقفهم وتحركاتهم ، وما تعرضوا له وما وقع عليهم من أحداث .

وقد تضمن هذا البحث مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ومجموعة من الفهارس : فهرس الآيات القرآنية و فهرس الأحاديث النبوية و فهرس العهد القديم و فهرس الأعلام و فهرس الأماكن و فهرس المصادر والمراجع و فهرس الموضوعات .

وقد قسمت بحثي إلى ثلاثة فصول ، فكان الفصل الأول منها بعنوان مواطن اليهود والغرض منه معرفة الموطن الذي نشأ به بنو إسرائيل ، من خلال تتبع آثار بداية ونهاية كل مرحلة من مراحل أنبيائهم ، مع ذكر أهم المراحل التاريخية التي مروا بها ، ومعرفة تنقلاتهم وهجراتهم ، والأماكن التي

مثلت أهم محطاتهم ، وجعلت هذا الفصل من ثلاثة مباحث ، فكان المبحث الأول عصر الآباء واعتمدت فيه على ذكر المراحل التاريخية التي مر بها بنو إسرائيل ، ابتداء من عصر الآباء وتحدثت فيه عن الهجرات المتعددة التي صاحبت تاريخ أنبيائهم ، وركزت على أهم المناطق التي تواجدوا بها ، وكان هذا العصر بداية بالنبي إبراهيم ثم إسحاق ثم يعقوب ثم يوسف ثم موسى عليهم السلام ، وعلاقة النبي يوسف وموسى بأرض مصر ، واستقرارهما مدة زمنية بها ، والحديث عن أهم الصفات التي تميزت بها هذه الأرض ، والحديث عن الأرض المقدسة أثناء خروجهم من مصر ، وما صاحب تاريخهم في هذه الفترة ، و كان المبحث الثاني عصر القضاة ، وتحدثت فيه عن الفترة الزمنية بعد وفاة موسى عليه السلام ، وكيف تولى قيادة بني إسرائيل يوشع بن نون ، وكيف تم دخوله الأرض المقدسة والغزوات التي قام بها ، واحتلاله لبعض مناطقها ، وبعد ذلك تولى مجموعة من القضاة الحكم ، الذين حاولوا العمل على استقرار بني إسرائيل ، وتمركزهم في بعض أجزاء فلسطين ، وقيامهم بحروب عدة مع سكان فلسطين الذين حاولوا الدفاع عنها بما أبدوه من مقاومة ضد بني إسرائيل، وأما المبحث الثالث فكان عصر الملوك ، وتناولت فيه طبيعة الحكم عند بني إسرائيل ، وكيف ظهر نظام الملك عندهم ، وظهور أول ملك عليهم وهو شاول ، وذكرت الحروب التي قام بها الفلسطينيون وغيرهم من الممالك آنذاك ، وبعده جاء داود عليه السلام وتولى الحكم ، وذكرت كيف تمكن من فتح مدينة القدس وأقام حكمه فيها ، وبنى مكانا للعبادة كغيره من الأنبياء الذين سبقوه ، وقام بتأسيس مملكة قوية أرسى حكمه فيها ، وبعده تولى الحكم سليمان عليه السلام ، وذكرت ما تميز به حكمه وما عرفت به مملكته من عظمة ، واستقرار للأوضاع في عهده ، كما تحدثت عن هذه المملكة التي أسسها ، وعن الهيكل الذي نسب إليه ، وقصته مع ملكة سبأ .

وكان الفصل الثاني تحت عنوان الوجود اليهودي في عصر الحضارات القديمة والغرض منه معرفة مكان تواجد اليهود بعد وفاة سليمان عليه السلام ، ومعرفة أحوالهم وما آل إليه وضعهم الداخلي والخارجي ، خاصة بعد الانقسام الذي عرفه بنو إسرائيل ، وتعرضهم للتشتت عبر مناطق مختلفة وخضوعهم لإمبراطوريات كبرى ، مع إثبات أو نفي ما إذا تمتع اليهود بموطن تحت ظل هذه الحضارات ، وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين ، فكان المبحث الأول اليهود في أرض العراق ، ولم

أتحدث عن اليهود في أرض مصر ، لسبق ذكر ذلك في عهد النبيين يوسف و موسى عليهما السلام ، وقد تحدثت عن انقسام مملكة سليمان إلى مملكتين ، مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا ، والحكام الذين تعاقبوا على قيادة المملكتين وتعرضهم للسبي ، ووقوع الأولى تحت السبي الآشوري والثانية تحت السبي البابلي ، وذكرت وضع اليهود أثناء السبيين ، و المبحث الثاني اليهود في أرض فلسطين ، وذكرت فيه تعاقب الإمبراطوريات الكبرى على فلسطين ، وكانت أولها إمبراطورية الفرس ، وفي عهدها تمكن اليهود من العودة إلى أرض فلسطين بعد قرار العفو الذي أصدر ، وما آل إليه وضع اليهود من تحسن الأوضاع ومعاملة الفرس الحسنة لهم ، وكان ثانيها الإمبراطورية اليونانية التي انقسمت بعد وفاة الإسكندر ، وخضوع فلسطين لحكم البطالمة و السلوقيين واختلاف حال اليهود نتيجة ما آل إليه الوضع ، وقد ذكرت معاملة اليونان لليهود وإخضاعهم لقوانينها ، ونشأة الفرق اليهودية ، وظهور الثورة اليهودية المكابية ، وكان ثالثها الإمبراطورية الرومانية التي تعاقب على حكمها الأباطرة الذين واصلوا ضغطهم على اليهود وطبقوا عدة إجراءات لإخضاعهم ، وظهور الثورة اليهودية الثانية "باركوخبا" الداعية لاستقلال اليهود ، وإصدار القوات الرومانية قرارا بمنع اليهود من دخول القدس وتحريمها عليهم .

أما الفصل الأخير فكان يحمل عنوان الادعاءات اليهودية في الأرض المقدسة والغرض منه بيان الحجج التي استندت إليها الحركة الصهيونية في ادعاءاتها ، ورد هذه الحجج من النصوص الدينية والتاريخية ، وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين ، فكان المبحث الأول مفهوم الحركة الصهيونية ونشأتها ، وعرضت فيه الجذور التاريخية لها والأوضاع التي سبقت تأسيسها وأسباب ظهورها ، وأهم الأعمال التي ميزت هذه الحركة وما صاحب ذلك من تأسيس المؤتمرات الصهيونية ، والحديث عن فكرة الوطن القومي والمطالبة به ، والمبحث الثاني الادعاءات اليهودية في الأرض المقدسة ، ذكرت فيه الادعاءات الصهيونية التي استندت في تدعيم ما تروجه إلى أسانيد دينية وتاريخية ، على أساس أن أرض فلسطين ملك لهم ولهم الحق بالمطالبة به ، وتحدثت في هذا المبحث عن مفهوم الأرض في الفكر اليهودي ، وبعض أقوال زعمائهم عن الأرض المقدسة ، وذكر أهم الوعود المعطاة لأنبيائهم ، ثم مناقشة هذه الوعود والشروط المتعلقة بها ، وتحدثت عن تاريخ نشأة بعض الشعوب التي تعاقبت على أرض فلسطين ، وبيان الأسبقية التاريخية لها ، ورد ادعاءات الحركة الصهيونية .

وقد ختم هذا البحث بخاتمة كانت عبارة عن عرض لأهم النتائج المستخلصة من البحث ، الذي يتخلله مجموعة من الخرائط ، وذلك من أجل بيان أكثر وإعطاء صورة واضحة عن أهم المناطق والشعوب التي لها علاقة ببني إسرائيل واليهود .

أما عن مصادر ومراجع هذا البحث فهي كثيرة ومتنوعة ، فكانت المصادر بالدرجة الأولى تتمثل في الكتب المقدسة ، فالمصدر الأول التوراة والعهد القديم ، واستعنت بالتفسير الخاص به ، وهو قاموس الكتاب المقدس لبطرس عبد الملك وجون ألكساندر طمسن وآخرون ، بالإضافة إلى موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية لعبد الوهاب المسيري ، بالإضافة إلى موسوعات أخرى ، والتي استعنت بها من أجل تقديم بعض التعريفات لأهم الشخصيات اليهودية ، أو المصطلحات المتعلقة باليهود خاصة ، والتي قدمت جغرافية لبعض الأماكن ، والمصدر الثاني يتمثل في القرآن الكريم ، واستعنت في معرفة مدلول آياته إلى كتب التفسير ، منها تفسير الزمخشري ، وتفسير القرطبي ، والتفسير العظيم ، وتفسير التحرير والتنوير وغيرها .

كما استعنت بكتب خاصة بتاريخ اليهود منها : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم لمحمد عزة دروزة ، وتاريخ اليهود العام لصابر طعيمة ، اليهودية لأحمد شلي ، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث لكارين أرمسترونج ، تاريخ الشعب العبري لأندرية لومير .

وكتب خاصة بالقصص منها : قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ، اليهود في القرآن لعفيف عبد الفتاح طبارة ، والشخصية اليهودية في القرآن لصلاح عبد الفتاح الخالدي .

وكتب خاصة بالوعود الإلهية منها : ملف إسرائيل والأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية لروجيه جارودي ، عقيدة اليهود لمحمد بن علي بن محمد آل عمر .

وكتب تاريخية عامة منها: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين لفيليب حتي ، قصة الحضارة لول ديورانت وتاريخ الشرق الأدنى القديم لأحمد أمين سليم .

وفي الأخير أرجو من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في هذا البحث ، فإن كنت قد أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان .

الفصل الأول: مواطن اليهود

المبحث الأول: عصر الآباء

المطلب الأول : إبراهيم عليه السلام

المطلب الثاني : إسحاق عليه السلام

المطلب الثالث : يعقوب عليه السلام

المطلب الرابع : يوسف عليه السلام

المطلب الخامس : موسى عليه السلام

المبحث الثاني : عصر القضاة

المطلب الأول : بنو إسرائيل بعد الآباء وقبل القضاة

المطلب الثاني : عصر القضاة

المبحث الثالث : عصر الملوك

المطلب الأول : شاول

المطلب الثاني : داود عليه السلام

المطلب الثالث : سليمان عليه السلام

المبحث الأول

عصر الآباء

إن الحديث عن تاريخ اليهود ونشأتهم والبحث عن موطنهم ، يتطلب منا محاولة الوقوف والتعرف على البدايات الأولى لهذا الشعب الذي يعتريه في كثير من الأحيان الغموض والإبهام ، وكانت معظم محاولات المؤرخين والباحثين تعتمد بالدرجة الأولى على التوراة ، باعتبارها الوثيقة الوحيدة التي تؤرخ لهذا الشعب على الأقل في الفترة الأولى له ، وسبب ذلك يعود لغياب السجلات والوثائق التاريخية ، وتاريخهم مرتبط كثيرا بتاريخ أنبيائهم⁽¹⁾ ، ولا يمكن الفصل بينهما ، وقد ذكرنا تاريخ اليهود من خلال التقسيمات المعترف بها ، ونبدأ مع بداية المرحلة الأولى التي يطلق عليها عصر الآباء⁽²⁾ ، والتي تتبع فيها آثارهم المؤرخون وعلماء الآثار بالتدقيق والإمعان ، والتوراة بالدرجة الأولى ، ونبدأ حديثنا بإبراهيم عليه السلام وما يتعلق به من أمور تخص موضوع الدراسة ، ثم الحديث عن ابنه إسحاق وحفيده يعقوب والنيي يوسف وموسى عليهم السلام ونقف على أهم الأحداث مع إهمال بعض الجوانب ، وذلك من أجل البحث عن موطن بني إسرائيل.

المطلب الأول : إبراهيم عليه السلام1- ملة إبراهيم عليه السلام

هناك العديد من النصوص والدراسات والأبحاث ، لكنها تختلف في حديثها عن نشأة اليهود ، وليس هناك اتفاق بينها على الأقل في البداية الأولى لهذا الظهور .

1. النبي : من الناحية اللغوية : هو شخص مدعو من الله لتوصيل رسالة إلهية إلى قومه ، وتعني شخصا يتحدث بنبأية عن الإله وكما ذكر موسى بن ميمون أن حقيقة النبوة وماهيتها هي فيض من الله عز وجل بواسطة العقل الفعال على القوة الناطقة أولا ثم على القوة المتخيلة . أنظر : محمد خليفة حسن أحمد ، تاريخ النبوة الإسرائيلية ، (القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، دط ، 1985م) ، ص 29-30 .

2. الآباء (2100-1200 ق.م) : يطلق على كلمة الآباء أحيانا البطارقة وهي من الكلمة الإنجليزية باتريك ، وهي من اليونانية باترياك (باتر بمعنى أب و باتريا بمعنى عائلة و أركين بمعنى يحكم) وتشير كلمة الآباء في الكتب اليهودية إلى آباء اليهود : إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وهم الذين تلقوا وعودا إلهية بأن تكون أرض فلسطين من نصيبهم ، كما تشمل الكلمة أحيانا موسى وهارون ، بل آدم ونوحا. وهؤلاء رغم تلقيهم هذه الوعود ، لا يعدون أنبياء بعكس الحال في التراث الإسلامي ، ولقب (آباء) يعني أنهم كانوا بمنزلة رؤساء وشيوخ لقبائلهم وعشائرهم يرتبطون بها برباط الدم والنسب والعرق . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، (د.م : شركة صخر لبرامج الحاسوب ، 1999م) ، مج 4 ، ص 1882 .

ويوجد اختلاف في تحديد الزمن الذي نشأ فيه بنو إسرائيل ، وخاصة اقتران تاريخهم بإبراهيم وفترة الآباء على الخصوص ، وهذا راجع إلى رفض البعض علاقة بني إسرائيل بإبراهيم واعتراف البعض الآخر بهذه العلاقة ، فهذا الرفض والقبول سبب إشكالا في تاريخ ظهور بني إسرائيل⁽¹⁾.

ويرجع بنو إسرائيل تاريخهم إلى هذا النبي باعتباره أول الآباء ، وهي أقدم مرحلة في تاريخهم ، والذي أتى ذكره في التوراة ، وخصه المؤرخون بالدراسة ، وإن وجد اختلافاً بينهم ، وعد بعضهم أن تاريخ بني إسرائيل غير مرتبط به ، وإنما بحفيده يعقوب عليه السلام ، وهنا نطرح السؤال هل ينتسب بنو إسرائيل إلى الحفيد وهم أولى بالانتساب إلى الجد؟!.

وإبراهيم عليه السلام شخصية احتلت مكانة ومترلة بين الأديان الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام) ، وكل واحد من هؤلاء الأديان ينسبه إليه ، فمن هو أحق بوراثته؟.

ولا يمكن اعتبار إبراهيم عليه السلام إسرائيلياً لأنه إذا رجعنا إلى هذه الكلمة وجدناها تنطبق على حفيده يعقوب عليه السلام ، وليس يهودياً لأن هذه الكلمة تطلق على أحد أبناء يعقوب عليه السلام ، وليس توراتياً ، فالتوراة نزلت على موسى عليه السلام ، فليس إبراهيم حكراً عليهم ، فهو جد لأحفاد أكثر من ابنه البكر إسماعيل ومن ابنه إسحاق⁽²⁾.

والقرآن الكريم تحدث عن انتساب إبراهيم في كثير من سورته⁽³⁾ ، ومنها قوله عَلَيْكُمْ : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾⁽⁴⁾.

1. مصطفى كمال عبد العليم ، سيد فرج راشد ، اليهود في العالم القديم ، (دمشق : دار القلم ، ط1 ، 1416 هـ - 1993 م) ، ص 26 .
2. طارق محمد العماري ، أسرار المعبد اليهودي ، (القاهرة : دار الفكر الحديث ، د.ط ، د.ت) ، ص 19-20 .
3. وقد ذكر القرآن الكريم انتساب إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا يَهُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَكْثَرُ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِذَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة البقرة ، آية 140 .
4. سورة آل عمران ، آية 65-67 .

وقد رفض هذا الانتساب بأن كلا الديانتين نشأتا بعد النبي إبراهيم عليه السلام ، فاليهودية ظهرت بعد التوراة والنصرانية بعد الإنجيل ، وهناك تباعد كبير بين النبيين إبراهيم وموسى وبين إبراهيم وعيسى ، فلا علاقة لإبراهيم بهاتين الديانتين اللتين أحدثتا من بعده ، فمن الغرابة أن ينتسب إلى دين جاء من بعده⁽¹⁾.

إذن يقرر القرآن الكريم حقيقة تؤكد أن النبي إبراهيم عليه السلام كان مسلما ، وهذا الانتساب خاصا بالدين وليس بالجنس كما ذهب اليهود والنصارى .

2- موطن إبراهيم عليه السلام

إن الحديث عن إبراهيم عليه السلام ، يتطلب دراسة في النصوص الدينية ، سواء منها التوراة أو القرآن الكريم ، والاستناد إلى شهادات بعض المؤرخين والباحثين ، فقد جاء ذكره في سفر التكوين ، وأفاض في سيرته ووردت أخباره في سور عديدة من القرآن الكريم ، أما الكتابات و السجلات القديمة فلا ذكر له فيها ، ولم يتوصل علم الآثار إلى شيء يذكر كما قال المؤرخون ، وكما سجل الباحثون ، ومعظم الدراسات كانت مستمدة إلى هذه النصوص ، وما قررت الديانات السماوية .

إن الديانات السماوية الثلاث ، في اختلاف مع علم التاريخ ، فكلاهما في جانب بعيد عن الآخر ، فهذا العلم لا يذكر من خلال وثائقه شيئا عن النبي إبراهيم ؛ فليس هناك من دليل يثبت أو يشير إلى هذا النبي سواء كان كتابة أو نقشا ، أو حتى في آثار الحضارات القديمة⁽²⁾.

فإنكار وجود إبراهيم عليه السلام في هذه الآثار ، ليس دليلا قاطعا أو حجة في النفي ، خاصة وأن التوراة والقرآن أثبتتا وجوده ، ولذلك لا بد من تواصل البحث لإيجاد ما يؤيد هذه النصوص ، ولا بد أن نحدد الزمن التاريخي ليكون على وجه التقريب ، الذي كان في أوائل القرن الثامن عشر وأواخر القرن التاسع عشر قبل الميلاد⁽³⁾.

1. محمد بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبط وتصحيح : مصطفى

حسين أحمد ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ط3 ، 1407هـ - 1987م) ، ج1 ص 371 .

2. سيد محمود القمني ، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول ، (القاهرة : مكتبة مدبولي الصغير ، ط1 ، 1416هـ - 1996م) ، ص16 .

3. حدد زمن ظهور إبراهيم وإسحاق وإسماعيل في بعض المصادر بـ 1900 ق.م ، وفي بعضها بـ 1800 ق.م ، وفي بعضها الآخر بـ 1500 ق.م .

إن المهم في الأمر ليس عرض حياة إبراهيم عليه السلام ، وإنما الوقوف على مواطن تواجدته من أجل معرفة المرحلة الأولى لنشأة بني إسرائيل ، ولتحديد موطنه الحقيقي في التوراة نجد اختلافا بين نصوصها يرجع سببه إلى تعدد مصادرها⁽¹⁾ واختلافها ، لذلك نجد أحيانا موطنه أور⁽²⁾ وأحيانا أخرى موطنه حاران⁽³⁾.

ويأتي أول ذكر لموطن إبراهيم في أثناء الحديث عن هجرة أبوه (تارح بن ناحور) مع أفراد عائلته من موطنهم الأصلي إلى أرض كنعان⁽⁴⁾ فيؤكد سفر التكوين موطنه في الإصحاح الحادي عشر: (وَأَخَذَ تَارِحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ وَكُوطًا بَنَ هَارَانَ ابْنَ ابْنِهِ وَسَارَاىَ كَتْنَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنِهِ . فَخَرَجُوا

1. تعدد المصادر : هناك أربعة مصادر للتوراة ويضاف إليها بعض المصادر الفرعية وكان أول المصادر المصدر اليهودي : يحمل اسم يهوى للدلالة على الألوهية ويرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، ورواته من الجنوب (مملكة يهوذا) وكان متأثر بالأعمال الأدبية الكلاسيكية في مصر وبابل ، والمصدر الألوهي : يحمل اسم ألوهيم للدلالة على الألوهية ، وهو يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، ورواته الشمال (مملكة إسرائيل) ، و المصدر القنوي : وهو أساس سفر التثنية أي القانون الذي تلقاه موسى في سيناء ، ويرجع تاريخه إلى 920 ق.م ، والمصدر الكهنوتي : وهو حواشي وقد أضيفت هذه الحواشي إلى شعب التوراة في عهد عزرا ، ونحميا بعد النبي البابلي ويرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد . أنظر : حسن ظاظا ، الفكر الديني اليهودي " أطواره ومذاهبه " ، (دمشق : دار القلم ، ط4 ، 1420 هـ - 1999 م) ، ص 26-28 . محمد خليفة حسن أحمد ، علاقة الإسلام باليهودية ، (القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، د.ط ، 1988 م) ، ص 22 - 31 .

2. أور : وهي مسقط إبراهيم التي ولد ونشأ بها ولكنه خرج منها طاعة لدعوة الرب وذهب إلى حاران ومنها إلى كنعان ومكان أور اليوم خرائب تدعى المغير في منتصف المسافة بين بغداد والخليج الفارسي ، وعلى مسافة عشر أميال شرقي مجرى نهر الفرات في الزمن الحاضر ، وقد احتل المدينة السومريون و العيلاميون والبابليون والكلدانيون على التوالي . أنظر : بطرس عبد الملك ، جون ألكساندر طمسن وآخرون ، قاموس الكتاب المقدس ، (الشرق الأوسط : دار الثقافة ، ط 10 ، 1995م) ، ص 128 .

3. حاران : حدد الباحثون في التوراة موضع (حاران) المقصودة في أقصى الشمال ، داخل الحدود الأرمنية التركية القديمة . أنظر : سيد محمود القمني ، المرجع السابق ، ص 47 .

4. أرض كنعان : تعني الأرض المنخفضة وأصل اشتقاقها من حوري وهو كنجاني بمعنى الصبغ الأرجواني وهو بالفينيقية كنع وبالعبيرية كنعان أي بلاد الأرجوان ، وقد كان يستخدم اسم كنعان للدلالة على غربي فلسطين ، ثم أصبح على ما هو متعارف عليه جغرافيا باسم فلسطين ، وعلى قسم كبير من سوريا ، وهي الأرض التي وعدا الرب نسل إبراهيم حسب التوراة وقد خضعت أرض كنعان للهيمنة المصرية ، وقد شهدت عدة هجرات من فلسطين والعبرانيين والعمونيين وغيرهم ، وتعرضت للغزوات الآشورية والبابلية ، ويطلق عليها اليهود اسم ارتسل يسرائيل أي أرض إسرائيل وأيضا صهيون . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1859-1860 .

مَعَا مِنْ أَوْرِ الْكَلْدَانِيِّينَ⁽¹⁾ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ . فَأَتُوا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ . وَكَانَتْ أَيَّامُ تَارَحَ مِئْتَيْنِ وَخَمْسِ سِنِينَ . وَمَاتَ تَارَحٌ فِي حَارَانَ⁽²⁾ .

وهنا استبعد أحد الباحثين أن تكون أور هي موطنه وتساءل كيف لإبراهيم أن يكون قد عاش في "أور كلدانية" باعتباره أمرا يتنافى مع ما توصل إليه التاريخ ، فكلمة "كلدانية" لم تظهر إلا بعد قرون من العهد الذي تتحدث عنه التوراة⁽³⁾ .

وبغض النظر عن تاريخ المنطقة ، فافتراض وجوده ببلاد العراق ، وإن اختلفت هذه الأماكن التي انتقل إليها إبراهيم عليه السلام ، وهذه الهجرة التي دعت بالخروج مع أسرته كانت من أجل نشر الدعوة التي تهدف إلى عبادة الله والفرار بدينه ، فالقرآن يعترف بهذه الدعوة ، غير أن التوراة تبرر خروجه من أجل منحه أرض كنعان .

إن الهدف الذي قدمته نصوص التوراة من هجرة إبراهيم عليه السلام هو الوصول إلى أرض كنعان ، غير أنه لم يتوجه إليها مباشرة ، بل سلك طريقا آخر وتوقف عند حاران ، فحاء في الإصحاح الحادي عشر : (فَأَتُوا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ . وَكَانَتْ أَيَّامُ تَارَحَ مِئْتَيْنِ وَخَمْسِ سِنِينَ . وَمَاتَ تَارَحٌ فِي حَارَانَ)⁽⁴⁾ ، وكما دل على هذه الهجرة ما جاء في الإصحاح الثاني عشر : (وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ)⁽⁵⁾ .

1. الكلدانيون : قبائل عربية هاجرت من شبه الجزيرة العربية واستوطنت على ضفاف نهر دجلة والفرات في جنوب العراق ، وتمت هذه الهجرة حوالي الألف الرابع قبل الميلاد ، وانصهرت تلك القبائل مع السومريين والأكاديين ، وكانوا يسمون (سلالة بابل الثانية) أو (أمراء القطر البحري) واعتبرهم المؤرخون فرع من الأراميين ، وقد أسسوا دولة كلدانية وساهموا في القضاء على الحكم الأشوري ، وقد سقطت في يد الفرس في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد . أنظر : عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، ج 5 ، ص 131-132 .

2. الكتاب المقدس ، (الشرق الأوسط : دار الكتاب المقدس) ، سفر التكوين ، الإصحاح 11 ، الفقرات 30-32 .
3. روجيه جارودي ، ملف إسرائيل "دراسة للصهيونية السياسية" ، ترجمة : مصطفى كامل فودة ، (بيروت : دار الشروق ، ط 1 ، 1983م) ، ص 95 .

4. سفر التكوين ، الإصحاح 11 ، الفقرات 31-32 .

5. سفر التكوين ، الإصحاح 12 ، الفقرة 1 .

نتابع الإصحاح من أجل تحديد المكان ؛ فنجد أنه يذكر في موضع آخر أن موطنه أرام النهرين⁽¹⁾ كما دل الإصحاح الرابع والعشرون : (فَقَامَ الْعَبْدُ) وَذَهَبَ إِلَى أَرَامِ النَّهْرَيْنِ إِلَى مَدِينَةِ نَاحُورِ⁽²⁾ ، فإبراهيم عليه السلام لما بعث خادمه ليختار له زوجة لابنه إسحاق ، اتجه نحو موطن جد إبراهيم - ناحور - وهي أرام النهرين .

وهناك إشارة لموطن إبراهيم أيضا ، جاءت في سياق الحديث عن زواج يعقوب حفيد إبراهيم عليه السلام عندما طلب منه أبوه إسحاق أن يتبع سنة جده إبراهيم بالزواج من بنات موطنهم (فدان أرام) ، وهذا ما أورده الإصحاح الثامن والعشرون : (فَدَعَا إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ وَأَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ لَا تَأْخُذْ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ . قُمْ اذْهَبْ إِلَى فَدَانَ أَرَامِ)⁽³⁾ .

هناك اختلاف بين إصحاحات التوراة في تحديد المكان الذي وجد به إبراهيم عليه السلام ، وهذا التناقض عرفت به التوراة في كثير من نصوصها ، فالتوراة لم تجب عن السؤال المطروح عن الموطن الأصلي لإبراهيم عليه السلام ، فالأماكن التي ذكرتها التوراة أور ، أرام النهرين ، فدان أرام ، حاران ، هي الأماكن التي تواجد بها إبراهيم عليه السلام ، فالتوراة أكدت في كثير من نصوصها أن أور كانت الموطن الأول للنبي إبراهيم ، فلمس هنا شبه اتفاق حول العراق كأول موطن نشأ به إبراهيم .

وإذا عدنا للآيات القرآنية نجد أن هناك إشارات وتلميحات غير صريحة قد تفهم وتعتبر كدليل على أن موطن إبراهيم عليه السلام كان العراق ، ومن ذلك حديث القرآن الكريم عن معتقدات قوم إبراهيم عليه السلام التي تتمثل في عبادة الأصنام ، قال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾⁽⁴⁾ ، و في آية أخرى يذكر

1. أرام النهرين (مدينة ناحور) : النهران هما الدجلة والفرات ، ويظن البعض أنها نهر الخابور والفرات ، وكان فدان أرام يقع في هذا الإقليم ، وقد سكن ناحور بن تارح ونسله في مدينة حاران في فدان أرام ، وقد دعا العبرانيون هذه البقعة (أرام التي في عبر النهر) .
أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 43 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 24 ، الفقرة 10 .

3. سفر التكوين ، الإصحاح 28 ، الفقرة 1 .

4. سورة الأنبياء ، الآية 51-56 .

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾⁽¹⁾ ، فقد عرف قوم إبراهيم باشتغالهم بالتنجيم ، وهو ما كان عليه أهل بابل .

وقد جاء ذكر أن قوم إبراهيم كانوا من الكلدان ، وعرفت حاران بأنها بلد الصابئة⁽²⁾ ، يعبدون الكواكب في شكل صور مجسمة⁽³⁾ .

ويذكر القرآن الكريم ويقرر أموراً ومعتقدات لم تظهر ولم تكتشف إلا في عصور متأخرة وهذه الحقائق كشفت عنها الحفريات في أرض بابل ، وأظهرت معتقدات هذه الأرض بعد أن فكّت رموز اللغة التي كتبت عن هذه المعتقدات وتم فهم فحواها⁽⁴⁾ .

وقد جاء أن البابليين عرفوا بأنهم منجمين أكثر منهم فلكيين ، ودرسوا التنجيم لكي يساعدهم على التنبؤ ومعرفة مستقبل الناس⁽⁵⁾ ، وفي هذا تأكيد أن هذه العقائد كانت نابعة من بيئة البابليين بالعراق ونشأت عندهم .

وهناك دليل آخر يفهم من سياق القرآن أن ما لاقاه إبراهيم عليه السلام من قومه نتيجة ما فعله بأهنتهم ، فحكم عليه بالموت حرقاً ، والمعروفة عند أهل بابل ، غير أن هذه النار لم تخص بها بابل دون سائر البلدان ، إلا أن الأنبياء لم تطبق عليهم هذه العقوبة إلا في بابل ، ولم يأت ذكر لنبي آخر غير إبراهيم هدده قومه بإحراقه ، فليست أخبار الأنبياء أرسلت جزافاً أو مما تنقطع فيه المناسبة بين النبي والبلد الذي يعث إليه⁽⁶⁾ .

فهناك إذا أدلة أثبتت حقيقة نشأة إبراهيم عليه السلام في العراق ولا يمكن إنكارها ، ويعود نفي وجود قوم إبراهيم عليه السلام في العراق كما ذكرنا لانعدام الأدلة وعجزها عن إيجاد أي دليل يثبت ذلك .

1. سورة الصافات ، الآية 88-89 .

2. الصابئة في اللغة : صبأ الرجل إذ مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق ، وزيفهم عن نهج الأنبياء ، قيل لهم الصابئة . أنظر : محمد عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، (بيروت : دار المعرفة ، ط 2 ، 1975م) ، مج 2 ، ص 5 .

3. محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، (تونس : الدار التونسية للنشر ، د.ط ، 1984م) ، ج 17 ، ص 94 .

4. عفيف عبد الفتاح طيارة ، اليهود في القرآن ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ط 11 ، 1986م) ، ص 108 .

5. ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، تقديم : محي الدين صابر ، (بيروت : دار الجيل للطباعة والنشر ، د.ط ، 1998م) ، ج 2 ، ص 211 .

6. عباس محمود العقاد ، إبراهيم أبو الأنبياء ، (بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، د.ط ، د.ت) ، ص 190 .

3- هجرة إبراهيم عليه السلام

أ- الهجرة إلى أرض حاران

نواصل الحديث عن تنقلات إبراهيم عليه السلام ، فنجد أن التوراة تصف هجرته إلى حاران ، فيقول الإصحاح الحادي عشر : (وَأَخَذَ تَارْحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ وَكُوطًا بَنَ هَارَانَ ابْنَ ابْنِهِ وَسَارَاىَ كَنْتَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنِهِ . فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أَوْرِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ . فَأَتَوْا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ . وَكَانَتْ أَيَّامُ تَارْحَ مِئَتَيْنِ وَخَمْسَ سِنِينَ . وَمَاتَ تَارْحُ فِي حَارَانَ)⁽¹⁾ ، فهذا النص بين الهدف الذي من أجله خرج إبراهيم ، وهو قاصدا أرض كنعان دون غيرها من الأراضي.

أجمع الخبراء على أن النبي إبراهيم عليه السلام أثناء رحلته من أور إلى حاران ، سار في طريق الفرات الأيمن وهو الطريق الذي اعتادت أن تسلكه القوافل التجارية وغيره ، فتكون المسافة التي قطعها بين أور وحاران حوالي 900 كم ، وقد مر بمدينة ماري العربية عاصمة العموريين (قرب مدينة البوكمال السورية الحالية) وعرفت هذه المدينة بازدهارها ، ثم انتقل من حاران وتوجه إلى دمشق عن طريق تدمر ثم إلى كنعان مسافة 960 كم أخرى⁽²⁾.

ولم توضح التوراة السبب الذي أدى إلى خروج إبراهيم ومن ارتحل معه ، ولم تبين وجود أي خلاف سواء كان فقها أو سياسيا دعا إلى خروجهم ، وإنما بينت أن الهدف هو الوصول إلى أرض كنعان ، والبحث عن أرض تذر الخير الكثير⁽³⁾.

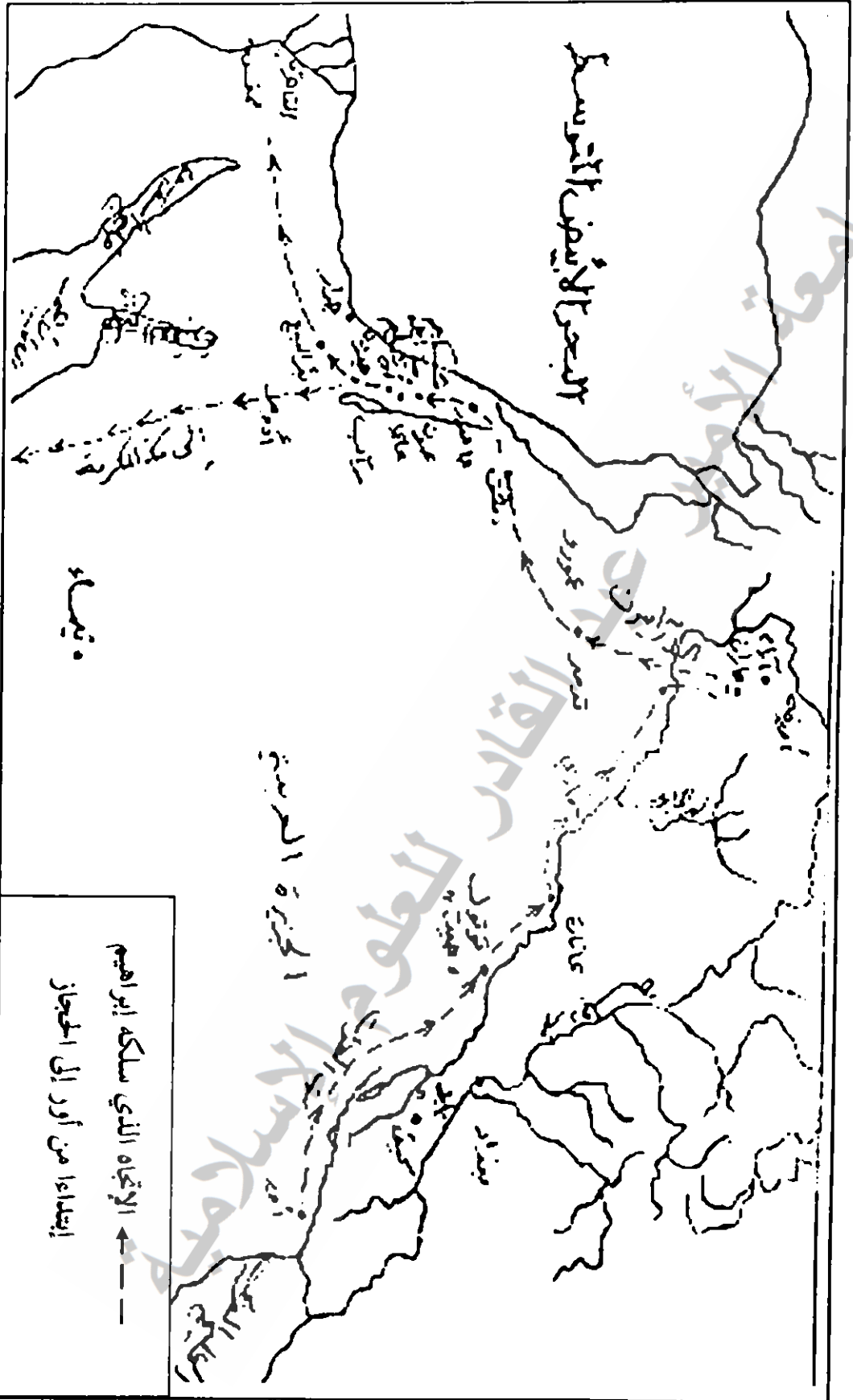
إن الأمر الملفت للانتباه أن إبراهيم عليه السلام غادر حاران وهو ابن خمس وسبعين سنة ، فالتوراة تجاهلت فترة طويلة من حياة إبراهيم وصممت عنها صمما مطلقا ، ولم توضح مواطن وجوده ، وهذا ما نلاحظه من خلال الحديث عن بعض أخبار أنبيائها .

ونعود للحديث عن النص فنقول أن هذا الوعد موجه لإبراهيم عليه السلام ، بأنه يخرج من صلبه شعب قوي ويرث أرض كنعان ، فشمّل العهد ذريته ابتداء من أبنائه دون استثناء أو تمييز بينهما ، وهكذا نقول أن قوم إبراهيم لم يلبثوا في موطن أجدادهم ، بل ارتحلوا إلى مكان آخر بغض النظر إذا

1. سفر التكوين ، الإصحاح 11 ، الفقرات 31-32 .

2. رجا عبد الحميد عرابي ، سفر التاريخ اليهودي ، (دمشق : دار الأوانل للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1425 هـ - 2004 م) ، ص62 .

3. سيد محمود القمني ، المرجع السابق ، ص 24 .



هجرة إبراهيم عليه السلام

توفرت هناك أسباب دعت إلى رحيلهم ، فالمهم أنهم لم يستقروا بمواطنهم كما فعلت الشعوب الأخرى .

ب- الهجرة الأولى إلى أرض كنعان

تعتبر أرض كنعان الموطن الثاني لقوم إبراهيم عليه السلام بعد رحيلهم من أرض عشيرتهم بقيادة إبراهيم عليه السلام ، وإن كانوا يشكلون أقلية صغيرة لا نستطيع أن نطلق عليها شعبا أو حتى قبيلة ، فأقام إبراهيم عليه السلام في منطقة حاران ، ثم شد رحاله مرة أخرى إلى أرض كنعان ، ونلمس نوعا ما اتفاقا بين التوراة والقرآن الكريم بشأن هذه الهجرة ، فالمكان الذي قصده إبراهيم في التوراة حدد بأرض كنعان ، أما في القرآن الكريم فوصف بأنه مبارك دون تعيين ، وهذا يعني أن المكان كان مباركا ، وهكذا حقق ما أراد ، وتم دخوله مع أهله إلى حاران ، حيث تلقى الوعد الإلهي من سلسلة الوعود التي تلت ذلك ، وهذا ما أوضحه الإصحاح الثاني عشر أن الرب قال لإبرام : (وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ (حاران) وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ . فَأَجْعَلْكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأَبَارِكُكَ وَأَعْظِمُ اسْمَكَ . وَتَكُونُ بَرَكَةٌ . وَأُبَارِكُ مَبَارِكِيكَ وَلَأَعْنِكَ أَلْعَنُهُ . وَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ . فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ)⁽¹⁾.

وهذا المكان الذي وصف بأنه مبارك كانت أرض كنعان ضمن حدوده ، وهذه الهجرة يقول عنها عليه السلام : ﴿ فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾⁽²⁾ ، وقال في آية أخرى ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾⁽³⁾.

وفي تفسير الآية الثانية نجد أنها تعني أن إبراهيم ولوط قد نجيا وهاجرا من العراق إلى الشام ، لأن أكثر الأنبياء بعثوا فيه⁽⁴⁾ .

وقد أخبر عزوجل أنه نجاه من نار قومه وأخرجه من بينهم مهاجرا إلى بلاد الشام إلى الرض المقدسة⁽⁵⁾ ، فالمقصود بها بالإجماع بلاد الشام وفلسطين من ضمن الشام .

1. سفر التكوين ، الإصحاح 12 ، الفقرات : 1-5 .

2. سورة العنكبوت ، الآية 26 .

3. سورة الأنبياء ، الآية 71 .

4. محمد بن عمر الزمخشري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 126 .

5. إسماعيل ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (بيروت : دار الخير ، ط2 ، 1991م) ، ج 3 ، ص 205 .

ونجد أن الله عز وجل سمي الأرض التي نزل فيها إبراهيم ولوط عليهما السلام بالأرض المباركة ، وهي أشمل دون سائر الأسماء ، وبذلك تختلف عن بعض الأراضي التي ذكرت في القرآن الكريم ، ولم يضع لها حدودا ولم يعين موقعها ، غير أنه يبين الصفات التي تتميز بها سنذكرها لاحقا ، وأغلبية الظن أنها تشمل أرض الجزيرة العربية ⁽¹⁾ والشام و مصر ، فكانت هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض بما بركة وقداسة.

وقد لاقت حدود بلاد الشام اهتماما وعناية من طرف المؤرخين ، فمنهم من وسع حدودها لتضم شمال سوريا الأعلى حتى حدود الجزيرة العربية ، أو ضم إليها العراق ، ومنهم من ضيق حدودها وجعلها تشمل فلسطين وما حولها ، كانت القدس ⁽²⁾ لا تخرج عن إطار حدود بلاد الشام ، كما دلت على ذلك أكثر النصوص والروايات ⁽³⁾.

وأثناء هذه الهجرة ، تلقى إبراهيم الوعد الإلهي مرة أخرى بأرض كنعان ، فجاء في الإصحاح: (فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ وَاجْتَازَ أَبْرَامَ فِي الْأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمِ ⁽⁴⁾) إِلَى بَلُوطَةَ

1. الجزيرة العربية : هي جزيرة العرب ، يحدها من الشمال الشرقي خليج فارس من شواطئ عمان إلى مصب نهر الفرات والدجلة إلى أعلى سورية ، ومن الشمال الغربي نهر الفرات وفلسطين وخليج العقبة ، ومن الجنوب الشرقي طول البحر الأحمر إلى باب المندب ، ومن الجنوب الغربي بحر العرب على شواطئ اليمن وحضر موت إلى شواطئ عمان ، وتنقسم بلاد العرب إلى خمسة أقسام كبيرة ، وهي الحجاز وتهامة ونجد والعروض واليمن ، وكل منهما ينقسم إلى أقسام . أنظر : محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، (بيروت : دار الفكر ، د.ط ، د.ت) ، ج6 ، ص 28 .

2. القدس : تقابلها في العبرية ياروشاليم ، وهي كلمة مشتقة من الكلمة الكنعانية اليبوسية يورشاليم ، ويطلق عليها ييوس نسبة إلى سكانها . ويطلق عليها في التوراة لفظ شاليم ومدينة الإله ومدينة السلام والمدينة المقدسة وأطلق عليها الرومان إلبيا كابيتوليا وفي الفتح الإسلامي بيت المقدس وغيرها من الأسماء ، والقدس من الناحية الجغرافية تقع على تقاطع الطرق التي تربط جميع أرجاء العالم القديم وهذا ما جعلها هدفا لجميع القوى السياسية الدولية على مر العصور ، وكانت لها أهمية دينية عند المسيحيين والمسلمين واليهود فهي بالنسبة للمسيحيين الوطن المقدس الذي ورثه النبي عيسى وبالنسبة للمسلمين هي مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم وبها أولى القبليتين وهي عند اليهود المدينة التي استولى عليها اليهود وبنى عليها سليمان الهيكل . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1870-1872 .

3. طارق السويدان ، فلسطين التاريخ المصور ، (الكويت : دار الإبداع الفكري ، ط3 ، 2004م) ، ص 17 .

4. شكيم : وهي كلمة عبرية معناها كتف أو منكب ، وتطلق علما على مدينة كنعانية قديمة بين جبل جريزيم وجبل عيبال في الضفة الغربية وكانت عند انقسام المملكة المتحدة عاصمة للملكة الشمالية ، وهي التي اشتق من اسمها نابلس الحالية . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1863 .

مُورَةَ⁽¹⁾ وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ فِي الْأَرْضِ وَظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ . فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا⁽²⁾ لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ . ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيلِ⁽³⁾ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ . وَهُوَ بَيْتُ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ⁽⁴⁾ مِنَ الْمَشْرِقِ . فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ⁽⁵⁾ .

إن هذا النص يبين أن قدوم إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان كان قدوما طارئا ؛ فقد وجد فيها السكان الأصليين وهم الكنعانيون ، ولم تكن هذه الأرض الموطن الأصلي لإبراهيم وقومه ، وفدوا إليها عن طريق عدة هجرات كما أكدت التوراة ذلك ، فلم يكن لبني إسرائيل موطن ثابت.

ج- الهجرة إلى أرض مصر

انتقل من كان مع إبراهيم عليه السلام من أرض كنعان إلى موطن ثالث وهو مصر ، وقبل رحيلهم إليه رصدت تحركاتهم في أرض كنعان ، ووصفت تنقلات إبراهيم ومن جاء معه .

وبعد أن استقر إبراهيم عليه السلام فترة قصيرة في مدينة شكيم ، توجه ناحية الشمال الشرقي من مدينة شاليم - أور شاليم - وأخذ ينتقل من مكان إلى آخر⁽⁶⁾ وبقي إبراهيم عليه السلام يطوف بين مناطق أرض كنعان فلم يهدأ بمكان واحد بل ظل متنقلا .

وقد اتفقت نصوص التوراة وآراء المؤرخين على التأكيد أن إبراهيم عليه السلام هاجر إلى مصر، مع الاختلاف في السبب الحقيقي وراء هذه الهجرة .

1. بلوطة مورة : اسم كنعاني معناه بلوطة المعلم ، وهو موضع بقرب شكيم وجبل عيبال وجبل جرزيم . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 930 .
2. علق عبد المجيد هـو على هذا المذبح بقوله : إن ديانة إبراهيم لإيل وعبادته له لم يكن له فيها مذبح له ولم يرث العرب هذه الشعائر من إبراهيم في الكعبة، إذ أن إبراهيم قد بنى الكعبة ، ولو كان في ديانته بناء المذابح لوجدنا مذبحا عند الكعبة . أنظر : عبد المجيد هـو، اليهودية بعد عزرا وكيف أقرت ، مراجعة وتدقيق : إسماعيل الكردي ، (دمشق : الأوائل للنشر والتوزيع و الخدمات الطباعة ، ط1 ، 2003م) ، ص 127 .
3. بيت إيل : (ببيتين حاليا) هي مدينة كنعانية عرفت باسم لوز وتقع بين القدس ونابلس وهي حسب التوراة بنى بها إبراهيم مذبحا وفيها وضع تابوت العهد قبل نقله إلى القدس . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1862 .
4. عاي : هي بلدة كنعانية إلى الشرق من بيت إيل ومن الشمال من مخامش ، على طرف واد ، وتعرف اليوم باسم التل . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 591 .
5. سفر التكوين ، الإصحاح 12 ، الفقرات 6-9 .
6. محمد شامة ، الجذور التاريخية لصراع الوجود في فلسطين ، مجلة الرابطة ، (مكة : در ، ع 21 ، ديسمبر 2001م) ، ص 21 .

وقد ذكر السبب الذي أدى إلى هذه الهجرة ، وهو راجع إلى سبب اقتصادي ، وهو ما حل بالبادية من جفاف وما أصابها من قحط ، أدى إلى اضطرار هجرة إبراهيم ومن معه إلى مصر⁽¹⁾ . وهذا يؤكد ما جاء به الإصحاح حول هجرة إبراهيم عليه السلام إلى مصر : (وَحَدَّثَ جُوعٌ فِي الْأَرْضِ . فَأَنحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ لِأَنَّ الْجُوعَ فِي الْأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا)⁽²⁾ . ذكر المؤرخون والأثريون أن دخول إبراهيم عليه السلام إلى مصر كان حقيقة بسبب الجفاف الذي أصاب مناطق شرقي مصر آنذاك ، وقد تميزت هذه الفترة إلى جانب رخائها بالنظام واحترام الحقوق فكان عهد ملوك الأسرة الثانية عشر الذي مثل مرحلة الانتقال من عصر الفوضى السابقة وقبل ظهور الهكسوس⁽³⁾ .

دخل إبراهيم عليه السلام بسبب المجاعة وخرج منها كما تذكر التوراة محملاً بالخير بسبب تقدم زوجته سارة لفرعون مصر ، وهذا من عادة التوراة أن ترمي أنبياء الله بما لا يصدر عنهم وبما لا يليق بمقامهم ، ولم يطل المقام بمن ذهب مع إبراهيم عليه السلام في مصر ، وإنما كان مكوثهم بها فترة قصيرة من الزمن.

د- الهجرة الثانية إلى أرض كنعان

بعد العودة من مصر قرر إبراهيم ولوط الافتراق واستقر كل منهم في مكان ، وانفصلا عن بعضهما وذكرت التوراة أن الأرض لم تعد تسعهما بسبب الخير الكثير (وَلُوطُ السَّائِرُ مَعَ أَبْرَامَ كَانَ لَهُ أَيْضًا غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخِيَامٌ . وَلَمْ تَحْتَمِلْهُمَا الْأَرْضُ أَنْ يَسْكُنَا مَعًا . إِذْ كَانَتْ أُمَّلَاكُهُمَا كَثِيرَةً . فَلَمْ يَقْدِرَا أَنْ يَسْكُنَا مَعًا . فَحَدَّثَتْ مُخَاصِمَةً بَيْنَ رُعَاةِ مَوَاشِيِ أَبْرَامَ وَرُعَاةِ مَوَاشِيِ لُوطٍ . وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ

1. صابر طعيمة ، التاريخ اليهودي العام ، (بيروت : دار الجيل ، ط3 ، 1411 هـ - 1999 م) ، ج 1 ، ص 11 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 12 ، الفقرة 11 .

3. يوسف حامد الشين ، الأديان السماوية بين العقل والنقل ، "محاضرات في مقارنة الأديان" ، (بنغازي : منشورات جامعة قارونس ، ط1 ، 2002م) ، ص 59 . وقد وردت كلمة الهكسوس : وهم جماعة سامية خليط من العموريين والكنعانيين وعناصر من الحوريين ، وهي كلمة مصرية تعني الملوك والرعاة وحكمت مصر بعد سقوط المملكة الوسطى ، وقد دخل الهكسوس إلى مصر على شكل موجات واستقروا بها ، واتحدت مصر وسوريا وفلسطين تحت حكمهم وتمكن أحسن مؤسس الأسرة الثامنة من طردهم وأصبحت هذه المدن تحت حكم الفراعنة . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1816 .

وَالْفَرَزِيُّونَ⁽¹⁾ حَيْثُ سَاكِنِينَ فِي الْأَرْضِ . فَقَالَ أِبْرَامُ لِلُوطِ لَا تَكُنْ مُخَاصِمَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ رُغَاتِي وَرُغَاتِكَ . لِأَنَّا نَحْنُ أَخْوَانٌ . أَلَيْسَتْ كُلُّ الْأَرْضِ أَمَامَكَ . اعْتَزِلْ عَنِّي⁽²⁾ .

ومعنى هذا كما بين الإصحاح أن أرض كنعان كانت عامرة وأهله بسكانها ، ولم تكن خالية حين دخلها إبراهيم عليه السلام ثم تكرر الوعد لإبراهيم بإعطائه أرض كنعان ولنسله ، ثم انتقل إلى حيرون⁽³⁾ ، وأقام مذبحاً كما تذكر التوراة : (فَقَالَ أِبْرَامُ حَيَامَهُ وَأَتَى وَأَقَامَ عِنْدَ بَلُوطَاتٍ مَمْرًا الَّتِي فِي حَبْرُونَ . وَبَنَى مَذْبَحًا لِلرَّبِّ⁽⁴⁾) ، ثم ذكر الإصحاح الرابع عشر مكان سكنى إبراهيم عليه السلام : (فَآتَى مِنْ نَجَا وَأَخْبَرَ أِبْرَامَ الْعِبْرَانِيَّ⁽⁵⁾ . وَكَانَ سَاكِنًا عِنْدَ بَلُوطَاتٍ مَمْرًا الْأُمُورِيِّ أَخِي أَشْكُولَ وَأَخِي عَابِرَ . وَكَانُوا أَصْحَابَ عَهْدٍ مَعَ أِبْرَامَ⁽⁶⁾) .

1. الفرزيونون : أحد الأقسام الكنعانية السبعة ، ورد ذكرهم في العهد القديم والتي كانت في أرض كنعان قبل التسلسل العبراني . أنظر : المرجع نفسه ، ص 1843 .
2. سفر التكوين ، الإصحاح 13 ، الفقرات 5-9 .
3. حيرون (الخليل) : هي مدينة في فلسطين كانت تسمى عند الكنعانيين قرية أربع (مدينة رباعية) ، تقع بين القدس وبيت لحم وهي مدينة مقدسة لدى اليهود ، استولى عليها العبرانيون ، كما احتلها الأدوميون بعد التهجير البابلي ، وضمها الحشمونيون إلى مملكتهم ، ثم أصبحت جزءاً من فلسطين الرومانية ، ثم دخلت عصر الحضارة الإسلامية . أنظر : المرجع نفسه ، ص 1867 .
4. سفر التكوين ، الإصحاح 13 ، الفقرة 18 .
5. عبراني : كلمة مفردة جمعها عبرون ، وترد أيضاً عبراني وجمعها عبرانيون ، وقد وردت هذه التسمية منسوبة إلى إبراهيم عليه السلام ، حيث تطلق عليه التوراة اسم أبرام العبراني ، وتشتق من الفعل عبر ، وهو في العبرية بمعنى انتقل أو رحل أو عبر من مكان إلى آخر ، فيكون معنى العبري المنقل أو المرتحل أو العابر ، ويعتقد بعض الدارسين أن الكلمة مأخوذة من عابر أحد أجداد إبراهيم عليه السلام ، ويشير فريق آخر من العلماء إلى وجود علاقة بين اللفظ عبري وبين عبرو في المصادر المصرية القديمة وخبيرو في المصادر الآشورية البابلية ، كما يحمل الاسم دلالة على غربة الشعب بمعنى الغريب أو الأجنبي ، فالتوراة نفسها تتحدث عن العبريين بصفتهم غرباء ، كما تستخدم الكلمة للدلالة على اللغة العبرية القديمة والأدب العبري . أنظر : محمد خليفة حسن أحمد ، تاريخ الديانة اليهودية ، (القاهرة : دار قباء ، ط1 ، 1998م) ، ص 22-23 .
6. سفر التكوين ، الإصحاح 14 ، الفقرة 13 .

ذكر هذا الإصحاح المكان الذي سكن به إبراهيم ⁽¹⁾، والذي كان يسمى بلوطات ممرا ، وأن إبراهيم كان على عهد مع الأموريين ⁽²⁾، وهذا معناه أنه أقام علاقة معهم. والأمر الملفت للانتباه أن إبراهيم توجه إلى هذه المنطقة وأقام عند الأموريين ، باعتبارده هو الآخر منهم ⁽³⁾، وقد تمثل الوعد أيضا بتمكين بني إسرائيل في أرض كنعان في قول الرب لإبراهيم : (فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا . لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ مِنْ نَهْرٍ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ . الْقَيْنِيِّينَ ⁽⁴⁾ وَالْقَنْزِيِّينَ ⁽⁵⁾ وَالْقَدْمُونِيِّينَ وَالْحَثِيِّينَ ⁽⁶⁾ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْجَرْجَاشِيِّينَ ⁽⁷⁾ وَالْيَبُوسِيِّينَ ⁽⁸⁾ .

1. الأموريون (العموريون) : شعب سامي قديم هاجر من شبه الجزيرة العربية إلى بادية الشام في مرحلة تاريخية مبكرة ، وسكن العراق وسوريا وفلسطين في الألف الثالث قبل الميلاد ، وبنى حضارة متميزة من حضارات الشعوب التي سبقت. أنظر : عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 246 .
2. محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، (بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، ط3 ، 1389هـ - 1969م) ، ص 30 .
3. القينيون : وبنو القين بطن من بطون قبيلة أو أهل مدين كانوا مستقرين على خليج العقبة بصحراء النقب وصحراء سيناء ، وعادة ما يقرنون بالمدينيين . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1843 .
4. القنزويون : أحد الأقوام الكنعانية السبعة التي ورد ذكرها في العهد القديم وفي المدونات الحيثية . أنظر : المرجع نفسه .
5. الحثيون : شعب هندي أوروبي قديم برز في آسيا مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد ، وتعد هجرتهم أقدم الهجرات الهندو الأوروبية المعروفة ، والحثيون إحدى القوى التي هيمنت على الشرق الأدنى القديم ، وأغلب الظن أنهم نشأوا في المنطقة الواقعة وراء البحر الأسود ، واتخذوا من حاتوشاش عاصمة لإمبراطوريتهم في مقاطعة حثي التي جاءت منها تسميتهم الحثيين . أنظر : المرجع نفسه ، ص 1818 .
6. الرفائيون : من الأقوام الكنعانية السبعة التي كانت تستوطن أرض كنعان قبل التسلسل العبراني . المرجع نفسه ، ص 1844 .
7. الجرجاشيون : أحد الأقوام الكنعانية السبعة ، ويبدو أنهم كانوا يسكنون غرب الأردن في المنطقة الجبلية المحيطة بمدينة القدس . أنظر : المرجع نفسه ، ص 1844 .
8. سفر التكوين ، الإصحاح 15 ، الفقرات 18- 21 . ورد في هذا الإصحاح عبارة البحر الكبير ، وهو مجمع عظيم من المياه يتوسط بين ثلاث قارات ، ولذلك دعي البحر المتوسط ، ويشار إليه باسم البحر أو البحر العظيم أو الغربي . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 164 .

لم تكن الأرض التي منحها لإبراهيم عليه السلام تشمل أرض كنعان فقط ، بل امتدت من نهر مصر إلى الفرات ، وتوسعت بذلك حدودها ، وهي تتسع وتضيق كلما سنحت الفرصة ، فكان موطن بني إسرائيل يضيق ليشمل أرض كنعان في بعض الأحيان ، ويتسع ليشمل أراض غيرها في أحيان أخرى ، وهي كما عبر عنها أحد الباحثين بأنها حدود مطاطة⁽¹⁾.

وأكدت التوراة فيما بعد أن كنعان أرض غربة لإبراهيم عليه السلام ونسله من بعده ، فجاء في الإصحاح السابع عشر : (وَأَعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا وَأَكُونَ إِلَهُهُمْ)⁽²⁾.

وقد بينت هذه الإصحاحات أن إبراهيم لم يستقر بمكان معين ، بل ظل مهاجرا ومتنقلا ، وكلما نزل بمكان بني معبدا ، وأقام المذابح للإله الذي يظهر دائما ، ويعده بإعطائه أرض كنعان ، وهذه العهود لم يتحقق منها شيئا بل عاش غريبا في هذه الديار .

ويتضح من إصحاحات التوراة أن إبراهيم حاول إقامة علاقات مع ممالك منطقة كنعان ، فكان عند وصوله إلى هذه الأرض للمرة الثانية أنه انطلق إلى مدينة (سالم) - القدس - حيث استضافه ملكيصادق⁽³⁾ ولاقى حسن الضيافة ، وقد عرف هذا الأخير بزهده وتعبده⁽⁴⁾ ، وتشير التوراة إلى ذلك (وَكَانَ كَاهِنًا لِلَّهِ الْعَلِيِّ وَبَارَكَهُ وَقَالَ مُبَارَكٌ أَبْرَامَ مِنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)⁽⁵⁾.

وتم توثيق العهد بين إبراهيم وملوك هذه المنطقة ، و ارتحل إبراهيم إلى جرار ، وهذا ما يدل عليه الإصحاح العشرون : (وَاتَّقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ وَسَكَنَ بَيْنَ قَادَشَ)⁽⁶⁾.

1. أنظر : روجيه جارودي ، ملف إسرائيل ، المرجع السابق ، ص 20 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 17 ، الفقرة 8 .

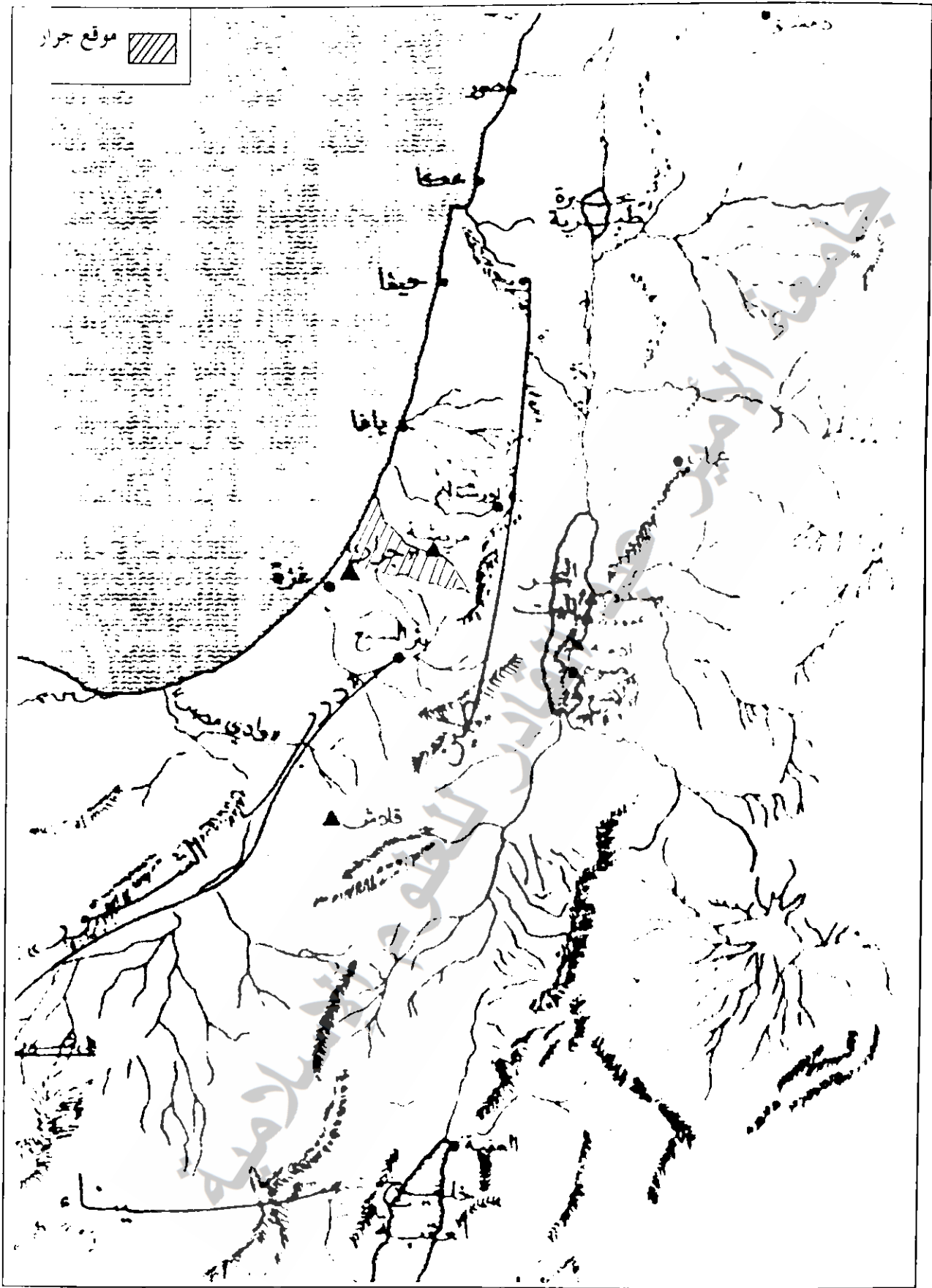
3. ملكيصادق : إسم سامي معناه ملك البر ، وهو ملك شاليم (أورشليم) . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 922 .

4. إبراهيم مصعب الدليمي ، أضواء على خطط إسرائيل وبرامجها لتهود القدس منذ عام 1968م ، مجلة أفلق ، (الأردن : جامعة الزرقاء الأهلية ، ع 7 ، حزيران 2002م) ، ص 130 .

5. سفر التكوين ، الإصحاح 14 ، الفقرة 18-19 .

6. قادش : إسم سامي معناه مقدس ، وهي إسم العدد من المواقع القديمة في فلسطين ، وموقعها بالوجه التقريبي عند طرف برية

صين إلى الجهة الغربية من وادي العربة . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 708 .



موقع جزار المفترض في فلسطين

نقلا عن: كمال الصليبي، ص 95

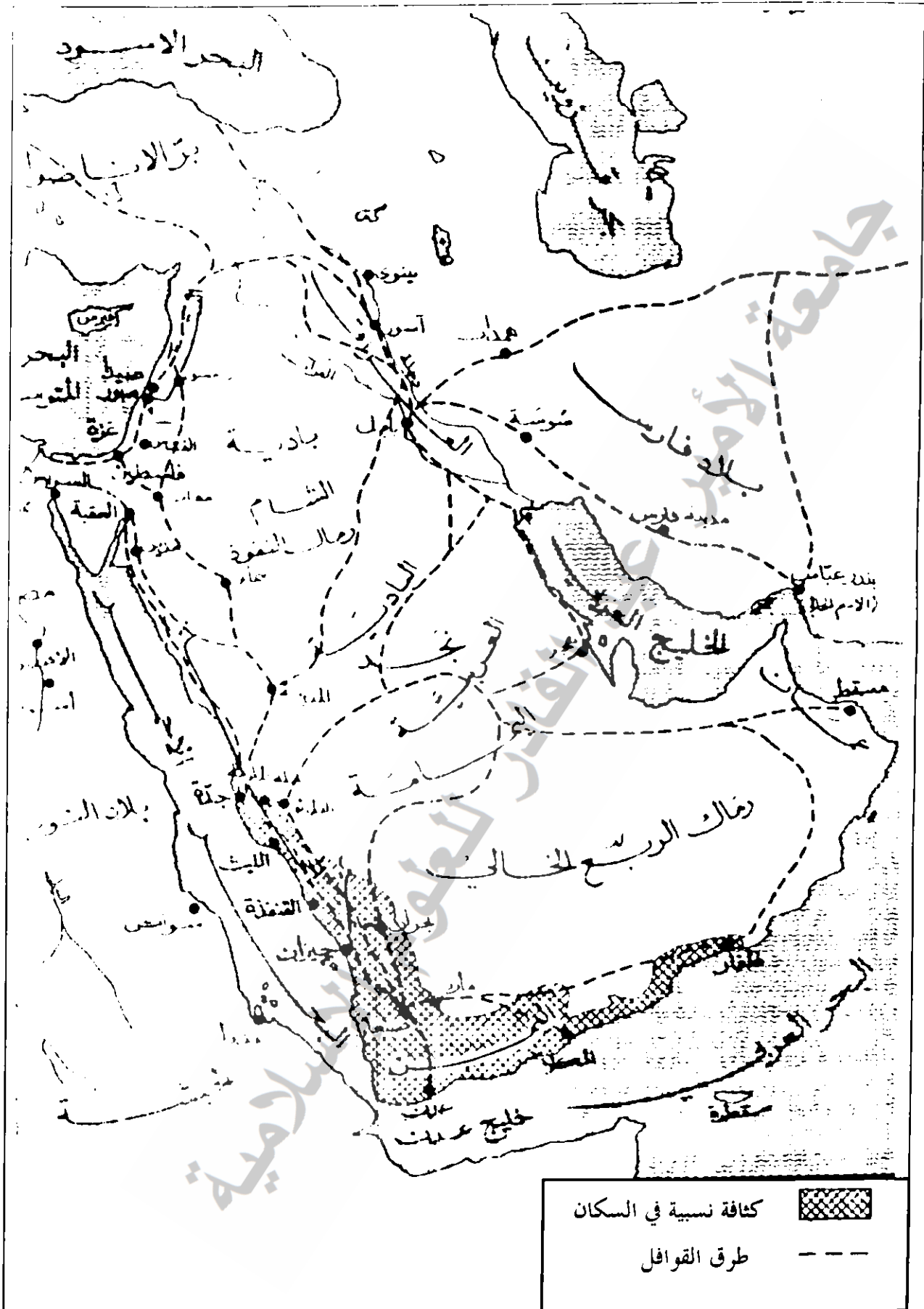
وَشُورٌ⁽¹⁾ وَتَغْرَبَ فِي جَرَّارَ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمَ عَن سَارَةَ امْرَأَتِهِ هِيَ أُخْتِي . فَأَرْسَلَ أَيِّمَالِكُ⁽²⁾ مَلِكُ جَرَّارَ وَأَخَذَ سَارَةَ⁽³⁾ .

لم تكن أرض جرار مملكة كما ذكرت التوراة ، فقد قال الجغرافيون القدماء أن هذه المنطقة كانت عبارة عن واد رملي صغير منعدمة فيه الحياة لأي كائن سواء أكان بشريا أو نباتيا ، فهي منطقة صحراوية ولا يمكن أيمالك أن يكون ملكا على هذه الصحراء؟!⁽⁴⁾ ، وهذا من التناقض الذي تقع فيه التوراة ، فلا تفرق بين البادية القاحلة و المأهولة بالسكان .

هـ- الهجرة إلى الجزيرة العربية

لم يستقر إبراهيم عليه السلام ومن معه في المواطن الثلاث السابقة ، وقبل الحديث عن هذه الهجرة لابد أن نشير إلى أن إبراهيم عليه السلام تزوج من سارة ثم من جاريتها التي أهدتها له بسبب عقرها ، ف جاء في الإصحاح السادس عشر: (فَدَخَلَ عَلَى هَاجَرَ فَحَبِلَتْ . وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا حَبِلَتْ صَغُرَتْ مَوْلَاتُهَا فِي عَيْنَيْهَا . فَقَالَتْ سَارَايُ لِأَبْرَامَ ظَلَمِي عَلَيْكَ . أَنَا دَفَعْتُ جَارِيَّتِي إِلَى حِضْنِكَ . فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا حَبِلَتْ صَغُرَتْ فِي عَيْنَيْهَا . يَقْضِي الرَّبُّ بَيْنِي وَبَيْنِكَ . فَقَالَ أَبْرَامُ لِسَارَايَ هُوَذَا جَارِيَّتُكَ فِي يَدِكَ . افْعَلِي بِهَا مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنِكَ . فَأَذَلَّتْهَا سَارَايُ . فَهَرَبَتْ مِنْ وَجْهِهَا . فَوَجَدَهَا مَلَاكُ الرَّبِّ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ فِي الْبَرِّيَّةِ . عَلَى الْعَيْنِ الَّتِي فِي طَرِيقِ شُورٍ . وَقَالَ يَا هَاجِرُ جَارِيَّةَ سَارَايَ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ . فَقَالَتْ أَنَا هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ مَوْلَاتِي سَارَايَ . فَقَالَ لَهَا مَلَاكُ الرَّبِّ ارْجِعِي إِلَى مَوْلَاتِكَ وَأَخْضَعِي تَحْتَ يَدَيْهَا . وَقَالَ لَهَا مَلَاكُ الرَّبِّ تَكْثِيرًا أَكْثَرَ نَسْلِكَ فَلَا يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ . وَقَالَ لَهَا مَلَاكُ الرَّبِّ هَأَنْتِ حُبْلَى فَتَلِدِينَ ابْنًا . وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَدَّلْتِكِ)⁽⁵⁾ .

1. شور : تقع على الضفة الشرقية لخليج السويس . أنظر : رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 153 .
2. أيمالك : اسم عبري ومعناه أبو ملك أو الأب ملك ، وهو اسم ملك في فلسطين عاش في عصر إبراهيم وجاء إليه مع سارة ، وهو اسم لملك آخر في فلسطين عاش في عصر إسحاق ، وهو اسم آخر لآخيش ملك جت الذي هرب إليه داود من وجه شاول ، وأغلب الظن أن اسم أيمالك كان لقباً لملوك الفلسطينيين . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 23 .
3. سفر التكوين ، الإصحاح 20 ، الفقرة 1 .
4. عبد المجيد همو ، ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية ؟ ، مراجعة وتدقيق : إسماعيل الكردي ، (دمشق : الأوائل للنشر والتوزيع ، ط2 ، 1425هـ - 2004م) ، ص 160 .
5. سفر التكوين ، الإصحاح 16 ، الفقرات 4- 11 .



شبه الجزيرة العربية ومسالك التجارة القديمة

نقلا عن: كمال الصليبي ص 32

يصور الإصحاح زواج إبراهيم من جارية سارة وتدعى هاجر التي قدمتها له زوجته سارة - كما يبدو أن سارة قد أذلتها ، فهربت هاجر وولدت ابنا بكر لإبراهيم يدعى إسماعيل ⁽¹⁾.

وجاء في الإصحاح الحادي والعشرون : (فَقَالَتْ سَارَةُ) لِإِبْرَاهِيمَ اطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَأَبْنَهَا لِأَنَّ ابْنَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ لَا يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ . فَقُبِحَ الْكَلَامُ جِدًّا فِي عَيْنِي إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ . فَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ . لَا يَقْبِحُ فِي عَيْنِكَ مِنْ أَجْلِ الْعُلَامِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ . فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا . لِأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ . وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لِأَنَّهُ نَسْلُكَ) ⁽¹⁾.

وظهر لها ملك الرب لما رآه من حالها (فَبَكَرَ إِبْرَاهِيمَ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقَرِيبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لَهَا جَرَ وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفَيْهَا وَالْوَلَدَ وَصَرَفَهَا . فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةٍ بَثْرُ سَبْعٍ ⁽²⁾ . وَكَمَا فَرَّغَ الْمَاءَ مِنَ الْقَرِيبَةِ طَرَحَتْ الْوَلَدَ تَحْتَ إِخْدَى الْأَشْجَارِ) ⁽³⁾ ، وأوضح بعد ذلك نفس الإصحاح استقراره بيرية فاران ⁽⁴⁾ (قَوْمِي أَحْمَلِي الْعُلَامَ وَشُدِّي يَدَكَ بِهِ . لِأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً . وَفَتَحَ اللَّهُ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بَثْرَ مَاءٍ ... وَكَانَ اللَّهُ مَعَ الْعُلَامِ فَكَبِيرَ . وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَكَانَ يَنْمُو رَامِي قَوْسٍ . وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ) ⁽⁵⁾ ، فالموضع الذي ذكرته التوراة وأخذ إليه إسماعيل هو بيرية فاران .

وهذه الصحراء قد اختلف فيها وأثير تساؤل حول موقعها وعلى من أطلقت ، وقد ذكر البعض أنها تسمية عبرية قديمة لصحراء الجزيرة العربية ، وتعني جبال مكة أو الجزيرة ⁽⁶⁾.

1. سفر التكوين ، الإصحاح 21 ، الفقرات 10-13 .

2. بئر سبع : كلمة عبرية معناها بئر السبعة أو بئر القسم ، دعيت هكذا بسبب إعطاء إبراهيم سبع نعاج لأبيمالك شهادة على حفره إياها ، وهناك مكث مدة طويلة ، ومن بعده رجع إسحاق إلى نفس الموضع وجدد البئر وأطلق إسم البئر على المدينة التي نشأت حولها وهي الحد الجنوبي من أرض كنعان ، ودان على الحد الشمالي منها . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 150 .

3. سفر التكوين ، الإصحاح 21 ، الفقرات 14-15 .

4. فاران : برية واقعة إلى جنوب يهوذا وشرق برية بئر سبع بين جبل سيناء (والأصح بين حضيروت الواقعة مسيرة أيام من سيناء) أو كنعان . أنظر : المصدر نفسه ، ص 666 . فيرية فاران الأرجح أنها في الجزيرة العربية وليست في فلسطين .

5. سفر التكوين ، الإصحاح 21 ، الفقرات 18-21 .

6. محمد بيومي مهران ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم " في بلاد العرب " ، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، دط ، 1995 م) ، ص 147 .

فكان الموضع الذي ذكرته التوراة والذي أخذ إليه إسماعيل عليه السلام غير الموضع الذي حدد مكانه القرآن الكريم وعينه بمكة المكرمة وعبر عن ذلك بواد غير ذي زرع ، فقال عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ (1).

وجاء في تفسير هذه الآية أن المراد بذلك إسماعيل وذريته الذين ولدوا منه بوادي مكة ، وكانت هذه المنطقة تمثل الاستقامة لا الاعوجاج فيها ، وقد قيل عنها بأنها البيت المحرم ، الذي حرم الله التعرض له وجعل ما حوله حرما (2).

وجاء في الحديث عن ابن عباس أنه قال "... ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَابِنَهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا ، عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ - أي شجرة عظيمة - فَوْقَ زَمْزَمَ ، فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ - أي مسكن - فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءٌ " (3).

إن المنطقة التي سكن بها إسماعيل عليه السلام هي جزيرة العرب ومكة على الخصوص ، وهي الحقيقة التي أنكرتها التوراة وربما كان الهدف من تجاهل هذه الجزيرة هو إبعاد إسماعيل حتى لا يرث الأرض التي منحها الله لإبراهيم عليه السلام .

وأصبحت هذه المنطقة مركزا لإبراهيم عليه السلام في عبادة الله ، فكانت هذه البداية الأولى لإضفاء قداسة على هذا المكان (4).

واتخاذ مكان للعبادة هو من عادة الأنبياء من أجل ممارسة شريعة الله ، وقد دلت بعض الآيات القرآنية ومنها قوله عليه السلام: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (5) .

فهذه الأرض التي ذكرتها الآية وبني عليها البيت كانت مباركة أيضا ومكانها الجزيرة العربية ، وهذا دليل على أنها ضمن الأرض المباركة التي ذكرناها سابقا.

1. سورة إبراهيم ، الآية 37 .

2. محمد بن عمر الزمخشري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 558 .

3. رواه البخاري في صحيحه ، باب : يزفون النسلان في المشي ، (بيروت : عالم الكتب ، د.ط ، د.ت) ، ج 4 ، ص 282 .

4. عبد العزيز بن مصطفى كامل ، قبل الكارثة نذير .. ونغير ، (لندن : المنتدى الإسلامي ، ط 1 ، 1421 هـ - 2001م) ، ص 81 .

5. سورة آل عمران ، الآية 96 .

وعن بناء البيت قال ﷺ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ (1) وقال أيضا: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (2) والظاهر أن من بنى البيت هو إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، غير أن هناك من القصاصين ومن تبعهم من المفسرين جاءوا بروايات عن قدم البيت وعن حج آدم ومن بعده من الأنبياء إليه ، وعلى ارتفاعه في وقت الطوفان ثم نزوله مرة أخرى ، وهي روايات متناقضة وتختلف فيما بينها ، وتخالف ما تحدث عنه القرآن الكريم (3).

يعتبر هذا البيت أول بيت وضع في الأرض من أجل عبادة الله ، وقبلة يتوجه إليها المسلمون ، وفيه شواهد على بناء إبراهيم له ، فهذا البيت يمثل هذا الدين (4).

وتجدر الإشارة إلى أن هذا البيت كما ذكر المفسرون كان قائما منذ القدم وتعرض للهدم ، لكن ليس هناك توضيح كيف كانت صفة هذا البناء قبل مجيء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام . فكان إبراهيم عليه السلام مرتبطا ارتباطا كبيرا بالجزيرة العربية وبسكانها وقبائلها ، حيث اقترن اسم إبراهيم وابنه إسماعيل بالجزيرة العربية وبالبيت العتيق في مكة المكرمة (5).

بعد الانتهاء من بناء هذا المكان المقدس ، جاء نداء قوله ﷺ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (6) ، فكلمة (الناس) كان المقصود بها أن الحج إنما فرض على جميع الناس وأن كلمة البيت الحرام إنما هو من أجل هداية البشرية ، وقد جاء النداء لإبراهيم بعد انتهائه من بناء البيت بالأذان بالناس بالحج (7).

إذن أقام إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام مكانا للعبادة في مكة ، ثم أصبح إماما ومعلما مناسك الحج ، وهاديا لدين الله وأصبح للمكان طابع ديني ، ومعنى هذا أن دعوة الناس لعبادة الله والتعليم يستدعي وقتا بل طول الإقامة والمكوث فيه ، ولذا أرجح أن يكون مقام إبراهيم بالجزيرة العربية ، وخاصة عندما بنى مركزا دينيا يلتف حوله الناس ، فهل يترك هذا المكان ذو القيمة الدينية؟!

1. سورة الحج ، الآية 26 .

2. سورة البقرة ، الآية 127 .

3. محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، (بيروت : دار المعرفة ، ط2 ، ديت) ، ج1 ، ص 466 .

4. سيد قطب ، في ظلال القرآن ، (بيروت : دار الشروق ، ط7 ، 1978م) ، مج4 ، ص 435 .

5. رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 65 .

6. سورة الحج ، الآية 27 .

7. محمد بيومي مهران ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، المرجع السابق ، ص 196 .

غير أن التوراة تؤكد أن إقامة إبراهيم كانت بأرض فلسطين ولا ذكر للجزيرة العربية ، وحسب نصوص التوراة فإن إبراهيم اتجه نحو الجنوب ، ولا جنوب كما يذكر المؤرخون إلا جزيرة العرب . إن الأمر الغريب حقا أن يكون إبراهيم متنقلا من مكان إلى آخر ، ويجول البلاد من غير أن تكون له محطة الوقوف عند الجنوب ، وخاصة إذا تجددت له الأسباب التي تدعوه إلى الجنوب ، ولو من قبيل التجربة والاستطلاع⁽¹⁾ ، وهي البحث عن المرعى كما جاءت أخباره في سفر التكوين ومن أدلة ذلك : (ثُمَّ ارْتَحَلَ أَبْرَامُ ارْتِحَالًا مُتَوَالِيًا نَحْوَ الْجَنُوبِ)⁽²⁾ .

وجاء في الإصحاح : (فَصَعَدَ أَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ وَوَلُوْطٌ مَعَهُ إِلَى الْجَنُوبِ)⁽³⁾ ، وفي الإصحاح العشرين : (وَأَنْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ وَسَكَنَ بَيْنَ قَادِشَ وَشُورَ وَتَغْرَبَ فِي جَرَارَ)⁽⁴⁾ .

وهناك إيضاح حول أرض الجنوب (وقد حاول الباحثون تفسير اللفظة (هـ - نجب) في الأصل العبري بأنها تعني (النقب) أي صحراء النقب جنوب فلسطين (أو الهاء أداة التعريف العبرية) وتأسيسا على أن كنعان التوراتية هي فلسطين ، لكن (هـ - نجب) تعني أيضا مع استخدام ظاهرة النقب (الجنوب) وهو ما أخذت به الترجمة العربية ... فترجمة (هـ - نجب) بمعنى الجنوب ، والجنوب بالنسبة للنبي إبراهيم - وهو خارج من مصر ، وبعد أن مر بمملكة (جرار) جوار غزة حسب خرائط التوراة - ليس شيئا آخر سوى جزيرة العرب)⁽⁵⁾ .

وبعد الانتهاء من بناء الكعبة جاء بناء المسجد الثاني بعدها ، وهو بناء المسجد الأقصى كما دل على ذلك الحديث عن أبي ذر الغفاري قال : " قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوْلُّ؟ قَالَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ، قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى ، قُلْتُ كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً " ⁽⁶⁾ .

1. عباس محمود العقاد ، المرجع السابق ، ص 191 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 12 ، الفقرة 9 .

3. سفر التكوين ، الإصحاح 13 ، الفقرة 1 .

4. سفر التكوين ، الإصحاح 20 ، الفقرة 1 .

5. سيد محمود القمني ، المرجع السابق ، ص 74 .

6. رواه مسلم في صحيحه ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، (لبنان : دار الكتاب العربي ، دط ، 1987م) ، مج 3 ، ص 2.

فهذا الحديث يدل على أن المسجد قد بناه إبراهيم عليه السلام ، وخاصة عندما حدد بأربعين سنة من بناء الكعبة ، وهذه المدة قريبة من زمن إبراهيم ، وقد قرن بالمسجد الحرام لما له من قداسة دينية وبعد عقدي، وقد اتخذه إبراهيم بيتا ثانيا لعبادة الله ونشر دعوته ، فجد هنا نشوء رباط وثيق بين الكعبة والمسجد الأقصى لما بينه الحديث وما أكدته هذه الآية القرآنية قال عليه السلام : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (1).

وعن المسجد الأقصى ذكر أحد المفسرين بأنه المسجد المعروف ببيت المقدس المتواجد بالقدس وهو المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام ، ومعنى الأقصى أي الأبعد ، فكان بعيدا عن مكة ، والذي قرن بالمسجد الحرام (2).

وقد اتصف المسجد بالبركة ، وهذا معناه أنه كان بأرض مباركة ، فقد كانت البركة فيه وما حوله ولم تكن قاصرة عليه فقط ، بل تعدت لتشمل أيضا ما يحيط به ، وأمدت المنطقة الواقعة حوله بالقداسة والبركة ، ولكن السؤال الذي يطرح لماذا خص بهذه البركة؟ فالسبب في ذلك يعود إلى أن إبراهيم عليه السلام هو الذي وضعه وأقامه ، بالإضافة إلى أن داود وسليمان عليهما السلام اتخذاه مكانا للعبادة ، وكان أرض النبوات وأعظم البركات هو مسرى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتصف المسجد الأقصى بالبركة فحسب وإنما اتصفت من قبله كما ذكرنا سابقا الكعبة ، وهكذا خصت الأرض التي بنيت عليها الكعبة ، والأرض التي بني عليها المسجد الأقصى بالمباركة، إذن فهناك ربط واضح بين مكانين مباركين ، وخصا هذان المسجدان بالبركة والتقديس ، فكان إبراهيم منتقلا بينهما.

ونستطيع القول من خلال ما تقدم أن إبراهيم ومن معه كانت لهم مواطن إقامة ولم تدم إقامتهم فيها ، ونقول عنها أنها كانت عبارة عن هجرات مختلفة ، وهذه الهجرات تحدثت عنها التوراة وأسهمت في ذلك ، والقرآن الكريم ذكر هجرة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المباركة ، وكان من بينها الجزيرة العربية التي أقام بها البيت و التي كانت ضمنها أرض كنعان و تحدثت عنها التوراة ، فهذه

1. سورة الإسراء ، الآية 1.

2. محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ج 15 ، ص 14.

الأرض لم تكن خالية من السكان ، بل وجدت بها أقوام لم يسبق أن غادروها ، بل ظلوا مقيمين بها رغم كل الظروف التي حلت بهم .

وكما هو معلوم من التوراة ، فإن إبراهيم عليه السلام ظل تائها وغريبا ولم يستقر زمنا في مكان واحد ، وسبب ذلك هو القحط الذي أصاب المنطقة ، بالإضافة إلى سبب آخر ، وهو نشر الدعوة وتوجيه وتجميع المسلمين في مكان واحد للعبادة ، خاصة وأن الظروف كانت مواتية لتلك الهجرات ، فكان إذن الموطن لقوم إبراهيم متعددا شمل عدة أمكنة كانت متفرقة ، ابتداء من أرض العشيرة وأرض كنعان ومصر ثم الجزيرة العربية .

المطلب الثاني : إسحاق عليه السلام

1- مولد إسحاق عليه السلام وموطنه

يعد إسحاق عليه السلام الشخصية الثانية التي تمثل الآباء عند اليهود ويعودون إليه في حديثهم عن أرض كنعان ، ووعد الله له بتملك هذه الأرض ، لكنه لا يمثل أهمية كبيرة في التوراة بخلاف أبيه إبراهيم وابنه يعقوب عليهما السلام ، والهدف من ذكر مولده هو بيان موطن تواجد بنو إسرائيل أثناء هذه الفترة ، فتذكر التوراة أن إسحاق عليه السلام ولد في الفترة التي حل بها النبي إبراهيم ضيفا على الملك أيمالك في منطقة جرار ، فجاء في الإصحاح العشرين : (وَقَالَ أَيِمَالِكُ هُوَذَا أَرْضِي (جرار) قُدَّامَكَ . اسْكُنْ فِي مَا حَسُنَ فِي عَيْنَيْكَ) (1) .

وعن مولده يذكر الإصحاح الحادي والعشرون : (وَأَفْتَقَدَ الرَّبُّ سَارَةَ كَمَا قَالَ . وَفَعَلَ الرَّبُّ لِسَارَةَ كَمَا تَكَلَّمَ . فَحَبَلَتْ سَارَةُ وَوَلَدَتْ لِإِبْرَاهِيمَ ابْنًا فِي شَيْخُوخَتِهِ . فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَكَلَّمَ اللَّهُ عَنْهُ . وَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ابْنِهِ الْمَوْلُودِ لَهُ الَّذِي وَلَدَتْهُ لَهُ سَارَةُ إِسْحَاقَ) (2) .

وأما في القرآن الكريم فقد جاءت الملائكة لإبراهيم عليه السلام ، وبشرفته بمولد إسحاق ومن وراء

1 . سفر التكوين ، الإصحاح 20 ، الفقرة 45 .

2 . سفر التكوين ، الإصحاح 21 ، الفقرات 1-3 .

إسحاق يعقوب عليهما السلام قال ﷺ: ﴿وَبَشَّرْتَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (1).

ونجد اختلافًا بين إصحاحات التوراة ، فأحيانا يرد إسحاق أنه وحيد أبيه ، وتارة تذكر أن إسماعيل سبق أخاه في الولادة بأربع عشرة سنة فإسماعيل وإسحاق من نسل إبراهيم .

وتتحدث التوراة أن أول وعد أعطاه الله لإبراهيم ونسله من بعده ، كما ورد في الإصحاح الثالث عشر : (وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطَ عَنْهُ . إِرْفَعْ عَيْنَيْكَ وَأَنْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شَمَالًا وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا. لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى أُعْطِيهَا وَلَتَسْلُكَ إِلَى الْأَبَدِ. وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَثْرَابِ الْأَرْضِ . حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يُعَدَّ تُرَابَ الْأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ . قُمْ امشِ فِي الْأَرْضِ طُولَهَا وَعَرْضَهَا لِأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا) (2) ، أوضح الإصحاح أن الوعود قد أعطيت لإبراهيم ونسله ، فكان الحق لإسماعيل وإسحاق وذريتهما، ومن عادة التوراة أن تجعل العهد دائما للابن البكر ، ونعلم أن إسماعيل هو الابن البكر وليس إسحاق ، وستتحدث عن ذلك لاحقا.

وفي الإصحاح السادس عشر : (فَوَلَدَتْ هَاجِرُ لِأَبْرَامَ ابْنًا. وَدَعَا أَبْرَامُ اسْمَ ابْنِهِ الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجِرُ إِسْمَاعِيلَ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنِ سِتِّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجِرُ إِسْمَاعِيلَ لِأَبْرَامَ) (3).

وفي الإصحاح الحادي والعشرين : (وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنُهُ) (4).

تؤكد التوراة على أهمية البكورية وتمسك بها في حين تنكرها في موضع آخر فتذكر في سفر التثنية : (إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالْأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ فَوَلَدَتَا لَهُ بَيْنَ الْمَحْبُوبَةِ وَالْمَكْرُوهَةِ . فَإِنْ كَانَ الْبِئْرُ الْبِكْرُ لِلْمَكْرُوهَةِ فَيَوْمَ يَقْسِمُ لِبْنِيهِ مَا كَانَ لَهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُقَدَّمَ ابْنُ الْمَحْبُوبَةِ بِكْرًا عَلَى ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبِكْرُ بَلْ يَعْرِفُ ابْنُ الْمَكْرُوهَةِ بِكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَوْلُ قُدْرَتِهِ لَهُ حَقُّ الْبُكُورِيَّةِ) (5).

1. سورة الصافات ، الآية 112- 113 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 13 ، الفقرات 14- 17 .

3. سفر التكوين ، الإصحاح 16 ، الفقرة 15- 16 .

4. سفر التكوين ، الإصحاح 21 ، الفقرة 5 .

5. سفر التثنية ، الإصحاح 21 ، الفقرات 15- 17 .

فالنص يؤكد بشكل واضح استحقاق البكورية ، وفي هذا تناقض في إعطاء البكورية لإسحاق العليل ، ونجد اليهود يخالفون شريعة التوراة إذا عارضت أهواءهم ومصالحهم ، وبذلك تُوظف النصوص حسب أغراضهم ، فكان العهد لإسحاق العليل ويحتج اليهود أنهم ورثة العهد التي منحت لإبراهيم العليل ولنسله ، وكما هو واضح أن إسماعيل وإسحاق من نسل إبراهيم ، غير أن بني إسرائيل يقتصرون على إسحاق دون إسماعيل .

وجاء في الإصحاح الحادي والعشرين : (فَقَالَتْ سَارَةُ) لِإِبْرَاهِيمَ اطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَأَبْنَهَا لِأَنَّ ابْنَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ لَا يَرِثُ مَعِ ابْنِي إِسْحَاقَ . فَقَبِحَ الْكَلَامَ جِدًّا فِي عَيْنِي إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ . فَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ . لَا تَقْبَحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْعُلَامِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ . فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا . لِأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ . وَأَبْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لِأَنَّهُ نَسْلُكَ⁽¹⁾ .

فالتوراة ترى أن إسماعيل ابن جارية ، فلا عهد له ولا ميراث ، لكن هناك اعتراف صريح أن إسماعيل من نسل إبراهيم ، ويحق عليه وعد الله ، وجاء في الإصحاح : (وَأَقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا . لِأَكُونَ إِلَهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ . وَأَعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا وَأَكُونَ إِلَهُكُمْ⁽²⁾) .

وجاء أيضا في الإصحاح : (وَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظْ عَهْدِي أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ . هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ يُخْتَنُ فِيكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ . فَتَخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْبَتِكُمْ . فَيَكُونُ عَلَامَةً عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ⁽³⁾) .

إن عهد الختان كان لإسماعيل العليل قبل ولادة إسحاق ، ولا يمكن أن يكون هذا العهد لإسحاق وهو لم يولد بعد ، فالوعد كان للحاضر لا للغائب⁽⁴⁾ .

1 . سفر التكوين ، الإصحاح 21 ، الفقرات 9- 13 .

2 . سفر التكوين ، الإصحاح 17 ، الفقرة 7- 8 .

3 . سفر التكوين ، الإصحاح 17 ، الفقرات 9- 11 .

4 . محمد بن علي بن محمد آل عمر ، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين ، (الرياض : مكتب مجلة البيان ، ط1 ، 1424 هـ - 2003 م) ،

وتوالى سلسلة العهود لنسل إبراهيم ، جاء في الإصحاح السابع عشر : (وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلَّهِ لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعْيشَ أَمَامَكَ . فَقَالَ اللَّهُ بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ . وَأَقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ . وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ . هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَ أُثْمِرُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جَدًّا . ائْتِي عَشْرَ رَئِيسًا يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً . وَلَكِنْ عَهْدِي أَقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ)⁽¹⁾ .

نجد أن الوعد قد تحول وأصبح لإسحاق عليه السلام وإلى كل نسله وذلك قبل مولده ، وهنا نلمس العنصرية اليهودية في حصر العهود لإسحاق وذريته دون غيره ، على الرغم أن إسماعيل أحق بالوعد حسب القانون التوراتي .

2- قصة الذبيح

لا بد من إلقاء الضوء على قضية نصت عليها التوراة والقرآن الكريم واختلفا فيها وهي قصة الذبيح هل هو إسماعيل أم إسحاق ؟ ونلمس ذلك من العبارة الواردة في نص التوراة حيث جاء في الإصحاح الثاني والعشرين : (خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ)⁽²⁾ .

إن المتفق عليه في التوراة أن الذبيح هو وحيد إبراهيم وهذا الوحيد ليس إسحاق بل إسماعيل ، الذي يكبر أخاه بأربع عشرة سنة كما ذكرت التوراة ، وأن ذكر إسم إسحاق بأنه الذبيح ، هو من التناقض والافتراء الذي وقعت فيه التوراة ، فقصة الذبيح التي وردت مرة واحدة في القرآن جاءت دون ذكر لاسم الذبيح ، وقد أخذ بعض المفسرين من التوراة بأنه إسحاق دون نظر وتمحص ، وإن كان واضح من القرآن أن الذبيح هو إسماعيل خاصة بعد أن ذكر قصة الذبيح، وبعدها مباشرة البشارة بإسحاق⁽³⁾ .

وقد وردت هذه القصة في قوله ﷻ : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا آبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ

1. سفر التكوين ، الإصحاح 17 ، الفقرات 18- 21 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 22 ، الفقرة 2 .

3. محمد عبد الله الشرقاوي ، بحوث في مقارنة الأديان ، (القاهرة : دار الفكر العربي المعاصر ، د.ط ، 1420هـ - 2000م) ، ص 288 .

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ⁽¹⁾.

فإسماعيل هو الذبيح بلا خلاف كما ذكر العلماء المسلمون ، وخالفهم في ذلك الغربيون الذين استندوا إلى نصوص التوراة ، وتتابع تأكيد مسألة الذبيح التي تحدث عنها المفسرون والعلماء المسلمون.

إن النبي هو إسماعيل عليه السلام الذي ولد لإبراهيم عليه السلام وكما تذكر التوراة وهو في سن ست وثمانين سنة ، و عمره عندما ولد إسحاق هو تسع وتسعون سنة وأثناءها جاء أمر الله تعالى لإبراهيم عليه السلام بذبح ابنه وحيدة فكان إقحام إسحاق هنا كذبا وافتراء⁽²⁾.

وجاء في آية أخرى من القرآن الكريم : ﴿ وَأَمْرًا لَهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾⁽³⁾ ، وهنا تأكيد أن الذبيح إسماعيل ، فكانت البشارة بإسحاق وابنه يعقوب ، فإذا كان الذبيح إسحاق فلا تتحقق البشارة بيعقوب ، وفي ذلك إبطال للبشارة⁽⁴⁾.

وإذا جاز وتحقق الوعد فإنه يكون لإسماعيل و إسحاق وذريتهما ، والأرض أحق للإثنين بدون استثناء ولا يحق إفراد أحدهما بها دون الآخر أو خلق أية حجج لإبطال أو تفنيد ذلك .

3- هجرة إسحاق عليه السلام

إنجى إسحاق عليه السلام بنص التوراة إلى أبيمالك ملك جرار ، ودائما كان سبب ذلك هو المجاعة التي تحل بالمنطقة كما تذكر التوراة ، وهذا يعني أنها معرضة لمثل هذه المصائب التي تحل بها من فترة لأخرى ، وقد حدث لإسحاق عليه السلام نفس الشيء الذي سبق لوالده إبراهيم في عرض زوجته لهذا

1. سورة الصافات ، الآية 100- 112.

2. إسماعيل ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 16 .

3. سورة هود ، الآية 71 .

4. محمد عبد الله الشرقاوي ، بحوث في مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ص 289 .

الملك - ويستحيل أن يصدر مثل هذا الكلام من أنبياء الله - وهذا ما جناه مقابل ذلك حصوله على أموال وأغنام ، وذكر للملك أن المرأة التي اصطحبها معه هي أخته .

وهذا ما أكده الإصحاح السادس والعشرون : (وَكَانَ فِي الْأَرْضِ جُوعٌ غَيْرَ الْجُوعِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ . فَذَهَبَ إِسْحَاقُ إِلَى أَيْمَالِكَ مَلِكِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ إِلَى جَرَارَ . وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ لَا تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ . اسْكُنْ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ . تَغْرَبُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ . فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكُكَ . لِأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ . وَأَكْثَرُ نَسْلِكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ وَتَبَارَكَ فِي نَسْلِكَ جَمِيعَ أُمَّمِ الْأَرْضِ . مِنْ أَجْلِ أَنْ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لِقَوْلِي وَحَفِظَ مَا يُحْفَظُ لِي أَوْامِرِي وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي . فَأَقَامَ إِسْحَاقُ فِي جَرَارَ)⁽¹⁾ .

يستبعد أن يكون أيمالك الأول ، هو نفسه الذي عاصر إسحاق عليه السلام باعتبار أن الأول كان رجلا مسنا قبل أن تحمل سارة بإسحاق وإسحاق قد جاوز الأربعين في غربته⁽²⁾ .

فاحتمال أن يكون هناك ملكين أحدهما عاصر إبراهيم والآخر عاش في فترة إسحاق على أساس الاعتبار السابق ، والأمر الملفت للانتباه أن إسحاق قد ولد في هذه الأرض ونشأ فيها فكيف يكون إذا غريبا عنها ؟ وتكرر العهد الذي منحه الله لإسحاق وذريته ، لكنه كان عهدا مشروطا بحفظ وصايا الله وأوامره والالتزام بها .

ويذكر نفس الإصحاح : (وَزَرَاعَ إِسْحَاقُ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ فَأَصَابَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِئَةَ ضِعْفٍ وَبَارَكَهُ الرَّبُّ . فَتَعَاظَمَ الرَّجُلُ وَكَانَ يَتَزَايِدُ فِي التَّعَاظُمِ حَتَّى صَارَ عَظِيمًا جِدًّا . فَكَانَ لَهُ مَوَاشٍ مِنَ الْغَنَمِ وَمَوَاشٍ مِنَ الْبَقَرِ وَعَبِيدٌ كَثِيرُونَ . فَحَسَدَهُ الْفِلِسْطِينِيُّونَ)⁽³⁾ ، نلاحظ أن التوراة تذكر إسحاق ومن قبل أبيه إبراهيم ، أنه كان من البدو يهتم بالمواشي ، كما أنها أشارت بأنهم كانوا رعاة .

1 . سفر التكوين ، الإصحاح 26 ، الفقرات 1-7 .

2 . عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، (الجزائر : مكتبة رحاب ، دط ، دبت) ، ص 111 .

3 . سفر التكوين ، الإصحاح 26 ، الفقرة 13-14 .

وتابع الإصحاح : (ثُمَّ صَعِدَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى بَيْتِ سَبْعِ فَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَقَالَ أَنَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ . لِمَا تَخَفَ لِأَنِّي مَعَكَ وَأَبَارِكُكَ وَأَكْثُرُ نَسْلَكَ مِنْ أَجْلِ إِبْرَاهِيمَ عَبْدِي . فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ وَنَصَبَ هُنَاكَ خَيْمَتَهُ)⁽¹⁾.

وهكذا يظهر الرب لإسحاق الطليح غير أنه ليس هناك ما يدل على وعده بإعطائه أرض كنعان ، وإنما ما يدل على مباركته له ، ثم يمضي الإصحاح : (وَذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ جَرَارَ أَيْمَالِكُ وَأَحْزَاتُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَفِيكُولُ رَيْسُ جَيْشِهِ . فَقَالَ لَهُمْ إِسْحَاقُ مَا بِالْكُمْ أَتَيْتُمْ إِلَيَّ وَأَنْتُمْ قَدْ أَبْغَضْتُمُونِي وَصَرَفْتُمُونِي مِنْ عِنْدِكُمْ . فَقَالُوا إِنَّا قَدْ رَأَيْنَا أَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَكَ . فَقُلْنَا لِيَكُنْ بَيْنَنَا حَلْفٌ وَبَيْنَكَ وَتَقْطَعَ مَعَكَ عَهْدًا . أَنْ لَا تَصْنَعَ بِنَا شَرًّا . كَمَا لَمْ تَمْسِكْ وَكَمَا لَمْ تَصْنَعْ بِكَ إِلَّا خَيْرًا وَصَرَفْنَاكَ بِسَلَامٍ . أَنْتَ الْآنَ مُبَارَكُ الرَّبِّ . فَصْنَعَ لَهُمْ ضِيَافَةً فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا . ثُمَّ فَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَحَلَفُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَصَرَفَهُمْ إِسْحَاقُ . فَمَضَوْا مِنْ عِنْدِهِ بِسَلَامٍ)⁽²⁾.

فهذا النص ذكر أن إسحاق تحسنت حالته بفضل مباركة الرب له ، وأصبح ثريا ويشكل تهديدا على أصحاب المنطقة ، مما أدى إلى ظهور خلاف وصدام بينه وبينهم إلى أن تحولت في الأخير إلى سلام دائم⁽³⁾.

نتساءل كيف استطاع إسحاق خلال فترة زمنية قصيرة ، وفي أرض غربة أن يكون هذه الثروة الطائلة والمبالغ الضخمة؟! وتنتهي حياة إسحاق الطليح ويدفن في مغارة المكفيلة - تقع في حبرون - المكان الذي دفن فيه إبراهيم الطليح .

وجاء في الإصحاح الخامس والثلاثون : (وَجَاءَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ إِلَى مَمْرَا قَرْيَةٍ أَرْبَعِ الْتِي هِيَ حَبْرُونَ . حَيْثُ تَغْرَبَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحَاقُ . وَكَانَتْ أَيَّامُ إِسْحَاقَ مِئَةً وَثَمَانِينَ سَنَةً . فَأَسْلَمَ إِسْحَاقُ رُوحَهُ وَسَكَنَ وَأَنْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ شَيْخًا وَشَبَعَانَ أَيَّامًا . وَدَفَنَهُ عَيْشُو وَيَعْقُوبُ ابْنَاهُ)⁽⁴⁾.

1. سفر التكوين ، الإصحاح 26 ، الفقرات 23 - 25.

2. سفر التكوين ، الإصحاح 26 ، الفقرات 26 - 30.

3. صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ص 28.

4. سفر التكوين ، الإصحاح 35 ، الفقرات 27 - 29.

إن هذا النص يذكر خبر حضور ابني إسحاق أثناء دفنه وهما يعقوب وعيسو وكان ذكر عيسو أمراً عجيباً ، كما حدث لإسماعيل و ذكر أثناء دفن إبراهيم و إقحامه مع إسحاق ، لأن عيسو قد أقام في جبل جنوب شرق الأردن⁽¹⁾.

يتضح من خلال ما سبق أن إسحاق عليه السلام عاش مثل أبيه إبراهيم عليه السلام في أرض كنعان غربياً ، وعاش ضيفاً على أهلها ومات غربياً عليها ، والوعود التي منحها الله لم تكن له وحده بل شاركه فيها إسماعيل عليه السلام الذي تجاهلته إصحاحات التوراة ، وكان مقصدها واضحاً من أجل التفرد بأرض كنعان على اعتبار أن إسحاق عليه السلام ينتمي إليهم ، وعلى هذا الاعتبار نقول أنه لم يكن لبني إسرائيل موطن واضح أثناء فترة هذا النبي الذي ينتسبون إليه وأحد أجدادهم الكبار .

المطلب الثالث : يعقوب عليه السلام.

1- لقب يعقوب عليه السلام وموطنه

يعد يعقوب عليه السلام الأب الثالث من سلسلة الآباء الذي ينتسب إليه اليهود وتدور عليه أحداثهم التاريخية ، بل يطلق عليهم بني إسرائيل في كثير من الأحيان ، وهي التسمية الثانية بعد العبرانيين والتي يفضلها اليهود دون الأسماء الأخرى لما لها من دلالة دينية.

ولا وجود لوثائق تثبت أن إسرائيل هو يعقوب بخلاف أنه وردت في النقوش كلمات قريبة من لفظة "إسرائيل" كما كانت اللغة المصرية القديمة تستعمل كلمة "أسير آرا" كما وردت لفظة "سيرثيلاي" بمعنى إسرائيل⁽²⁾.

وفي رأي أغلب المفسرين⁽³⁾ أن يعقوب عليه السلام هو إسرائيل كما جاء في قوله عليه السلام : ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾⁽⁴⁾.

1. محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المرجع السابق ، ص 58 .

2. حسن ظاظا ، الشخصية الإسرائيلية ، (دمشق : دار القلم ، ط3 ، 1420هـ - 1999م) ، ص 16 .

3. أنظر : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، (مصر : دار الكتاب العربي ، ط3 ، 1967م) ، مج2 ، ص134 .

إسماعيل ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 410 .

4. سورة آل عمران ، الآية 93 .

أما فيما يتعلق بالمكان الذي أقام فيه فقد جاءت إشارات من القرآن الكريم تبين مكانه ، ومن ذلك قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾⁽¹⁾ ، وقوله أيضا : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾⁽²⁾.

إن المكان الذي أقام فيه يعقوب عليه السلام كما أشارت الآية الأولى إنما كان في الصحراء حيث عاشوا حياة البداوة ، أما الآية الثانية فقد ذكرت القرية وهي المكان الذي أقام فيه يوسف عليه السلام في مصر ، حيث تركوا الأخ الشقيق ليوسف ، وقولهم هذا وتردد إخوة يوسف على مصر إنما يدل على أنهم كانوا قريين منها⁽³⁾.

فمكان سكنى يعقوب عليه السلام احتمال أن يكون في إحدى قرى فلسطين باعتبارها أرضا مقدسة والتي وصفها القرآن بالمباركة عند حديثه عن هجرة إبراهيم ولوط وعنها يقول عليه السلام: ﴿وَنَحْنُ نَادُوا لِرَبِّنَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾⁽⁴⁾.

2- هجرة يعقوب عليه السلام إلى فدان آرام

لم يستقر يعقوب عليه السلام في أرض فلسطين مثله مثل إبراهيم وإسحاق عليهما السلام ؛ وتذكر التوراة أنه هاجر إلى فدان آرام موطن إبراهيم عليه السلام عندما طلبت منه رفقة (أمه) أن يسافر إلى خاله (لابان) في فدان آرام خوفا من تهديد أخيه عيسو.

وسبب هذا الحقد هو قصة البركة الذي أخذها يعقوب من أخيه ، فلما تقدم بإسحاق السن وشاخ ، وقع اتفاق بينه وبين أمه من أجل أخذ البركة من الأب عوضا عن أخيه عيسو فكان له ما أراد ، وأخذ يعقوب البركة التي كانت من حق أخيه ثم فر خوفا منه⁽⁵⁾.

1. سورة يوسف ، الآية 100.

2. سورة يوسف ، الآية 82.

3. أحمد عبد الواحد ، تاريخ وجغرافية بني إسرائيل في القرآن: [Http://Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs.HTM-101k](http://Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs.HTM-101k).

4. سورة الأنبياء ، الآية 71-72.

5. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1988.

فورد في الإصحاح السابع والعشرون : (فَحَقَدَ عَيْسُو عَلَى يَعْقُوبَ مِنْ أَجْلِ الْبِرْكَةِ الَّتِي بَارَكَهُ بِهَا أَبُوهُ . وَقَالَ عَيْسُو فِي قَلْبِهِ قَرَيْتُ أَيَّامَ مَتَاحَةِ أَبِي . فَأَقْتُلُ يَعْقُوبَ أَخِي . فَأَخْبِرَتْ رَفِقَةٌ بِكَلَامِ عَيْسُو ابْنَتَهَا الْكَبِيرِ . فَأَرْسَلَتْ وَدَعَتْ يَعْقُوبَ ابْنَتَهَا الْأَصْغَرَ وَقَالَتْ لَهُ هُوَ ذَا عَيْسُو أَخُوكَ مَتَسَلِّ مِنْ جِهَتِكَ يَا نَهْ يَعْطُوكَ . قَالَتَانِ يَا ابْنَتِي اسْمَعِ لِقَوْلِي ، وَقِمِ اهْرَبِي إِلَى أَخِي لَابَانَ إِلَى حَارَانَ . وَأَقِمِي عِنْدَهُ أَيَّامًا قَلِيلَةً حَتَّى يَرْتَدَّ سَخَطُ أَخِيكَ) (1) .

فكان خروج يعقوب ~~الذي~~ فرارا من أخيه ، وعوقفا من القتل لا لأجل غرض آخر ، بل يعقوب بركة إسحاق ووصاه أن لا يأخذ زوجة من بنات كتعان ، بل يأخذها من بنات حاه كما جاء في الإصحاح الثامن والعشرون : (قَدَعَا إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ وَأَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ لَا تَأْخُذْ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ كَتْعَانَ فَمَ إِذْهَبَ إِلَى فِدَانَ أَرَامَ إِلَى بَيْتِ بَتُوئِيلَ أَبِي أُمِّكَ وَخُذْ لِنَفْسِكَ زَوْجَةً مِنْ هُنَاكَ مِنْ بَنَاتِ لَابَانَ أَخِي أُمِّكَ . وَاللَّهُ الْقَدِيرُ يُبَارِكُكَ وَيَجْعَلُكَ مُثْمَرًا وَيَكثُرُكَ فَتَكُونُ جُمْهُورًا مِنَ الشُّعُوبِ . وَيُعْطِيكَ بَرَكَهَ إِبْرَاهِيمَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ مَعَكَ . لَتَرِثَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ . فَصَرَفَ إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ فَذَهَبَ إِلَى فِدَانَ أَرَامَ إِلَى لَابَانَ بْنِ بَتُوئِيلَ الْأَرَامِيِّ أَخِي رِدْنَهُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَعَيْسُو) (2) .

تشير نصوص التوراة دائما أن كبار أنبياء بني إسرائيل إسحاق ويعقوب عليهما السلام إذا أرادوا الزواج اتجهوا إلى فدان أرام مع نهيهم من الزواج بينات كتعان ، وهكذا قصد يعقوب الذهاب إلى فدان أرام وأثناء طريقه رأى في المنام موضع المعبد الذي اتخذهُ إبراهيم ~~الذي~~ ، فوضع عليه علامة ونذر أن يكون هذا المكان هو الموضع الذي يبني عليه المعبد خلال رجوعه إلى فلسطين .

جاء في الإصحاح الثامن والعشرون (فَخَرَجَ يَعْقُوبُ مِنْ بَيْتِ سَبْعَ وَذَهَبَ نَحْوَ حَارَانَ . وَصَادَفَ مَكَانًا وَبَاتَ هُنَاكَ لِأَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ قَدْ غَابَتْ . وَأَخَذَ مِنْ حِجَارَةِ الْمَكَانِ وَوَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ فَاضْطَجَعَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ . وَرَأَى حُلْمًا وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ . وَهُوَ ذَا مَلَائِكَةَ اللَّهِ صَاعِدَةً وَنَازِلَةً عَلَيْهَا . وَهُوَ ذَا الرَّبِّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا فَقَالَ أَنَا الرَّبُّ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ . الْأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ . وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَثْرَابَ الْأَرْضِ

1 . سفر التكوين ، الإصحاح 27 ، الفقرات 41-44 .

2 . سفر التكوين ، الإصحاح 28 ، الفقرات 1-5 .

وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالًا وَجَنُوبًا. وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ. وَهَذَا أَنَا مَعَكَ وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذُوبُ وَأَرُدُّكَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ. لِأَنِّي لَا أَثْرُكَكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّفْتُكَ بِهِ (1).

وهذا النص يوضح ظهور الإله ليعقوب عليه السلام في رؤيا ووعده بإعطائه الأرض التي تغرب فيها ، ثم باركه بكثرة نسله وذلك لقله عددهم ، وبعد مكوثه في أرض فدان أرام مدة طويلة قرر الرحيل والتوجه إلى فلسطين ، ثم تذكر نصوص التوراة في ادعائها أن يعقوب عليه السلام قد استخدم بالغش والخداع حيلة ليكسب مواشي خاله القوية واستبدلها بمواشيه الضعيفة وسرقها ، ثم قرر الرحيل ليلا هربا من خاله وأخذ كل ما كان يملك ، كما ذكرت التوراة سرقة راحيل أصنام أبيها ، واتجاههم إلى جبل جلعاد (2).

فجاء في الإصحاح الحادي والثلاثين : (فَقَامَ يَعْقُوبُ وَحَمَلَ أَوْلَادَهُ وَنِسَاءَهُ عَلَى الْجِمَالِ . وَسَاقَ كُلَّ مَوَاشِيهِ وَجَمِيعَ مُقْتَنَاتِهِ الَّذِي كَانَ قَدْ أَقْتَنَى مَوَاشِيَ اقْتِنَائِهِ الَّتِي أَقْتَنَى فِي فِدَانَ أَرَامَ . لِيَجِيءَ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ . وَأَمَّا لَابَانَ فَكَانَ قَدْ مَضَى لِيَجُزَّ غَنَمَهُ . فَسَرَقَتْ رَاحِيلُ أَصْنَامَ أَبِيهَا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ . وَخَدَعَ يَعْقُوبُ قَلْبَ لَابَانَ الْأَرَامِيِّ . إِذْ لَمْ يُخْبِرْهُ بِأَنَّهُ هَارِبٌ . فَهَرَبَ هُوَ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ وَقَامَ وَعَبَّرَ النَّهْرَ وَجَعَلَ وَجْهَهُ نَحْوَ جَبَلِ جَلْعَادَ فَأَخْبَرَ لَابَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ بِأَنَّ يَعْقُوبَ قَدْ هَرَبَ . فَأَخَذَ إِخْوَتَهُ مَعَهُ وَرَاءَهُ مَسِيرَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ فَأَدْرَكَهُ فِي جَبَلِ جَلْعَادَ (3).

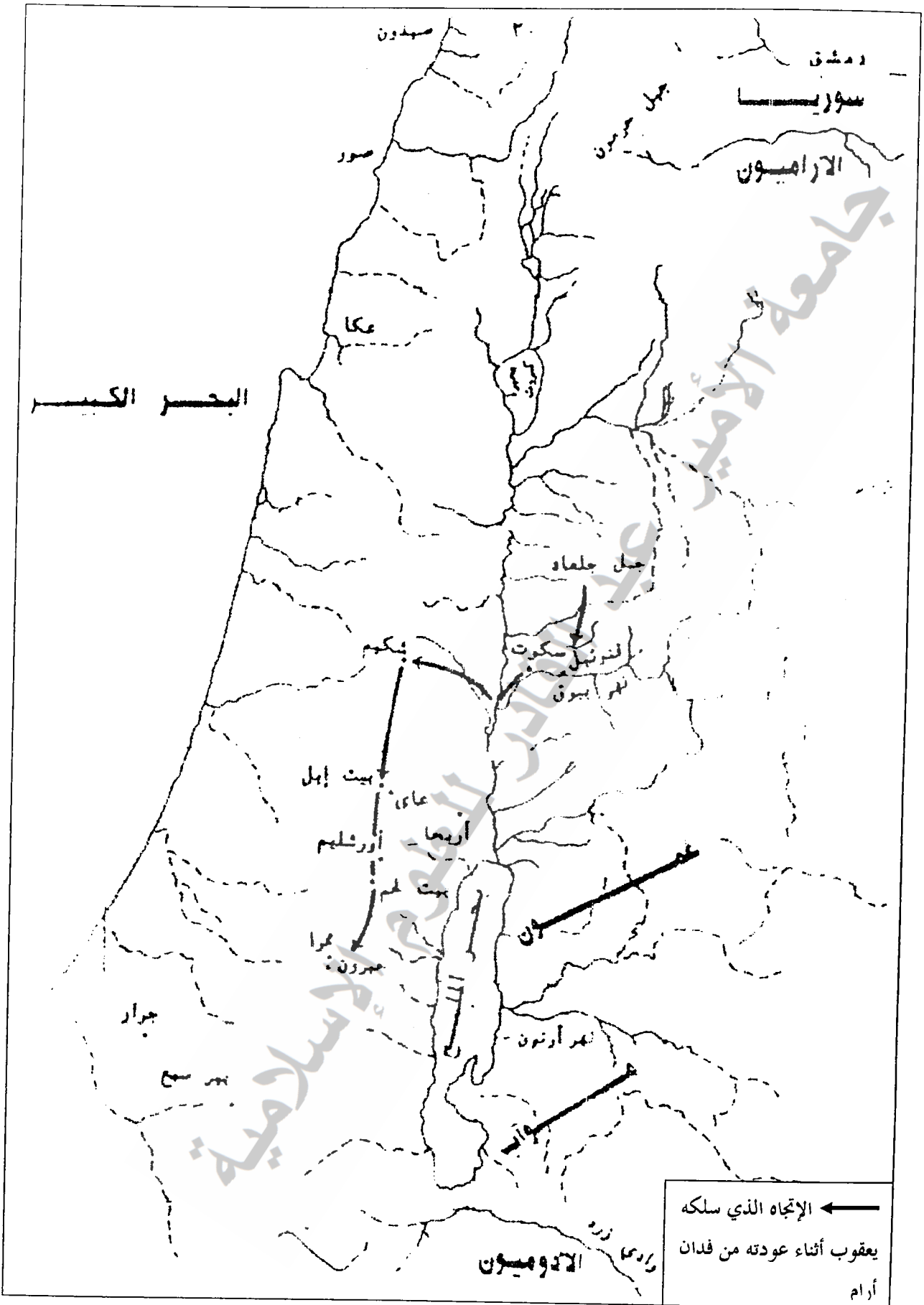
بعد فرار يعقوب عليه السلام من وجه خاله سلك طريقه نحو جبل جلعاد ، وهنا يتساءل أحد الباحثين عن موقع هذا الجبل ، وكيف استغرق يعقوب عند انطلاقه من فلسطين في المرة الأولى عدة أيام ، وأن هذه المرة لم يكن وصوله إلى فلسطين إلا في فترة قصيرة ، كما تذكر التوراة أن هذا الجبل يقع في فلسطين (4).

1. سفر التكوين ، الإصحاح 28 ، الفقرات 10-15 .

2. جلعاد : تعبير عبري من جال التي تعني حجر ، وعاد التي تعني شاهد أي أن جلعاد تعني شاهد حجر وتستخدم الكلمة للإشارة إلى كل المنطقة الواقعة شرقي نهر الأردن وجنوبي نهر اليرموك وكان يسكنها بعض القبائل العبرانية من أهمها جاد . أنظر : المرجع نفسه ، ص 1863 .

3. سفر التكوين ، الإصحاح 21 ، الفقرات 17-23 .

4. عبد المجيد همو ، ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية ؟ ، المرجع السابق ، ص 170 .



هجرة يعقوب عليه السلام

وذكرت التوراة أن يعقوب عليه السلام أثناء إقامته بأرض فدان أرام تزوج من ابنتي خاله ليئة وراحيل وجاريتهما زلفة وبلهة ، وقد ولدن اثنتي عشر ولداً ، هم أسباط بني إسرائيل ، وتشكل هذه الأسباط في اثنتي عشر قبيلة⁽¹⁾.

وأصبح أولاد يعقوب يمثلون أسباط بني إسرائيل ، وذكر المؤرخون أن أبناءه ولدوا له وهو في العراق ، إلا ابنه الأصغر - بنيامين - فقد ولد له بعد عودة يعقوب إلى وطنه في فلسطين⁽²⁾.
وقد أطلق اسم إسرائيل على العبرانيين نسبة إلى هذه الحادثة⁽³⁾ التي تذكر أنه أثناء عودة يعقوب عليه السلام إلى أرض كنعان ظهر له الرب على هيئة إنسان ، فصارعه طول الليل ولم يتركه حتى باركه.

فجاء في الإصحاح : (فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحَدَهُ وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ . وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حَقًّا فَخَذَهُ فَانْخَلَعَ حَقًّا فَخَذَهُ يَعْقُوبُ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ . وَقَالَ أَطْلِقْنِي لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ فَقَالَ لَا أَطْلُقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي . فَقَالَ لَهُ مَا اسْمُكَ . فَقَالَ يَعْقُوبُ . فَقَالَ لَا يَدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ . لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَّرْتَ . وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ . فَقَالَ لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي . وَبَارَكَهُ هُنَاكَ)⁽⁴⁾.

1. هذه أسماء القبائل الإثني عشر لإسرائيل ، وكان لها نصيب من الأرض حدد في مواقع معينة حسب التوراة : زبولون هو ابن يعقوب من ليئة ، واكنت أرض هذه القبيلة تقع في أقصى الشمال . أما منسى فهو الابن الأكبر ليوסף ونصيبه على ضفتي نهر الأردن وإفرايم هو أحد أبناء يوسف ونصيبه في القسم الأوسط غربي فلسطين ، وبنيامين هو ابن يعقوب من راحيل ، ونصيبه في جنوب فلسطين . انتظمت هذه القبائل في عهد القضاة ، وتسمت بأسماء أبناء يعقوب وهم : رؤبين وشمعون ويهوذا وبساكر وزبولون وبنيامين ودان ونفتالي وجاد وأشير وأفرايم ومنسى ويضاف إليهم قبيلة لاوي التي لم تأخذ نصيباً من الأرض . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1900 - 1903 .

2. محمد علي الصابوني ، النبوة والأنبياء ، (الجزائر : دار الهدى ، دط ، دبت) ، ص 234 - 235 .

3. من هذه الحادثة التي وقعت ليعقوب أصبح يطلق عليه إسرائيل ، فهذه الكلمة هي التسمية الثانية للعبرانيين وتعني الذي يصارع الإله وتشير إلى نسل يعقوب ، ثم أصبحت تشير إلى المملكة الشمالية قبل التهجير الأشوري ثم استخدمت الكلمة للإشارة إلى سكان المملكة الجنوبية بعد سقوط المملكة الأولى وهي في دلالتها الاصطلاحية تعني اليهود بوضعهم شعباً مقدساً وتعني فلسطين بوضعها أرضاً مقدسة ، وهي ترد مضافة إلى كلمات أخرى مثل : شعب إسرائيل وبنو إسرائيل وبيت إسرائيل . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 2 ، ص 636 - 637 .

4. سفر التكوين ، الإصحاح 32 ، الفقرات 24 - 29 .

هذه القوة الغريبة التي امتلكها يعقوب عليه السلام أدخلت الحيرة وأوقعت التوراة في تناقض ، فبعد أن عرف بالجن وخاصة عندما فرّ من أخيه التوأم (عيسو) أصبح يعرف بشجاعة حتى أنه صارع الإله.

ونتعجب من ذكر التوراة لهذه القوة التي طغت على يعقوب ، والتي لم يكن يتمتع بها في صغره فأحيانا فارا من أخيه ، وأحيانا أخرى شديد الحزن ، ثم يتحول فجأة إلى رجل يصارع الله تعالى وينتصر عليه⁽¹⁾ ، وهنا في هذه الحادثة ينال بركة الله .

أقام يعقوب عليه السلام في فدان آرام أو حاران كما تذكر التوراة مدة عشرين سنة ، فقد أطال العيش فيها بعد أن كوّن أسرة ، وحصل على ثروة ضخمة .

3- العودة إلى أرض كنعان

بعد هذه المهجرة الطويلة التقى يعقوب عليه السلام بأخيه عيسو ، وطلب منه العفو ، ثم لجأ إلى أرض كنعان ، واشترى قطعة أرض بشكيم - نابلس - وأقام مذبحا للرب ، فجاء في الإصحاح الثالث والثلاثون : (وَأَمَّا يَعْقُوبُ فَارْتَحَلَ إِلَى سَكُوتِ⁽²⁾ وَبَنَى لِنَفْسِهِ بَيْتًا وَصَنَعَ لِمَوَاشِيهِ مِظَلَّاتٍ لِذَلِكَ دَعَا اسْمَ الْمَكَانِ سَكُوتَ . ثُمَّ أَتَى يَعْقُوبُ سَالِمًا إِلَى مَدِينَةِ شَكِيمِ الَّتِي فِي أَرْضِ كَنْعَانَ . حِينَ جَاءَ مِنْ فِدَانَ أَرَامَ . وَنَزَلَ أَمَامَ الْمَدِينَةِ . وَابْتَعَ قِطْعَةَ الْحَقْلِ الَّتِي نَصَبَ فِيهَا خَيْمَتَهُ مِنْ يَدِ بَنِي حَمُورَ أَبِي شَكِيمِ⁽³⁾ بِمِئَةِ فَسِيطَةٍ . وَأَقَامَ هُنَاكَ مَذْبَحًا وَدَعَاهُ إِيْلَ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ⁽⁴⁾ .

1. حسن ظاذا ، الشخصية الإسرائيلية ، المرجع السابق ، ص 16 .

2. سكوت : اسم عبراني معناه مضلات وهو يطلق على عدة أماكن منها : المكان الذي رحل إليه يعقوب بعد أن ترك أخاه وأطلق عليه هذا الاسم بعد أن أقام فيه مضلات له ولبنيه وتقع سكوت شرق الأردن وشمال مخاضة يبو ، كما أطلقت على أول محلة فيها العبرانيون بعد خروجهم من مصر ولكن المكان غير معروف . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 472 .

3. سمت التوراة والد شكيم حمور ، وحمور في العبري هي الحمار وهذا قمة التعصب والعنصرية البارزة في كتابة التوراة ، فهم ينعنون الأميين بأقبح الألفاظ . أنظر : عبد المجيد همو ، اليهودية بعد عزرا وكيف أقرت ، المرجع السابق ، ص 85 .

4. سفر التكوين ، الإصحاح 33 ، الفقرات 17 - 20 .

إن يعقوب عليه السلام بعد أن أخذ الثروة التي حصل عليها عاد إلى أرض كنعان ، وأثناء عودته مر على أورشليم "قرية شخيم" وقبل وصوله إليها اشترى مزرعة حمور أبي شكيم بمائة نعجة وأقام مذبحاً ، وبني مكاناً لعبادة الله وهو بيت المقدس ، الذي قام بتجديده سليمان عليه السلام ، وهو مكان الصخرة الذي عين له من قبل (1).

إذن يعقوب عليه السلام كغيره من الأنبياء قد بنى مكاناً للعبادة من أجل نشر الدعوة وتجميع الناس على كلمة التوحيد ، ويحتمل أن يكون هذا المكان ، هو المسجد الأقصى ، الذي بني بعد الكعبة التي أقامها إبراهيم عليه السلام ، وليس بعيد أن يكون هو الذي وضع أسس البناء ، والذي جدده يعقوب عليه السلام ، وأكمل في عهد من أتى بعده من الأنبياء ، وخاصة أنه ورد في السنة كما مر بنا سابقاً في الحديث الشريف والآية القرآنية ، وبناء المسجد قدم مقترن بإبراهيم عليه السلام ، وقد حاولت الربط بين تجديد يعقوب للمسجد الأقصى وبين ما صرحت به التوراة من هذا البناء ، وخاصة أنه كان قريباً من فترة جده إبراهيم عليه السلام ، وبعد حادثة شراء الأرض وبناء بيت الله أوردت التوراة أن الرب ظهر مرة أخرى ، وباركه ووعدته بمنحه أرض كنعان وغير اسمه ، فجاء في الإصحاح الخامس والثلاثون: (وَوَظَّهَرَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ أَيْضًا حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانَ أَرَامَ وَبَارَكَهُ . وَقَالَ لَهُ اللَّهُ اسْمُكَ يَعْقُوبُ . لَأَ يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبُ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِسْرَائِيلُ فَدَعَا اسْمَهُ إِسْرَائِيلُ . وَقَالَ لَهُ اللَّهُ الْقَدِيرُ . أَثْمَرَ وَأَكْثَرَ . أُمَّةً وَجَمَاعَةً أُمَّمٍ تَكُونُ مِنْكَ . وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ وَالْأَرْضُ الَّتِي أُعْطِيتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ لَكَ أُعْطِيهَا . وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الْأَرْضَ) (2).

4- الهجرة إلى أرض مصر

إن هجرة يعقوب عليه السلام وهجرات بني إسرائيل التي تلت ذلك إلى المنطقة التي اختلفت حولها الآراء وما المقصود بها وما موقعها الجغرافي ، وهذه المنطقة التي هاجر إليها يعقوب عليه السلام ، نجد هناك من الباحثين من قدم لها تعريفاً وما المقصود بها ، و إعطاء بعض الأدلة والبراهين من خلال التفريق بين

1. إسماعيل ابن كثير ، البداية والنهاية ، (بيروت : مكتبة المعارف ، ط6 ، 1985م) ، ج1 ، ص 196-197 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 35 ، الفقرات 9-12 .

منطقة مصر التي هاجر إليها يعقوب وذريته وهل هي مصر وادي العريش أم مصر وادي النيل؟⁽¹⁾ وهذه المنطقة سنتحدث عنها لاحقا.

ونعود للحديث عن سبب الهجرة والذي حدث بعدما حلت المجاعة بأرض كنعان حسبما ذكرت التوراة ، ولم يتمكن يعقوب عليه السلام وأبناؤه من الإقامة فيها ، حيث أن يوسف أخذ إلى مصر عندما كان صغيرا ، نتيجة مؤامرة دبّرت من إخوته فألقوه في الجب⁽²⁾ فحمّله بعض المسافرين إلى مصر وهناك عاش ، ومكن الله له في الأرض ، وجعله فرعون مصر قائما على خزائنها.

ونصل هنا لنجد القرآن الكريم يتحدث عن هجرة يعقوب عليه السلام⁽³⁾ ، ويذكر الرحلة الأولى لأولاده إلى مصر ويتشابه مع ما ورد في التوراة ، وإن وجد اختلاف طفيف في بعض الجوانب.

فجاء في الإصحاح الثاني والأربعون : (فَلَمَّا رَأَى يَعْقُوبُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمَحًا فِي مِصْرَ قَالَ يَعْقُوبُ لَبْنِيهِ لِمَاذَا تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ . وَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمَحٌ فِي مِصْرَ . انزِلُوا إِلَيَّ هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لَنَا مِنْ هُنَاكَ لَنَحْيَا وَلَا نَمُوتَ . فَنَزَلَ عَشْرَةٌ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ لِيَشْتَرُوا قَمَحًا مِنْ مِصْرَ . وَأَمَّا بَنِيَامِينَ أَخُو يُوسُفَ فَلَمْ يُرْسِلْهُ يَعْقُوبُ مَعَ إِخْوَتِهِ . لِأَنَّهُ قَالَ لَعَلَّهُ تُصِيبُهُ أُدْيَةٌ)⁽⁴⁾.

1. إن مصر أو مصرايم ، كانت تمثل بوابة مصر (وادي النيل) الشرقية على طريق القوافل ، وكان يحكمها فرعون ، وهي كلمة عربية وتصغير "فرعو" في العربية ل "فارغ" في العربية الحديثة ، والمقصود بها وكيل الملك أو وكيل السلطان ، وليس لقباً لملك مصر وادي النيل ، واسم مصر وادي النيل أتى من مصرايم أو مصر وادي العريش أو وادي مصر ، وكان يطلق على سيناء بلاد مصر ، ثم انتقل ليشمل مناطق غرب سيناء "بلاد وادي النيل" مصر الآن ، وقد كان حكام وادي النيل ملوكا وليسوا فراعنة ، بدليل أن مقابر حكام مصر يطلق عليها وادي الملوك لا وادي الفراعنة ، وكان فرعون مصر في سيناء يخضع لملوك مصر ، وكان بمثابة وكيل لهم على بوابة مصر الشرقية . أنظر : رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 98-99 .
2. الجب : في طريق الفرس عند بلد يقال لها سنجيل والجب قرية معروفة اليوم باسم جب يوسف على ميل ونصف من شمال بحيرة طبريا . أنظر : محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، د.ط ، د.ت) ، ص 125 . ويبقى موقع الجب مجرد افتراض .
3. هناك اختلاف في تاريخ هجرة يعقوب عليه السلام ، فهناك من الباحثين من ذكر أن هذه الهجرة تمت حوالي 1600 ق.م ، وهناك من ذكر أنها حدثت سنة 1400 ق.م .
4. سفر التكوين ، الإصحاح 42 ، الفقرات 1- 5 .

ويصور القرآن الكريم الرحلة الأولى لأبناء يعقوب عليه السلام فيقول عَلَيْكَ : ﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (1).

وقد جاء إخوة يوسف إلى مصر لما أصابهم من قحط ، حيث ذاع صيت يوسف عليه السلام لما عرف به من لين ورحمة وعدل وحسن سيرة (2).

ثم يتحدث القرآن الكريم عن الرحلة الثانية لأولاد يعقوب إلى مصر لطلب الطعام ثانية ، قال عَلَيْكَ : ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ (3).

نهي يعقوب أبناءه أن يدخلوا من باب واحد ، وأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة خشية عليهم لما عرفوا به من بقاء وخلقة حسنة ، وقد عرفوا بقرهم من الملك وما لاقوه منه من تكرمه خاصة بهم دون سواهم ، فكانوا مطمع الأنظار من بين الوفود (4).

ولما نفذ الطعام في المرة الثانية عادوا إلى مصر كما قال عَلَيْكَ : ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَانَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (5).

نجد أن إخوة يوسف أثناء المهرجات السابقة لم يتعرفوا على يوسف عليه السلام ، إلا أثناء هذه المهرجة عندما كشف لهم يوسف عن نفسه ، وطلب منهم أن يعودوا ويحضروا أهلهم ليقيموا معه .

ونلاحظ أن إخوة يوسف قد خرجوا عدة مرات من أجل الطعام ، وأقبل يعقوب عليه السلام مع أهله إلى مصر ، ودخلوا على يوسف عليه السلام كما يصور القرآن الكريم هذا المشهد في آخر فصوله .

قال عَلَيْكَ : ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ (6).

1. سورة يوسف ، الآية 58 .

2. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المصدر السابق ، مج 5 ، ص 220 .

3. سورة يوسف ، الآية 67 .

4. محمد بن عمر الزمخشري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 488 .

5. سورة يوسف الآية 88 .

6. سورة يوسف الآية 99 - 100 .

كانت هذه المرحلة بمثابة الهجرة الأولى لبني إسرائيل ، بل والخروج الأول بعد المرحلة الطويلة التي ارتكزت على أساس الهجرات المتتابعة من منطقة إلى منطقة ومن موطن إلى موطن⁽¹⁾.

وتذكر التوراة أن يعقوب دخل مصر وعمره مائة وثلاثين عاما ، وعاش في مصر سبعة عشرة سنة ، وقد قدم لهم فرعون يوسف أرض جاسان⁽²⁾ ، ومن ذلك ما ورد في الإصحاح : (فَكَلَّمَ فِرْعَوْنَ يُوسُفَ قَائِلًا أَبُوكَ وَإِخْوَتُكَ جَاءُوا إِلَيْكَ . أَرْضُ مِصْرَ قَدَامَكَ . فِي أَفْضَلِ الْأَرْضِ أَسْكِنِ أَبَاكَ وَإِخْوَتَكَ . لِيَسْكُنُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ)⁽³⁾ وقد اختار لهم أحسن مكان للإقامة في مصر .

نلاحظ من خلال أسفار التوراة أن يعقوب عليه السلام وبنيه ، كانوا يمثلون فئة صغيرة ، وكانت ترد دائما في إصحاحاتها عبارات تشير إلى ذلك ، كما أكدت ذلك صراحة في عدة مواضع ، من ذلك ما جاء في الإصحاح : (فَقَالَ يَعْقُوبُ لَشِمْعُونَ وَلَاوِي كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمْ أَيَّامِي عِنْدَ سُكَّانِ الْأَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرْزِيِّينَ وَأَنَا نَفَرٌ قَلِيلٌ . فَيَحْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي فَأَيِّدُ أَنَا وَيَيْتِي)⁽⁴⁾.

والدليل الآخر على قتلهم ما ورد في سفر الخروج : (وَكَانَتْ جَمِيعُ نَفُوسِ الْخَارِجِينَ مِنْ صُلْبِ يَعْقُوبَ سَبْعِينَ نَفْسًا وَلَكِنْ يُوسُفُ كَانَ فِي مِصْرَ)⁽⁵⁾.

وحسب ما ورد في التوراة وصى يعقوب عليه السلام جميع بنيه كل واحد بحسب بركته ، باركهم ووصى بدفنه في مقبرة آبائه في المغارة التي في حقل عفرون الحثي ، فجاء : (وَهَذَا مَا كَلَّمَهُمْ بِهِ (الأسباط) أَبُوهُمْ وَبَارَكَهُمْ . كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ بَرَكَتِهِ بَارَكَهُمْ . وَأَوْصَاهُمْ وَقَالَ لَهُمْ أَنَا أَنْضَمُّ إِلَى قَوْمِي . إِذْفُنُونِي عِنْدَ آبَائِي فِي الْمَغَارَةِ الَّتِي فِي حَقْلِ عَفْرُونَ الْحِثِّيِّ . فِي الْمَغَارَةِ الَّتِي فِي حَقْلِ الْمَكْنِيَلَةِ الَّتِي أَمَامَ مَمْرًا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ الَّتِي اشْتَرَاهَا إِبْرَاهِيمُ مَعَ الْحَقْلِ مِنْ عَفْرُونَ الْحِثِّيِّ ... وَلَمَّا فَرَغَ يَعْقُوبُ مِنْ تَوْصِيَةِ بَنِيهِ ضَمَّ رِجْلَيْهِ إِلَى السَّرِيرِ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ وَأَنْظَمَ إِلَى قَوْمِهِ)⁽⁶⁾.

1. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، الشخصية اليهودية من خلال القرآن "تاريخ - سيمات - مصير" ، (دمشق : دار القلم ، ط1 ، 1419 هـ - 1998 م) ، ص 61 .
2. جاسان : هي منطقة خصيبة في مصر كثيرة المرعى للقطعان والمواشي ، واقعة شرق الدلتا ، وهي المعروفة الآن بالشرقية . انظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 242 .
3. سفر التكوين ، الإصحاح 47 ، الفقرة 5- 6 .
4. سفر التكوين ، الإصحاح 34 ، الفقرة 30 .
5. سفر الخروج ، الإصحاح 1 ، الفقرة 5 .
6. سفر التكوين ، الإصحاح 49 ، الفقرات 28- 33 .

ويعقوب عليه السلام في القرآن الكريم لم يتحدث عنه بإسهاب ، بل وردت بعض الإشارات فقط ، ولم يذكر كيف عاش في مصر ، ولا أين مات وأين دفن ، غير أنه تم ذكر وصية يعقوب عليه السلام لبنيه في الاحتضار وهي تختلف كما قدمتها التوراة ، فالأمر المهم الذي كان يشغل بال يعقوب عليه السلام هو أمر روحي وليس مادي ، فكان يوصي بنيه بعبادة الله وحده ولا يشركوا به شيئا واتباع ملة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، فقال عليه السلام : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (1) . وهكذا مات يعقوب عليه السلام بعد أن قضى مدة في فدان أرام كما ذكرت التوراة ، ومدة في أرض كنعان وأخرى في مصر ، ولم يكن له ملك في أي أرض من هذه المناطق ، بل مات غريبا مثل آباءه ولم يتحقق شيء من الوعود التي منحها الله لهم .

والشيء الملاحظ أنه كانت لبني إسرائيل مواطن يلجأون إليها في أوقات مختلفة وأزمان متعددة ، وخاصة في حالة الضيق أو عندما تحل بهم المجاعة التي عرفت بها المنطقة ، فكان رحيلهم حتميا وضروريا حسبما اعتقدوا هم بخلاف الأمم الأخرى التي لم تطأ أقدامهم خارج مواطنهم ، وإن كانت هناك هجرات لبني إسرائيل مع أنبيائهم فهي لا تخلو عادة الفرار بالدين ونشره بين المواطن التي يقيمون فيها ، وإن كانوا في كثير من الأحيان يرتدون عن هذا الدين ، بالإضافة إلى سوء الأحوال الاقتصادية ، فكان الآباء الأوائل إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام غير مستقرين في مكان معين ، ولم يثبت لهم موطن دائم ، بل كانوا رحلا ينتقلون من مكان إلى آخر ، شأنهم شأن البدو الرحل ، والأماكن التي تواجدوا بها كانت متفرقة بين العراق وأرض كنعان ثم مصر وهي أهم المواطن التي لجأوا إليها ، وهذه المواطن موصوفة في القرآن الكريم بأنها مباركة ، فكان وجودهم بالأرض المباركة ، غير أن هذا التواجد كان طارئا ، وحتى أن أرض كنعان التي وعدهم الله بها ظلت أرض غربة ، بالإضافة إلى أنها لم تكن خالية بل عامرة بسكانها الأصليين ، من كنعانيين وأموريين وحثيين... الخ .

1. سورة البقرة ، الآية 133 .

المطلب الرابع : يوسف عليه السلام

كانت مصر ميدانا لتوافد قبائل مختلفة من بلدان مجاورة ، ومن بينها قبيلة بني إسرائيل التي عاشت بها فترة زمنية وظلت وجهتهم كما سبق وأن رأينا منذ عهد إبراهيم وامتدت في عهد يوسف وموسى واقترون وجودهم بتاريخ بني إسرائيل وسنكتفي بذكر محطتين رئيسيتين من مراحل استقرارهم بمصر من خلال تسجيل بعض الأحداث المهمة التي تناولتها النصوص الدينية واعتمد عليها المؤرخون ، والحقيقة التي ينبغي توضيحها هي عدم وجود آثار تقرر إثبات تواجد اليهود بمصر رغم تسخير جميع الإمكانيات للبحث والدراسة من أجل إيجاد دليل يوضح ذلك ، غير أن الصمت لا يعني الشك في مصداقية النصوص الدينية بل لا بد من أخذها بعين الاعتبار واعتمادها كأدلة وشواهد يعتمد عليها في إثبات هذا الوجود في مصر والإستمرار في مواصلة البحث ، وهذه الحقيقة لا يمكن إنكارها أو نفيها. إذن نواجه اضطراب وعدم استقرار الباحثين والمؤرخين حول تحديد الفترة التي دخل فيها بنو إسرائيل إلى مصر بسبب كما ذكرنا غياب الأدلة الأثرية والتاريخية ، ولذلك نلجأ إلى الأخبار التي وردت في التوراة وسفر الخروج يستشهد بها ، مع الإعتماد على الآيات القرآنية الكريمة التي أرخت لهذا الحدث ، وكما نستشهد أيضا ببعض آراء المؤرخين.

ونبدأ الحديث بالنبي يوسف عليه السلام باعتباره أول من دخل مصر من بني إسرائيل - بغض النظر عن إبراهيم عليه السلام - واستقر وطالت إقامته بها.

1- النبي يوسف عليه السلام ودخوله مصر

تذكر الروايات التاريخية أن بني إسرائيل دخلوا إلى مصر بقيادة النبي يوسف عليه السلام أثناء فترة حكم الهكسوس لكن اختلفوا في الزمن الذي تم فيه هذا الحدث. ليس هناك دليل يحدد لنا تاريخ وجود بني إسرائيل بمصر ، وإن كانت هناك معلومات تتعلق بمصر القديمة ، تستند إلى بعض المصادر الدينية منها التوراة التي تجعلنا نشك فيها ، بل نرفضها⁽¹⁾ ، وهذه المصادر تتشابه فيما بينها في عرضها قصة يوسف عليه السلام مع وجود اختلافات ثانوية ، والسؤال الذي نطرحه كيف دخل يوسف إلى مصر ؟ والجواب في هذه النصوص التي نستعرضها.

1. صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ص 74 .

جاء في الإصحاح السابع والثلاثين : (وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ غُرْبَةِ أَبِيهِ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ . هَذِهِ مَوَالِدُ يَعْقُوبَ . يُوسُفُ إِذْ كَانَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً كَانَ يِرْعَى مَعَ إِخْوَتِهِ الْغَنَمَ وَهُوَ غُلَامٌ عِنْدَ بَنِي بِلْهَةَ وَبَنِي زَلْفَةَ امْرَأَتِي أَبِيهِ . وَأَتَى يُوسُفُ بَنِمِيمَتِهِمُ الرَّدِيئَةَ إِلَى أَبِيهِمْ . وَأَمَّا إِسْرَائِيلُ فَأَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ لِأَنَّهُ ابْنُ شَيْخُوخَتِهِ . فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصًا مُلَوَّنًا . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَتُهُ أَنَّ أَبَاهُمْ أَحَبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ أَبْغَضُوهُ وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُكَلِّمُوهُ بِسَلَامٍ وَحَلَمَ يُوسُفُ حُلْمًا وَأَخْبَرَ إِخْوَتَهُ . فَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ) (1).

ثم يتابع الإصحاح : (فَقَالَ إِنِّي حَلَمْتُ حُلْمًا أَيْضًا وَإِذَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا سَاجِدَةٌ لِي . وَقَصَّهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ فَانْتَهَرَهُ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ مَا هَذَا الْحُلْمُ الَّذِي حَلَمْتَ . هَلْ نَأْتِي أَنَا وَأُمَّكَ وَإِخْوَتُكَ لِنَسْجُدَ لَكَ إِلَى الْأَرْضِ . فَحَسَدَهُ إِخْوَتُهُ . وَأَمَّا أَبُوهُ فَحَفِظَ الْأَمْرَ) (2).

أكدت آيات الإصحاح أن يعقوب عليه السلام كان بأرض كنعان مع بنيه ، وكانوا يرعون الغنم مع يوسف عليه السلام الذي كان مبعوضا من طرف إخوته بسبب حب أبيه له وتفضيله عليهم ، وازدادوا كرها له عندما قص رأياه فحسدوه ودبروا له مكيدة تحول دون تحقيق هذا الحلم ، واستيقظت في نفوسهم نية التخلص منه ، وبالفعل كانت الفرصة مواتية فكان لهم ما أرادوا ورموه في البئر .

وقد واصل الإصحاح وصف هذا الحدث وما جرى ليوسف نتيجة هذه المكيدة : (فَرَفَعُوا عْيُونَهُمْ وَنَظَرُوا وَإِذَا قَافِلَةٌ إِسْمَاعِيلِيْنَ (3) مُقْبِلَةٌ مِنْ جَلْعَادَ وَجَمَالُهُمْ حَامِلَةٌ كَثِيرًا . وَبَلْسَانَ وَوَلَدَانَا ذَاهِبِينَ لِيَنْزِلُوا بِهَا إِلَى مِصْرَ . فَقَالَ يَهُوذَا لِأَخْوَتِهِ مَا الْفَائِدَةُ أَنْ نَقْتُلَ أَخَانَا وَنُخْفِي دَمَهُ . تَعَالَوْا فَنَبِيعَهُ لِلْإِسْمَاعِيلِيِّينَ وَلَا تَكُنْ أَيْدِينَا عَلَيْهِ لِأَنَّهُ أَخَانَا وَلَحْمُنَا . فَسَمِعَ لَهُ إِخْوَتُهُ . وَاجْتَازَ رِجَالُ مَدْيَانِيِّينَ تُجَّارٌ فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبَيْتِ وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلْإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ فَأَتَوْا بِيُوسُفَ إِلَى مِصْرَ) (4).

1. سفر التكوين ، الإصحاح 37 ، الفقرات 1- 5 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 37 ، الفقرات 9- 11 .

3. الإسماعيليون : هم نسل إسماعيل الذين أصبحوا رؤساء قبائل واستقروا في شمال شبه الجزيرة العربية ، وعرفوا أنهم تجار رُحَّل ينتقلون من مكان إلى آخر ، يسكنون الخيام ، وكان منهم القافلة التي اشترت يوسف بين جلعاد ومصر ، ويستخدم الخطاب الإسرائيلي الكلمة للإشارة إلى العرب . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1847-1848 .

4. سفر التكوين ، الإصحاح 37 ، الفقرات 25- 28 .

تخلص الإخوة من يوسف عليه السلام وباعوه وفي هذا تناقض صريح في التوراة فأحيانا تذكر أنه بيع من طرف الإسماعيليين ، وفي موضع تذكر أنه بيع في مصر من أهل مدين كما هو واضح في الإصحاح السابع والثلاثين : (وَأَمَّا الْمَدْيَانِيُّونَ فَبَاعُوهُ فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ خَصِيِّ فِرْعَوْنَ رَئِيسِ الشَّرَطِ)⁽¹⁾.

فكان المكان الذي أخذ إليه يوسف عليه السلام يسمى مصر والذي انتقلت إليه أسرته فيما بعد ، وقبل أن نذكر قصته في القرآن الكريم لابد أن نشير إلى نقطة جدية بالذكر تتعلق بتسمية حاكم مصر التي استخدمت فيها ألفاظا متميزة فأحيانا يلقب بفرعون⁽²⁾ وأحيانا أخرى يلقب بملك⁽³⁾.

وهذه الألفاظ تستعمل في العهد القديم دون تفريق ، بينما القرآن يضع كل لفظ في مكانه ، فيشير إلى حاكم مصر في قصة موسى بلقب فرعون ، ولا يشير إلى حاكم مصر في قصة يوسف بكلمة فرعون ، وإنما يوصف بأنه ملك في الآيات الخمسة التي تذكر لقبه⁽⁴⁾.

بعد هذه الإلتفاتة نورد قصته في القرآن وتبدأ برؤيته إحدى عشر كوكبا والقمر يسجدون له ، وقد فاز بحب أبيه وتغلغل الكره في قلوب إخوته ، فحاولوا التخلص منه واصطحبوه معهم في إحدى

1. سفر التكوين ، الإصحاح 37 ، الفقرة 26 .
2. وردت كلمة فرعون في الإصحاح الأربعين من سفر التكوين : (فقال يوسف) . . . فنعطى كأس فرعون في يده كالعادة الأولى) ، الإصحاح 40 ، الفقرات 12- 13 ، وفي نفس الإصحاح : (وفي السِّلَّ الأعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز والطيور تاكله من السِّلَّ عن رأسي . فأجاب يوسف وقال هذا تعبيرة والثلاثة السِّلَّ هي ثلاثة أيام ، في ثلاثة أيام أيضا يرفع فرعون رأسك) الإصحاح 40 ، الفقرات 17- 19 .
3. أما كلمة ملك فوردت في الإصحاح التاسع والثلاثين : (فأخذ يوسف سيده ووضعه في بيت السجن المكان الذي كان أسرى الملك مخبوسين فيه) الإصحاح 39 ، الفقرة 20 ، كما جاء في الإصحاح الأربعين : (وحدثت بعد هذه الأمور أن ساقى ملك مصر) الإصحاح 40 ، الفقرة 1 .
4. لوى فتوحى ، شذى الدركلي ، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم " تاريخ بني إسرائيل المبكر " ، (لندن : دار الحكمة ، ط1 ، 1422هـ - 2002م) ، ص 83 . وقد ذكر القرآن كلمة ملك في الآيات التالية : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عَجَافٌ وَسَبْعُ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ سورة يوسف ، الآية 43 . ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ انثوني يه فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال نسوة اللاتي قطعن أيديهن ﴾ سورة يوسف ، الآية 50 . ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ انثوني به استخلصه لنفسى ﴾ سورة يوسف ، الآية 54 . ﴿ قالوا نفقد صواع الملك ﴾ سورة يوسف ، الآية 72 . ﴿ كذلك كذبنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ﴾ سورة يوسف ، الآية 76 . فالقرآن الكريم فرق بين كلمة ملك وكلمة فرعون ، هذا الأخير الذي هو لقب خاص بالحكام ذوي الأصل المصري ، وهذا يعكس أن الملك لم يكون من صنف أولئك الفراعنة ، وإنما كان هذا الحاكم أحد ملوك الهكسوس . أنظر : المرجع نفسه .

في إحدى رحلات الصيد ووضعوه في الجب ، فأخذته قافلة وباعته لعزير⁽¹⁾ مصر .

وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك فقال ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيُكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾⁽²⁾.

وحاول الإخوة إقناع أبيهم بإرسال يوسف معهم دون أن يصيبه أي مكروه فقال ﷻ: ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ وَنَأْنَا لَهُ لِحَافِظُونَ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾⁽³⁾.

ونفذ الإخوة هذه المؤامرة بعدما خططوا لها ، وبعدها استقر أمرهم على وضعه في الجب فأتيحت له فرصة العيش والتمكين لدين الله في مكان أرادته الله عز وجل أن تنشر فيه دعوته ، ولولا هذا الحدث لما كان لبني إسرائيل تاريخ يذكر في مصر ، وعن ذلك قال ﷻ: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾⁽⁴⁾.

1. العزيز : يبدو أن العزيز لم يكن مجرد لقب مسؤول المخازن ، وهو المنصب الذي استلمه يوسف فور خروجه من السجن وإنما منصب أعلى رقي إليه يوسف بعد ذلك ، وقام هو بإلحاق مسؤولية المخازن به . انظر : المرجع نفسه ، ص 87-88 .

2. سورة يوسف ، الآية 4-5 .

3. سورة يوسف ، الآية 8-15 .

4. سورة يوسف ، الآية 19-21 .

إن هذه الحادثة تحمل الخير ليوسف عليه السلام ولأهل مصر وما حولها وفلسطين ، بفضل ما لحق يوسف من التمكين في أرض مصر ، ومن إنقاذه شعوبا من المجاعة ، فانتقل بها من ذل إلى رفعة ، فألحق الخير لأسرة يوسف والمناطق المجاورة لمصر (1).

و مكن الله عز وجل ليوسف عليه السلام في أرض مصر ، فكان وراء هذا الابتلاء حظ عظيم ليوسف ، وفي ذلك قال عليه السلام : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (2).

وأصبح ليوسف عليه السلام بعد نزوله إلى مصر نتيجة المؤامرة التي حيكت ضده مكانة مرموقة ، وازدادت هذه المكانة بعد خروجه من السجن بسبب الإبتلاء وما لاقاه من زوجة العزيز التي راودته عن نفسها ، وأثناء تواجده بالسجن أوتى بفضل الله تفسير الرؤى وكان للملك نصيب منها.

وهذه الرؤية جاءت في قوله عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴾ (3).

بعد تفسيره لهذا الحلم أصبح يوسف يملك وظيفة كبرى في بلاط الملك بعدها طلب من الملك أن يجعله مسؤولا على خزائن الأرض ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمَ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي

1. محمد علي البار ، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، (دمشق : دار القلم ، ط 1 ، 1410 هـ - 1990 م) ، ص 164 .

2. سورة يوسف ، الآية 21 .

3. سورة يوسف ، الآية 43 - 49 .

الأَرْضِ يَتَّبِعُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ .
 استطاع يوسف عليه السلام من خلال تفسير حلم الملك ، أن يضع نظاما قائما أساسا على توفير الحبوب وتخزينها ، بعدما أشار إلى أن البلاد ستصيبها مجاعة ، وتمر بأيام شدائد كما ذكر المفسرون ، فأين كان مقر هذا المركز؟.

أكدت الوثائق التاريخية أن منطقة الدلتا الشرقية وعلى الخصوص أرض الفيوم (جنوب غرب القاهرة) كانت تصيبها المجاعة وعرفت قديما بتخزين الحبوب ، وهناك وثائق ونصوص تؤكد ذلك ما كتبه خبتي الثاني أحد فراعنة المصريين : (فقال إني غنيّ بقمح الشمال حيث كانت الأرض في جفاف فأغشت مدينتي وأذنت للصغير أن يحمل لنفسه من قمح الشمال مع زوجته وللأرملة مع ولدها ونزلت عن الضرائب التي وجدت أبائي قدروها) (2).

ومن عصر الأسرة الحادية عشر نقرأ الوثيقة التاريخية : (لقد كلت قمح الصعيد الذي يجيي تلك المدينة بأسرها في قصر الحاكم أمير الكهان جفائي في سنين الضيق والشدة) (3).
 ويروي أميني من الأسرة الثانية عشر : (وكان أن حدثت أعوام المجاعة فكان أن حرثت الحقول من إقليم الوعل حتى تحومه الجنوبية والشمالية وأعشت أهله وكفيته غذاءه فلم يبق جائع فيه إذ أعطيت الأيم كالسيدة ذات الزوج ولم أميز عظيما على صغير) (4).

بينت هذه النصوص أحوال منطقة مصر والتي كانت تصيبها المجاعة ، فكان القمح يوزع على الناس دون تمييز فجميع الطبقات كانت تعاني على حد سواء ، وكل له نصيب من هذه الحبوب .
 وقد كانت الوثائق المصرية و القديمة تبين أن الدلتا تتعرض للمجاعة ، وفي كثير من الأحيان تكون ملجأ للناس من مصر وخارجها (5).

1. سورة يوسف ، الآية 54 - 56 .

2. محمد أبو رحمة ، الإسلام والديانة المصرية القديمة ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ط1 ، 2005م) ، ص 27 .

3. المرجع نفسه.

4. المرجع نفسه.

5. لوى فتوحى ، المرجع السابق ، ص 86 .

2- دخول يعقوب عليه السلام وبنيه إلى مصر

إن نصوص التوراة و القرآن الكريم ذكرت كما مر بنا سابقا أن يعقوب عليه السلام قام بإرسال أبنائه إلى مصر لشراء الحبوب بسبب الجاعة التي ضربت البلاد فقدموا إلى مصر ، وقد تمت هذه الرحلة عبر ثلاث مراحل ، إلى أن استدعاهم يوسف عليه السلام للإقامة معه في مصر .

فكان بنو إسرائيل دائمي المجيء إلى مصر منذ أيام إبراهيم وفدوا إليها أيام يعقوب ويوسف ، وسكنوا في إقليم الجوشن في شرق الدلتا⁽¹⁾ ، وإن كثيرا من المؤرخين والباحثين ذكروا أن يعقوب عليه السلام وبنيه أتوا من فلسطين واستقروا بمنطقة الدلتا الشرقية ، استنادا لما ورد في التوراة وتلميحات القرآن الكريم وما أيدته الوثائق التاريخية ، وقد جاء في الإصحاح الخامس والأربعون : (وَخُذُوا آبَاكُمْ وَيَبُوتَكُمْ وَتَعَالُوا إِلَيَّ . فَأَعْطِيكُمْ خَيْرَاتِ أَرْضِ مِصْرَ وَتَأْكُلُوا دَسَمَ الْأَرْضِ . فَأَنْتَ قَدْ أَمَرْتَ . أَفْعَلُوا هَذَا . خُذُوا لَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ عَجَلَاتٍ لِأَوْلَادِكُمْ وَنِسَائِكُمْ وَاحْمَلُوا آبَاكُمْ وَتَعَالُوا . وَلَا تَحْزَنْ عُيُونَكُمْ عَلَيَّ أَثَاتِكُمْ . لِأَنَّ خَيْرَاتِ جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ لَكُمْ)⁽²⁾ .

ويتبين من خلال التوراة أن الفرعون طلب من إخوة يوسف الحضور إلى مصر ، وإعطائهم ما تتمتع به مصر من خيرات ، ووعدهم بالغنى⁽³⁾ .

وليس ذلك فقط فقد اختار فرعون مصر أفضل أرض لإخوة يوسف بدليل الإصحاح السابع والعشرين : (فَكَلَّمَ فِرْعَوْنُ يُوسُفَ قَائِلًا أَبُوكَ وَإِخْوَتِكَ جَاءُوا إِلَيْكَ . أَرْضُ مِصْرَ قَدَّامَكَ . فِي أَفْضَلِ الْأَرْضِ أَسْكِنِ آبَاكَ وَإِخْوَتَكَ لِيَسْكُنُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ)⁽⁴⁾ .

إستقر يعقوب عليه السلام وبنيه في مصر بعد أن سبقهم إلى ذلك يوسف عليه السلام وهذا ما أكدته النصوص الدينية وسارت عليه الروايات التاريخية بفضل مساهمة يوسف عليه السلام في رفع شأنهم ، وبطبيعة الحال عاشوا فترة طويلة ، إذ قورنت بحالة التجوال التي سادت حياتهم ، كما تكاثروا وتزايد عددهم ، وربما احتل بعضهم وظائف وارتقوا من حالة البداوة .

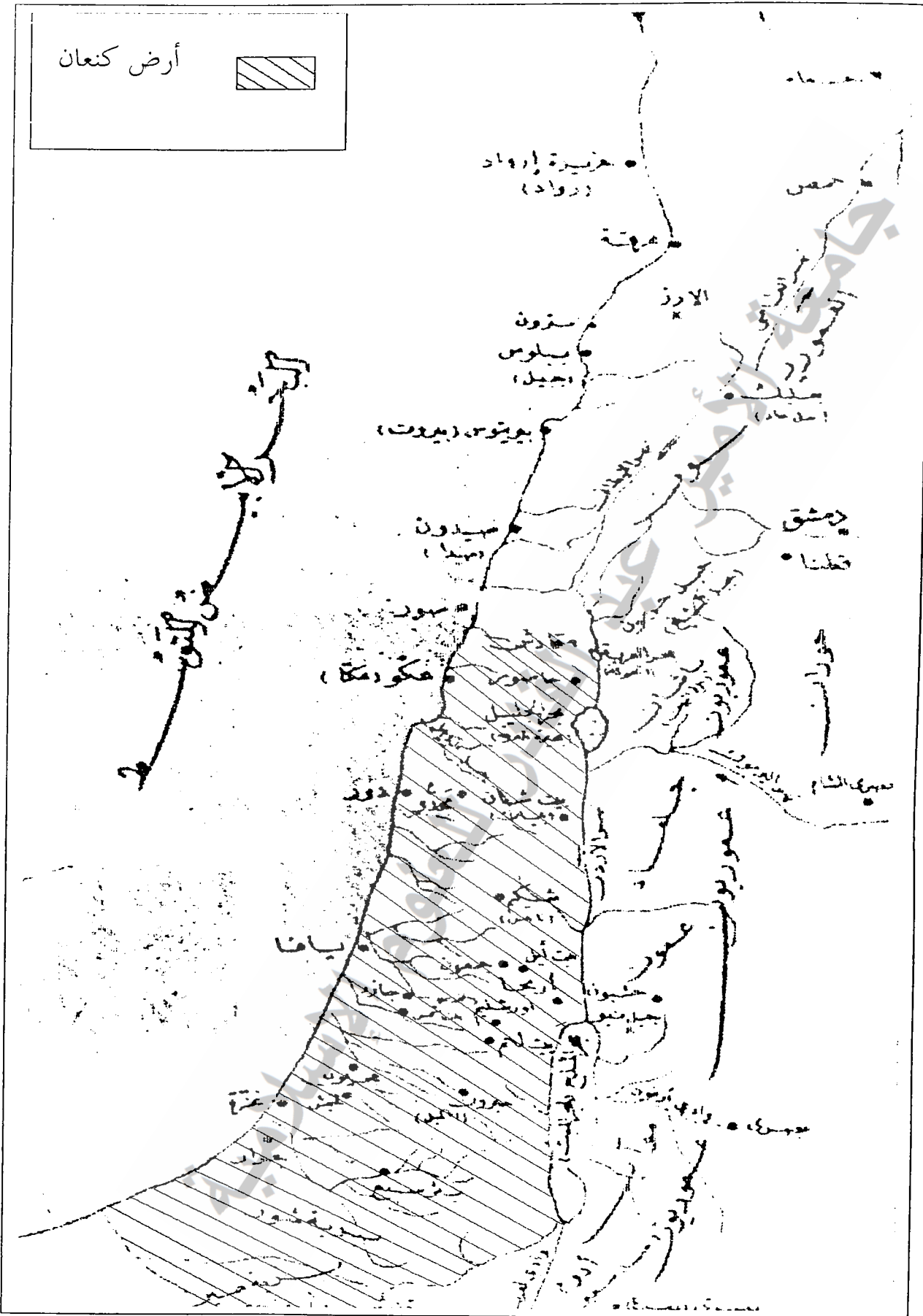
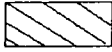
1. حسن ظاظا ، الساميون ولغاتهم ، المرجع السابق ، ص 65 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 45 ، الفقرات 18- 20 .

3. أحمد شلبي ، اليهودية ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ط2 ، 1997م) ، ص 67 .

4. سفر التكوين ، الإصحاح 47 ، الفقرة 5- 6 .

أرض كنعان



أرض كنعان قبل ظهور موسى وقومه بني إسرائيل

(لقد كانت تجربة يوسف بن يعقوب في مصر وتسلقه السلم الإجتماعي الذي انتهى به إلى قمة السلطة ، تجربة معبرة عن علاقة التوطن والتعمير التي هيات للإسرائيليين في مصر ، وهذا قبل وقت مبكر من تحددهم كهوية أو سلالة تعرف بإسرائيل⁽¹⁾).

فكان لبني إسرائيل مستقر في أرض مصر ، وأعطيت لهم من خلال ما ذكرت التوراة أرض جاسان ، وتمتعوا بخيرات كثيرة ، وكانت لهم مراكز مهمة ، ووظائف لم تكن لهم من قبل ولم يحلموا بها ، وارتفع شأنهم.

المطلب الثاني : موسى عليه السلام

إن قصة إقامة بني إسرائيل في مصر وخاصة مع موسى عليه السلام من أهم الأحداث التي أفردتها التوراة بعناية فائقة ، وخصها الباحثون والمؤرخون بدراسات كبيرة ، ولا زالت تلك الدراسات بعضها يؤكد وبعضها الآخر ينفي وجود بني إسرائيل في مصر .

إن تاريخ العبرانيين خارج نصوص التوراة هو صمت الكتابات المنقوشة والقوانين والنصوص القديمة ، وحتى الروايات الأرامية ، فلا ذكر لكلمة عبري ، وأشهر ملوك التوراة هما داود وسليمان ، لم يكونا يمثلان الوقائع التاريخية ، وليس هناك ذكر لوقائع عبور العبرانيين⁽²⁾.

ينفي بعض المؤرخين وجود بني إسرائيل بمصر بحجة صمت هذه الآثار ، بل ينفون وجود موسى عليه السلام كشخص ، مع أن النصوص الدينية إلى جانب آراء الباحثين أثبتوا صحتها ، ولتحديد ما إذا كان وجود بني إسرائيل في مصر، لابد من عرض بعض الجوانب التاريخية والدينية المتعلقة بقصة النبي موسى وقومه ، وقبل الخوض في ذلك لابد أن نبين أصل موسى عليه السلام وحقيقة انتمائه.

1- أصل النبي موسى عليه السلام

جزم بعض المؤرخين والباحثين⁽³⁾ أن موسى عليه السلام كان مصرياً وليس إسرائيلياً ، وحاولوا الربط بين اسم موسى وبعض أسماء المصريين.

1. عشراتي سليمان ، الكتاب المقدس والواقعة الإسرائيلية ، (د.م : د.ر ، د.ط ، د.ت) ، ص 156 .

2. باشر، من هم هؤلاء ... اليهود : <http://www.Yashababab.net/modules/news/php?storyid=275> .

3. كان من بين هؤلاء الذين اعتقدوا بمصرية موسى عليه السلام فلامينوس يوسفوس (ظهر في القرن الأول ميلادي) ، واليهودي فيلون 30-40 ق.م ، وول ديورانت ، والمؤرخ البريطاني جيمس برستيد ، وكان من أشهر الذين بحثوا في هذه القضية سيغmond فرويد.

وقد جاء أن اسم موسى مشتق من اللغة المصرية القديمة ويعني طفل وهي اختصار للاسم المكون من جزأين مثل : آمون - موسى ، ويعني " طفل آمون " ، ومعناه أن آمون أنجب طفلاً بالإضافة إلى أسماء أخرى⁽¹⁾.

إن هذا الرأي خارج عن المؤلف والمعقول ، فالنصوص الدينية والتاريخية أكدت منذ القدم ، بأن موسى يهودياً أباً عن جد ، ورغم نشأته في بيت فرعون مصر إلا أنه كان يناصر إخوته اليهود ضد المصريين ، وقادهم وأخرجهم من مصر⁽²⁾.

هناك عدة أدلة تؤكد حقيقة واحدة وتبين أن موسى ﷺ كان من بني إسرائيل وترفض الإدعاء السابق :

أولاً : من التوراة جاء في الإصحاح الأول من سفر الخروج : (وَقَالَ (ملك مصر) حِينَمَا تُولَدَانِ الْعِبْرَانِيَّاتِ وَتَنْظُرْنِهِنَّ عَلَى الْكُرَاسِيِّ . إِنْ كَانَ ابْنًا فَاقْتُلَاهُ وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَحْيَاهُ)⁽³⁾.

و جاء في الإصحاح الثاني : (وَلَمَّا رَأَتْهُ (أمه) أَنَّهُ حَسَنٌ خَبَأَتْهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ)⁽⁴⁾ وتذكر هذه النصوص أن فرعون مصر أمر بقتل جميع المواليد الجدد ، فلو كان موسى مصرياً ﷺ لما طبق عليه هذا القرار ولاضطرت أمه أن تخفيه عن أنظار فرعون ، وجاء في نفس الإصحاح : (قَالَ أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ)⁽⁵⁾.

ثانياً : من القرآن الكريم قوله ﷺ : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾⁽⁶⁾.

1. سيغموند فرويد ، النبي موسى ورسالة التوحيد ، ترجمة : عبد المنعم حفني ، (القاهرة : دار الرشاد ، ط1 ، 1991م) ، ص 26 .

2. عبد الوهاب النجار ، المرجع السابق ، ص 157 .

3. سفر الخروج ، الإصحاح 1 ، الفقرة 16 .

4. سفر الخروج ، الإصحاح 2 ، الفقرة 2 .

5. سفر الخروج ، الإصحاح 3 ، الفقرة 6 .

6. سورة القصص ، الآية 15 .

وفي هذا الشأن تؤكد وثائق البردي (أوراق قديمة) ذلك التسخير وتتوافق مع ما ذكرته التوراة في عمل بني إسرائيل في أعمال البناء والطين ، إذ كان وجودهم في عهد رعمسيس الثاني⁽¹⁾ .
 والتوراة تؤكد حقيقة ذلك في إصحاحها الأول من سفر الخروج : (فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ . وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعِبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللَّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ . كُلِّ عَمَلِهِمُ الَّذِي عَمِلُوهُ بِأَوْسَاطِهِمْ عُنْفًا)⁽²⁾ ، فهذه النصوص وغيرها تؤكد أن موسى عليه السلام ظهر في عهد رعمسيس الثاني ، وعاش بنو إسرائيل حياة ذل وخضوع وتسلط المصريين عليهم، واستغلوا في أعمال الزراعة والبناء وغير ذلك ، بخلاف ما كانوا عليه في عهد يوسف عليه السلام وما تحصلوا عليه من امتيازات ومناصب عالية ومهمة .

والسؤال الذي نطرحه ، هل كان بنو إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام قد عاصروا فرعوننا واحدا ؟ ، وفي هذا الجواب نجد أن الآراء قد تعددت وطال الجدل حول تحديد فرعون مصر ، الذي ظهر موسى في عهده ، فمنهم من ذكر أنه فرعون واحد ، وهو الذي قام باضطهاد بني إسرائيل وتمت في عهده الخروج من مصر ، ومنهم من ذكر وجود فرعون الإضطهاد وفرعون الخروج ، غير أن الرأي الأقرب للصواب وللصحة هو الرأي الأخير .

إن الفرعون الذي اضطهد بني إسرائيل كما تذكر التوراة كان يستغلهم في بناء مدينتي رعمسيس و فيثوم - يقعان شرق الدلتا- ، التي أثبتت الحفريات وجودهما ، وقام بينائها رعمسيس الثاني ، فكان هذا الأخير هو الذي اضطهد بني إسرائيل ، وولد موسى في عهده ، وقد كان شريكه في الحكم ابنه منفتاح (1224-1214 ق.م) ، وقد عاصر موسى أثناء نشأته في بيت أبيه⁽³⁾ .

ومن ذلك ما ذكره القرآن الكريم أن موسى تربى في قصر فرعون : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾⁽⁴⁾ ، فكان ابن رعمسيس الثاني هو فرعون الخروج الذي تولى الحكم

1. محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المرجع السابق ، ص 70 .

2. سفر الخروج ، الإصحاح 1 ، الفقرة 13-14 .

3. عبد الوهاب النجار ، المرجع السابق ، ص 202 .

4. سورة الشعراء ، الآية 18 .

وفي هذا الشأن تؤكد وثائق البردي (أوراق قديمة) ذلك التسخير وتوافق مع ما ذكرته التوراة في عمل بني إسرائيل في أعمال البناء والطين ، إذ كان وجودهم في عهد رعمسيس الثاني⁽¹⁾ .
 والتوراة تؤكد حقيقة ذلك في إصحاحها الأول من سفر الخروج : (فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْنَفٍ . وَمَرَرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ . كُلِّ عَمَلِهِمُ الَّذِي عَمَلُوهُ بِوَأَسِطَتِهِمْ عُنْفًا)⁽²⁾ ، فهذه النصوص وغيرها تؤكد أن موسى عليه السلام ظهر في عهد رعمسيس الثاني ، وعاش بنو إسرائيل حياة ذل وخضوع وتسلط المصريين عليهم، واستغلوا في أعمال الزراعة والبناء وغير ذلك ، بخلاف ما كانوا عليه في عهد يوسف عليه السلام وما تحصلوا عليه من امتيازات ومناصب عالية ومهمة .

والسؤال الذي نطرحه ، هل كان بنو إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام قد عاصروا فرعوننا واحدا ؟ ، وفي هذا الجواب نجد أن الآراء قد تعددت وطال الجدل حول تحديد فرعون مصر ، الذي ظهر موسى في عهده ، فمنهم من ذكر أنه فرعون واحد ، وهو الذي قام باضطهاد بني إسرائيل وتمت في عهده الخروج من مصر ، ومنهم من ذكر وجود فرعون الإضطهاد وفرعون الخروج ، غير أن الرأي الأقرب للصواب وللصحة هو الرأي الأخير .

إن الفرعون الذي اضطهد بني إسرائيل كما تذكر التوراة كان يستغلهم في بناء مدينتي رعمسيس و فيثوم - يقعان شرق الدلتا- ، التي أثبتت الحفريات وجودهما ، وقام بينائها رعمسيس الثاني ، فكان هذا الأخير هو الذي اضطهد بني إسرائيل ، وولد موسى في عهده ، وقد كان شريكه في الحكم ابنه منفتاح (1224-1214 ق.م) ، وقد عاصر موسى أثناء نشأته في بيت أبيه⁽³⁾ .

ومن ذلك ما ذكره القرآن الكريم أن موسى تربى في قصر فرعون : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾⁽⁴⁾ ، فكان ابن رعمسيس الثاني هو فرعون الخروج الذي تولى الحكم

1. محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المرجع السابق ، ص 70 .

2. سفر الخروج ، الإصحاح 1 ، الفقرة 13-14 .

3. عبد الوهاب النجار ، المرجع السابق ، ص 202 .

4. سورة الشعراء ، الآية 18 .

بعد وفاة أبيه ، وموسى عليه السلام لم يأت الإذن إذا بالخروج من مصر ، فيذكر الإصحاح : (وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْكَثِيرَةِ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ مَاتَ) (1) .

فالفرعون الأول الذي استعبد بني إسرائيل مات قبل عودة موسى من مدين (2) ، والفرعون الثاني تم في عهده خروج بني إسرائيل من مصر .

فالوثائق ذكرت أن فرعون الذي سخر بني إسرائيل في بناء صرحه وبناء مدينتي رعمسيس و فيثوم ، واستنادا إلى نص التوراة فإنه الفرعون رعمسيس (3) .

فالمكان الذي كان به موسى عليه السلام وبنو إسرائيل من أرض مصر هو منطقة الدلتا الشرقية ، التي استقر بها يعقوب عليه السلام وبنه أثناء هجرتهم إلى مصر .

3- هجرة موسى عليه السلام إلى أرض مدين

عندما ولد موسى عليه السلام ألقته أمه في اليم خوفا من قتله ، فالتقطه قوم فرعون واعتنوا به ، فنشأ وترى في قصره ، حتى إذا بلغ أشده قتل مصريا ، وخرج من المدينة خائفا وغادرها متجها إلى مدين ولبث فيها عشر سنين ، اشتغل كعامل أجير لدى شيخ مدين لما رآه من قوته وأمانته ، وعرض عليه أن يزوجه إحدى ابنتيه مقابل هذا العمل ، وهو أن يرعى الغنم.

وقد تحدثت التوراة عن هذه الهجرة : (فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مَدْيَانَ وَجَلَسَ عِنْدَ الْبُئْرِ) (4) .

1. سفر الخروج ، الإصحاح 2 ، الفقرة 23 .

2. مدين : قيل فيها في المعاجم : أنها تقع قرب بحر القلزم (البحر الأحمر) محاذية لتابوك ، وتقع بين وادي القرى والشام ، وقيل اتجاه تابوك بين المدينة والشام ، وقيل هي كفر سنده من أعمال طبرية ، وقيل بلد بالشام معلوم تلقاء غزة ، والأرجح أنها تقع شرقي نهر الأردن ، في السفح المطل على فلسطين قبالة أريحا ، حيث المكان المسمى بوادي شعيب حاليا ، والذي يقع فيه مقام النبي شعيب في جبال محافظة البلقان الأردنية . أنظر : أحمد عبد الواحد ، تاريخ وجغرافية بني إسرائيل في القرآن :

<http://Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs.htm-101k>

3. عبد المنعم عبد الحليم سيد ، المخالطات والإفتراءات الصهيونية على تاريخ وحضارة مصر الفرعونية ، (القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ط ، 2000م) ، ص 55 .

4. سفر الخروج ، الإصحاح 2 ، الفقرة 15 .

وقصة موسى عليه السلام في التوراة أثناء حديثها عن هذه الهجرة تتوافق مع القرآن الكريم كثيرا ، وهي تختلف فقط في بعض المواضع .

وتحدث القرآن الكريم عن وجهة موسى عليه السلام أنها كانت تلقاء مدين : ﴿ وَكَمَا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (1).

فالقرآن الكريم لم يحدد المكان هل هو شرق الخليج أم غربه في سيناء ، بل ذكر فقط أنه توجه تلقاء مدين ، والأقرب هو ما حددته التوراة ، أي في غرب خليج العقبة أو شرق سيناء ؛ لأن المكان أقرب إلى مصر ، وموسى ليس بحاجة إلى قطع خليج العقبة وصولا إلى الجهة الأخرى في الجزيرة العربية (2).

إن الوصول إلى ماء مدين يتطلب من موسى انتهاج أحد الطريقتين ، إما أن يتجه من منف شرقا متبعا في ذلك طريق القوافل التجارية إلى مصرام ، ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي مع الطريق التجاري إلى الجزيرة العربية ، وقبل خليج العقبة يتجه جنوبا محاذيا غرب خليج العقبة أو شرق جزيرة سيناء ، وإما أن يخرج من منف متجها شرقا إلى سيناء ، ثم جنوبا على طول الشاطئ الشرقي لخليج السويس حتى طرف سيناء الجنوبي ، ثم شمالا إلى مدين (3).

وجاء في القرآن الكريم قوله عليه السلام : ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدَرًا يَا مُوسَى ﴾ (4) وذكر عليه السلام على لسان شيخ مدين : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (5) فخرج موسى عليه السلام من مصر إلى أرض مدين وحيدا من دون جماعة بني إسرائيل ولم يمكث فيها طويلا ، وقد هيئت له أسباب هذه الهجرة حتى يخوض تجربة تمكنه من حمل رسالة الله عزوجل ، ويكون قادرا على تلقي الوحي.

1. سورة القصص ، الآية 22 .

2. رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 142 .

3. المرجع نفسه ، ص 143 ، 146 .

4. سورة طه ، الآية 40 .

5. سورة القصص ، الآية 27 .

4- عودة موسى عليه السلام إلى أرض مصر

أ- معنى مصطلح مصر

لابد من إلقاء الضوء لتحديد مصطلح مصر ، المكان الذي توجه إليه موسى عليه السلام بعد تلقيه الوحي وتم الخروج منه ، وأثار خلافا بين المؤرخين في تعيين مكانه.

وهناك اختلاف في الطريق الذي انتهجه بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر ، فبعضهم حاول الرجوع إلى العهد القديم ودراسة جغرافية شبه جزيرة سيناء ، بل ذكر بعض العلماء أن مكان خروج بني إسرائيل "متسرايم" لم يكن "مصر" ، وذكر بعضهم أن متسرايم إنما هي موزري ، وهي مقاطعة جنوب البحر الميت⁽¹⁾ ، بما فيها مرتفعات سعيير ومدينة البتراء (مدينة في الأردن) ، وهي تشمل أرض مدين والأدوميين⁽²⁾ والنبطيين⁽³⁾ ، فكان هناك عدم تمييز بين موزري ومصر⁽⁴⁾.

وهناك من ذهب إلى رأي آخر بأن مصر المذكورة في التوراة والقرآن ليست مصر المعروفة الآن وإنما مصر أخرى ، فيشير إلى أنها منطقة عسير في جنوب المملكة العربية السعودية ، وليست مصر الحالية⁽⁵⁾ ، وهذه الآراء التي قدمها أصحابها رفضت من قبل الكثير من المؤرخين ، فقد حاولوا دراسة الأماكن التي وجدت في التوراة ، ومقارنتها بأماكن أخرى غير التي اصطلاح عليها الباحثون ، من خلال إعادة تغيير جغرافية المكان ، ومحاولة الربط بين الأماكن الموجودة في التوراة وأسماء متشابهة في مناطق أخرى.

1. البحر الميت : ويدعى بحر العربة وبحر الملح والبحر الشرقي ، ولم يرد اسم البحر الميت في المؤلفات العبرية وإنما اخترع الاسم اليونانيون ويسمى الآن بحر لوط ، يقع شرق أورشليم ويصب فيه نهر الأردن .أنظر: بطرس عبد الملك، المصدر السابق ، ص 164.
2. الأدميون : يعود أصلهم إلى أدوم ، أو عيسو بن إسحاق ، وتقع أدوم في جنوب فلسطين حتى العقبة . أنظر: رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 220 .
3. الأنباط : قبائل من العرب الرعاة ظهرت على حدود فلسطين في الصحراء الواقعة شرقي الأردن أثناء حكم الفرس (من القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الميلاد) واستولت هذه القبائل على جبل سعيير (أدوم) وعلى قلعة سلع في البتراء التي أصبحت عاصمة لهم فيما بعد ، ثم استولت على مدينة ربة عمون (فيلاذلفيا) شرقي الأردن .أنظر: عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1847.
4. المرجع نفسه ، ص 1891 .
5. أنظر : كمال الصليبي ، التوراة جاءت من جزيرة العرب ، ترجمة : عفيف الرزاز ، (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية ، ط6 ، 1997م) ، ص 94 .



مصر القديمة

وللبحث عن مصطلح مصر نستعرض بعض الآيات القرآنية التي أشارت إليه في العديد من السور، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿وَوُتِّدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَتُمْكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (1).

كان بنو إسرائيل مستضعفين من طرف فرعون الذي مارس عليهم الظلم ، وقد عبرت الآية عن الموطن بالأرض ، فكانت الأولى هي أرض مصر باتفاق المفسرين ، بدليل أنهم استضعفوا فيها ، والثانية موضع خلاف ، فقد ذكر بعض المفسرين أن كلمة الأرض الثانية مقصود بها مصر والشام ، بدليل التمكين فيها (2).

ذكرنا فيما سبق أن بني إسرائيل كانوا مقيمين في الدلتا الشرقية زمن يوسف ﷻ ، وأوردنا بعض الأدلة على ذلك ، واستمر وجودهم إلى عهد موسى عليه السلام.

وعن أرض مصر يقول ﷻ: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكَ بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (3) هذا النص القرآني جاء فيه الأمر إلى موسى وهارون باتخاذ بيوت بمصر ، ومعنى هذا أن بني إسرائيل كانوا مشتتين في مصر ، ولا يعيشون في مكان واحد ، وهذا ما يفهم من أمر الله لموسى وهارون باتخاذ بيوت لقومهما في مصر (4).

كانت إقامة بني إسرائيل في مصر في أنحاء مختلفة ، وقد عاودوا التجمع في المكان الذي كانوا فيه أيام يوسف ﷻ ، وربما تفرقوا من جديد قبل مجيء موسى ﷻ وعملوا في أماكن مختلفة في مصر ، ولم تكن إقامتهم فيها مجرد فترة عابرة ، بل طالَّت إقامتهم فيها (5) ، فالحوادث التي تعرض لها

1. سورة القصص ، الآية 5-6 .

2. أنظر : محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، (لبنان : دار الفكر ، دط ، 1984م) ، ج 2 ، ص 28-29 . محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المصدر السابق ، مج 7 ، ص 249 .

3. سورة يونس ، الآية 87 .

4. لؤي فتوح ، المرجع السابق ، ص 141 .

5. يرى بعض الباحثين أن الفترة بين يعقوب وموسى تمثلها أربعة أجيال ، وأن يعقوب قدم إلى مصر وعمره حوالي 130 سنة ولم يستقر بها أكثر من سبع عشرة سنة ، في حين أن عمر يوسف كان ثمانية وثلاثون سنة عند قدوم إخوته من فلسطين وقد بلغ عمره 110 سنة ، وبذلك عاش يوسف الجيل الثالث لأفرايم ، ويبدو أن هناك فترة جيل واحدة بين وفاة يوسف والخروج ، وبناء على ذلك ففترة الاستقرار بمصر تقدر بقرنين من الزمن . أنظر : مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 52 .

موسى عليه السلام وبني إسرائيل دلت على طول الإقامة بمصر ، وقد طلب الله تعالى من موسى كما بينت الآية السابقة بناء البيوت وأمرهم بإقامة الصلاة فيها .

وهناك بعض التلميحات المستوحاة من القرآن تشير إلى طول الإقامة في مصر منها المعاناة التي لحقت ببني إسرائيل زمن موسى عليه السلام وتعرضهم للإيذاء⁽¹⁾ ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾⁽²⁾ .

وقد أشارت هذه الآية القرآنية أن قوم فرعون قد لحقت بهم فترات من الجفاف : ﴿ وَتَقَدَّرْنَا أَلْ فِرْعَوْنَ بِالسَّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾⁽³⁾ .

كما أن هناك عدة أدلة تدل على طول مدة الإقامة في مصر ، فقد أصاب المصريين مصائب كثيرة دامت عدة سنوات ، وكان قوم فرعون ينظرون إلى قوم موسى ومن معه أنهم نذير شؤم بسبب ما حل بهم ، كما يذكر القرآن الكريم أيضا أن كل هذا حصل قبل أن تحمل الكوارث⁽⁴⁾ على قوم فرعون ، ولا بد أنها استمرت فترة طويلة ، فمثلا هجوم أسراب الجراد يخلف آثارا لعدة أشهر ، ومن خلال ذلك يمكن تحديد بقاء موسى في مصر من ثمانية إلى عشر سنوات⁽⁵⁾ .

بينت الآيات السابقة الوضعية التي كان عليها بنو إسرائيل ، وما أصابهم من جراء طول إقامتهم في مصر ، وما تحويه من أخبار تعتبر كأدلة على أنهم كانوا مقيمين في مصر وأنهم استقروا بها فترة من الزمن ، لكنها لم توضح حدودا لهذه الأرض ولا زمن المدة التي قضوها فيها.

ب- مكان تلقي موسى الوحي وقدسيته

- تحديد المكان وصفته

بعد قضاء موسى عليه السلام الأجل المتفق عليه غادر مدين مع أهله ، وأثناء عودته إلى مصر نزل

1. لؤي فتوحى ، المرجع السابق ، ص 115 .

2. سورة الأعراف ، الآية 129 .

3. سورة الأعراف ، الآية 130 .

4. جاءت هذه الكوارث التي حلت بقوم فرعون في قوله تعالى : ﴿ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ سورة الأعراف ، الآية 133 .

5. المرجع نفسه .

عليه الوحي للمرة الأولى ، وهنا لا بد من تعيين المكان الذي تلقى فيه الوحي ، من أجل تحديد الموقع لهذا المكان ، وذلك استنادا إلى النصوص الدينية ، ونبدأ أولا بما جاء في التوراة في سفر الخروج : (وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنَ مَدْيَانَ . فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورَيْبٍ⁽¹⁾ . وَظَهَرَ لَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ بِلَهَيْبِ نَارٍ مِنْ وَسْطِ عُلَيْقَةٍ . فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ وَالْعُلَيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ . فَقَالَ مُوسَى امِيلُ الْآنَ لِأَنْظُرَ هَذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ . لِمَاذَا لَا تَحْتَرِقُ الْعُلَيْقَةُ . فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ تَادَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسْطِ الْعُلَيْقَةِ وَقَالَ مُوسَى . فَقَالَ هَآنَذَا . فَقَالَ لَا تَقْتَرِبْ إِلَى هَهُنَا . اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ . لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ)⁽²⁾ .

ثم تشير التوراة أن برية سيناء هي تسمية الصحراء للمكان الواقع مقابل جبل سيناء⁽³⁾ ، ولم تحدد التوراة موقع هذه الصحراء أو الجبل غير أنه يسمى بسيناء ، فيذكر الإصحاح التاسع عشر بعد أن مضى موسى من مديان : (فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَاءُوا إِلَى بَرِّيَّةِ سِينَاءَ . ارْتَحَلُوا مِنْ رَفِيدِمَ وَجَاءُوا إِلَى بَرِّيَّةِ سِينَاءَ . فَتَزَلُّوا فِي الْبَرِّيَّةِ . هُنَاكَ نَزَلَ إِسْرَائِيلُ مُقَابِلَ الْجَبَلِ)⁽⁴⁾ .

تذكر التوراة أن إسم الجبل هو حوريب ، وقد استمر البحث عن هذا الجبل في سيناء ، غير أنه لم يوجد بهذا الإسم (حوريب) ، وقد فهم ذكر العليقة في التوراة على أنها تشير إلى البركان ، ولم يتم إيجاد أية آثار لنشاطات بركانية في سيناء ، فانتقل البحث عن هذا الجبل في مناطق بركانية في شمال الحجاز ، ولم يتحصل على معلومات تفيد أن جبل حوريب كان هناك⁽⁵⁾ .

1. حوريب : يسمى جبل سيناء في التوراة ويطلق على شبه جزيرة سيناء ، ويشار إليه بأنه (الجبل) أو (جبل الله) أو (جبل الإله في حوريب) وجاء في سفر الخروج أن اليهود ضربوا خيامهم عند سفحه بعد خروجهم من مصر ، بينما صعد موسى إلى قمته وتسلم الوصايا العشر ، ولا يعرف أي الجبال في سيناء هو الجبل المقصود ، فيرى البعض أنه جبل موسى ويرى البعض أنه جبل سوريان القريب منه . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص1857 .

2. سفر الخروج ، الإصحاح 3 ، الفقرة 1- 5 .

3. أحمد عبد الواحد ، تاريخ وجغرافية بني إسرائيل في القرآن : <http://.Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs.htm-101k>

4. سفر الخروج ، الإصحاح 19 ، الفقرة 1- 2 .

5. كمال الصليبي ، المرجع السابق ، ص 80 .

إذن كانت هناك عدة محاولات من طرف علماء الآثار للبحث عن منطقة جبل حوريب ، وإيجاد علاقة بينه وبين جبل سيناء ، بل محاولة الربط بينهما ، ومحاولتهم أيضا تحديد موقع هذا الجبل بالحجاز أم بفلسطين ، غير أنهم لم يجدوا نصا أثريا يؤكد ذلك .

ونحاول تحديد هذا المكان من خلال عرض بعض الآيات القرآنية ، التي جاءت موضحة بعضها ببعض ، قال ﷻ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (1) ،

فهذه الحادثة تتشابه مع ما ورد في نص التوراة ، وقد ذكر المفسرون (2) أن موسى ﷺ بعد انقضاء الأجل غادر مدين ، وأثناء عودته تلقى الوحي ، وذلك في ليلة مظلمة وباردة وقد كان يبحث عن الدفء ضالاً طريقه ، فاتجه صوب النار التي كانت تتقد ونزل بواد يسمى طوى (3) ، وهذا الاسم محل اختلاف بين المفسرين.

فقد ذهب بعض المفسرون إلى أن هذا المكان في الصحراء ، فقد عرف أهل البادية بإشعال النار غالبا لهداية الضال عن الطريق ، فما كان من موسى إلا أن يأتي أهله بقبس من نار ليتدفئوا به ، أو ليهتدي على ضوئها إلى الطريق (4) .

وقد عرفت صحاري سيناء والنقب جنوب فلسطين ووادي عربة حتى خليج العقبة بأنها مراعي خصبة لمواشي البدو الرحل ، كما عرف وادي العريش أو وادي مصر في سيناء بأنه نهر دائم

1. سورة طه ، الآية 9-13 .

2. وقد ذكرت هذه الحادثة في كتب التفسير . أنظر : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المصدر السابق ، مج 6 ، ص 171 - 172 . محمد بن عمر الزمخشري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 54-55 . مصطفى أحمد المراغي ، تفسير المراغي ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ط ، د.ت) ، ج 16 ، ص 97 ، 99 . محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ج 16 ، ص 194 ، 198 .

3. جاء في تفسير كلمة طوى عدة معاني : طوى بالضم والكسر وهو منصرف وغير منصرف وجاء في تفسيره عدة معاني منها أن المكان المقصود به الواد ، وقيل أنه طوى مرتين أي قدس مرتين ، معنى أن موسى طواه بالليل ، وصعد على الواد . أنظر : محمد بن عمر الزمخشري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 55 . محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المصدر السابق ، مج 6 ، ص 175 . محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ج 16 ، ص 197-178 .

4. سيد قطب ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 2330 .

الجريان وهو ينبع من جبال سيناء (جبل الطور) ⁽¹⁾ مصاحبا روافد قبل أن يصب في البحر المتوسط جنوب غزة ⁽²⁾.

وهناك اتفاق بين التوراة والقرآن على أن المكان كان في صحراء ، لكن في الواقع لم يجدوا موقعا للصحراء ، فكل ما ذكر أنه جبل كان به واد ، فالتوراة تذكر أنه جبل سيناء بوادي عربية، والقرآن يذكر أنه جبل طور (سيناء) بواد مقدس ، فكان هذا المكان مقدسا وطاهرا كما دلت على ذلك الآية (فانزع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) ، وهنا نلمح اتفاقا بين التوراة والقرآن الكريم بقدسية المكان الذي وقف عليه موسى.

فكان هذا العمل احتراما وتكريما لذلك المكان والرفع من قداسته ⁽³⁾ ، وقد اقترنت طوى بهذا الوادي الذي أضافه الله ﷻ عليه الاسم ، وهو أرجح الأقوال والذي اتفق عليه المفسرون ، فهذا الوادي لما كان نزول الوحي به كانت له هذه القداسة ، وكان موقعه بأرض مباركة، و خصها الله بهذه المكانة دون سائر الأماكن وأعطاهما فضلا عظيما ، والاحتمال الوارد أن تكون هذه البقعة بالأرض المباركة التي ذكرت عدة مرات في القرآن الكريم مقترنة بالأنبياء كما مر بنا سابقا.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن ، أين كان يقع هذا الواد ؟ ، وللإجابة على هذا السؤال نستند إلى بعض الآيات وفي ذلك يقول ﷻ : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ⁽⁴⁾.

1. وردت كلمة طور عدة مرات في القرآن الكريم معرفة وغير معرفة ، ويضاف إليها في بعض الأحيان سيناء ، وهذه بعض المواضع التي وردت بها الكلمة : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ سورة البقرة ، الآية 63 . ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ سورة مريم ، الآية 52 . ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ ﴾ سورة القصص ، الآية 46 . ﴿ وَالطُّورَ وَكِتَابَ مَسْنُورٍ فِي رِزْقٍ مَنشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ سورة الطور ، الآية 1- 3 . ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَطُورَ سَيْنِينَ ﴾ سورة النين ، الآية 1- 2 .
2. رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 101 .
3. محمد بن عمر الزمخشري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 55 .
4. سورة القصص ، الآية 29- 30 .

هذه الآية كانت أكثر وضوحاً من الآية السابقة ، فقد بينت أن الوادي كان بجانب الطور قالوا وادي إذن كان ينبع من الجبل (الطور) وقد كان موسى في الجانب الأيمن من الوادي .
- الاتفاق على قدسية المكان

ونأتي لنصل إلى كلمة الطور المقصود بها في القرآن الكريم ، ونجد اتفاقاً بين المفسرين في معنى الكلمة التي هي الجبل الذي أوحى إلى موسى بجانبه ، وقد تميز هذا المكان بوجود واد مقدس ، وكانت بهذا الشاطئ أو الوادي شجرة ذكرت في التوراة بأنها شجرة العليق ، وقد حاول بعض المفسرين ربط اسمها بما ورد في القرآن الكريم ، حيث أنه بين نوعها في آيات أخرى ، ووصفت بأنها تقع بيقعة من أرض مباركة ، وذكرت في قوله **وَبَيْنَ يَدَيْهِ** : **﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبِغٍ لِللَّاكِلِينَ﴾** (1) ، فهذه الشجرة هي شجرة الزيتون وهذا رأي أغلبية المفسرين ، باعتبار أنها أفردت دون سائر الأشجار ، وكان زيتها يدهن به ويؤكل .

وهذه الشجرة خصت بالذكر لما تحويه من منافع في أرض الشام والحجاز ، وكان منبتها في هذا الجبل المبارك ، وطور سيناء من أرض الشام (2) .

وهناك من ذكر أن أصل هذه الشجرة من جبال سيناء ، ثم انتشرت في حوض البحر المتوسط ، ومعنى هذا أن المناخ كان مناسباً في شبه جزيرة سيناء لنمو مثل هذه الشجرة ، وقد ازدهرت بسبب ما تميزت به المنطقة من أمطار وجو معتدل ، فكانت ملائمة لنمو نباتات كثيرة (3) .

وكانت هذه الشجرة أكثر وصفاً في قوله **وَبَيْنَ يَدَيْهِ** : **﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾** (4) ، فهذه الشجرة كانت مباركة وزيتونة .

فكانت هذه الشجرة ذات فوائد كبيرة ، في جبل مرتفع بحيث لا تحجب عن الشمس ، وكانت شرقية غربية ، تتميز بصفاء زيتها (5) .

1. سورة المؤمنون ، الآية 20 .

2. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المصدر السابق ، مج 6 ، ص 114 .

3. رجا عبد الحميد عربي ، المرجع السابق ، ص 101 .

4. سورة النور ، الآية 35 .

5. مصطفى أحمد المراغي ، المرجع السابق ، ج 18 ، ص 10 .

فهي شجرة تتوسط الوادي فلا هي في الجزء الشرقي ولا في الجزء الغربي من الوادي وليست منحازة لأي جانب منهما ، وميزتها أنها مباركة في واد مقدس في طور سيناء .

وإذا رجعنا إلى كلمة طور سيناء في الآية السابقة نجد أن المفسرين يذكرون سيناء على أنها كلمة أعجمية وهي تعني كثرة الشجرة ، ولهذا السبب سمي بسيناء ، لكن أين موقعه ؟ .

وهناك من يذكر أن الجبل (طور سيناء) إسم لجبل الغابة ، هو سلسلة جبال فلسطين ، وهو في الأصل جبل واحد يمتد من مدينة نابلس شمالا إلى مدينة الخليل جنوبا⁽¹⁾ .

ذكر أحد المفسرين أن هذا الجبل بأرض الشام⁽²⁾ ، غير أن هناك من ذكر أن الجبل في صحراء سيناء الواقعة بين عقبة أيلة ومصر ، وهي من بلاد فلسطين في القدم⁽³⁾ ، وليس هناك من دليل يؤكد على أن جبل سيناء هو الجبل الواقع في صحراء سيناء ، وهناك اختلاف على موقع هذا الجبل ، وليس هناك تحديد لموقعه الأصلي .

ونعود للحديث عن شجرة الزيتون التي ذكرت في مكان آخر ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ وَطُورِ سَيْنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾⁽⁴⁾ ، فأشارت الآية الكريمة إلى شجرة الزيتون مقترنة بالتين وطور سينين ومكة المكرمة ، كما اقترنت أيضا في آية أخرى بالنخل في قوله ﷺ: ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾⁽⁵⁾ ، وأغلب الظن أن هذه الأشجار تشير إلى أماكن مقدسة في الأرض المباركة كما تشير إلى أماكن لها صلة وعلاقة بالدين .

وهناك من أشار أثناء تتبعه للآيات القرآنية إلى الأماكن التي احتوتها الأرض المباركة ، فذكر أنها أرض الجزيرة العربية بما فيها مكة المكرمة وأرض الشام بما فيها فلسطين التي احتوت المسجد الأقصى وكذلك أرض مصر .

1. أحمد عبد الواحد ، تاريخ وجغرافية بني إسرائيل في القرآن : <http://.Kalwid.qoi.com/chapters/pt1chs.htm-101k> .

2. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المصدر السابق ، مج 6 ، ص 115 .

3. محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ج 18 ، ص 34 .

4. سورة التين ، الآية 1- 3 .

5. سورة عبس ، الآية 29 .

وبهذا تتضح الرؤية بالنسبة للأرض المباركة وما تحويه من أماكن مقدسة ، والتي مازالت محل خلاف بين الباحثين وحتى المفسرين أنفسهم ، ونستطيع القول أن الأرض التي نزل بها موسى عليه السلام تخلو أن تكون في إحدى الصحاري الثلاث صحراء سيناء ، صحراء النقب⁽¹⁾ صحراء الجزيرة العربية.

5- خروج بني إسرائيل من مصر

تذكر الروايات التاريخية أن بني إسرائيل بعد أن مكثوا بمصر خرجوا منها في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، واختلفت في السنة التي تم فيها ذلك⁽²⁾ ، وقد كان مقصدهم الأرض المقدسة ، فهذا الحدث الهام تحدثت عنه النصوص الدينية ، ولا ذكر له في المستندات والوثائق التاريخية التي تجاهلت هذا الحدث ونفته تماما .

فالتوراة لم تحدد الزمن الذي خرج فيه بنو إسرائيل سوى أنها تذكر أنهم بقوا في مصر مدة 430 سنة ، وأن عددهم أثناء خروجهم كان 600 ألف رجل باستثناء النساء والأطفال⁽³⁾ ، وهذا الرقم مبالغ فيه فلو كانوا بهذا العدد الضخم لأحدثوا ضجة وخلفوا آثارا كبيرة في المنطقة وتحدثت عنهم الوثائق التاريخية ؟ فقد كانوا يمثلون فئة صغيرة كما أشار إلى ذلك القرآن ولم يفصل في عددهم .

بعد حادثة قتل المواليد الأبرار للمصريين وحيواناتهم ليلا وافق فرعون على طلب موسى عليه السلام الذي وجه خطابه بالخروج : (وَقَالَ قَوْمًا آخِرُجُوا مِن بَيْنِ شَعْبِي انْتُمَا وَبَنُو إِسْرَائِيلَ جَمِيعًا. وَأَذْهَبُوا عِبُدُوا الرَّبَّ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ. خُذُوا غَنَمَكُمْ أَيْضًا وَبَقَرَكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ وَأَذْهَبُوا. وَبَارِكُونِي أَيْضًا)⁽⁴⁾ .

1. النقب : منطقة تضاريس قليلة الارتفاع تحتل جنوبي فلسطين وتشغل نحو ثلث مساحتها ، وهي على شكل مثلث قاعدته في الشمال ورأسه الضيق يمتد حتى خليج العقبة في الجنوب ، والمنطقة شبه صحراوية لا تكفي أمطارها للزراعة ولهذا قد استغلها البدو في الرعي . أنظر : محمد عبد الخالق محمد فضل ، محمد عبد العال محمد وآخرون ، الموسوعة العربية العالمية ، (الرياض : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ط2 ، 1419هـ - 1999م) ، ج 17 ، ص 449.
2. نجد بعض المصادر تحدد خروج بني إسرائيل بـ 1290 و بـ 1237 وبعضها بـ 1220 وبعضها الآخر بـ 1213.
3. أنظر : سفر الخروج ، الإصحاح 1 ، الفقرة 5 ، الإصحاح 12 ، الفقرة 37 .
4. سفر الخروج ، الإصحاح 12 ، الفقرة 31-32 .

وتختلف التوراة عن القرآن الكريم إذ أنها تنص على موافقة فرعون لطلب موسى ﷺ بالمغادرة والسماح له بإخراج بني إسرائيل من مصر، بينما القرآن ينص على عدم الموافقة ويظهر ذلك في قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ فَاتَّقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (1).

إذن لم يسمح فرعون بمغادرة موسى ﷺ لبني إسرائيل ، بل تبعهم فكان أن أمر الله موسى ﷺ بضرب البحر بعصاه ليفتح فيه طريقا يشقه هو ومن معه ، وهذا واضح بأن موسى كان قريبا من منطقة ساحلية ، وتمكن موسى ﷺ وبنو إسرائيل من اجتياح هذا الطريق ووصل إلى الجهة الأخرى من البحر ، وقضى الله على فرعون وجنوده بأن أغرقهم.

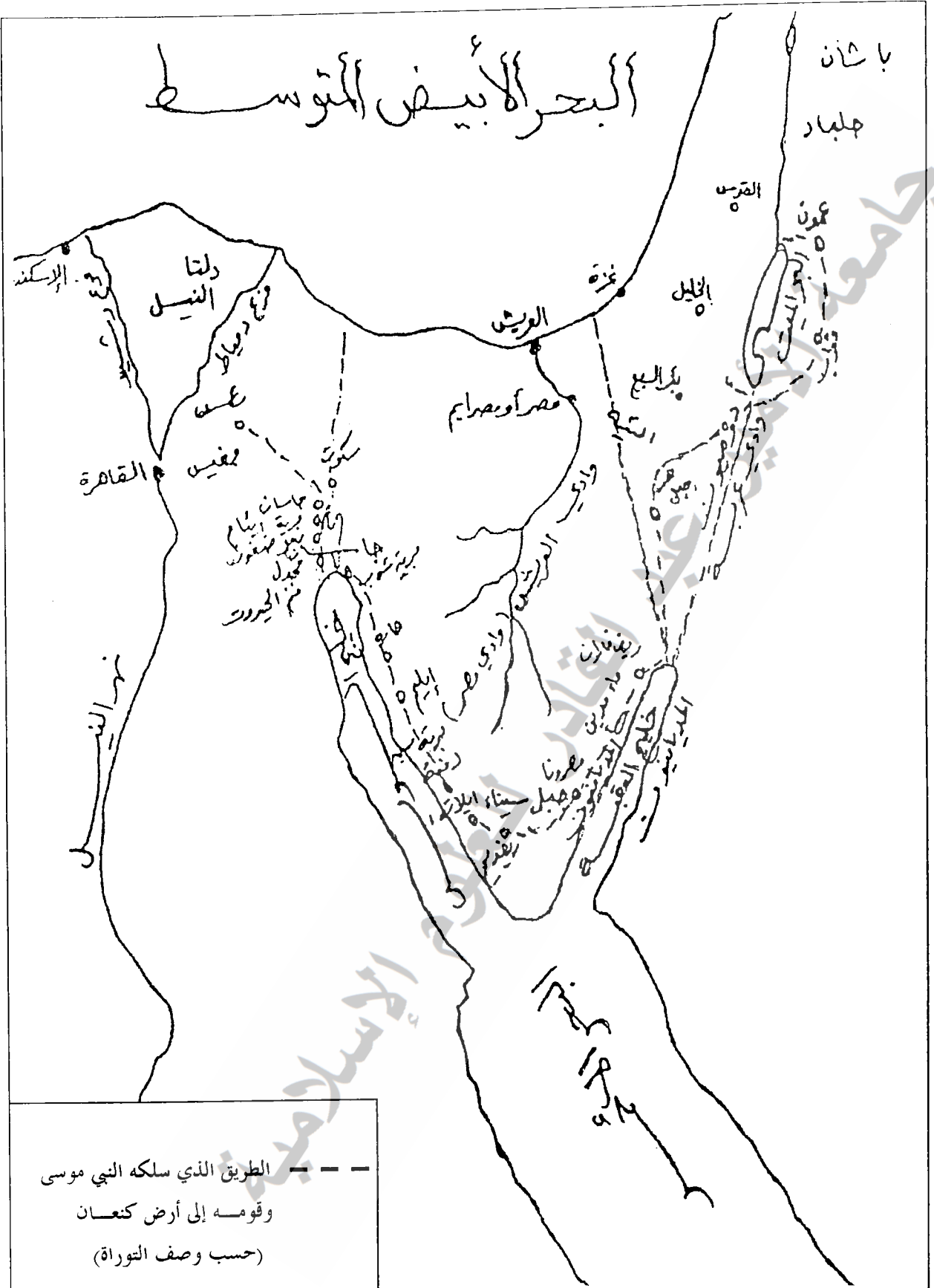
ويقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (2).
وفي هذه الآية إشارة واضحة إلى أن خروج موسى كان بوحى من الله ، وقد استند المؤرخون في خروج بني إسرائيل من مصر إلى رواية التوراة وتتبعوا المناطق التي مروا بها .

ويتضح من سفر الخروج أن الطريق الذي سلكه موسى ﷺ كان باتجاه البحر الأحمر (3) ، أقصى الشمال من خليج السويس ، ثم اتجه وقومه بعد نجاتهم من الغرق شرقا وشمالا بخط شبه مستقيم

1. سورة الأعراف ، الآية 132 – 136 .

2. سورة طه ، الآية 77 .

3. البحر الأحمر : هو بحر يفصل آسيا عن إفريقيا ، وكان العبرانيون مدة إقامتهم في مصر يسمونه البحر وسمي أيضا بحر مصر وبحر سوف وأطلق اليونانيون اسم البحر الأحمر على هذا البحر والخليج العجمي ، ويسميه العرب بحر الحجاز وطوله يوصله بالمحيط الهندي مضيق باب المندب ويضيق إلى جهة طرفيه وفي الشمال ينقسم إلى خليجين ، خليج العقبة إلى الشرق ، وخليج السويس إلى الغرب ، وتنحصر شبه جزيرة سيناء بين خليجين . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 162-163.



- - - - الطريق الذي سلكه النبي موسى
 وقومه إلى أرض كنعان
 (حسب وصف التوراة)

خروج موسى عليه السلام

متجاوزين صحراء سيناء وصحراء النقب ، من المدخل الجنوبي لوادي عربة ، وسار شمالا في بطن الوادي حتى الجبل جنوب البحر الميت⁽¹⁾.

وقد اقتبس الطريق الذي سلكه موسى عليه السلام من سفر الخروج ، وهو ملخص لما ورد في الإصحاح الخامس عشر : (ثُمَّ ارْتَحَلَ مُوسَى بِإِسْرَائِيلَ مِنْ بَحْرِ سُوفَ وَخَرَجُوا إِلَى بَرِّيَّةِ شُورَ . فَسَارُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ)⁽²⁾.

ثم يتابع الإصحاح هذه الرحلة : (ثُمَّ جَاءُوا إِلَى إِيلِيمَ وَهُنَاكَ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَ مَاءٍ وَسَبْعُونَ نَخْلَةً . فَزَلُّوا هُنَاكَ عِنْدَ الْمَاءِ)⁽³⁾.

ويبدو واضحا أن الطريق كان طويلا إذ تستمر التوراة في مواصلة مسيرة موسى عليه السلام ليصل إلى المكان الذي أدرکهم فيه فرعون مصر وأخيرا إلى سيناء ، ثم يتابع الإصحاح السادس عشر هذه الرحلة : (ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ إِيلِيمَ وَأَتَى كُلُّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّيَّةِ سِينَ الثِّي بَيْنَ إِيلِيمَ وَسِينَاءَ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الثَّانِي بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ)⁽⁴⁾ ، ثم جاء في الإصحاح السابع عشر : (ثُمَّ ارْتَحَلَ كُلُّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينَ بِحَسَبِ مَرَاحِلِهِمْ عَلَى مُوجِبِ أَمْرِ الرَّبِّ وَنَزَلُوا فِي رَفِيدِمَ)⁽⁵⁾ ، وجاء في الإصحاح التاسع عشر : (ارْتَحَلُوا مِنْ رَفِيدِمَ وَجَاءُوا إِلَى بَرِّيَّةِ سِينَاءَ فَزَلُّوا فِي الْبَرِّيَّةِ . هُنَاكَ نَزَلَ إِسْرَائِيلُ مُقَابِلَ الْجَبَلِ)⁽⁶⁾ وفي نفس الإصحاح : (وَنَزَلَ الرَّبُّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ)⁽⁷⁾.

هذه الرواية التي ساقها التوراة رفضت من بعض الباحثين بل أنكروا قصة الخروج أصلا ، ويتضح من نصوص التوراة صعوبة دخول موسى وبني إسرائيل إلى الأرض المقدسة ، ونجد أن القرآن الكريم لم يفصل في الطريق الذي سلكه موسى وإنما أشار فقط إلى الجهة التي اتبعها موسى ، وذكر أنه

1. أحمد عبد الواحد ، تاريخ وجغرافية بني إسرائيل في القرآن : <http://Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs.htm-101k> .

2. سفر الخروج ، الإصحاح 15 ، الفقرة 22 .

3. سفر الخروج ، الإصحاح 15 ، الفقرة 27 .

4. سفر الخروج ، الإصحاح 16 ، الفقرة 1 .

5. سفر الخروج ، الإصحاح 17 ، الفقرة 1 .

6. سفر الخروج ، الإصحاح 19 ، الفقرة 2 .

7. سفر الخروج ، الإصحاح 19 ، الفقرة 20 .

عبر البحر ولم يعين أي بحر كان يقصد ، غير أنه حدد من طرف الباحثين بأنه البحر الأحمر .

إن القرآن الكريم بين أن موسى عليه السلام لما خرج من مصر مع بني إسرائيل تتبع أثرهم فرعون وقومه وعين وجهتهم فقال **وَعَلَىٰ** : ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَائِتُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ (1).

وقد ذكر كثير من المفسرين (2) أن بني إسرائيل تم خروجهم بالليل ولاحقهم فرعون بالصباح الباكر ؛ أي حين شروق الشمس ، وهناك من خالف هذا الرأي وحاول إيضاح كلمة مشرقين بأنها تعني نحو الشرق وقدم بذلك عدة أدلة ، منها إشارة القرآن الكريم إلى ملاحقة فرعون موسى وقومه التي تستوجب عدة أيام من أجل لم قوته وتجميعها باعتبارها كانت منتشرة ، لا عدة ساعات كما ذهب المفسرون ، فلم تكن مغادرتهم إذا في اليوم التالي عند شروق الشمس ، كما أن القرآن يستعمل أحيانا لفظ مشرق ومغرب وأحيانا أخرى مشارق ومغارب وهو بذلك يشير إلى الجهات الأربع (3).

6- محاولة دخول بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة

أهم حدث رئيسي يذكر كهدف للخروج يتمثل في دخول بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة ، وقد وقع عليها اختيار موسى عليه السلام واتجه نحوها ، غير أنه لم يدخلها ، وتذكر التوراة أن موسى بعث ببعض الجواسيس من أجل تفقد المنطقة واستقصاء أخبارها ومعرفة أحوالها ، فلم تكن سهلة المنال ولا مكشوفة للأعداء ، فوجدوا الأرض أنها محصنة ، وهذا دليل على صعوبة اختراقها وفتحها كما أن بها أقواما كثيرة .

1. سورة الشعراء ، الآية 53- 66 .

2. أنظر : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المصدر السابق ، مج 7 ، ص 105 . مصطفى أحمد المراغي ، المرجع السابق ، ج 16 ، ص 67 . إسماعيل ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، المصدر السابق ، مج 3 ، ص 370 . جلال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين ، (بيروت: دار المعرفة ، دط ، دب ، دت) ، ص 489 .

3. لؤى فتوحى ، المرجع السابق ، ص 146- 147 .

وفي ذلك يذكر الإصحاح الثالث عشر من سفر العدد: (وَأَخْبَرُوهُ (موسى) وَقَالُوا قَدْ ذَهَبْنَا إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي أَرْسَلْتَنَا إِلَيْهَا وَحَقًّا إِنَّهَا تَفِيضُ لَبْنًا وَعَسَلًا وَهَذَا ثَمَرُهَا. غَيْرَ أَنَّ الشَّعْبَ السَّاكِنَ فِي الْأَرْضِ مُعْتَزٌّ وَالْمُدُنُ حَصِينَةٌ عَظِيمَةٌ جَدًّا. وَأَيْضًا قَدْ رَأَيْنَا بَنِي عَنَاقَ هُنَاكَ. الْعَمَالِقَةُ سَاكِنُونَ فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ وَالْحِثِّيُونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ وَالْأَمُورِيُّونَ سَاكِنُونَ فِي الْجَبَلِ وَالْكَنَعَانِيُّونَ سَاكِنُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ وَعَلَى جَانِبِ الْأُرْدُنِ)⁽¹⁾.

ونجد هنا عدم تعارض بين التوراة والقرآن في محاولة الدخول إلى الأرض المقدسة ، هذه الأرض التي اختلف المفسرون حولها ، والدليل الذي أوضح عدم دخول موسى إلى الأرض المقدسة بعدما جاءهم الأمر الإلهي بدخولها ، فقال **وَعَلَيْكُمْ** : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾⁽²⁾ ، فهذه الآية دلت على محاولة موسى إقناع بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة بعد نجاحهم من فرعون فاتحها كعادة الأنبياء ، ودخولها يعني الحرب مع سكانها ، غير أن بني إسرائيل رفضوا دخولها لأنهم كانوا يخافون الحرب وكان بها قوما أقوياء ، وهذه دلالة واضحة على جبنهم أو أنهم كانوا قلة صغيرة العدد .

أ- معنى الأرض المقدسة

بعد هذا التقديم نأتي إلى معنى كلمة الأرض المقدسة التي وردت في عدة آيات ، ووردت كلمة الأرض⁽³⁾ منفصلة عن المقدسة في بعض الآيات ، وقبل ذلك لا بد أن نشير إلى كلمة المقدسة التي وردت في الآية السابقة (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة ...).

1. سفر العدد ، الإصحاح 13 ، الفقرات 27-29 .
2. سورة المائدة ، الآية 21-22 .
3. وردت لفظة الأرض في عدة مواضع منها : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾ سورة المائدة ، الآية 22. ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ﴾ سورة الإسراء ، الآية 104. ﴿ وَتَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَتَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ سورة القصص ، الآية 5-6. ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ سورة الأعراف ، 128. ﴿ وَأَوْزَيْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾ سورة الأعراف ، الآية 137.

وقد أخذت كلمة المقدسة من التقديس وهو بمعنى التطهير والتبريك ، فأصل التقديس التطهير⁽¹⁾ ، كما جاء معنى البيت المقدس أنه المطهر من النجاسة ، أي الشرك⁽²⁾.

أما من ناحية المقصود بها في كتب التفاسير أنها تعني أرض بيت المقدس ، وهناك اختلاف بينهم ، فمنهم من ذكر أنها الطور وما حوله ، ومنهم من قال بأنها الشام ، ومنهم من ذكر أنها فلسطين ودمشق وبعض الأردن⁽³⁾ . وهذه الأرض لا تخرج عن الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر بإجماع جميع أهل التأويا والسير والعلماء بإخبار على ذلك⁽⁴⁾

إن الاحتمال الوارد أن الأرض المقدسة لا يستبعد أن يكون المراد بها أرض فلسطين فقط ، ولم تقُدس أرض غيرها ، وقد وردت هذه العبارة في القرآن مرة واحدة فقط ، وأن الله عز وجل حينما خاطب موسى وقومه كانوا بمصر ، وهذا يعني أن مصر ليست بالأرض المقدسة ، فلو كان موسى عليه السلام في أرض مقدسة لما قال لهم الله ادخلوا الأرض المقدسة وهم بداخلها.

تحدثت الآية الكريمة عن مشارق الأرض ومغارها التي أورثها الله لبني إسرائيل بعد نجاة موسى من فرعون في قوله وَكَلَّمَ : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾⁽⁵⁾ .

وقد ذكر المفسرون عدة معاني لكلمة مشارق الأرض ومغارها ، ومن ذلك أن بني إسرائيل ورثوا أرض الشام ومصر⁽⁶⁾ ، ومنهم من ذكر بأنها تعني أرض الشام لأن الآية هنا وصفت الأرض بأن الله بارك فيها⁽⁷⁾ إذن فهي لا تخرج عن إطار الشام ومصر كما ذكر المفسرون .

1. ابن منظور ، لسان العرب ، (د.م: دار المعارف ، د.ط ، د.ت) ، ج5 ، ص 3549-3550 .

2. الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد خليل عتياني ، (بيروت : دار المعرفة ، ط1 ، 1418هـ - 1998م) ، ص 397 .

3. محمد بن عمر الزمخشري ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 620 .

4. محمد بن جرير الطبري ، المرجع السابق ، ج6 ، ص 172 .

5. سورة الأعراف ، الآية 137 .

6. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المصدر السابق ، مج4 ، ص 272 .

7. محمد بن جرير الطبري ، المرجع السابق ، ج9 ، ص 43-44 .

نجد في الآية الكريمة أن الله عزوجل قد كافأ بني إسرائيل على تحملهم مشاق فرعون بوراثة الأرض ، وهذه الوراثة كانت لفترة وبسبب فساد بني إسرائيل زال ذلك الميراث .
وقد ورد تفسير لعبارة " مشارق الأرض ومغاربها " التي تعني أن الوراثة التي خص بها الله بني إسرائيل إنما كانت كل الأرض المقدسة ، كما أنها تعني بأن الأرض المقدسة كانت كبيرة بحيث أشار إلى مشارقها ومغاربها⁽¹⁾.

فهناك احتمالان : فالأول أن عبارة المشارق والمغارب مرتبطة بالأرض المقدسة والتي يقصد بها فلسطين وهي بذلك تمتد من النهر إلى البحر ، أي من شرق فلسطين إلى غربها ، و الثاني أن تكون مرتبطة بالأرض المباركة ، فتكون أوسع من الأرض المقدسة ، وتترامى أطرافها لتشمل جهة المشرق وجهة المغرب أو تكون أوسع منهما .

وقد جعلت التوراة حدودا لهذه الأرض وهي تمتد من النيل إلى الفرات ، فقد جاء في الإصحاح الأول من سفر التثنية : (الرَّبُّ إِلَهُنَا كَلَّمَنَا فِي حُورِيبَ قَائِلًا . كَفَاكُمْ قُعُودٌ فِي هَذَا الْجَبَلِ . تَحَوَّلُوا وَارْتَحِلُوا وَادْخُلُوا جَبَلَ الْأُمُورِيِّينَ وَكُلُّ مَا يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبَةِ وَالْجَبَلِ وَالسَّهْلِ وَالْجَنُوبِ وَسَاحِلِ الْبَحْرِ أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ وَكَبْتَانَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ . أَنْظَرُ قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكُمْ الْأَرْضَ . ادْخُلُوا وَتَمَلَّكُوا الْأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِآبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ وَلَتَسْلِيَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ)⁽²⁾.

ويتضح مما سبق أن الأرض المقدسة ضمن الأرض المباركة ، فهي من الناحية الروحية مركز الأنبياء والرسالات السماوية ، ومحل شرائع الله ومهبط الوحي ، فقد نجا الله إليها إبراهيم ولوطا عليهما السلام ، وضمنت جبل طور آين تلقى موسى عليه السلام الشريعة ، وانتقل إليها داود وسليمان ، وبها المسجد الأقصى والكعبة المشرفة كما ذكرنا سابقا ، ومن الناحية الحسية هي الأرض التي بوركنا بالأشجار والثمار والوديان ، وأقسم الله بتينها وزيتونها ، وهي الأرض التي تتمتع بثروات وخيرات كثيرة ، وهي التي تذر لنا وعسلا كما عبرت التوراة ، وإضافة إلى ذلك هي منبع الحضارات القديمة التي لا تزال آثارها ضاربة في القدم .

1. لؤي فتوحى ، المرجع السابق ، ص 153 .

2. سفر الخروج ، الإصحاح 1 ، الفقرات 6-8 .

ب- غاية دخول الأرض المقدسة

وتساءل بعض العلماء المسلمين ما الداعي من أمر الله بدخول الأرض المقدسة : هل من أجل امتلاك الأرض والسكن فيها ؟ أم من أجل القتال لنشر الدعوة ؟ وهذا هو الهدف الحقيقي ، وإلا ما ذنب أهل الأرض حتى يقتلوا وتسكن أرضهم ، وما كان هدف اليهود من السكن مع الكنعانيين ، وهل يتركوهم على ما هم عليه من شرك بالله (1).

فالهدف من دخول الأرض المقدسة فتحها ، ودعوة قومها إلى عبادة الله ، وإيجاد موطن لبني إسرائيل يستقرون به ، بعدما ذاقوا ألوانا من العذاب من فرعون مصر ، فآن لهم أن يرتاحوا من طول المعاناة ، مع السكن والاختلاط بالسكان الأصليين أصحاب الأرض ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، فكان من كرم الله على بني إسرائيل الدخول إلى الأرض المقدسة ، غير أنهم أبوا واستكبروا فكان عقابهم أن منعوا من دخولها وهم على أبوابها ومشارفها.

ج- تحريم دخول الأرض المقدسة

لا بد أن نشير أن الله عز وجل حينما كتب لبني إسرائيل دخول الأرض المقدسة فكان جزاء عدم إمتثالهم أن عوقبوا بالتيه أربعين سنة ، ودلت على ذلك النصوص الدينية و من ذلك ما ورد في التوراة : (فَجُتُّكُمْ أَنْتُمْ تَسْقُطُ فِي هَذَا الْقَفْرِ وَبُنُوكُمْ يَكُونُونَ رُعَاةَ فِي الْقَفْرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَيَحْمِلُونَ فُجُورَكُمْ حَتَّى تَفْنَى جُتُّكُمْ فِي الْقَفْرِ . كَعَدَدِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَحَسَّسْتُمْ فِيهَا الْأَرْضَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا لِلسَّنةِ يَوْمٌ تَحْمِلُونَ ذُنُوبَكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَتَعْرِفُونَ ابْتِعَادِي ... فِي هَذَا الْقَفْرِ يَفْنُونَ وَفِيهِ يَمُوتُونَ) (2).

ومعنى هذا أن التحريم كان للجبل المعاصر لموسى عليه السلام الذي عصى الله فحقت عليهم لعنته وأفناهم من الأرض حتى ينشأ جيل آخر ، كما تحدث القرآن الكريم عن تيه بني إسرائيل في قوله عَلَيْكَ : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (3).

1. أحمد حجازي السقا ، نقد التوراة " أسفار موسى الخمسة " ، (بيروت : دار الجبل ، ط 1 ، 1416 هـ - 1995 م) ، ص 314 - 315 .

2. سفر العدد ، الإصحاح 14 ، الفقرات 22 - 25 .

3. سورة المائدة ، الآية 24-26 .

فكانت نتيجة عناد بني إسرائيل أنها حرّمت عليهم بل الأكثر من ذلك فقد كتب عليهم التيه في هذه الصحراء التي هي جزء من سيناء .

فالمقصود بالتيه ليس ضلال الطريق وإنما عدم إيجاد من يرشدهم إلى طريق الهداية ، فقد ظلوا بلا نبي ولا قائد ، فرفع عنهم الوحي (1) .

فكان إذا أن سمح الله لموسى عليه السلام بالنظر إلى الأرض عن بعد ، ومنعه من المرور إليها ، كما بين الإصحاح الرابع والثلاثون في سفر التثنية ، ومن ذلك : (وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ هَذِهِ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي أَقْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلًا لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا . قَدْ أَرَيْتَكَ إِيَّاهَا بِعَيْنِكَ وَلَكِنَّكَ إِلَى هُنَاكَ لَا تَعْبُرُهُ) (2) .

وهنا نجد توافقاً بين التوراة والقرآن الكريم والذي قرر حقيقة أن بني إسرائيل لم يتمكنوا من دخول الأرض المقدسة ومن ذلك ما ورد في الآية السابقة في حديثها عن الأرض المقدسة .

وهناك دليل آخر من السنة دل على أن موسى عليه السلام قد طلب من الله عز وجل أن يقبض روحه قريباً من الأرض المقدسة ، فكان له ما أراد ومات قريباً منها ، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ ... فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ " (3) .

هذه المعاني المستوحاة من النصوص الدينية تشير بوضوح أن موسى عليه السلام لم يدخل الأرض المقدسة ، وإنما كان بمنطقة قريبة منها .

نستطيع القول أن بني إسرائيل كانوا مقيمين بمصر فترة من الزمن بدليل النصوص الدينية وبعض الوثائق التي قرنت أحداث وقعت بمنطقة مصر ، وقد أتاحت لهم فرص في عهد يوسف عليه السلام بسبب ما منحوا من مناصب في الدولة ، غير أنه بوفاته تغير حالهم من رخاء إلى ضيق عيش .

1. أحمد عبد الواحد ، تاريخ وجغرافية بني إسرائيل في القرآن : <http://Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs.htm-101k> .

2. سفر التثنية ، الإصحاح 34 ، الفقرة 4 .

3. رواه مسلم في صحيحه ، كتاب : فضائل الصحابة ، مج 8 ، ص 127 - 128 .

والفترة بين يوسف وموسى عليهما السلام غيبت من طرف التوراة ، ولم تذكر شيئاً عن بني إسرائيل ، حيث لم يتمكنوا من الاستقرار في مصر وأذلهم فرعون مصر ، ثم جاء خروج بني إسرائيل الذي يعد من أهم وقائع تاريخ بني إسرائيل الذي مهد لهم الدخول إلى الأرض المقدسة التي كانت محل هجرة الأنبياء ونزول الوحي ، وأشار القرآن الكريم إلى قدسيتها وبركتها حينما أقسم بثمارها وأشجارها ، ومن الأرض المباركة انطلقت دعوة الأنبياء لنشر دين الله بسبب موقعها الجغرافي الذي توسط القارات ، وسهل عليهم حركة التنقل من مكان لآخر .

وقد اكتملت لدينا الصورة عن الأرض المقدسة التي كانت ضمن الأرض المباركة ، فالأولى جزء من الثانية والثانية أشمل منها ، وخصتنا في القرآن بالقداسة والبركة وفضائل متعددة.

وعن الوعد الذي ذكرناه نجد أنه قد انتهى وحل عليهم العقاب الإلهي ، بسبب عصيانهم وتمردهم على أوامر الله ، فلم يدخلوا الأرض المقدسة وقد أفنأهم الرب قبل أن تطأ أقدامهم الأرض كما عبرت عن ذلك التوراة ، وحق عليهم الشتات والتفرق في أرجاء الأرض.

كما أن القرآن لم يضع حدوداً لهذه الأرض وإنما أشار من باب التلميح فقط إلى أن الأرض كانت تمتد من مشارق الأرض إلى مغاربها وأعطى أوصافاً لها تعتبر إشارات إلى بعض المناطق ، كما أنه يبدو واضحاً أن بني إسرائيل كانوا على مشارف الأرض المقدسة قريين منها.

ولم تذكر النصوص الدينية أن بني إسرائيل قد ملكوا أي جزء منها ، بل ظلوا تائهين في أرض سيناء ، وإن كانت لهم مكانة مرموقة في عهد النبي يوسف فإنها لم تدم ، ولا نستطيع القول أن بني إسرائيل كانت لهم دولة خلال هذه الفترة أو أي حكم بل استضعفوا فيها ، وإن طال مدة إقامتهم بها ، فهذا لا يعني إعطائهم الحق بتملكها ، ولا اعتبارها موطناً لهم .

كما أن الحقائق التي توصل إليها الباحثون في إنكار هذه الفترة التاريخية ، التي أقرتها النصوص الدينية وأعلنت ذلك صراحة في كثير من المواضع ، ولم تكن ثابتة ونهائية ، وعلى هذا الأساس لا بد من البحث المستمر من أجل الكشف عن وقائع جديدة وحوادث تؤكد هذه الفترة وتغير آراءهم ، على الرغم أن ما أقره القرآن الكريم ليس بحاجة إلى تأكيد ، فالإعتماد على النصوص الدينية أمر حتمي لا يمكن تجاهله مهما كانت نتائج البحث التي توصل إليها الباحثون وعلماء الآثار.

المبحث الثاني

عصر القضاة

المطلب الأول : بنو إسرائيل بعد الآباء و قبل القضاة

قبل الحديث عن هذه المرحلة التاريخية من حياة بني إسرائيل ، نذكر أن أول دخول إلى مصر كان مع النبي يعقوب ويوسف ، إثر المجاعة التي أصابت منطقة فلسطين (أرض كنعان) ، وهو العصر الذي يتزامن مع وجود الهكسوس في مصر كما ذكرنا سابقا ، وأثناء إقامة بني إسرائيل في مصر ، ظهرت أحداث قصة سيدنا موسى عليه السلام ، والتي انتهت بخروجه من مصر بعدما استقر بها فترة من الزمن ، قاصدا أرض كنعان ، غير أنه لم يتمكن من دخولها ، ومكث مدة أربعين سنة في جزيرة سيناء ⁽¹⁾ ، وتوفي على إثرها ، ونبدأ بالفترة التي تم فيها الدخول إلى أرض كنعان.

1- بنو إسرائيل قبيل دخول الأرض المقدسة وعبورهم الأردن

توفي موسى عليه السلام قبل أن يدخل أرض كنعان ، وقد آل أمر بني إسرائيل من بعده إلى خليفته يشوع بن نون ، وهو من سبط أفرايم أحد أبناء يوسف عليه السلام ، ويذكر العهد القديم أن يشوع استطاع أن يدخل أرض كنعان مع بني إسرائيل ، وقد وجد بها سكانها الأصليين ، وقام بمحاربتهم ، وتمكن من فرض سيطرته على جزء منها ، ولم يمتلك مساحات أو أراضي شاسعة ، ويذكر الإصحاح الثالث من سفر يشوع قيادة يشوع للأسباط الإثني عشر وعبورهم الأردن : (فَقَالَ يَشُوعُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ تَقَدَّمُوا إِلَيَّ هُنَا وَاسْمَعُوا كَلَامَ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ . ثُمَّ قَالَ يَشُوعُ بِهِذَا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ الْحَيُّ فِي وَسْطِكُمْ وَطَرْدًا يَطْرُدُ مِنْ أَمَامِكُمْ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحَيْثِيِّينَ وَالْحُوِيِّينَ ⁽²⁾ وَالْفِرْزِيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ

1. جزيرة سيناء : تقع شمال شرقي مصر ، اسمها مشتق من اسم إله القمر سين معبود أهل شبه جزيرة العرب ويقع جبل سيناء في شبه الجزيرة ، وقد كانت دائما حلقة الوصل بين آسيا وأفريقيا ، وعبرها العبرانيون عند خروجهم أو هجرتهم من مصر ودخولهم إلى أرض كنعان ، وحينما ترد كلمة سيناء في العهد القديم فهي لا تشير إلى كل شبه الجزيرة وإنما إلى جزء منها وحسب ، وترد الإشارة أيضا إلى برية سيناء وهي الجزء المحيط بجبل سيناء . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1858 .

2. الحويون : أحد الأقوام الكنعانية السبعة التي كانت تقطن في شمال أرض كنعان حينما تسلل إليها العبرانيون و الإسم مأخوذ من لفظ عبري معناه قرية أو مخيم . أنظر : المرجع نفسه ، ص 1844 .

وَالْأُمُورِيِّينَ وَالْيُوسِيِّينَ . هُوَ ذَا تَابُوتٍ⁽¹⁾ عَهْدِ سَيِّدِ كُلِّ الْأَرْضِ عَابِرِ أَمَامِكُمْ فِي الْأُرْدُنِ . فَالآنَ انْتَحِبُوا
اثنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ⁽²⁾ .

ونتساءل عن سبب طرد الرب لهذه الشعوب التي استقرت ولزمت الأرض من أجل بني
إسرائيل الذين اعتادوا على الغربة والترحال من مكان إلى مكان والسكن في عدة مناطق منذ بداية
عصر الآباء⁽³⁾ .

وقد أرخ لهذه الحقبة ما بعد موسى سفر يشوع ، الذي ذكر في إصحاحاته الغزو الإسرائيلي
لغرب نهر الأردن، والذي ضم أهم ممالك ومدن كثيرة ، وقد احتوى كثيرا من التناقضات والمبالغات .
ونشير أولا إلى هذه الحادثة في القرآن الكريم ، ثم نذكر الأحداث التي ذكرها العهد القديم ،
وقصته وردت في القرآن لكن دون التصريح باسمه ، وإنما هي من اجتهادات المفسرين ، كما تحدثت
السنة النبوية عنه أيضا مع عدم ذكر اسمه ، وهذه الشخصية معروفة في القرآن الكريم وظهرت عند
الحديث عن الحوار الذي دار بين موسى والرجل الصالح " الخضر " في سورة الكهف ، ومن ذلك ما
جاء في قوله ﷺ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾⁽⁴⁾ .

وكانت معظم آراء المفسرين تتفق على أن هذا الفتى هو يشوع ، وأنه الفتى الذي رافق موسى
في رحلاته ويظهر ذلك من خلال عرض الآية السابقة ، وقد أوكلت إليه مهمة دخول الأرض
المقدسة التي جاء الحديث عنها في القرآن في سياق واضح وبعيد عما أوردها العهد القديم ، وفي
صورة مشرفة دون استعمال طابع القتل والتدمير ، غير أن القرآن أشار إلى الأرض المقدسة باسم
القرية⁽⁵⁾ ، وتحدث إلى كيفية دخولهم الأرض المقدسة ، ووصف حالتهم وهم على وشك الدخول .

1. التابوت (تابوت العهد) : صندوق صنعه موسى وكان يحتوي على المن وعصى هارون التي أفرغت ، ولوحا العهد وكان عليهما
وصايا الله العشر ثم وضع بجانبه كتاب التوراة ومن ثم يسمى التابوت أحيانا تابوت الشهادة . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر
السابق ، ص 209 .
2. سفر يشوع ، الإصحاح 3 ، الفقرات 9- 12 .
3. صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ص 115 - 116 .
4. سورة الكهف ، الآية 60 .
5. المقصود بها في المدينة ؛ سميت بذلك لأنها تقرر (أي تجمع) ، ومنه قريبت الماء في الحوض أي جمعته . أنظر : محمد بن أحمد
الأنصاري القرطبي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 409 .

إن الله يأمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة بصورة وهياة وكيفية خاصة ، تتجلى بها عبوديتهم لله ، وتواضعهم بين يديه ، وشكرهم له ، ودعائهم أن يغفر لهم⁽¹⁾.

غير أن بني إسرائيل لم يأتمروا بأوامر الله كعادتهم وهم دائموا الانقلاب عن طاعة الله ، وظهر هذا التغيير والتبديل أثناء الدخول ، كما جاء وصف ذلك في قوله ﷻ وهو مؤنبا بني إسرائيل على هذا الانحراف : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾⁽²⁾.

فكان أمر الله ﷻ بدخول القرية والأكل من طبيبات الله شريطة أن يدخلوا الباب سجدا ، ويدعون الله أن يغفر لهم سيئاتهم ، فما كان منهم إلا أن استكبروا وعصوا الله ، وكان من أمرهم الاستهزاء من قائدهم يشوع بن نون ، وتعدى عصيائهم إلى دخول الباب بمؤخرتهم بدل أن يدخلوه ساجدين ، فكان عقابهم وفسوقهم وهم على أبواب الأرض المقدسة.

وطالما أن القوم فسقوا على أبواب الأرض المقدسة وبدأ عذاب الله عزوجل يلاحقهم إذ لم يتوسعوا كثيرا على الأقل في الفترة الزمنية التي دخلوا فيها إلى الأرض ، والذي أريد أن أصل إليه من وراء هذا أن الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم وأمهم بدخولها ليست كل بلاد الشام ، ولا كل فلسطين ، وإنما هي قرية من قرى فلسطين ، لأن معنى (قرية) في الآية السابقة بيت المقدس عند جمهور المفسرين⁽³⁾ ، والدليل كذلك أن الله أمرهم بقول (حطة) وأحد أبواب بيت المقدس يسمى (باب حطة) إلى اليوم⁽⁴⁾.

وجاء في الإصحاح الثالث فقال يشوع لبني إسرائيل : (...فَالآنَ انْتخبُوا انْتِي عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سَبْطٍ . وَيَكُونُ حِينَمَا تَسْتَقِرُّ بَطُونُ أَقْدَامِ الْكَهَنَةِ حَامِلِي تَابُوتِ الرَّبِّ سَيِّدِ الْأَرْضِ كُلِّهَا فِي مِيَاهِ الْأَرْدُنِّ أَنَّ مِيَاهِ الْأَرْدُنِّ الْمُنْحَدِرَةِ مِنْ فَوْقُ تَنْفَلِقُ نَدًّا وَاحِدًا .

1. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، المرجع السابق ، ص 93 .

2. سورة البقرة ، الآية 58 - 59 .

3. أنظر : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المصدر السابق ، ص 409 .

4. محمد أبو زيد ، أرض الميعاد : www.palestine-info/arabe/shooalk_aim/researches/mead.htm

وَلَمَّا ارْتَحَلَ الشَّعْبُ مِنْ خِيَامِهِمْ لَكَيْ يَعْبرُوا الْأُرْدُنَّ وَالْكَهَنَةُ حَامِلُو تَابُوتِ الْعَهْدِ أَمَامَ الشَّعْبِ . فَعَدَّ إِثْيَانَ حَامِلِي التَّابُوتِ إِلَى الْأُرْدُنِّ وَأَنْعَمَ أَرْجُلُ الْكَهَنَةِ حَامِلِي التَّابُوتِ فِي ضَفَّةِ الْمِيَاهِ وَالْأُرْدُنُّ مُمْتَلِئٌ إِلَى جَمِيعِ شَطُوطِهِ كُلِّ أَيَّامِ الْحَصَادِ . وَقَفَتِ الْمِيَاهُ الْمُنْحَدِرَةُ مِنْ فَوْقُ وَقَامَتْ نَدًّا وَاحِدًا بَعِيدًا جَدًّا عَنْ أَدَامِ الْمَدِينَةِ الَّتِي إِلَى جَانِبِ صَرْتَانَ . وَالْمُنْحَدِرَةُ إِلَى بَحْرِ الْعَرَبَةِ بِحَرِّ الْمَلْحِ⁽¹⁾ انْقَطَعَتْ تَمَامًا وَعَبَرَ الشَّعْبُ مُقَابِلَ أَرِيحَا . فَوَقَفَ الْكَهَنَةُ حَامِلُو تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسْطِ الْأُرْدُنِّ رَاسِخِينَ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ عَابِرُونَ عَلَى الْيَابِسَةِ حَتَّى انْتَهَى جَمِيعُ الشَّعْبِ مِنْ عُبُورِ الْأُرْدُنِّ⁽²⁾ .

وقد احتوى هذا الإصحاح قصة عبور بني إسرائيل للأردن ، وفيها تشابه عما حدث لموسى عليه السلام من معجزة إلهية بعبور اليابسة وسط الأردن ، وهنا جعلت نصوص العهد القديم يشوع بمربة نبي ، بل أضفت عليه قداسة ، وأصبح يعرف بخليفة النبي موسى .

واقضى يشوع الانقياد لأمر إلهه ، وطاعة شعبه لعبور الأردن ، وكان من بينهم الكهنة برفقة تابوت العهد وهنا توقف جريان نهر الأردن وعبروا النهر ، وعادت المجاري إلى طبيعتها ، وهذه المعجزة أوقعت الخوف والهلع في نفوس ملوك الأموريين والكنعانيين⁽³⁾ .

2- غزو مدينة أريحا

بعد عبور يشوع مع بني إسرائيل ، جاءت أول مواجهة مع سكان أرض كنعان ، وتبدأ بأول الجازر بمدينة أريحا⁽⁴⁾ ، التي تحصنت وأغلقت أبوابها كما يقول الإصحاح السادس : (وَكَانَتْ أَرِيحَا مُقْفَلَةً بِسَبَبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . لَأَ أَحَدٌ يَخْرُجُ وَلَا أَحَدٌ يَدْخُلُ)⁽⁵⁾ .

1. بحر الملح : (البحر الميت) ويدعى بحر العربية والبحر الشرقي . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 164 .

2. سفر يشوع ، الإصحاح 3 ، الفقرات 12-17 .

3. يوسف أيوب حداد ، هل لليهود حق ديني أو تاريخ في فلسطين ؟ ، (بيروت : بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، ط1 ، 2004 م) ،

ج 1 ، ص 92-93 .

4. أريحا : من يرحو وهي كلمة كنعانية تعني مدينة القمر ويقال أن معناها أيضا الروائح العطرية وهي مدينة كنعانية قديمة يرجع تاريخها إلى حوالي سبعة آلاف عام وتعد أقدم مدن فلسطين وتقع في شرقي الشمال الشرقي لمدينة القدس في الطرف الغربي لغور الأردن الغربي (يقال لها غور أريحا) وترتبط أريحا مع غور الأردن ومع الضفتي الشرقية والغربية بشبكة طرق ، وهي منفتحة جنوبا على البحر الميت وصحراء النقب . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1868 .

5. سفر يشوع ، الإصحاح 6 ، الفقرة 1 .

كيف أصبح بنو إسرائيل يملكون هذه القوة؟! ، فهذا النص يضع بني إسرائيل في موضع قوة ، والشعوب الأخرى في موضع ضعف.

وقد اجتمع بمدينة أريحا بنو إسرائيل ، والكهنة يحملون تابوت العهد ، ومعهم ضاربوا الأبواق ، وهذا ما دل عليه نفس الإصحاح : (فَهَتَفَ الشَّعْبُ وَضَرَبُوا بِالْأَبْوَاقِ وَكَانَ حِينَ سَمِعَ الشَّعْبُ صَوْتَ الْبُوقِ أَنَّ الشَّعْبَ هَتَفَ هَتَافًا عَظِيمًا فَسَقَطَ السُّورُ فِي مَكَانِهِ وَصَعِدَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلُّ رَجُلٍ مَعَ وَجْهِهِ وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ . وَحَرَّمُوا (أبادوا) كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ مِنْ طِفْلِ وَشَيْخٍ حَتَّى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْحَمِيرِ بِحَدِّ السَّيْفِ)⁽¹⁾ ، وتابع الإصحاح : (وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا فِيهَا)⁽²⁾ ، سقطت أسوار أريحا ودخل بنو إسرائيل واستولوا عليها ودمروها وأبادوا كل ما فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ ، وحتى الحيوانات لم تنج من هذه الجزرة ثم أحرقوها.

ونتساءل ما الداعي لهذه الجزرة إذا حدث استسلام لسكان أريحا ، وكيف رضى الرب بهذه الجزرة الرهيبة⁽³⁾.

ونتيجة البحث الذي قام به علم الآثار في أريحا أثبت بأنها كانت مهجورة وتعرضت للزلازل عام 2300 ق.م و أعيد بناؤها عام 1900 ق.م ، واستمرت الحياة فيها إلى عام 1560 ق.م ، ثم خلت من السكان، وبعد سنوات عديدة عرفت مرة أخرى استيطان قبائل كانت قليلة وموزعة في أنحاء المدينة ولم تكن هناك أدلة تثبت مجيء الإسرائيليين إليها ، إذ أن أريحا لم تكن موجودة قبل دخولهم⁽⁴⁾. إن تدمير يشوع بن نون لهذه المدينة ، لم تقم عليه أي آثار تاريخية تثبت ذلك ، بل أثبتت الدراسات بطلان نصوص العهد القديم على أساس ما أورده السفر من أمور تتناقض مع معطيات علم الآثار ، وتتناقض مع حقائق التاريخ المثبتة.

3- غزو مدينة عاي

وقد واصل يشوع بن نون حروبه ضد الكنعانيين بعد أن استولى على أريحا ، واتجهت أنظاره

1. سفر يشوع ، الإصحاح 6 ، الفقرة 20-21 .

2. سفر يشوع ، الإصحاح 6 ، الفقرة 24 .

3. يوسف أبوب حداد ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 93 .

4. محمد جلال إدريس ، فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي ، (القاهرة : مركز الدراسات الشرقية ، د.ط ، 2001م) ، ص 64 .

إلى مدينة عاي ، وهنا نلاحظ أن سكان المدينة يملكون قوة لا يستهان بها ، كما يشير إلى ذلك الإصحاح الثامن ، وطلب الرب من يشوع مثل الأمر الأول ؛ أي يمارس نفس العمل الإجرامي الذي مارسه مع سكان أريحا: (فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ لَا تَخَفْ وَلَا تَرْتَعِبْ . خُذْ مَعَكَ جَمِيعَ رِجَالِ الْحَرْبِ وَقُمْ اصْعَدْ إِلَى عَايٍ . انظُرْ قَدْ دَفَعْتُ بِيَدِكَ مَلِكَ عَايٍ وَشَعْبَهُ وَمَدِينَتَهُ وَأَرْضَهُ . فَتَفَعَّلْ بِعَايٍ وَمَلِكِهَا كَمَا فَعَلْتَ بِأَرِيحَا وَمَلِكِهَا)⁽¹⁾.

فمدينة عاي عندما دخل إليها بنو إسرائيل لم يجدوا مكانا يحمل اسم عاي ، وإنما خربة غير أهلة بالسكان⁽²⁾ ، مثلها مثل مدينة أريحا كما دلت على ذلك التنقيبات الأثرية.

4- غزو مدينة حاصور

توالت بعد ذلك عملية غزو وتدمير من يشوع بن نون ، وتمكن من اجتياح حاصور⁽³⁾ وقتل سكانها ونهبها ، على الرغم من التحالف الذي قام به ملك حاصور مع عدة ملوك لإنقاذ المدينة كما تذكر نصوص العهد القديم ولكن دون جدوى ، فجاء في الإصحاح : (ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَأَخَذَ حَاصُورَ وَضَرَبَ مَلِكِهَا بِالسَّيْفِ . لِأَنَّ حَاصُورَ كَانَتْ قَبْلًا رَأْسَ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَمَالِكِ . وَضَرَبُوا كُلُّ نَفْسٍ بِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ . حَرَمُوهُمْ وَلَمْ تَبْقَ نَسْمَةٌ وَأَحْرَقَ حَاصُورَ بِالنَّارِ . فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مَدْنٍ أُولَئِكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعِ مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ)⁽⁴⁾.

وقد أكدت الحفريات أن مدينة حاصور قد دمرت قبل أن يدخل إليها بنو إسرائيل، وهو التدمير الذي يتزامن مع حملة الفرعون سبتي الأول⁽⁵⁾ ، آخر ملوك الأسرة التاسعة عشر على فلسطين و سورية الجنوبية ، وكان ذلك في نهاية القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، كما قام يشوع بتدمير العديد

1. سفر يشوع ، الإصحاح 8 ، الفقرات 1- 9 .

2. محمد جلال إدريس ، المرجع السابق ، ص 65 .

3. حاصور: تقع في أقصى جنوب قادش ، ربما كان موقعها الحالي الجابرية قرب بئر الحافر على نحو 9 أميال جنوب شرق العوجة .

أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 283 .

4. سفر يشوع ، الإصحاح 11 ، الفقرات 10- 12 .

5. أنظر : يوسف أيوب حداد ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 96 .

من المدن⁽¹⁾ ، ولكنه لم يستطع الاستيلاء على أرض كنعان ، والجزء الذي استولى عليه قام بتقسيمه بين القبائل الإثني عشر ، وبقيت قبيلة لاوي لم تأخذ نصيبا من هذه الأرض ، وظلت تمارس أعمال الكهنة كما هو معلوم من نصوص العهد القديم ولم تعد من بين هذه القبائل ، وهكذا تمكن بنو إسرائيل من الاستقرار في أرض كنعان بعد فترة التحوال والترحال التي سادت عصر الآباء .

إن عملية الغزو الطويلة لم يستطع اليهود من خلالها احتلال سوى أربع مقاطعات جبلية ، وهي مرتفعات غرب نهر الأردن ومنطقة الجليل وجبل أفرام وجبل يهوذا (سبطي بني إسرائيل) ، ولم يتمكن اليهود من احتلال البلاد ، وهذا راجع إلى ما لاقوه من مقاومة عنيفة من سكان السهول ، وإلى جهلهم بأساليب القتال فمارا ، وافتقارهم إلى الأسلحة ، وعجزهم عن الحصار ، فكانوا يستعملون أسلوب المباغثة ليلا ، وباعتبار المناطق الجبلية أقل سكانا من المناطق الأخرى فقد تمكنوا من مهاجمتها ، واحتلال المرتفعات ، غير أن سيطرتهم لم تكن كاملة ، وعرفت الأقاليم الأربعة بأنها كانت مفصولة عن بعضها بواسطة القلاع الكنعانية التي صدت اليهود فترة طويلة⁽²⁾.

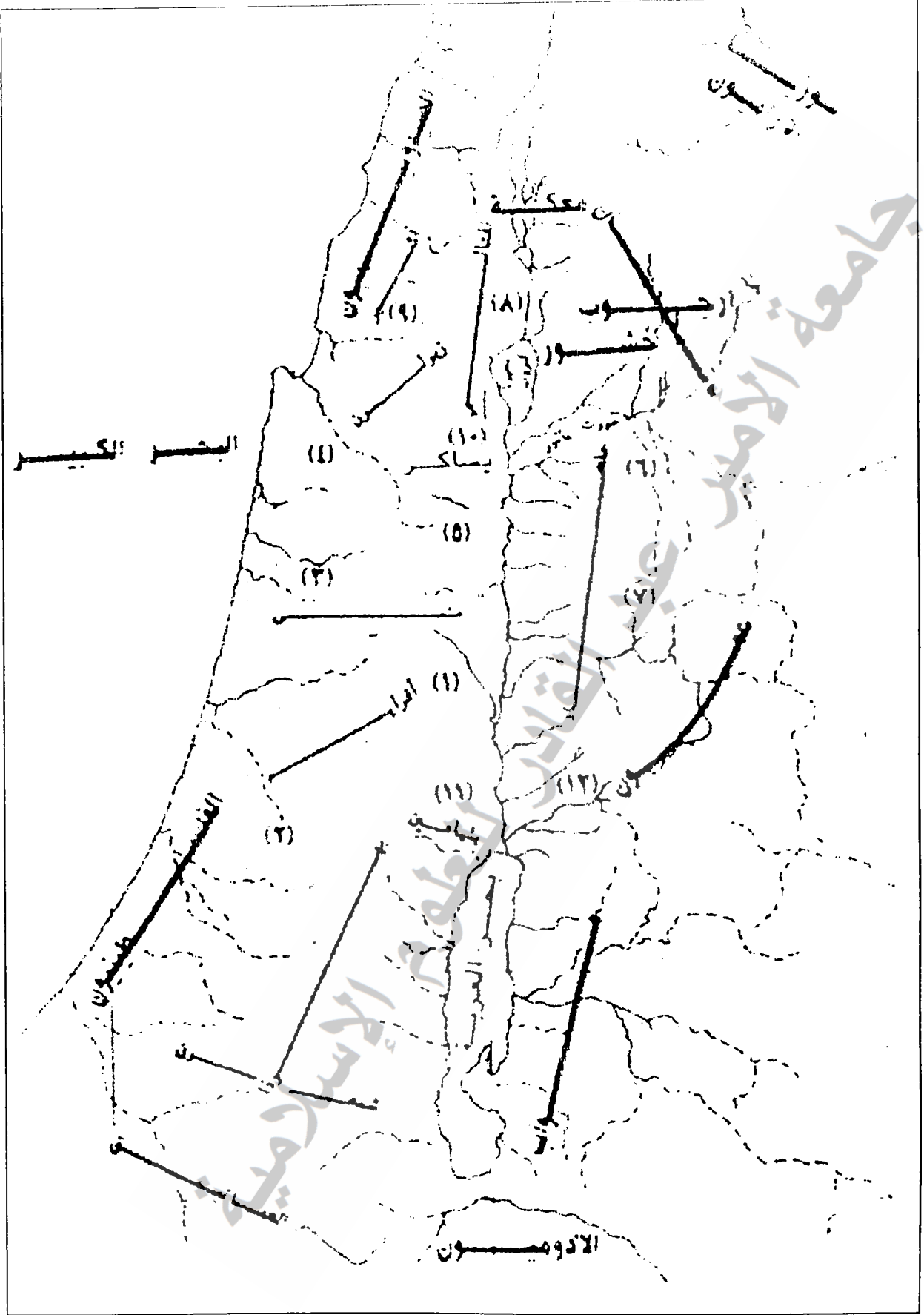
وبهذه الأعمال التي قام بها يشوع ومن تبعه من بني إسرائيل دخلوا مجددا إلى أرض كنعان بعدما أصبحوا يشكلون جماعة ، غير أن هذه المرة كان دخولهم إليها بحد السيف لا بالسلم ، وكان حضورهم قويا نوعا ما ، لكن تبقى محاولاتهم في كسب موطن جديد ضئيلة ، ولم تكن لهم سوى بعض المناطق وهو على غير ما سبق ، فكان موطن كنعان هو الموطن الذي تردد عليه بنو إسرائيل طوال تاريخهم ومع أنبيائهم ، وكان دخولهم بطرق مختلفة ومحاولات عديدة ، ونتيجة أسباب معينة ، كما أن هذه الأرض تتمدد أحيانا وتنكمش أحيانا أخرى.

المطلب الثاني : عصر القضاة

اقتسمت القبائل الإثني عشر الأرض فيما بينها ، وأخذت كل منها نصيبها بعدما استقرت في أرض كنعان ، إلا أنها ظلت عبارة عن قبائل منقسمة على نفسها إلى قبائل شمالية وأخرى جنوبية ، وأصبحت كل واحدة مدافعة عن أرضها ، ولا تجمع بينهم رابطة سوى بعض التحالفات والمعاهدات التي أبرمت من أجل الوقوف في وجه الأعداء عند الغزوات المتتالية والمعارك المتكررة بينهم من جهة

1. ومن بين المدن التي استولى عليها يشوع بن نون : بيت إيل ولخيش وعجلون وحبرون ودبير .

2. رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 185 ، نقلا عن : ناجي ، المفسدون في الأرض ، ص 32-35 .



توزيع القبائل الإسرائيلية الإثني عشر

والأمم المجاورة من جهة أخرى ، فلم تكن بينهم وحدة متماسكة ، وكانت كل واحدة تبعث بقواتها لتهاجم العدو، ثم تعود إلى أرضها ، وأمام هذه الأوضاع والظروف كان لابد من خلق نظام جديد يجعلهم تحت سلطة واحدة وزعيم واحد ، يرعى شؤونهم ويتولى أمورهم ، ويدافع عنهم وقت الخطر والشدائد ، وبذلك دخل بنو إسرائيل مرحلة جديدة تعرف بالقضاة⁽¹⁾ ، ومثلها قضاة وهم مجموعة من الزعماء الذين تولوا قيادة بني إسرائيل في هذه الفترة من أجل الدفاع عنهم في الظروف الحرجة ، ومحاولة الانتصار على الأعداء وإيجاد موطن لليهود يستقرون به ، وهذا النظام كان يقوم انطلاقاً من الحكم في الأسرة ، ثم تعدى هذا الإطار ليشمل مجلساً من كبار الشيوخ ، إذا طرأت عليهم قضايا كبرى استدعت اجتماعهم لمناقشتها ومعالجتها.

وإذا عجز التقاضي أمام هؤلاء ذهبوا إلى القاضي باعتباره رئيس اليهود ، ومن ثم أخذت حياتهم تتجه نحو التغيير ، ثم تتحول من البدو والخيام إلى حياة الاستقرار ، وعرفوا الزراعة والرعي الذي كان أساس حياتهم ومصدر رزقهم⁽²⁾ .

وكما نعلم أن بني إسرائيل مكثوا مدة طويلة في أرض كنعان بعد دخولها بقيادة يشوع بن نون ، وخلال هذه الفترة استقروا بها مدة من الزمن.

وأصبح للإسرائيليين مناطق متفرقة تتعدى فلسطين ، فهي مبعثرة في الأردن ، وجزء من سوريا ، تحت تصرف القبائل الإثني عشر ، فقبيلة يهوذا و بنيامين مكثت في الجنوب ، وباقي القبائل في الشمال ، إلا الابن الثالث ليعقوب (لاوي) فلم يكن سبطاً مستقلاً⁽³⁾.

ونشأت هذه المرحلة من تاريخ بني إسرائيل ، ودونت الفترة التي استقر بها بنو إسرائيل في أرض كنعان في سفر القضاة الذي تسمى باسم هذه المرحلة ، وهو السجل الوحيد الذي روى عن هذه الفترة ، وكل الأحداث الواردة فيه قابلة للشك ، لعدم وجود أدلة تاريخية تؤيد صدق أخباره ، وربما لم يكن لهؤلاء القضاة وجود تاريخي يذكر.

1. القضاة (1250-1020 ق.م) : كلمة قاض لها معنى آخر في تاريخ العبرانيين فهي تشير إلى ما يمكن تسميتهم شيوخ القبائل وهؤلاء أشخاص من الكهنة المحاربين جمعوا بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية. أنظر: عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، ص 1905.
2. أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 81 .
3. أحمد عبد الغفور عطار ، الديانات والعقائد في مختلف العصور ، (د.م. : مكتبة مكة المكرمة ، ط 1 ، 1420 هـ - 1981 م) ، ج 2 ، ص 177 .

قد بالغ سفر القضاة في مدة حكم القضاة إذ جعلها تقارب الثلاثمائة وخمسون سنة ، غير أنها لا تتعدى المائة ، واستنادا إلى بعض المعطيات التاريخية فنظام الملك ظهر في أواسط القرن الحادي عشر حوالي ألف وثلاثون ، وخروج بني إسرائيل في أواخر القرن الثالث عشر ، حوالي ألف ومائتان وعشرة ودامت فترة موسى و يشوع نحو ثمانين سنة⁽¹⁾

نجد هنا صعوبة في تحديد تاريخ أية مرحلة من تاريخ بني إسرائيل -وهو تاريخ مستقى من نصوص العهد القديم - ونجد اضطرابا واختلافا في مدة السنوات التي قضوها في الحكم.

فكان اختيار القضاة حسب نص التوراة ، يجعل من الصفات الجسمانية أو الشخصية معيارا للاختيار ، وهم في الغالبية من العسكريين ، كما تعدد القضاة خلال هذه الفترة⁽²⁾، إذن كان انتقاؤهم حسب بنيتهم الجسدية كما جرت العادة .

اختلف المؤرخون في عدد القضاة ، فجعل بعضهم اثني عشرة قاض ، ستة قضاة كبارا ، وستة قضاة صغارا ، فكان تقسيمهم حسب طبيعة تأثيرهم في حياة بني إسرائيل ونشاطهم ، وبعضهم الآخر عددهم خمسة عشر قاض حسبما ذكر سفر القضاة ، وكانت فترة القضاة غير مستقرة وعرفت اضطرابات كثيرة ، ونستطيع القول أن عصر القضاة شهد مجموعة من الغزوات والمعارك بين القبائل الإثني عشر من جهة ، والشعوب الأخرى من جهة أخرى ، فكانت حروبا مع الأراميين⁽³⁾ ومع

1. محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المرجع السابق ، ص 122-123 .

2. سعيد أيوب ، ابتلاءات الأمم ، (بيروت : دار الهادي ، ط 2 ، 1419 هـ - 1999 م) ، ص 55 .

3. الأراميون : هم من الشعوب السامية كانوا في الصحراء السورية العربية منذ أقدم العصور وهذه الصحراء امتداد لشبه جزيرة العرب وقد تمكنوا بعد فترة التجوال من النزوح في شمال العراق ، يعيشون من الرعي ومن السبي والنهب وتعرضوا للهجوم من طرف الأشوريين لمدة طويلة ، وقد تمكنوا من تأسيس مملكة قوية ممتدة على الضفتين الشرقية والغربية من نهر الفرات ، وتلتها ممالك وإمارات أخرى أرامية في شمال العراق وشمال سوريا ووسطها وجنوبها وتعرضت للحروب من طرف الأشوريين الذين قضوا عليها غير أنهم استمروا كعشيرة بعد أن تم القضاء عليهم ككيان سياسي وبقيت لغتهم . أنظر : حسن ظاظا ، الساميون ولغاتهم ، (دمشق : دار القلم ، ط 2 ، 1410 هـ - 1990 م) ، ص 87 - 92 . أحمد أمين سليم ، في تاريخ الشرق الأدنى القديم "مصر ، سورية القديمة" ، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، د.ط ، 1993 م) ، ص 327 ، 332 .

المؤابيين⁽¹⁾ ومع الفلسطينيين⁽²⁾ ومع الكنعانيين ، وهذه الفترة يصور فيها سفر القضاة مرحلة من اضطراب بني إسرائيل ، وفيها كثير من التناقضات ، فبعد فترة من المحازر والقوة التي امتلكوها ، يتحولون إلى قوم ضعفاء أذلاء تحتاحهم الملوك الأخرى ، وتحاربهم وتبسط عليهم سيطرتها ، فمن الشجاعة إلى الجبن والضعف ، ولا ندري لما هذا التحول الغريب والمفاجئ ، والذي يعود إلى الاضطراب في سرد الحقائق.

1- القاضي عثيئيل بن قناز ودوره في صد غزوة الأراميين

أول ما دون سفر القضاة ، غزوات وغارات قام بها الغزاة ضد بني إسرائيل ، وأول غزوة ملك أرام النهرين ، واستطاع أن يفرض سيطرته ثمان سنوات .

جاء في الإصحاح : (فَسَكَنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْفَرِزِيِّينَ وَالْحَوِيبِيِّينَ وَالْأَيُّوسِيِّينَ ... فَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ وَنَسُوا الرَّبَّ إِلَهُهُمْ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ وَالسُّوَارِيَّ . فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ فَبَاعَهُمْ بِيَدِ كُوشَانَ رِشْعَتَائِمَ مَلِكِ أَرَامَ النَّهْرَيْنِ . فَعَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُوشَانَ رِشْعَتَائِمَ ثَمَانِي سِنِينَ وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ فَأَقَامَ الرَّبُّ مُخْلَصًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَخَلَّصَهُمْ . عَثْنِيئِيلُ بْنُ قَنَازَ أَخَا كَالْبِ الْأَصْغَرَ . فَكَانَ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ وَقَضَى لِإِسْرَائِيلَ وَخَرَجَ لِلْحَرْبِ فَدَفَعَ الرَّبُّ لِيَدِهِ كُوشَانَ رِشْعَتَائِمَ مَلِكِ أَرَامَ وَاعْتَزَمَتْ يَدُهُ عَلَى كُوشَانَ رِشْعَتَائِمَ . وَاسْتَرَا حَتِ الْأَرْضُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَمَاتَ عَثْنِيئِيلُ بْنُ قَنَازَ)⁽³⁾ .

تذكر نصوص العهد القديم دائما أن الرب يغضب على بني إسرائيل بسبب معصيتهم وإثمهم فينتقم منهم ويبيع عليهم ملكا يذلهم ويستعبدهم ، فنجد بني إسرائيل يسارعون لاسترضاء الرب كي

1. المؤابيون : تسمية مؤاب سامية أطلقت على المؤابيين وعلى أرض المؤابيين التي يقابلها اليوم القسم الشرقي من البحر الميت . أنظر : محمد جلال إدريس ، المرجع السابق ، ص 10 .
2. الفلسطينيون : شعب جاء من جزر اليونان ، وبخاصة من جزيرة كريت وحلوا في ساحل فلسطين الجنوبي بين يافا وغزة في نحو عام 1200 ق.م ، وخضع الساحل المذكور لحكمهم ثم استولوا على معظم الأراضي السهلية الواقعة بين الساحل الذي حلوا فيه والجبل ، ومع أن حكمهم كان خاضعا لنفوذ مصر فإنهم اندمجوا مع الزمن في سكان الكنعانيين ، وتكلموا لغتهم ، واتخذوا طريقتهم ، واعتنقوا ديانتهم وذابوا مع الزمن فيهم ، بعد أن طبعوا إسمهم على فلسطين كلها . أنظر : فايز فهد جابر ، القدس "ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها" ، (عمان : دار الجليل للنشر ، ط1 ، 1985م) ، ص 131-132 .
3. سفر القضاة ، الإصحاح 3 ، الفقرات 5- 11 .

ينقذهم ويمنحهم القوة ، ويدعونه أن يغير حالهم ، غير أنهم بعدما يخلصهم يعودون إلى المعصية ، ويتحولون من دعاة لله مذلولين له إلى انقلاب ضده ، ويمارسون ما بدا لهم .

هذا الإصحاح يؤكد أن بني إسرائيل ظلوا مقيمين مع الكنعانيين والحِيثيين و الأموريين والفرزيين و الحويين السكان الأصليين للمنطقة ، وظلوا محتفظين بمراكزهم وكيانهم ، ويظهرون العداء لبني إسرائيل ، ولكي يتخلصوا من سيطرة ملك آرام النهرين الذي استعبدهم ظهر أول قاض وهو عثنييل بن قناز ، ولم يذكر الإصحاح ما حدث لبني إسرائيل أثناء فترة تولي هذا القاضي ، ولا أية خبر عن هذه الغزوة .

2- القاضي إهودا بن جيرا ودوره في صد غزوة المؤابيين

تعرض بنو إسرائيل بعد ذلك لغزو آخر من قبل ملك مؤاب ، وفرض سيطرته عليهم ثمانية عشر عاما ، وهنا نلاحظ من نص العهد القديم ما يؤكد أن بني إسرائيل أصبحوا عرضة للغزوات التي توالى عليهم باستمرار ، وكأنهم أصبحوا يشكلون خطرا على المنطقة ، فكان إذا لا بد من استئصال شوكتهم حتى لا تقوم لهم قائمة ، جاء في الإصحاح الثالث : (فَشَدَّدَ الرَّبُّ عَجْلُونَ مَلِكَ مُوَابَ عَلَى إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ . فَجَمَعَ إِلَيْهِ بَنِي عَمُّونَ (1) وَعَمَالِيقَ (2) وَسَارَ وَضَرَبَ إِسْرَائِيلَ وَأَمْتَلَكُوا مَدِينَةَ النَّخْلِ . فَعَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَجْلُونَ مَلِكَ مُوَابَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً . وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ فَأَقَامَ الرَّبُّ مُخَلِّصًا إِهُودَ بْنَ جِيرَا الْبَيْتَامِينِيِّ رَجُلًا أَعْسَرَ (3) .

ثم تابع الإصحاح : (فَضَرَبُوا (بنو إسرائيل) مِنْ مُوَابَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نَحْوَ عَشْرَةِ آلَافِ رَجُلٍ كُلِّ نَشِيطٍ وَكُلِّ ذِي بَأْسٍ وَلَمْ يَنْجُ أَحَدٌ . فَذَلَّ الْمُوَابِيُّونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَحْتَ يَدِ إِسْرَائِيلَ .

1. بنو عمون : وهم من نسل بني عمون ابن لوط الذي ولد في مجاورة صوغر ، وانتشرت ذريته في الشمال ، وسكنت جبال جلعاد بين نهري ارنون و يبيوق . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 640 .
2. العماليق : شعب سامي قديم وجد في أرض مدين (النفب) ، وكان يتجول بين جنوب كنعان ووسطها ثم استقر في الجنوب ، أتى ذكره في التوراة بوصفه شعبا معاديا للقبائل العبرانية ، إذ هاجمهم بعد الهجرة من مصر فقتل العديد منهم ، ولم يأت ذكر لهذا الشعب في الكتابات المصرية أو الآشورية . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1846-1847 .
3. سفر القضاة ، الإصحاح 3 ، الفقرات 12-15 .

وَأَسْتَرَأَتْ الْأَرْضُ ثَمَانِينَ سَنَةً⁽¹⁾ ، كان ثاني قضاة بني إسرائيل إهودا بن جيرا ، الذي خلصهم من سيطرة ملك موآب بعدما أذلهم ثمانية عشرة سنة ، واستطاع القضاء عليه .

3- القاضي باراق بن أبنوعم ودوره في صد غزوة الكنعانيين

يذكر الإصحاح خبر بيع الإله لبني إسرائيل لملك حاصور (كنعان) ، الذي أذلهم عشرون سنة، فجاء: (فَبَاعَهُمُ الرَّبُّ بِيَدِ يَابِينَ مَلِكِ كَنْعَانَ الَّذِي مَلَكَ فِي حَاصُورَ)⁽²⁾. ويتابع الإصحاح: (فَأَذَلَّ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَابِينَ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَأَخَذَتْ يَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَتْرَائِدُ وَتَقْسُوا عَلَى يَابِينَ مَلِكِ كَنْعَانَ حَتَّى قَرَضُوا يَابِينَ مَلِكِ كَنْعَانَ)⁽³⁾ ، وهكذا تتكرر عملية البيع والشراء التي تعقد بين إله بني إسرائيل وأعدائه وتبادل الصفقات حسب طبيعة وموقف بني إسرائيل من إلههم .

وكان مخلصهم باراق بن أبنوعم من طرف النبية (قاضية) دبورة ، هذا القاضي الذي قضى على قائد (سيسرا) أحد قوات جيوش ملك كنعان في وصف يشوبه كثير من الخيال⁽⁴⁾.

4- القاضي جدعون ودوره في صد غزوة المديانيين

تتابعت الغزوات على بني إسرائيل من طرف المديانيين⁽⁵⁾ ، فجاء في الإصحاح: (فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِ مَدْيَانَ سَبْعَ سِنِينَ فَاعْتَزَّتْ يَدُ مَدْيَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ . بِسَبَبِ الْمَدْيَانِيِّينَ عَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَأَنْفُسِهِمُ الْكُهُوفَ الَّتِي فِي الْجِبَالِ وَالْمَغَايِرِ وَالْحُصُونِ . وَإِذَا زَرَعَ إِسْرَائِيلُ كَانَ يَصْعَدُ الْمَدْيَانِيُّونَ وَالْعَمَالِقَةُ وَبَنُو الْمَشْرِقِ يَصْعَدُونَ إِلَيْهِمْ وَيَنْزِلُونَ عَلَيْهِمْ وَيُتْلَفُونَ غَلَّةَ الْأَرْضِ إِلَى مَجِيئِكَ إِلَى غَزَّةَ وَلَا يَتْرُكُونَ لِإِسْرَائِيلَ قُوَّةَ الْحَيَاةِ وَلَا غَنَمًا وَلَا بَقْرًا وَلَا حَمِيرًا)⁽⁶⁾.

1. سفر القضاة ، الإصحاح 3 ، الفقرة 29-30 .

2. سفر القضاة ، الإصحاح 4 ، الفقرة 1 .

3. سفر القضاة ، الإصحاح 4 ، الفقرة 23-24 .

4. محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المرجع السابق ، ص 127 .

5. المديانيون : قوم من البدو ينتسبون بصللة القربى إلى إبراهيم (حسب الرواية التوراتية) ، كان المديانيون يقيمون في منطقة صحراء النقب الواقعة بين مصر وفلسطين والحجاز ، وكان المديانيون يتعاونون مع الموابيين ضد العبرانيين ، وقد ذاب المديانيون في القبائل العربية الأخرى . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1847 .

6. سفر القضاة ، الإصحاح 6 ، الفقرات 1-5 .

في هذه الفترة ضعفت قوة بني إسرائيل ، واستطاع المغيرين أن يهزموهم مدة سبع سنين ، حتى جاءهم قاضيا اسمه جدعون وخلصهم من أيدي المديانيين ، فجاء في الإصحاح الثامن : (وَدَلَّ مَدْيَانَ أُمَّامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ يَعُودُوا يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَاسْتَرَا حَتِ الْأَرْضُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي أَيَّامِ جِدْعُونَ) (1) .
بعد ذلك تولى القاضي أيمالك أحد أبناء جدعون ، فجاء في الإصحاح : (فَتَرَأَسَ أَيِّمَالِكُ عَلَى إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَ سِنِينَ) (2) .

وكان أيمالك يمثل مظهدا من مظاهر الفساد والانحراف في حكم القضاة على غرار من سبقه ، وجاء بعد ذلك على التوالي تولع بن فوأة و يائير الجلعاوي ، كما دل على ذلك الإصحاح العاشر : (وَقَامَ بَعْدَ أَيِّمَالِكَ بَتَخْلِيصِ إِسْرَائِيلَ تُولَعُ بْنُ فُوَاءَةَ بْنِ دُودُو رَجُلٌ مِنْ يَسَّاكَرَ كَانَ سَاكِنًا فِي شَامِيرَ فِي جَبَلِ أْفْرَايِمَ . فَقَضَى لِإِسْرَائِيلَ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَدَفِنَ فِي شَامِيرَ . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ يَائِيرُ الْجَلْعَادِيُّ فَقَضَى لِإِسْرَائِيلَ اثْنَيْ وَعِشْرِينَ سَنَةً) (3) ، ولم يذكر سفر القضاة أي تفاصيل عنهما ، ونلاحظ من نصوص العهد القديم أنها تفيض وتستغرق في حديثها عن بعض القضاة ، وأحيانا أخرى نجد أنها تصمت عن البعض الآخر وكأنهم لم يمثلوا دورا سياسيا أثناء هذه المرحلة ، أو ربما لقلة سرد المعلومات عنهم .

5- القاضي يفتاح الجلعاوي ودوره في صد غزوة العمونيون والفلسطينيون

نجد أن بني إسرائيل ينحرفون عن عبادة الله ، فيغضب عليهم ويبعث عليهم من يذلهم ويحاربهم ، وكان مخلصهم هذه المرة يفتاح الجلعاوي من يد بني عمون ، فجاء في الإصحاح العاشر: (فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَبَاعَهُمْ بِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَبِيَدِ بَنِي عَمُونَ . فَحَطَّمُوا وَرَضُّوا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ . ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً . جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ فِي عِبْرِ الْأُرْدُنِّ فِي أَرْضِ الْأُمُورِيِّينَ الَّذِينَ فِي جَلْعَادَ . وَعَبَّرَ بَنُو عَمُونَ الْأُرْدُنَّ لِيُحَارِبُوا أَيْضًا يَهُودًا وَبَنِيَامِينَ وَبَيْتَ أْفْرَايِمَ) (4) .

1. سفر القضاة ، الإصحاح 8 ، الفقرة 28 .

2. سفر القضاة ، الإصحاح 9 ، الفقرة 22 .

3. سفر القضاة ، الإصحاح 10 ، الفقرات 1-3 .

4. سفر القضاة ، الإصحاح 10 ، الفقرات 7-9 .

وانتقل الصراع إلى طرف آخر ومن نوع خاص ، وأصبح يهدد جماعة بني إسرائيل ، بل داخل الأسرة ذاتها ، فتمثل ذلك في الإرث بين يفتاح الجلعادي وإخوته ، وتابع الإصحاح الحادي عشر الحديث عن الحرب بين بني عمون ويفتاح الجلعادي : (ثُمَّ عَبَّرَ يَفْتَاخُ إِلَى بَنِي عَمُونَ لِمُحَارَبَتِهِمْ . فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِهِ . فَضَرَبَهُمْ مِنْ عَرُوءَيْرَ إِلَى مَجِيئِكَ إِلَى مَنِيَتَ عِشْرِينَ مَدِينَةً وَإِلَى آبَلِ الْكُرُومِ ضَرْبَةً عَظِيمَةً جِدًّا . فَذَلُّ بَنُو عَمُونَ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)⁽¹⁾.

نجد أن بني إسرائيل لجأوا إلى يفتاح لينقذهم من حروب العمونيين ، فكان من أمر بني إسرائيل أنهم اتفقوا على تنصيبه قائدا عليهم إن نجح في صد العمونيين وتغلب عليهم⁽²⁾.

بدأ بعد ذلك التنافس بين يفتاح الجلعادي و أفرايم من أجل السيطرة والنفوذ ، فجاء في الإصحاح الثاني عشر : (وَجَمَعَ يَفْتَاخُ كُلَّ رِجَالِ جِلْعَادَ وَحَارَبَ أَفْرَايِمَ فَضَرَبَ رِجَالَ جِلْعَادَ أَفْرَايِمَ لِأَنَّهُمْ قَالُوا . أَنْتُمْ مُنْفَلِتُو أَفْرَايِمَ . جِلْعَادُ بَيْنَ أَفْرَايِمَ وَمَنْسَى . فَأَخَذَ الْجِلْعَادِيُّونَ مَخَاوِضَ الْأَرْدُنِّ لِأَفْرَايِمَ وَكَانَ إِذْ قَالَ مُنْفَلِتُو أَفْرَايِمَ دَعْوِي أَعْبُرْ . كَانَ رِجَالُ جِلْعَادَ يَقُولُونَ لَهُ أَأَنْتَ أَفْرَايِمِيُّ فَإِنْ قَالَ لَا كَانُوا يَقُولُونَ لَهُ قُلْ إِذَا سَبَّوْكَ فَيَقُولُ سَبَّوْكَ وَكَمْ يَتَحَفَّظُ لِلْفِظِّ بِحَقِّ . فَكَانُوا يَأْخُذُونَهُ وَيَذْبَحُونَهُ عَلَى مَخَاوِضِ الْأَرْدُنِّ . فَسَقَطَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ أَفْرَايِمَ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا)⁽³⁾.

تولى القضاة بعد ذلك على التوالي : إيصان ، ثم أيلول الزبولوني ، ثم عبدون بن هليل الفرعتوني ، فقضى الأول سبع سنين ، والثاني عشر سنين ، والثالث ثماني سنين ، ولم يذكر السفر أية أخبار عنهم في تلك الفترة ، ومن قضاة بني إسرائيل أيضا شمشون والفترة التي قضى فيها كان بنو إسرائيل تحت سلطة وسيادة الفلسطينيين .

وكما هو واضح في الإصحاح الثالث عشر : (ثُمَّ عَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَرْبَعِينَ سَنَةً)⁽⁴⁾.

1. سفر القضاة ، الإصحاح 11 ، الفقرات 22-23 .

2. محمود أحمد المراغي ، أشعيا " نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي القديم " ، (بيروت : دار العلوم العربية ، ط2 ، 1992م) ، ص 15 .

3. سفر القضاة ، الإصحاح 12 ، الفقرات 4-6 .

4. سفر القضاة ، الإصحاح 13 ، الفقرة 1 .

ودليل ذلك أيضا ما جاء في الإصحاح الرابع عشر: (وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ مُتَسَلِّطِينَ عَلَى إِسْرَائِيلَ)⁽¹⁾.

وقد استمرت حالة الفوضى والتفرق بسبب التنافس الذي كان واضحا بين أسباط بني إسرائيل ، حتى كانت حربا بين الأسباط ضد سبط واحد وهو بنيامين⁽²⁾ ، وتمت إبادة ممتلكاتهم ونشأت الفرقة بين الأسباط الإسرائيلية ، والتي ساعدت هذه الأوضاع كثيرا الشعوب المجاورة. وظهر بعد ذلك شمشون الذي يعتبر آخر القضاة وحكم بني إسرائيل مدة عشرين سنة ، وتشير الكتب الدينية إلى أن صموئيل أيضا آخر القضاة غير أن شمشون لم يكن مؤهلا كغيره ممن سبقوه ، فقد عرف بالانصياع لهواه⁽³⁾.

6- القاضي صموئيل

وظهر بعد ذلك النبي صموئيل وهو من سبط بنيامين ، ويسمى سفر صموئيل باسمه ، واستمر قاضيا مدة أربعين سنة ، وفي أثناء حكمه نشبت حرب عنيفة ، وكان النصر فيها للفلسطينيين ضد بني إسرائيل ، وكان السبب في ذلك ضعف القضاة وعجزهم عن مقاومة الفلسطينيين ، وفي هذا إثبات ودلالة على قوة الفلسطينيين في المنطقة ، وقد دارت معركة بينهما في أفيق (أعالي الجليل)⁽⁴⁾ ، كما نص ذلك الإصحاح الرابع : (وَخَرَجَ إِسْرَائِيلُ لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِلْحَرْبِ وَنَزَلُوا عِنْدَ حَجَرِ الْمَعُونَةِ. وَأَمَّا الْفِلِسْطِينِيُّونَ فَنَزَلُوا فِي أْفِيقَ. وَأَصْطَفَى الْفِلِسْطِينِيُّونَ لِلِقَاءِ إِسْرَائِيلَ وَاشْتَبَكَتِ الْحَرْبُ فَأَنْكَسَرَ إِسْرَائِيلُ أَمَامَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَضَرَبُوا مِنَ الصَّفِّ فِي الْحَقْلِ نَحْوَ أَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ. فَجَاءَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَحَلَّةِ وَقَالَ شَيْوْخُ إِسْرَائِيلَ لِمَاذَا كَسَرْنَا الْيَوْمَ الرَّبَّ أَمَامَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ . لِنَأْخُذَ لِنَافْسِنَا مِنْ شَيْلُوهَ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ فَيَدْخُلَ فِي وَسْطِنَا وَيُخَلِّصَنَا مِنْ يَدِ أَعْدَائِنَا . فَأَرْسَلَ الشَّعْبُ إِلَى شَيْلُوهَ وَحَمَلُوا

1. سفر القضاة ، الإصحاح 14 ، الفقرة 4 .

2. ودليل اتحاد القبائل ضد سبط بنيامين ما ورد في الإصحاح : (فَخَرَجَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاجْتَمَعَتِ الْجَمَاعَةُ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ دَانَ إِلَى بئر سَبْعٍ مَعَ أَرْضِ جِلْعَادَ إِلَى الرَّبِّ فِي الْمِصْفَاةِ . وَوَقَّفَ وَجُوهَ جَمِيعِ الشَّعْبِ جَمِيعَ أَسْبَابِ إِسْرَائِيلَ فِي مَجْمَعِ شَعْبِ اللَّهِ أَرْبَعِ مِئَةِ أَلْفٍ رَجُلٍ مُحْتَرِطِي السِّنْفِ . فَسَمِعَ بَنُو بَنِيَامِينَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ صَنَعُوا إِلَى الْمِصْفَاةِ) . سفر القضاة ، الإصحاح 20 ، الفقرات 1- 3 .

3. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1908 .

4. أنظر : محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المرجع السابق ، ص 134 .

مِنْ هُنَاكَ تَأْبُوتَ عَهْدِ رَبِّ الْجُنُودِ الْجَالِسِ عَلَى الْكُرُوبِيمِ (1) (2).

انتصر الفلسطينيون على بني إسرائيل ، وكان من بين الغنائم التي تحصلوا عليها ، والأشياء التي غنموها إثر نجاحهم في هذه المعركة هو تابوت العهد ، وقد أثر ذلك في نفوس بني إسرائيل . إن هذا التابوت الذي وصف بقوة خارقة وقدرة لا تقاوم ، والذي ساعد بني إسرائيل في معاركهم وجلب لهم انتصارات ، ورغم كل ما وصف به إلا أن الهزيمة لحقت بهم من طرف الفلسطينيين (3) ، فلم ينفذ بني إسرائيل هذا التابوت الذي عرف عنه ما عرف .

وجاء في الإصحاح الرابع : (وَأَخَذَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ التَّابُوتَ مَعَهُمْ إِلَى أَشْدُودَ (4) لَكِنَّ تَأْبُوتَ اللَّهِ ضَرَبَهُمْ بِالْأَمْرَاضِ وَأَهْمَهَا الْبُؤَاسِيرُ كَمَا أَنَّ إِلَهُهُمْ دَاخُونَ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ عِنْدَمَا دَخَلَ عَلَيْهِ تَأْبُوتُ الرَّبِّ الْجَالِسِ عَلَى الْكُرُوبِيمِ وَبَقِيَ تَأْبُوتُ اللَّهِ فِي بِلَادِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ظَهَرَتْ فِيهَا الْأُوبْنَةُ وَالْأَمْرَاضُ وَالْبُؤَاسِيرُ وَالْفُئْرَانُ . فَخَافَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وَأَرْجَعُوا تَأْبُوتَ اللَّهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ قُرْبَانَ الْإِثْمِ وَهُوَ خَمْسَةُ بُؤَاسِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَخَمْسَةَ فُئْرَانٍ مِنْ ذَهَبٍ (5) .

أخذ الفلسطينيون التابوت من بني إسرائيل ، ولكن الله عاقبهم وألحق بهم الأذى وسلط عليهم الأمراض وأهمها البواسير ، غير أن الفلسطينيين خافوا مما أصابهم ومما سوف سيصيبهم ، فأرجعوا تابوت الله إليهم .

ويذكر سفر صموئيل أن صموئيل لما شاخ وكبر جعل بنيه قضاة ، غير أنهم انحرفوا وأخذوا الرشوة وخافوا وخالفوا سبيل أبيهم ، ولم يسكت بنو إسرائيل على هذا الوضع المتردي ، بل طالبوا من صموئيل أن يعين عليهم ملكا ، وهذه المرحلة من عصر الملوك نتحدث عنها فيما بعد . تعد مرحلة القضاة التي تحدث عنها سفر القضاة وأوائل سفر صموئيل الأول ، فترة اضطراب وعدم استقرار ، بسبب الغزوات والحروب التي دارت بين بني إسرائيل والفلسطينيين ، وعلى الرغم من

1. الكروبيم : المقصود به ملائكة من قبل الله ويقال عنهم أنهم ذوو جناحين ، أما أشباههم فكانت من ذهب ووضعت على غطاء تابوت العهد وكان جناحا الكروبيين يظللان التابوت . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 779 .
2. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 4 ، الفقرات 1-4 .
3. شفيق مقار ، السحر في التوراة والعهد القديم ، (لندن : رياض الريس للكتب والنشر ، د.ط ، 1990م) ، ص 286 .
4. أشدود : ربما كان معناها قوة أو حصن وهي إحدى مدن فلسطين الخمسة الرئيسية . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 77 .
5. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 4 ، الفقرة 22 .

المبحث الثالث

عصر الملوك

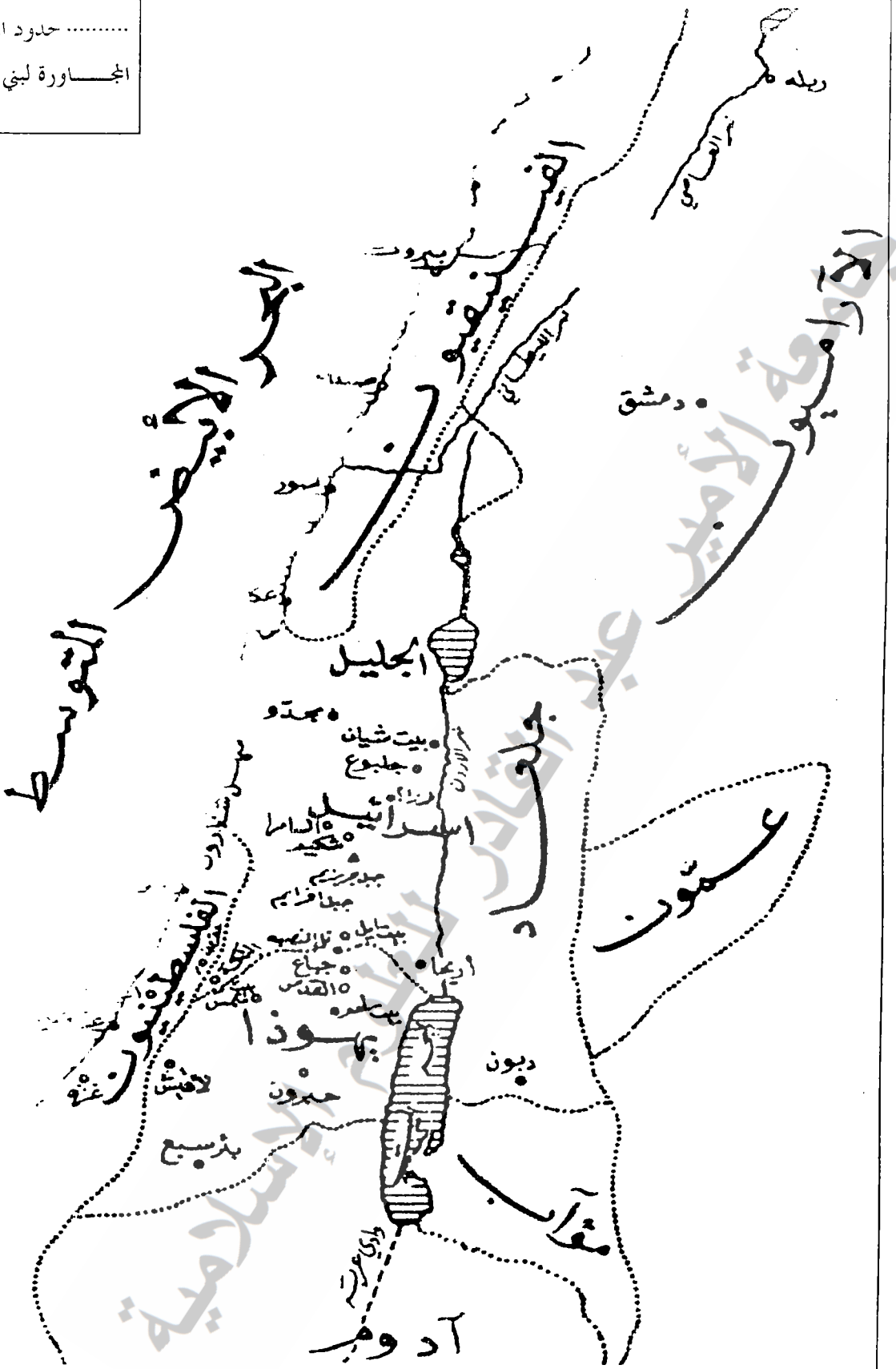
إن قضية الملك⁽¹⁾ من أهم القضايا التي حظيت بها مراجع التاريخ العربي والإسرائيلي على حد سواء من التناول والتأريخ ، وهي بطبيعة الحال ، لم تظهر عند بني إسرائيل ، بل اقتبست من الأمم الأخرى ، ونشأت خاصة في العراق القديم الذين عرفوا هذا النظام منذ عصور قديمة ، وبعد ذلك أدخل عليها بنو إسرائيل تعديلات وتطورات وتغييرات ، وجعلوا الملك يتلاءم مع أفكارهم ومعتقداتهم ، وأصبح له مفهوم عند اليهود وهو امتداد لحكم القضاة الذي مهد لظهور هذا النظام ، وقد أدى إلى ظهوره عدة عوامل نذكر منها ، الغزوات المتلاحقة التي كان يتعرض لها بنو إسرائيل من طرف الأقوام المجاورة ، كالعالمقة و المديانيين والفلسطينيين ، والانحلال الأخلاقي والفساد الذي ساد نظام القضاة سابقا والذي أظهر فشله ، وبات مؤكدا خلق نظام جديد والبحث عن بديل ، بالإضافة إلى محاولة تقليد الأمم الأخرى ، فلم يكن هذا النظام سائدا عند بني إسرائيل .

وقد عرف أنه كان للدول المجاورة لبني إسرائيل ملوك ، كما كان للفلسطينيين أيضا أسياد ، ولبني إسرائيل آنذاك قضاة يظهرون عندما يقتضي الأمر⁽²⁾ .

1. وضعت منى ناظم صفات الملك ومهامه عند بني إسرائيل فذكرت أن الملك ليس شخصا يتجسد فيه الرب على الرغم من العلاقة الوثيقة بينهما ، وهو الزعيم والرئيس الرسمي للطقوس والاحتفالات العامة وفي كل صلواته يصلي من أجلهم ويتلقى البركات من يهوه نيابة عنهم ويقدم إليه القرابين باسمهم أيضا ، فمهمة الملك الرئيسية في أوقات السلم هي أن يصبح أداة ليهوه ويتبع وصاياه والعمل على رخاء بلاده وسعادة مواطنيه والقضاء بينهم بالعدل ، أما في وقت الحروب والمحن ، فهو قائدهم وتلقى عليه مهمة تحريرهم وخلصهم من الأعداء المضطهدين ، فقد اختاره الرب وزوده بقوة عظيمة خارقة جعلته يتميز عن باقي البشر ليكون أداة للحرب لتحقيق خطته على الأرض وتخليص أبناء شعبه من الأعداء وتنفيذ شريعته على الأرض . أنظر : منى ناظم ، المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية ، (أبو ظبي : مؤسسة الإتحاد للصحافة والنشر ، د.ط ، د.ت) ، ص 44 .
2. فيليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة : جورج حداد ، عبد الكريم رافق ، مراجعة : جبرائيل جبور ، (بيروت : دار الثقافة ، ط2 ، 1958م) ، ج 1 ، ص 202 .

.....حدود الممالك

الجزيرة لبي إسرائيل



فلسطين في عصر الملوك

نقلا عن : فيليب حتى ص 210

وهناك من ذكر أن سبب إنشاء المملكة اليهودية يعود إلى الضعف الذي حل بأشور وبلاد ما بين النهرين ومصر ؛ و بروز دويلات كدولة عمون (شرق نهر الأردن) و موآب وأدوم ، وتطويق اليهود بقوى كانت تطمع لاحتلال أرض كنعان والفرات ؛ وأخذ تابوت العهد من بني إسرائيل ، وأمام هذه الاضطرابات فما كان من اليهود إلا البحث عن قيادة أقوى تتمثل في الملك⁽¹⁾.

إذن كان نظام الملك أحد الخلفيات التي نشأت وفق معطيات وظروف معينة ، وقد تأثر بنو إسرائيل بالبيئة التي تحيط بهم ، فلم يكن يسودهم هذا النظام ولم يقدمهم ملك إلا بعدما استقروا في الأرض طويلا ، فأخذوا منها وأدخلوه على أفكارهم ومعتقداتهم.

وسنحاول هنا أن نذكر ملوك بني إسرائيل المتفق عليهم والذي جاء الحديث عنهم في النصوص الدينية ، وتحدث عنهم المؤرخون والباحثون ، وهم على التوالي ، شاول وداود وسليمان ، ثم التطرق إلى أهم الأعمال والمنجزات التي قاموا بها ، مع الحديث عن موطن بني إسرائيل ، ونبدأ بشاول أول ملك عليهم .

المطلب الأول : شاول

1- تعيين شاول أول ملك على بني إسرائيل

لقد اختلف المؤرخون والباحثون حول بداية الفترة الزمنية لظهور هذه المرحلة التي تسمى عند بني إسرائيل بعصر الملوك ، وكان أول ملوكها التي أطلقت عليه نصوص العهد القديم وكثير من المصادر إسم شاول ، وعد أول مؤسس للملك عند بني إسرائيل في هذه الفترة ، وقد اضطرت الأوضاع التي كانت سائدة أثناء تعيين شاول ، ومرت الدول المجاورة لفلسطين بظروف صعبة.

فقد عرفت مصر فترة تدهور وتأخر وانشغلت أشور بتأمين حدودها ، وتعزيز دولتها ، أما فلسطين فكانت محتفظة بقوتها وصمودها ، مع بقاء الإسرائيليين منفصلين إلى أسباط⁽²⁾.

إذن كان بنو إسرائيل معرضين للخطر الفلسطيني الذي يهددهم وعرضة للغزوات ، بالإضافة إلى انقسام الأسباط الجنوبية وشمالية ، وكانوا متفرقين كما تذكر نصوص العهد القديم ، وقد ذكرت

1. كارين أرمسترونج ، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث ، ترجمة : فاطمة نصر ، محمد عناني ، (دم : در ، دبط ، 1998م) ، ص 74 .

2. حسن ظاظا ، الساميون ولغاتهم ، المرجع السابق ، ص 70 .

أخبار هذه المرحلة في سفر صموئيل الأول ، الذي دون لبدائها بظهور الملك شاول ، وإلى جانب العهد القديم نجد أن القرآن لم يغفل هذه الفترة بل تحدث عنها ، غير أن القرآن يسمي الملك شاول باسم طالوت ، كما أخذ المؤرخون أخبار هذه الفترة من العهد القديم مع التحليل والنقد ، لفقدان الأدلة الأثرية والوثائق والسجلات التي تتناول هذه المرحلة .

وكانت بداية تعيين شاول عندما توجهت أنظار بني إسرائيل إلى صموئيل ، وطلبوا منه أن يختار لهم ملكا وبمسحه⁽¹⁾ ، والدليل على ذلك ما ورد الإصحاح الثامن : (فَالآن اجْعَلْ لَنَا مَلِكًا يَقْضِي لَنَا كَسَائِرِ الشُّعُوبِ) (2).

وأورد الإصحاح التاسع من سفر صموئيل الأول قصة تتويج شاول : (وَالرَّبُّ كَشَفَ أُذُنَ صَمُوئِيلَ قَبْلَ مَجِيءِ شَاوُلَ يَوْمَ قَائِلًا غَدًا فِي مِثْلِ الْآنَ أُرْسِلُ إِلَيْكَ رَجُلًا مِنْ أَرْضِ بَنِيَامِينَ . فَاَمْسَحْهُ رَئِيسًا لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ فَيُخَلِّصُ شَعْبِي مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى شَعْبِي لِأَن صُرَاخَهُمْ قَدْ جَاءَ إِلَيَّ) (3).

يتضح من النص أن شاول كان من قبيلة بنيامين ، وهي قبيلة كما تذكر نصوص العهد القديم لا تمثل مركزا قويا أو وزنا يعتد به بين القبائل الإسرائيلية ، وكما يبدو أن بني إسرائيل كانوا تحت سيادة الفلسطينيين مسيطرين تمام السيطرة على أرض كنعان.

1. المسيحانية (المسيحانية) ومنها مشيحات وهي في اللغة العبرية من الفعل مسح (مشح) بمعنى مسح بالزيت المقدس ، وقد استخدم هذا المسح كعادة الشعوب القديمة للتعبير عن مسح الكهنة والأنبياء والملوك ، ويشير العهد القديم إلى قيام الكاهن الأكبر بمسح الملك بالزيت كدليل على تنصيبه بطريقة شرعية أما بالنسبة للكهنة فهو دليل على أن الرب قد اختارهم خدما متخصصين واستخدم التعبير للدلالة على آباء الأمة القدامى ، كما أن الأنبياء يمسحون بالزيت ، وقد استخدم أيضا مسح الأواني المقدسة والأماكن ، كما تشير الكلمة إلى شخص مرسل من الإله يتمتع بقداسة خاصة وهو ملك من نسل داود سيأتي بعد ظهور النبي إيليا ليعدل مسار التاريخ اليهودي ، بل البشرى ، فينهي عذاب اليهود ويأتيهم بالخلاص ويجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى صهيون ويحطم أعداء جماعة إسرائيل ، ويتخذ أورشليم (القدس) عاصمة له ، ويعيد بناء الهيكل ، ويحكم بالشريعة المكتوبة والشفوية ويعيد كل مؤسسات اليهود القديمة مثل السنهدرين ، ثم يبدأ الفردوس الأرضي الذي سيدوم ألف عام . أنظر : منى ناظم ، المرجع السابق ، ص 29-33 . محمود أحمد المراغي ، المرجع السابق ، ص 360 . عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، ص 5 ، ص 2705 .

2. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 8 ، الفقرة 5 .

3. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 9 ، الفقرة 15 .

اتسم شاؤل ببعض السمات وعرف عنه أنه كان مقيما في خيمة ، طاغية عليه البداوة ، منطويا ومنعزلا ، وهو يمثل تحول العبرانيين من حكم القضاة إلى حكم الملك ، ومن البداوة إلى التحضر والزراعة ، وهو يعميل إلى القائد العسكري أكثر منه إلى الملك (1) ، فكان شاؤل ينتمي إلى الجنوب ويتميز بالبداوة ويتحلى بصفات عسكرية.

وقد استطاع صموئيل أن يوحد الأسباط الشمالية والجنوبية ، وعين عليهم شاؤل ملكا الذي أخذ البيعة من بني إسرائيل ، ومن ثم أصبحت تجمع بني إسرائيل وحدة وطنية بفضل مساعدة صموئيل وابنه يوناتان وأحد رجاله الأقوياء وهو داود ، وتم تعيين شاؤل في الجلجال (2) إحدى قرى فلسطين (3) ، وتم توحيد بني إسرائيل تحت ملك وسلطة وإدارة واحدة بعد تفرقهم ، وكان ذلك كما ذكر بعض الباحثين حوالي القرن الحادي عشر وأوائل القرن العاشر قبل الميلاد .

ونصل هنا لنجد القرآن الكريم قد أعطى أهمية لهذه المرحلة التاريخية وتحدث عن بني إسرائيل وبين الوضعية التي كانوا عليها آنذاك وكيفية جداهم في تعيين الملك وتعرضهم لاختبار الله في قوله ﷻ: ﴿ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ إِنَّا أَبَعَثْنَا لَنَا مَلَكَ نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا

1. المرجع نفسه ، مج 4 ، ص 1948 .

2. جلجال : تقع في سهل أريحا إلى الشمال الشرقي للقدس ، وهي أول قرية احتلها بنو إسرائيل بعد أن عبروا نهر الأردن بعد خروجهم

من مصر ، وقد اتخذها يوشع مركزا لعملياته ضد الكنعانيين . أنظر : مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 72 .

3. المرجع نفسه .

جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ⁽¹⁾.

إن هذه الآيات القرآنية تذكر أن بني إسرائيل طلبوا من نبي لهم وهو لم يصرح به القرآن الكريم وإنما ذكره المفسرون على أنه النبي صموئيل ، كما هو في العهد القديم اعتبارا وتزامنا مع الفترة التي ظهر فيها الملك عند بني إسرائيل ، وكان طلبهم بتعيين ملك عليهم من أجل قتال أعدائهم.

والآية بينت أن بني إسرائيل كانوا خارج هذه الديار ، وربما المقصود أنهم كانوا خارج الأرض المقدسة- وفي بعض مدن فلسطين - بعدما كانوا متواجدين بها كما تعبر عنه الآية الكريمة (وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا) ، وهذا يفيد أنه كانت لهم ديار ساكنين بها وأخرجوا منها ، تاركين أولادهم بسبب جنبنهم وتحاذلهم عن القتال ومخالفة أوامر الله ، لكن لم يحدد القرآن حدودا لهذه الديار.

فكانت هذه المرحلة تتزامن مع تعرض بني إسرائيل لحرب مع أهل فلسطين ، وللعودة لهذه الديار ومحاربة الأعداء واسترجاع التابوت الذي أخذ منهم ، كان لابد أن يتخذوا ملكا عليهم ، غير أن بني إسرائيل عارضوا هذا الملك بسبب أنه لم يكن من أصحاب الأموال وإنما كان صاحب علم وقوة .

وكان من مطالبهم أن يأتيهم بالتابوت ، وخاصة أنهم لا يؤمنون إلا بالماديات والمحسوسات ، وكانت فئة قليلة مؤمنة هي التي اجتاحت النهر⁽²⁾ ، حيث اختيرهم الله أن لا يشربوا منه ، وقد ذكر المفسرون أن هذا النهر هو النهر الذي يقع بين نهر الأردن وفلسطين ، فلما تجاوزوه كانت المواجهة والمعركة فاستعانوا بالله فجاءهم نصره وتأييده فانتصروا.

1. سورة البقرة ، الآية 246- 251 .

2. وكان النهر المقصود به هو نهر الشريعة الواقع بين نهر الأردن وفلسطين . أنظر : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المصدر السابق ، مج1 ، ص 239 . إسماعيل ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 324 . محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، (بيروت : دار القرآن الكريم ، ط4 ، 1981م) ، مج1 ، ص 158 .

2- حروب شاول مع سكان فلسطين

بعدهما تولى شاول القيادة اتجهت مهامه إلى الحروب ضد الفلسطينيين والممالك المجاورة ، وكان أول زحفه على ملك بني عمون ، جاء في الإصحاح الحادي عشر : (وَصَعَدَ نَاحَاشُ الْعَمُونِيُّ وَنَزَلَ عَلَى يَابِيشَ جَلْعَادَ . فَقَالَ جَمِيعُ أَهْلِ يَابِيشَ لِنَاحَاشَ أَقْطَعْ لَنَا عَهْدًا فَنَسْتَعْبِدَ لَكَ . فَقَالَ لَهُمْ نَاحَاشُ الْعَمُونِيُّ بِهَذَا أَقْطَعْ لَكُمْ بَتَعْوِيرِ كُلِّ عَيْنٍ يُمْنَى لَكُمْ وَجَعَلِ ذَلِكَ عَارًا عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلِ)⁽¹⁾ .

وقد رفض شاول شروط ناحاش التي أراد من خلالها إذلال بني إسرائيل واستعبادهم ، غير أن شاول تمكن منهم وفرق شملهم ، وتابع الإصحاح : (وَكَانَ فِي الْعَدِ أَنْ شَاوُلَ جَعَلَ الشَّعْبَ ثَلَاثَ فَرَقٍ وَدَخَلُوا فِي وَسْطِ الْمَحَلَّةِ عِنْدَ سَحَرِ الصُّبْحِ وَضَرَبُوا الْعَمُونِيِّينَ حَتَّى حَمِيَ النَّهَارِ وَالَّذِينَ بَقُوا تَشْتَتُوا حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ اثْنَانِ مَعًا)⁽²⁾ .

وقد خرج الفلسطينيون وضربوا بني إسرائيل ، ولم يكن هناك أي أداة حرب بيد جميع الشعب ماعدا شاول وابنه يونانان ، وجاء في الإصحاح الثالث عشر : (وَلَمْ يُوْجَدْ صَانِعٌ فِي كُلِّ أَرْضِ إِسْرَائِيلِ)⁽³⁾ (4) .

قام شاول بمحاربة ناحاش ملك العمونيين ليخلص فريقا من بني إسرائيل في مدينة يابيش جلعاد (شرق الأردن) ، والذين كانوا يقيمون بهذه المنطقة ، وجاء في الإصحاح الرابع عشر : (وَأَخَذَ شَاوُلُ الْمُلْكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَحَارَبَ جَمِيعَ أَعْدَائِهِ حَوَالِيهِ مُوَابُ وَبَنِي عَمُونَ وَأَدُومَ وَمُلُوكَ صُوبَةَ وَالْفِلِسْطِينِيِّينَ وَحَيْثُ مَا تَوَجَّهَ غَلَبَ . وَفَعَلَ بِبَاسٍ وَضَرَبَ عَمَالِيقَ وَأَنْقَذَ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ نَاهِيهِ)⁽⁵⁾ .

1. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 11 ، الفقرة 1- 2 .

2. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 11 ، الفقرة 11 .

3. أرض إسرائيل : (إرسل إسرائيل) عبارة عبرية وردت في التوراة وفي الكتابات اليهودية الدينية والفقهية ، وتعني حرفيا أرض يسرائيل ، ويستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى أرض فلسطين وبعض المناطق المتاخمة لها ، ومعنى العبارة غير واضح بشكل محدد ، لكن مرادفاتها على أية حال عبارات مثل الأرض المقدسة وأرض الميعاد وأرض التوراة ، يهوذا ، كنعان ، شرق الأردن ، فلسطين السورية ، فلسطين ، الشرق . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج7 ، ص 3789 . كيث وايتلام ، إختلاق إسرائيل القديمة " إسكات التاريخ الفلسطيني " ، ترجمة : سحر الهنيدي ، مراجعة : فؤاد زكريا ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، د.ط ، 1420هـ - 1999م) ، ص 84- 85 .

4. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 13 ، الفقرة 19 .

5. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 14 ، الفقرة 47- 48 .

ووجه شاول أنظاره نحو الملوك المجاورة وليصب انتقامه عليهم ودخول أراضيهم ، وقد تواصلت انتصارات شاول على الفلسطينيين و المؤابيين وبني عمون والآدوميين وملوك صوبة ، وإذا أخذنا بمحتوى الإصحاح فإن سلطة شاول بدأت تتوسع في المنطقة .

إنّ الهدف من ذكر هذه النصوص هو محاولة معرفة الأماكن التي تواجد بها الإسرائيليون من أسفارهم طوال مدة استقرارهم بأرض كنعان ، جاء في الإصحاح الخامس عشر: (ثُمَّ جَاءَ شَاوُلُ إِلَى مَدِينَةِ عَمَّا لَيْقَ وَكَمَنَ فِي الْوَادِي وَقَالَ شَاوُلُ لِلْقَبْنِيِّينَ اذْهَبُوا حِيدُوا وَأَنْزِلُوا مِنْ وَسْطِ الْعَمَالِقَةِ لِنَلَّا أَهْلِكَكُمْ مَعَهُمْ وَأَنْتُمْ قَدْ فَعَلْتُمْ مَعْرُوفًا مَعَ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ صُعودِهِمْ مِنْ مِصْرَ)⁽¹⁾ ، ويواصل شاول حروبه فقاتل العماليق وأباد مدينتهم .

وقد حرص الرب شاول لأخذ الثأر من العماليق الذين وقفوا في وجه الإسرائيليين أثناء خروجهم من سيناء ، فهذا الحادث رغم مرور ثلاثمائة سنة عليه ، إلا أنه لم ينس من ذاكرة الإسرائيليين⁽²⁾.

ويواصل سفر صموئيل سرد الغزوات التي قام بها شاول ضد الفلسطينيين ، ولكنهم دوما يدافعون عن سيادتهم وأخذ الثأر من بني إسرائيل ، كما هو واضح في الإصحاح السابع عشر : (وَجَمَعَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ جُيُوشَهُمْ لِلْحَرْبِ فَاجْتَمَعُوا فِي سُوْكُوَه⁽³⁾ الَّتِي لِيَهُودَا وَنَزَلُوا مِنْ سُوْكُوَه وَعَزِيْقَةَ فِي أَفْسِ دَمِيمِ⁽⁴⁾ . وَاجْتَمَعَ شَاوُلُ وَرِجَالُ إِسْرَائِيلَ وَنَزَلُوا فِي وَادِي الْبَطْمِ⁽⁵⁾ وَاصْطَفَوْا لِلْحَرْبِ لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ . وَكَانَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وَقُوفًا عَلَى جَبَلٍ مِنْ هُنَا وَإِسْرَائِيلُ وَقُوفًا عَلَى جَبَلٍ مِنْ هُنَاكَ وَالْوَادِي بَيْنَهُمْ فَخَرَجَ رَجُلٌ مُبَارِزٌ مِنْ جُيُوشِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ اسْمُهُ جُلِيَاتُ⁽⁶⁾).

1. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 15 ، الفقرة 5-6 .

2. محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المرجع السابق ، ص 42-43 .

3. سوكوه : كلمة عبرانية معناها أشواق ويدعى هذا المكان اليوم خربة الشويكة ، حيث ينحني وادي أشور إلى الغرب ويصير اسمه وادي السنط . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 495 .

4. أفس دميم : كلمة عبرية وهي اسم مكان في يهوذا بين سوكوه وعزيقة . أنظر : المصدر نفسه ، ص 92 .

5. وادي البطم : واد حلت فيه جيوش العبرانيين حينما قتل داود جوليات ، ويظن أنه وادي السنط على بعد أحد عشر ميلا إلى الجنوب الغربي من أورشليم . أنظر : المصدر نفسه ، ص 180 .

6. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 17 ، الفقرات 1-5 .

برز في هذه المعركة الملك والنبى داود عليه السلام وانتصر على الفلسطينيين بسبب شجاعته وقوته وقتله العملاق جالوت ، هذا الأخير الذي طلب من بني إسرائيل أن يخرجوا له رجلا يبارزه فكان داود كما دل ذلك الإصحاح : (فَتَمَكَّنَ دَاوُدُ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّ (جليات) بِالْمِقْلَاعِ وَالْحَجَرِ وَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيَّ وَقَتَلَهُ. وَلَمْ يَكُنْ سَيْفٌ بِيَدِ دَاوُدَ. فَكَرَضَ دَاوُدُ وَوَقَفَ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّ وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَأَخْتَرَطَهُ مِنْ غَمْدِهِ وَقَطَعَ بِهِ رَأْسَهُ فَلَمَّا رَأَى الْفِلِسْطِينِيُّونَ أَنَّ جَبَّارَهُمْ قَدْ مَاتَ هَرَبُوا. فَقَامَ رِجَالُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا وَهَتَفُوا وَلَحِقُوا الْفِلِسْطِينِيِّينَ) (1).

وردت قصة النبى داود عليه السلام في القرآن الكريم كما مر بنا سابقا ، وكان حاضرا في الحرب وبرز لجالوت وقتله وهُزم الفلسطينيون بقوة وشجاعة داود عليه السلام ، وأثناء هذه الظروف المتردية والمضطربة إغتتم الفلسطينيون ذلك وعاودوا هجومهم على بني إسرائيل ، جاء في الإصحاح الحادي والثلاثون : (وَحَارَبَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ إِسْرَائِيلَ فَهَرَبَ رِجَالُ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَمَامِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَسَقَطُوا قَتْلَى فِي جَبَلِ جَلْبُوعِ) (2)(3).

وهذه المعركة التي ذكرها الإصحاح كانت حاسمة لشاؤل وفاصلة على جبل جلبوع ، وهنا بدأت مرحلة جديدة وتحول الصراع مع شاؤل إلى داود عليه السلام ، وأتيحت الفرصة لملك جديد يحكم بني إسرائيل .

ونستطيع القول أن بني إسرائيل ظلوا طوال فترة شاؤل في حروب ومعارك مع الفلسطينيين ، وحاولوا استرجاع بعض المناطق التي أخذت منهم ، والانتقام من الملوك الأخرى ، وإظهار قوتهم بإيعاز من الله ، فلم يهتئوا بالاستقرار فضلا عن ذلك كانت السيادة للفلسطينيين .
فالحكم في هذه الفترة كان فاشلا ، بحيث كانت مرحلة لعب فيها الفلسطينيون دورا كبيرا وبرزوا أكثر من بني إسرائيل الذين لم يستطيعوا أن يكونوا لهم دولة مستقلة.

1. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 17 ، الفقرات 50-52 .

2. جبل جلبوع : إسم عبري معناه عين متفجرة الجبل ، وهو يكون الجزء البارز في الشمال الشرقي من جبل افرايم كما يكون مساقط المياه بين حوض نهر قيشون ووادي نهر الأردن . أنظر : المصدر نفسه ، ص 262 .

3. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 31 ، الفقرة 1 .

لم يتمكن شاول من فتح فلسطين فقد كان الحكم فيها للفلسطينيين ، في حين تمكن من جمع الأسباط تحت قائد واحد لأول مرة منذ أن وطئت أقدامهم أرض كنعان⁽¹⁾ ، ويصور بعض الباحثين أن حكم شاول لم يكن ناجحا ، ويتفق مع وجهة نظر التوراة على أنها مجرد مرحلة عابرة ، وأن بني إسرائيل لم يتوقعوا الكثير من حكم شاول ، بل كان ميؤوسا منه⁽²⁾.

وعن حدود المنطقة التي كانت تحت نفوذ بني إسرائيل جاء عنها أنها كانت حدودا غامضة اعترفت بها بعض القبائل دون الأخرى ، وكانت تشكل دولة قومية ذات قبائل من أصل واحد ، غير أنها لم تكن ذات إدارة مستقلة⁽³⁾.

ويتضح من الإصحاح الأخير من سفر صموئيل أن الفلسطينيين حاولوا حتى بداية عصر الملوك الاحتفاظ بأرضهم ، ورفضوا بذلك غزو أي أجنبي لهم⁽⁴⁾.

إن شاول استطاع أن يوحد القبائل الإسرائيلية ، لكنه لم يتمكن من غلق باب المعادين لحكمه الذين قللوا من انتصاراته حسبما يفهم من نصوص العهد القديم ، وتعد فترة شاول فترة حروب وغزوات وانتصارات للفلسطينيين ، كما أن ظهور النبي داود بشخصية قوية أبعثت تأييد ومساندة الإسرائيليين له .

المطلب الثاني : داود عليه السلام

1- نشأة داود عليه السلام وتعيينه ملكا على الإسرائيليين

داود عليه السلام كان أحد جنود الملك شاول كما ذكر العهد القديم، وظهر أثناء أحد المعارك التي أبدى فيها شجاعة ، حيث قتل العملاق جالوت وتغلب عليه وانتصر على الفلسطينيين ، ومن هذه الحادثة برز في الوقت الذي انخزل فيه بنو إسرائيل وانكسروا وأخذ منهم تابوت العهد ، وداود عليه السلام نبي وملك حسب العقيدة الإسلامية ، وملك حسب المعتقد اليهودي ، وله مكانة خاصة عندهم ، وللحديث عنه نجد تعدد النصوص والروايات التاريخية ، فالعهد القديم حكى عنه بإسهاب ، وخاصة

1. ظفر الإسلام خان ، المرجع السابق ، ص 42 - 43 . نقلا عن : غوستاف لوبون ، تاريخ اليهود في الحضارات الأولى ، ص 35 .
2. كيث وايتلام ، المرجع السابق ، ص 218 .
3. المرجع نفسه ، ص 228 .
4. صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ص 173 .

في استقرار صموئيل الأول والثاني وسفر الملوك الأول ، وحرس على جعله ملكا يبحث عن السيد ، والتنوع ويشى الوسائل ، في حين أن القرآن الكريم اقتصر في الحديث عنه في آيات قليلة ومتفرقة بعضها مفصل وبعضها مختصر ، سيما يتناسب وطبيعة القصص القرآني ، ولم تعطي اهتماما لقصة الملك كما هو الحال على لسان العهد القديم.

وبسبب الحديث عنه في القرآن الكريم في سياق المعركة التي ذكرناها سابقا بين بني إسرائيل والفلسطينيين ، قال ﷺ: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ (1).

و داود الطيب قد جمع الله له الملك والحكمة (وهي النبوة) وآتاه الله العلم ، وقد أنعم الله عليه بنعم منها صناعة الدروع كما ذكر المفسرون ، قال ﷺ: ﴿ وَعَلَّمَنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بِيَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (2) ، وأنزل عليه الزبور ﴿ وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ (3) ، وهذه الآيات وغيرها صورت داود الطيب في أحسن صورة ، وأعطته المقام الذي يليق به كني وملك ، وجعلته أمرا للرسالة التي هيأه الله لحملها لبني إسرائيل.

وتجد داود الطيب كغيره من الأنبياء الذين سبقوه لم يرد الحديث عنه في الوثائق التاريخية ولا السجلات التي عثر عليها علماء الآثار ، على الرغم من الجهود المتظافرة في البحث والتنقيب. وعن نسب داود الطيب ورد في التوراة أنه لم يكن إسرائيليا خالصا ، فهو ينتمي من جهة أمه من مؤاب وجلدته راعوث ، ومن كانت أمه غير يهودية فلا يعد يهوديا (4).

وتجدرنا نصوص العهد القديم عن نسب طويل لداود الطيب وجعلته من نسل يهوذا ، أما عن القرآن فإنه لم يذكر نسب داود كعادته في حديثه عن الأنبياء ، فلم يفصل في حياتهم ، بل أورد بعض أسماهم ومهمتهم التي بعثوا من أجلها ، وقد ظهر داود في الفترة التي نشبت فيها الاضطرابات ومرور

1. سورة البقرة ، الآية 251 .

2. سورة الأنبياء ، الآية 80 .

3. سورة النساء ، الآية 163 .

4. محمد عبد الله الشرقاوي ، بحوث في مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ص 299 .

بني إسرائيل بظروف صعبة ، ولم تكن أرض فلسطين تضم شعبا واحدا بل قبائل مختلفة ، فضلا عن الغزوات والحروب التي ظلت لفترة طويلة كما ذكرنا سابقا ، فكان داود يلازم شاول ، وأحد المقربين منه كما هو واضح في الإصحاح : (وَكَانَ دَاوُدُ يُخْرَجُ إِلَى حَيْثُمَا أَرْسَلَهُ شَاوُلُ . كَانَ يُفْلِحُ . فَجَعَلَهُ عَلَى رِجَالِ الْحَرْبِ وَحَسَنَ فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ الشَّعْبِ وَفِي أَعْيُنِ عَبِيدِ شَاوُلِ أَيْضًا) (1).

كان داود عليه السلام ينجح في المهمة التي يكلفها إليه شاول ، مما زاد محبة الناس وثار عليه حقد شاول ، فحاول قتله والتخلص منه ، وظهر ذلك في عدة مرات كما بينت نصوص العهد القديم . وقد تغيرت نية شاول تجاه داود ، وتحول حبه له إلى حقد وكرهية ، غير أن داود لم يغفل عنه ذلك ، وعلم بجنث هذه النية ، فعزم على الهرب من وجه شاول (2).

واستطاع داود عليه السلام أن يفر من وجه شاول ، وتمكن من القيام بحروب ضد الجشوريين والجزريين والعمالقة وغزو أراضيهم ، كما جاء ذلك في الإصحاح السابع والعشرون : (وَصَعَدَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ وَغَزَوْا الْجَشُورِيِّينَ وَالْجَزْرِيِّينَ وَالْعَمَالِقَةَ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ قَدِيمِ سُكَّانِ الْأَرْضِ مِنْ عِنْدِ شُورَ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ) (3).

وعند متابعة الإصحاحات نجد أن الصراع قد اشتد بين شاول وداود ، الأمر الذي اضطره إلى اللجوء إلى الفلسطينيين من أجل القضاء عليه ، غير أن هناك من الباحثين من أنكر هذه المساعدة . وهذا النكران يناقض ما أشار إليه العهد القديم ، الذي أورد هذه المساعدة وأكد عليها (4) ، فجاء في الإصحاح السابع والعشرون : (وَقَالَ دَاوُدُ فِي قَلْبِهِ إِنِّي سَأَهْلِكُ يَوْمًا بِيَدِ شَاوُلَ فَلَا شَيْءَ خَيْرٍ لِي مِنْ أَنْ أَفْلَتَ إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ فَيَبْتَاسَ شَاوُلُ مِنِّي فَلَا يَفْتَشُّ عَلَيَّ بَعْدُ فِي جَمِيعِ ثُخُومِ إِسْرَائِيلَ فَأَنْجُو مِنْ يَدِهِ) (5).

1. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 18 ، الفقرة 15 .

2. عبد الوهاب النجار ، المرجع السابق ، ص 307 .

3. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 27 ، الفقرة 8 .

4. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 74 .

5. سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 27 ، الفقرة 1 .

إن طلب داود العون من الفلسطينيين دلالة على أهمية الفلسطينيين ، وعلى احتلالهم مركزاً مهماً ودوراً سياسياً في الصراعات الداخلية بين بيت شاول وبيت داود (1).

تصور نصوص العهد القديم داود عليه السلام رجلاً يبحث عن الملك فيصارع من أجله ، غير أن القرآن الكريم لم يشر إلى هذا الصراع ولم يعط أهمية كبيرة لقصة الملك.

وتتوالى الحروب وتبادل المحطات بين داود والعمالقة الذي استطاع القضاء عليهم ، ثم فتحت جبهة الفلسطينيين الذين كرروا هجومهم وشن بنو إسرائيل حرباً ضدهم ، وبعد وفاة شاول إثر هذه المعركة الأخيرة التي قادها ضد الفلسطينيين ينطوي هذا الباب وتغفل سلسلة الحروب ، ويفتح المجال للداود ، غير أنه في بداية المرحلة الأولى ظهر صراع كما تذكر نصوص العهد القديم بين أبناء شاول وداود وأتباعه على السلطة ومن يرثها بعده وتم تعيين ابن شاول إيشبوش ملكاً على بني إسرائيل ، لكنه لم يستطع أن يقاوم الاضطرابات الشديدة التي عانى منها بنو إسرائيل.

استغل داود هذه الأوضاع وأعلن قيام دولة في الجنوب ، وأطلق عليها مملكة يهوذا (2) ، ودام الحكم سبع سنوات ونصف كما جاء في الإصحاح الثاني من سفر صموئيل الثاني : (وَكَانَتْ الْمَلَكَةُ الَّتِي مَلَكَ فِيهَا دَاوُدُ فِي حَبْرُونَ عَلَى يَتِيمٍ يَهُودًا سَبْعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ) (3).

واختلفت الروايات التاريخية في سنة توليه الحكم (4) ، وقد اجتمع ممثلوا بني إسرائيل إثر وفاة إيشبوش وعقلوا مجلساً ونصبوا داود ملكاً عليهم ، واتخذ حبرون (الخليل) عاصمة لمملكته.

1. سليم عبد السلام العكش ، خرافة الحق التاريخي لليهود في فلسطين ، مجلة الفيصل ، (السعودية : دار الفيصل الثقافية ، ع 262 ، أغسطس 1998م) ، ص 37 .

2. مملكة يهوذا (يهودا) : إسم عبري هو أحد أبناء يعقوب ومعناه الشكر لله واليه تنسب أكبر قبائل العبرانيين وهي التي يأتي منها المسيح ، وقد سمي العبرانيين اليهود نسبة إلى هذه القبيلة بعد أن أصبح اسمها يطلق على المنطقة الجنوبية ، وكانت هذه القبيلة في صراع مع قبيلة أفرايم . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1903 .

3. سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح 2 ، الفقرة 11 .

4. نجد اختلافاً بين المؤرخين في سنة حكم داود ففي بعض المصادر حددت بـ 1004 ق.م ، وفي بعضها 1000 ق.م ، وفي بعضها الآخر

كان تولي داود الحكم بمثابة حدث مهم لأنه ينتمي لنسل يهوذا ، وهذا النسل لم يكن له حظ في الحكم أثناء فترة القضاة ، ومن ثم بدأ يظهر اسم اليهود واليهودية⁽¹⁾.

جاء في الإصحاح الخامس : (وَمَسَحُوا دَاوُدَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ . كَانَ دَاوُدُ ابْنَ ثَلَاثِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ وَمَلَكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً . فِي حَبْرُونَ مَلَكَ عَلَى يَهُوذَا سَبْعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ . وَفِي أُورُشَلِيمَ مَلَكَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا)⁽²⁾ ، وهكذا يصبح داود ملكا بصفة رسمية على بني إسرائيل ، بعد تواصل واستمرار سوء الأوضاع واضطرابها.

2- فتح داود عليه السلام القدس

لجأ داود عليه السلام أثناء توليه الحكم حسب ما يذكر العهد القديم إلى السيطرة والتأهب لدخول القدس التي كانت من ضمن مهامه وطموحاته ، فكان إيجاد موطن لبني إسرائيل أولا ، ثم البحث عن العاصمة ثانيا بعد توحيد بني إسرائيل وتجميعهم تحت سقف واحد وتشكيل جيش قوي يمثل خطرا على الأعداء ، ويكسر شوكتهم ويوقف زحفهم .

ونبدأ حديثنا بوصف المدينة التي فتحها داود وما تمثله هذه المدينة لبني إسرائيل (بدأ داود بالاستيلاء على جبل صهيون⁽³⁾ وكانت فيه قلعة أمامية لليبوسيون يدافعون منها عن القدس ، وكانوا يسمون جبل صهيون بالمنشآت القائمة عليه المدينة الفوقانية بالنسبة لهضبة الحرم جبل موريا⁽⁴⁾ ، التي كانوا يسمونها المدينة التحتانية ، استولى داود إذن على المدينة الفوقانية وحصنها وجعلها قاعدة لحكمه . . . ولما كان داود على طريقة أمراء بني إسرائيل ورؤسائهم في العصور القديمة ، وعلى طريقة الكثير من الحكام القدماء يستمدون سلطتهم من الله فقد جعلوا صهيون مقر السلطة الدينية والسياسية والعسكرية جميعا)⁽⁵⁾.

1. داود عبد العفو سنقراط ، جذور الفكر اليهودي ، (الجزائر : دار الثقافة للتوزيع ، دبط ، دبت) ، ص 112-113.

2. سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح 5 ، الفقرات 3-5 .

3. جبل صهيون : اسم تل وقلعة في القدس يشار له في اللغة العربية بجبل المكبر أو جبل الزيتون وأصل الاسم غير معروف وقد اتم الاسم في بداية الأمر ، للإشارة إلى قلعة الليبوسيين جنوب شرقي القدس أسفل تل أوفيل وجبل الهيكل أو جبل البيت أو هضبة الحرم ، وقد سميت (بيت داود) بعد أن وقعت في يد داود ، وبعد أن نقل لها حكمه ، أصبحت كلمة جبل صهيون تشير إلى كل من تل أوفيل وجبل البيت . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج5 ، ص 2428 .

4. جبل موريا : اسم جبل في القسم الشرقي من اورشليم . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 859 .

5. حسن ظاظا ، أبحاث في الفكر اليهودي ، (دمشق : دار القلم ، ط1 ، 1997م) ، ص 26 .

وجاء في الإصحاح الخامس : (وَذَهَبَ الْمَلِكُ دَاوُدَ) وَرَجَّأَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ إِلَى الْيَبُوسِيِّينَ سَكَّانِ الْأَرْضِ فَكَلَّمُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ لَا تَدْخُلْ إِلَى هُنَا مَا لَمْ تَتَرَعِ الْعُمَيَانَ وَالْعُرْجَ . أَيُّ لَا يَدْخُلُ دَاوُدَ إِلَى هُنَا وَأَخَذَ دَاوُدَ حِصْنَ صِهْيُونَ . هِيَ مَدِينَةُ دَاوُدَ . وَقَالَ دَاوُدُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِنَّ الَّذِي يَضْرِبُ الْيَبُوسِيِّينَ وَيَبْلُغُ إِلَى الْفَنَاءِ وَالْعُرْجِ وَالْعُمِيِّ الْمُبْعُضِينَ مِنْ نَفْسِ دَاوُدَ لِذَلِكَ يَقُولُونَ لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ أَعْمَى أَوْ أَعْرَجَ . وَأَقَامَ دَاوُدُ فِي الْحِصْنِ وَسَمَّاهُ مَدِينَةَ دَاوُدَ⁽¹⁾ .

وقد قدم بعض الباحثين⁽²⁾ عدة ملاحظات على هذا النص وما يحمله من معاني ، فدخل داود إلى اورشليم ليس معناه بالضرورة فتحها ، فالنص لم يذكر أن داود استولى على اورشليم ، بل ذكر أن كل ما أخذه هو حصن صهيون ، والواضح أن بني إسرائيل فتحوا اورشليم أثناء فترة القضاة ، كما أن هذا النص لم يحدد موقع حصن صهيون أكان في اورشليم أم بجوارها ؟ كما أن النص لا يذكر أن مدينة داود هي اورشليم⁽³⁾ ، وقد اعتبر هذا الفتح بمثابة انقلاب عسكري من خلال بعض الأدلة المستنتجة من الإصحاح .

ولم يذكر الإصحاح أن داود فتح المدينة، بل استولى على قلعة صهيون وأقام فيها، وقد أشارت إصحاحات سفر يشوع⁽⁴⁾ أن الناس كانوا يميزون بين المدينة وقلعة صهيون، واحتمال أن يكون داود قام بإنقلاب داخل القصر بدليل أن الكتاب المقدس لم يذكر وقوع أية مذابح لسكان اورشليم ، ومؤلف الكتاب المقدس أثناء حديثه عن اورشليم لأول مرة يذكر أن اليبوسيين و اليهوديين مقيمين

1. سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح 5 ، الفقرات 6-9 .

2. وكان من بين الباحثين كمال الصليبي الذي قدم حججا تنفي وقوع الأحداث في فلسطين ، و نقل جغرافية التوراة من فلسطين إلى عسير في السعودية ، و سلم بصحة التوراة واعتبرها حقائق تاريخية لا تقبل النقاش وذلك في كتابه التوراة جاءت من جزيرة العرب ، كما ذهب إلى ذلك زياد منى في كتابه جغرافية التوراة .

3. كمال الصليبي ، المرجع السابق ، ص 177 ، 178 .

4. أنظر : سفر يشوع ، الإصحاح 15 ، الفقرة 8 .

مع بعضهم البعض⁽¹⁾ ، وهذا يفيد أنه حدث سلم بين الطرفين ؛ أي بين بني إسرائيل وبين الشعب المقيم في القدس .

هذه الأدلة التي قدمت تتناسب أن يكون هذا العمل الذي قام به داود يسمى فتحا وليس انقلاب ، وخاصة أنه دخل القدس دون إيذاء من سكانها ، كما اعترفت بذلك نصوص العهد القديم . نقول أن داود عليه السلام قد دخل المدينة وقام بفتحها كعادة الأنبياء ، من أجل نشر الدين وتطهير المكان من الشرك والوثنية ، لكن لم يقم بطرد السكان الأصليين ، بل هناك اعتراف صريح من نصوص العهد القديم ذاتها أنه أقام بينهم ، والقدس كانت مدينة مقدسة قبل أن يدخلها داود عليه السلام ، بل قبل أن يدخلها بنو إسرائيل بزمن طويل ، وكان يحكمها ملكيصادق اليوسي كما ذكرنا سابقا، وكان هدف داود من فتح المدينة ليس بقصد التوسع والسيطرة والغزو والقتل كما ذكرت نصوص العهد القديم ، وإنما من أجل ما قرره القرآن الكريم وتحقيق الهدف المرجو وإعادة العدل بين الناس .

فداود عليه السلام قام بفتح المدينة التي تذكر نصوص العهد القديم أنها أورشليم ، لكن القرآن لم يحدد ذلك وإنما ذكر أن بني إسرائيل كانوا بمنطقة بجانب نهر كما مر بنا في الآية السابقة ، وقد ذكر المفسرون أن هذا النهر قريب من فلسطين والقدس على الخصوص ، والقرآن الكريم يتفق مع نصوص العهد القديم في ذكر أن المنطقة التي كان بها بنو إسرائيل هي منطقة ساحلية والقدس كانت كذلك ، وهي ضمن الأرض المقدسة .

3- حروب داود عليه السلام

واصل داود حسبما ورد في العهد القديم مضايقة اليوسيين في جبل موريا ، وأذلم بعد عداهم عبيدا بسبب ما أبدوه من مقاومة ، و القرآن بين أن داود عليه السلام جعله الله خليفة في الأرض ليقوم العدل بين الناس فقال عليه السلام : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾⁽²⁾ .

فالله تعالى منحه قوة في ملكه وساعده على ذلك ، حيث تغلب على أعدائه وانتصر عليهم ، وأوقف المعارضين والمعتدين على ملكه⁽³⁾ .

1. كارين أرمسترونج ، المرجع السابق ، ص 81 .

2. سورة ص ، الآية 20 .

3. عبد الوهاب النجار ، المرجع السابق ، ص 310 .

ويذكر القرآن الكريم هذا الملك والحكم أيضا في قوله ﷻ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (1) ، فقد تحدث عنه القرآن الكريم على أنه نبي حاكم يقضي بين الناس ، و آتاه الله ملكا قويا ، وقد تميز بالشجاعة والإلانة الحديد يصنع منه ما يشاء ، وقد ساعده على تكوين مملكة دينية قائمة على دستور إسلامي.

فهذه الصورة التي قدمها القرآن الكريم تختلف عن الصورة التي قدمتها نصوص العهد القديم ، فقد آتاه الله الملك واستغل هذا المركز لغرض ديني ، وإقامة العدل في مملكته ونشر دعوة الله . أما من الناحية التجارية فنجد أن العهد القديم يذكر أنه أقام علاقات تجارية مع حيرام أحد الملوك الفينيقيين ، الذي أرسل له الحجارة والخشب وقام ببناء قصره ، غير أن هناك من ينكر وجود حيرام في هذه الفترة التاريخية .

وكان هذا النفي بسبب غياب الوثائق والآثار التي تؤكد عدم وجود ملك في القرن العاشر ق م اسمه حيرام (2) ، لكن عدم وجود الأدلة لا يعني إنكار ذلك الخبر ، وربما أقام علاقات مع ملوك فينيقيين .

وتصور نصوص العهد القديم داود أنه حائن للعهود والمواثيق التي بينه وبين الفلسطينيين ، الذي لجأ إليهم هاربا من شاول ، فلم يحم داود وزنا لتلك المساعدة وقام بعدة معارك ضدهم ، وأجبرهم على الاعتراف بسيادته على جزء كبير من فلسطين ، وصاروا له عبيدا يؤدون الجزية ، لكن نستطيع القول أن هذه الجزية ربما كانت في إطار الفتوحات التي قام بها ، وهذه الجزية التي كانت تمارسها الممالك القديمة مقابل حماية الممالك والدول .

فجاء في الإصحاح الثامن : (وَضْرَبَ دَاوُدُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَذَلَّلَهُمْ وَأَخَذَ دَاوُدُ زِمَامَ الْقَصَبَةِ مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ . وَضْرَبَ الْمُؤَابِّيِّينَ . . . وَضْرَبَ دَاوُدُ هَدَدَ عَزْرَ بْنِ رَحُوبَ مَلِكِ صُوبَةَ حِينِ ذَهَبَ لِيَرُدَّ سُلْطَتَهُ عِنْدَ نَهْرِ الْفُرَاتِ) (3) .

1. سورة ص ، الآية 26 .

2. عبلة المهدي الزبدة ، القدس تاريخ وحضارة "3000 ق.م ، 1917م" ، (بيروت : دار نعمة للطباعة ، ط1 ، 1420هـ - 2000م) ،

ص 33 . نقلا عن : فراح السواح ، أرام دمشق وإسرائيل ، ص149 .

3. سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح 8 ، الفقرات 1-3 .

وتابع الإصحاح : (فَجَاءَ أَرَامُ دِمَشْقَ⁽¹⁾ لِنَجْدَةِ هَدَدَ عَزَرَ مَلِكِ صُوبَةِ فَضْرَبَ دَاوُدَ مِنْ أَرَامِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَجَعَلَ دَاوُدُ مُحَافِظِينَ فِي أَرَامِ دِمَشْقَ وَصَارَ الْأَرَامِيُّونَ لِدَاوُدَ عِبِيدًا)⁽²⁾.
 إن داود كما يذكر الإصحاح ذهب ليسترد سلطته على نهر الفرات ، غير أنه لم ترد أي عبارة تفيد أنه كانت له سلطة على هذا النهر ، ومما لا شك فيه أن داود قام بحرب ضد ملك صوبة ، وأن آراميو دمشق هبوا لمساعدة إخوانهم⁽³⁾.

وجاء في نفس الإصحاح : (مِنْ أَرَامَ وَمِنْ مُوآبَ وَمِنْ بَنِي عَمُونَ وَمِنْ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَمِنْ عَمَالِيقَ وَمِنْ غَنِيمَةَ هَدَدَ عَزَرَ بْنِ رَحُوبَ مَلِكِ صُوبَةِ)⁽⁴⁾ ، وقد تمكن داود كما ذكر الإصحاح أن يسيطر وييسط سلطانه على هذه الممالك ويوسع حدود مملكته ، (ويلحظ أن ذكر إخضاع داود للعمونيين والمؤابيين جاء عرضاً ومقتضاً دون أن يذكر في الإصحاح ولا في الذي قبله خير صدام وقاتل بينه وبينهم ، ومهما يكن من أمر فالعبارة تفيد أن ممالك الأراميين والعمونيين والمؤابيين والأدوميين والفلسطينيين بقيت قائمة ، وكل ما يمكن أن داود تغلب عليها وبسط سيادته وتقاضى منها الجزية)⁽⁵⁾.

جاء في الإصحاح العاشر : (وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ بَنِي عَمُونَ مَاتَ وَمَلَكَ حَاتُونُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ . فَقَالَ دَاوُدُ أَصْنَعُ مَعْرُوفًا مَعَ حَاتُونِ بْنِ نَاحَاشَ كَمَا صَنَعَ أَبُوهُ مَعِي مَعْرُوفًا . فَأَرْسَلَ دَاوُدُ بِيَدِ عَبِيدِهِ يُعْزِيهِ عَنْ أَبِيهِ)⁽⁶⁾ ، ذكر هذا النص أن داود ⁽⁶⁾ طلب رد الجميل لملك بني عمون ، وهذا دليل

1. أرام دمشق : وأهم مدن هذا الإقليم هي دمشق نفسها التي كانت العاصمة ، وكان الأراميون يملكون هذه المدينة في عصر قيام مملكة في إسرائيل وقد صارت المدينة في النهاية مركزاً لنفوذ الأراميين في المناطق الواقعة غربي الفرات ، وكثيراً ما اشتعلت نيران الحرب بين دمشق والإسرائيليين واستغرقت أمداً طويلاً ، وقد غزا الآشوريون دمشق وامتلكوها عام 732 ق. م . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 43 .
2. سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح 8 ، الفقرة 5-6 .
3. محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المرجع السابق ، ص 148 .
4. سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح 8 ، الفقرة 12 .
5. المرجع نفسه .
6. سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح 10 ، الفقرة 1-2 .

على أن بني عمون لم يكونوا خاضعين لداود وهو بذلك يخالف الإصحاح الثامن .

ويمكن أن يعود سبب الصراع بين داود عليه السلام وبني عمون لسوء معاملة العمونيين لرسول داود ، الذين أرسلهم في مهمة نتيجة تغيير السلطة في عمون⁽¹⁾ .

فداود واصل ضغطه على سكان فلسطين ، وحقق انتصارات عليهم ، فهو حسبما ذكر العهد القديم لم ينعم بالطمأنينة والسلام فقد كانت فترة حكمه مليئة بالحروب والتراعات ، وظهرت عوامل الانهيار داخل مملكته ، الأمر الذي أدى إلى ظهور ثورة ابنه أبشالوم .

وواضح أن داود عليه السلام أخذ وقتا في تهدئة الأوضاع وما أصاب حكمه من ثورات داخلية ، ولم تنج من ذلك حتى الأسرة الملكية بسبب ضعف روابط العقيدة ، والتأثر بالثقافات الأخرى⁽²⁾ .

استغل الفلسطينيون التمزق والخلاف الذي حصل في بيت داود ، والحن التي مر بها بنو إسرائيل فعاودوا الغزو وكاد داود عليه السلام يقتل في هذه المعارك ، جاء في الإصحاح الحادي والعشرون : (وَكَاثَتْ أَيْضًا حَرْبٌ بَيْنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَإِسْرَائِيلَ فَأَنحَدَرَ دَاوُدُ وَعَبِيدُهُ مَعَهُ وَحَارَبُوا الْفِلِسْطِينِيِّينَ)⁽³⁾ .

إن هذه الإصحاحات تذكر سلسلة من الحروب التي كان يغلب عليها طابع التوسع والسلطة ، وهو بعيد تماما عما يذكره القرآن الكريم وعما يهدف إليه من وراء ذكر أحداثه ورواية قصصه .

4- بناء داود عليه السلام مكانا للعبادة

أثناء هذه الفترة كما ذكرت نصوص العهد القديم ظهر في أيام داود نبي اسمه جاد ، وجاء إلى داود وأشار عليه أن يبني مذبحا للإله في حقل أرنان اليبوسي⁽⁴⁾ فوق جبل المريا ، شرقي أورشليم كما دلت على ذلك نصوص العهد القديم ، فجاء في الإصحاح الرابع والعشرون : (فَقَالَ دَاوُدُ لِأَشْتَرِي هذا الموقع بفضيلة أرنة) هو اسم لرجل ييبوسي اشترى داود بيده على جبل الموريا ، وعلى أرض البيدر بني داود مذبحا للرب ، وفي نفس هذا الموقع بني سليمان الهيكل ، ويحتمل أن هذا البيدر كان على الصخرة التي تقوم عليها الآن قبة الصخرة ، وقد ورد الاسم بصيغة أرنة في صموئيل وبصيغة أرنان في أخبار الأيام وهما من أصل واحد . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 57 .

1. أحمد أمين سليم ، المرجع السابق ، ص 338 .

2. عشراتي سليمان ، المرجع السابق ، ص 56 .

3. سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح 21 ، الفقرة 15 .

4. أرنان (أرونة) : هو اسم لرجل ييبوسي اشترى داود بيده على جبل الموريا ، وعلى أرض البيدر بني داود مذبحا للرب ، وفي نفس هذا الموقع بني سليمان الهيكل ، ويحتمل أن هذا البيدر كان على الصخرة التي تقوم عليها الآن قبة الصخرة ، وقد ورد الاسم بصيغة أرنة في صموئيل وبصيغة أرنان في أخبار الأيام وهما من أصل واحد . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 57 .

مَنْكَ الْبَيْدَرَ لِكَيْ أَبْنِي مَذْبَحًا لِلرَّبِّ فَتَكْفُفَ الضَّرْبَةَ عَنِ الشَّعْبِ . فَقَالَ أَرُونَهُ لِدَاوُدَ فَلْيَأْخُذْهُ سَيِّدِي الْمَلِكُ وَيُصْعِدْ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ . انظُرْ . الْبَقْرُ لِلْمَحْرَقَةِ وَالتَّوَارِجُ وَأَدَوَاتُ الْبَقْرِ حَطْبًا . الْكُلُّ دَفَعُهُ أَرُونَهُ الْمَلِكُ إِلَى الْمَلِكِ . وَقَالَ أَرُونَهُ لِلْمَلِكِ الرَّبُّ إِلَهُكَ يَرْضَى عَنْكَ . فَقَالَ الْمَلِكُ لَأَرُونَهُ لَأَبْلَ أَشْتَرِي مِنْكَ بِثَمَنٍ وَلَا أُصْعِدُ لِلرَّبِّ إِلَهِي مُحْرَقَاتٍ مَجَّانِيَةً . فَاشْتَرَى دَاوُدُ الْبَيْدَرَ وَالْبَقْرَ بِخَمْسِينَ شَاقِلًا (عملة يهودية قديمة) مِنَ الْفِضَّةِ . وَبَنَى دَاوُدُ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلَامَةً وَاسْتَجَابَ الرَّبُّ مِنْ أَجْلِ الْأَرْضِ فَكَفَّتِ الضَّرْبَةُ عَنِ إِسْرَائِيلَ⁽¹⁾ ، اشترى داود البيدر من أرنان اليبوسي ، وبني عليه مذبحا ، وقد اختلفت الروايات في شأن هذا المكان وكيف تم انتقاله إلى داود .

وكان الهدف من هذا الاختلاف والتضارب هو محاولة تجميع اليهود وترديد عبارة أن أرض الأقصى لهم بحكم البيع والشراء ، لكن كيف تحولت هذه البقعة المقدسة التي احتوت معبدا وصاحبها ملكيصادق بيدرا ؟ وملكاً لفرد واحد هو (أرونة) ؟ وفي هذا نفي قدسية المكان لليبوسيين ، فالمعبد لا يملكه فرد فيباع ويشترى ، والتوراة تشير إلى أن أرونة يمارس الذبح ، ومعنى ذلك أنه مارسه مع اليبوسيين ، فالمكان كان معبدا ولم يصبح ملكا خاصا ، ولذلك أقام عليه داود المسجد⁽²⁾ .

واختلفت آراء الباحثين والمؤرخين وتضاربت حول مكان العبادة الذي بناه داود ، فقد ذكر أنه بنى هيكلًا⁽³⁾ ، وأتمه ابنه سليمان من بعده ، ولكن لم يتفقوا على تحديد مكانه بالضبط ، وأثيرت تساؤلات حوله ، فهناك من يعتقد أن الهيكل هو المسجد الأقصى عند المسلمين ، وهناك من يرى أن الهيكل في مكان المسجد الأقصى ، ولم تصل الحفريات إلى دليل على ذلك ، وهناك من يرى أن الهيكل موجود ولكن خارج فلسطين في منطقة قريبة منها ، ويبقى هناك مجال للبحث على اعتبار

1. سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح 24 ، الفقرات 21-25 .

2. محمد شامة ، مقال سابق ، ص 23-24 .

3. الهيكل : وهو البيت الكبير في كثير من اللغات السامية الأكديّة والكنعانية وغيرهما ، والبيت الكبير أو العظيم هو الطريقة التي كان يشار بها إلى مسكن الإله ، ومن أهم أسمائه بيت يهوه لأنه أساس مسكن للإله وليس مكانا للعبادة والهيكل أهم مبنى للعبادة اليسرائيلية (الإسرائيلية) ، ومركز العبادة القربانية ، وبعد هدمه عام 70م لم يحل محله مبنى مركز مماثل ، وكان يحج إليه في أعياد الحج الثلاثة : عيد الفصح وعيد الأسابيع وعيد المظال ، وبعد العودة من بابل كان السنهدين يجتمع في إحدى القاعات الملحقة به ، وفي بداية عبادتهم كان العبرانيون أعضاء جماعة يسرائيل يحملون في تجوالهم تابوت العهد الذي كان يوضع في خيمة الشهادة أو الاجتماع ، ومع استقرارهم في كنعان كانوا يقدمون الضحايا والقربان والهبات للالهة في هيكل محلي أو مذبح متواضع مبني على تل يسمى المذبح أو المحرقة . انظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1928 .

أن علماء الآثار لم يتوصلوا إلى شيء يذكر ، كما أن القرآن الكريم لم يتحدث عنه ولم يشر إليه ، وإنما ذكر المسجد الموجود في فلسطين ، وبين القرآن الكريم أن داود عليه السلام كان يتعبد في مكان وهو المحراب ⁽¹⁾ ، كما أن القرآن الكريم لم يذكر شيئا عن المسجد الأقصى أيام داود عليه السلام ، مما أثار في أذهاننا احتمالين:

فلاحتمال الأول : إما أن المسجد الأقصى بناء والمحراب بناء آخر ، لذلك لم يرد المسجد مقترنا بالمحراب وهذا ما أدى بنا إلى الاعتقاد أن داود كان مقيما خارج القدس ، ولم تكن عاصمته التي اتخذها بعد توليه الحكم ، فلو كان مقيما بها لصرّح بأن المحراب هو اسم المسجد الأقصى.

والاحتمال الثاني : إما أن يكون المسجد الأقصى هو المحراب وهو الأرجح ، فالقرآن الكريم لم يصرح بذلك باعتبار أن المسجد الأقصى كان يطلق عليه إسم محراب ، فلم يكن المسجد يعرف بالأقصى من قبل ، ففي كل عهد من عهود الأنبياء كان يسمى باسم ، فهو المسجد الذي يحتمل أن أقامه إبراهيم وجدده من بعده أبنائه وأحفاده ومن تلاهم من الأنبياء ، فقد كان يسمى بمسجد أو محراب داود بصريح الآية القرآنية قال عز وجل : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ ⁽²⁾.

فتسمية المسجد الأقصى جديدة وثبتت بنص الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف اللذين مرا بنا سابقا ، ولم يكن مسجدا معروفا غيره بالإضافة إلى مسجد مكة ، ولم يكن موجودا ببناؤه المعروف الآن .

فهذا دليل على أن داود اتخذ محرابا ، فكان يترك جزءا من وقته لمعرفة أحوال رعيته وشؤون مملكته ، وكان مكانا للقضاء وحل الخصومات ، وهذا معناه أن داود كان مقيما بالقدس ، كما كان أيضا يسمى مسجد داود بدليل ما ورد في التاريخ الإسلامي أن عمر بن الخطاب عندما فتح القدس

1. المحراب : هو كل موضع مرتفع ، وقيل للذي يصلي فيه ، لأنه يجب أن يرفع ويعظم ، والمحارِبُ دون القصور ، وهو أشرف بيوت الدار . أنظر : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المصدر السابق ، مج7 ، ص 271 . إسماعيل ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، المصدر السابق ، مج3 ، ص 580 .

2. سورة ص ، الآية 21 .

وأصدر وثيقة الأمان (العهدية العمرية) سأل عن مكان المسجد (وقال والذي نفسي بيده ، مسجد داود عليه السلام الذي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسري به إليه ، ومضى نحو محراب داود ، وهو الذي على باب البلد في القلعة ، فصلى فيه ثم قرأ سورة ص وسجد⁽¹⁾).

فقد ثبت في الحديث أنه كان عبارة عن سور بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أوتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم عرج بي إلى السماء"⁽²⁾ ، وقد تعرض الأقصى للهدم عدة مرات و لذلك لم يبق منه إلا السور كما أوضح الحديث .

الحقيقة التي نقررها أن داود عليه السلام لم يبن هيكلًا ولكن بني مكانًا للعبادة كغيره من الأنبياء الذين سبقوه ، وهو المسجد الأقصى كما ذكرنا ، وهو في اعتقاد اليهود أن أرضه هي المكان الذي بني عليه الهيكل لكن هذا غير صحيح ، فالهيكل لا وجود له إلا في أذهان اليهود ، حيث اقتبسوه من نصوصهم الدينية ، وحاولوا أن يجعلوه حقيقة ثابتة تاريخيًا ، فلا القرآن تحدث عنه ، و لا السنة النبوية ذكرته ، وخاصة أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد سور المسجد الأقصى لا سور الهيكل ، وهو الذي يدعي اليهود أنه من بقاياها التي دمرت عدة مرات على أيدي الغزاة المتعاقبين على فلسطين ، ولم تثبت أدلة ولا أية آثار تاريخية ولا حفريات على وجوده ، ويبدو أن قضية الهيكل قد وجدت في فترة متأخرة من تاريخ بني إسرائيل ، أي بعد داود وسليمان عليهما السلام ، وقد حاول اليهود أن يجعلوا له أثرًا باقيا ومكانا دينيا يقيمون فيه طقوسهم ويحجون إليه ، ويكون لهم مركزا يجمعهم كغيرهم من الأمم في موطن واحد ، فكان تصور بناء الهيكل مقتبس من الحضارات المجاورة لهم ، فلم يكن لهم سوى المسجد الذي التف حوله الأنبياء ، وحاولوا أن يربطوا الهيكل بالمسجد الأقصى ويمحوا عاصمة المدينة المقدسة .

1. مجير الدين الحنبلي الحلبي ، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، تحقيق ومراجعة : عدنان أحمد بونس ، (عمان : مكتبة منديس

، دط ، 1999م) ، ج1 ، ص380 .

2. رواه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، ج2 ، ص211 .

5- مملكة داود عليه السلام

بعدها تمكن داود عليه السلام من الاستقرار في الأرض المقدسة ، استمر بتأسيس مملكة تحدث عنها تاريخ اليهود بإسهاب ، وخصها الباحثون بدراسة كبيرة باعتبارها العصر الذهبي لبني إسرائيل كما عبر عن ذلك بعض المؤرخين ، وقد اختلفوا في وضع حدود لها ، فمنهم من عدّها مملكة كبيرة لا تضاهيها أية مملكة في المنطقة ، ومنهم من حط من شأنها وقلص من حدودها ، وجعلها مملكة صغيرة لا تتعدى مدينة من مدن فلسطين ، وذكروا أن بني إسرائيل تركزوا في الجبال دون السهول .

إن داود عليه السلام أقام مملكة في الأرض المقدسة ، ويمكن أن تكون هذه المملكة واسعة تمتد من النيل إلى الفرات كما عبرت عن ذلك التوراة ، وهي تشمل أرض فلسطين التي خصتها التوراة بالذكر ، ولم يضع القرآن حدودا لها ، وكانت ضمن الأرض المباركة .

وقد ذكر القرآن الكريم أن الله استخلف النبي داود في الأرض ومن ذلك قوله عَلَيْكَ ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (1) .
فجاء في تفسير معنى الأرض أنه من المحتمل أن يكون المراد منها جميع الأرض باعتبار داود عليه السلام خليفة الله في الأرض الذي لا يخرج عن طاعته أي شيء (2) .

(ويعتبر المؤرخون اليهود مملكة داود التحقيق النهائي لعقيدة العهد بين الإله والشعب ، وهو العهد المعطى للآباء الإسرائيليين بالأرض أولاً ، ثم الخلاص (3) ثانياً ، وفي عصر داود يكتمل الوعد بالأرض والخلاص ، ويصبح العبرانيون دولة لأول مرة في تاريخهم ، ويصبح داود نموذج الملك ، ودولته نموذجاً للمملكة في التفكير التاريخي الإسرائيلي) (4) .

1. سورة ص ، الآية 26 .

2. محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ج 23 ، ص 242 .

3. الخلاص : ترجمة للكلمة العبرية جينولاه ، وهي اصطلاح ديني يشير إلى الاختلاف العميق والجوهري بينما هو كائن وما سيكون وإلى انتهاء آلام الإنسان ، وفي العهد القديم معنيين لكلمة الخلاص: تخليص الأرض عن طريق شرائعها ، ثم أصبحت الكلمة تعني تخليص الأرض من عذابها بعد أن وقعت في يد غير اليهود ، وبالتالي تحول معنى الكلمة وأصبحت تشير إلى الخلاص بالمعنى المجازي . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 5 ، ص 2398 .

4. محمد خليفة حسن أحمد ، التاريخ العبري ، مجلة الفيصل ، (السعودية : دار الفيصل الثقافية ، ع 80 ، نوفمبر 1983 م) ، ص 48 .

و قد صور بعض الباحثين حجم مملكة داود عليه السلام ، وجعلوا منها مملكة كبيرة تضم :عمون ، و سوريا في الشمال ، أدوم و مؤاب في الشرق ، وبفضل الفتوحات التي قام بها داود أصبح بنو إسرائيل يمثلون أكبر قوة في فلسطين وسوريا ، بل أصبحت تضاهي أية قوة كبرى آنذاك ، ولا تقل بأسا عنها (1) ، وفي هذا توسيع لمملكة النبي داود ، وإعطاء بني إسرائيل شأنًا كبيرًا بالنسبة للممالك الأخرى بحيث لا تقل عنهم .

وهناك من جعلها مملكة صغيرة لا تصل حتى البحر إلا في منطقة يافا ، دون مدينتا صور وصيدا الفينيقيتان ، وقد بقي الفلسطينيون مستقلون في الجنوب الشرقي من بلاد فينيقية (2).

استطاع داود عليه السلام أن يكون مملكة على أسس إسلامية بخلاف ما كان سائدا ، وقام بفتوحات في الأرض المقدسة ، ولربما أجبر الأمم المجاورة على دفع الجزية وإخضاعها تحت سلطة دينية ، وتعيين ولاة يمثلون ويطبّقون شريعة الله ، فشدّد حكمه وملكه كما عبر عن ذلك القرآن بالدعوة إلى دين الله وإقامة العدل والحكم بين الناس ، وجعل المملكة مهابة من طرف الأمم ، وهذه الأرض تشمل عدة أراض مباركة ، من بينها الجزيرة العربية والشام ، كما تمكن داود من استعادة تابوت العهد ، وبذلك صارت هذه المملكة المركز الديني والسياسي والتجاري بين الأمم ، وأثبت بنو إسرائيل وجودهم دون أن يكونوا عرضة للأعداء أو يتحرشوا بهم ، ووجدوا بذلك موطنًا كان أكثر تحضرا مقارنة بما مضى ، وكان لبني إسرائيل وزن بين الأمم وأصبحوا يتمتعون بقوة على غرار ما عهدنا .

المطلب الثالث : سليمان عليه السلام

1- تولي سليمان عليه السلام الملك

تذكر الروايات التوراتية أن سليمان عليه السلام كان واحدا من تسعة عشر ابنا لداود ، وولد في القدس ، واختلفت المصادر في تحديد الفترة الزمنية التي ولد فيها ، غير أنها اتفقت على القرن الذي ظهر فيه وهو القرن العاشر قبل الميلاد ، وتعرضت نصوص العهد القديم لكثير من التفاصيل في حديثها عن سليمان عليه السلام ، وخاصة في سفر الملوك الأول وسفر الأخبار الثاني مع العديد من التناقضات والافتراءات ، وقد أطلقت عليه ملكا لا نبيا ووصفته في بعض الأحيان بالحكيم ، في حين نجد أن

1. كيث وايتلام ، المرجع السابق ، ص 206 .

2. ظفر الإسلام خان ، المرجع السابق ، ص 48 . نقلا عن : جفريز ، فلسطين إليكم الحقيقة ، ص 42 .

القرآن الكريم أعطى صورة عنه تليق بمرتبة الأنبياء ، وأطلق عليه نبي وملك ولم يحدد الزمن الذي عاش فيه سليمان ، واقترن الحديث عنه بذكر أبيه داود عليهما السلام في كثير من الأحيان ، ويشير القرآن أن سليمان لازم أباه داود عليه السلام لكي يتعلم منه ، أما الأخبار والمستندات فلا تعطي عنه أية صورة ، ولم توجد أدلة تؤيد النصوص الدينية ، ويستهل سليمان حكمه حسب العهد القديم بالقتل وهي النظرة التي تعطيها نصوص العهد القديم عن سياسة ملوكها ، وأوضحت وجود صراع على السلطة طلبا في الحكم والملك ، فحدث انشقاق بين سليمان وأخيه أدونيا ، وهو حسب شريعة التوراة أولى بالحكم من سليمان لأنه الأكبر منه ، غير أنه جرد من هذا الحق ، لكن إذا نظرنا إلى القرآن فإنه لم يذكر هذا الصراع ، وهذا ربما راجع إلى أمرين ، إما أن سليمان كان وحيد أبيه (داود) ، وإما أن سليمان عليه السلام كان أحق من أخيه لأنه كان أحسن منه ، فقد هيأه الله لحمل الرسالة ، واختاره دون سائر أبنائه فكان أفضلهم لذلك ورث داود عليه السلام في النبوة .

وتذكر نصوص العهد القديم أن سليمان عليه السلام من أجل توليه الحكم قتل أخاه ورئيس جيش أبيه ، وعزل الكاهن ثم قتله ، وهكذا يبدأ سليمان حكمه بالقتل.

فذكر في سفر الملوك الأول كيفية تولي سليمان الملك : (فَأَخَذَ صَادُوقُ الْكَاهِنُ قَرْنَ الدُّهْنِ مِنَ الْخَيْمَةِ وَمَسَحَ سُلَيْمَانَ . وَضَرَبُوا بِالْبُوقِ . وَقَالَ جَمِيعُ الشَّعْبِ لِيَحْيَا الْمَلِكُ سُلَيْمَانَ . وَصَعِدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَرَأَاهُ وَكَانَ الشَّعْبُ يَضْرِبُونَ بِالنَّايِ وَيَفْرَحُونَ فَرَحًا عَظِيمًا حَتَّى انشَقَّتِ الْأَرْضُ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ) (1).

وقد ذكر المؤرخون أن بداية حكم سليمان عرفت فيه مصر وأشور أوضاعا مضطربة ، ولكن سرعان ما عادت إلى قوتها وممارسة سيادتها على الفلسطينيين ، وكان سليمان تحت سلطة المصريين ، الذي يحتمل أن يكون سلطانا ضئيلا ، وفي أواخر حكم سليمان (2).

1. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 1 ، الفقرات 39- 41 .

2. محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المرجع السابق ، ص 161 .

2- مملكة سليمان عليه السلام وحقيقة الملك

استطاع سليمان عليه السلام أن ينعم بالسلطان فترة من الزمن ، وأن يصاهر فرعون مصر شيشنق (929-950 ق.م) ، الذي أهدى مدينة جازر (مدينة شمال غرب القدس) بعدما أحرقها بالنار ، واستولى عليها من يد الكنعانيين .

وكان الفرعون الذي زوج ابنته من سليمان يدعى سي آمون ، وهو الملك الأخير من الأسرة الحادية والعشرين⁽¹⁾ ، ويذكر المؤرخون أن السجلات الأثرية لم تورد أي معلومات بشأن علاقة سليمان بآخر الفراعنة ، سواء كان فرعون مصر شيشنق أو سي آمون ، ولكن توليه كملك يستدعي أن يقيم علاقات سواء مع فراعنة مصر أو مع الملوك الآخرين.

جاء في الإصحاح الثالث : (وَصَاهَرَ سُلَيْمَانَ فِرْعَوْنُ مَلِكَ مِصْرَ وَأَخَذَ بِنْتَ فِرْعَوْنَ وَآتَى بِهَا إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ إِلَى أَنْ أُكْمَلَ بِنَاءَ بَيْتِهِ وَبَيْتِ الرَّبِّ وَسُورِ أُورُشَلِيمَ حَوْلِهَا)⁽²⁾.

ويتضح من الإصحاح الرابع أنه كان ملكا على ممالك المنطقة (كَانَ سُلَيْمَانُ مُتَسَلِّطًا عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ مِنَ النَّهْرِ إِلَى أَرْضِ فِلِسْطِينَ وَإِلَى تُخُومِ مِصْرَ. كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْهَدَايَا وَيَخْدُمُونَ سُلَيْمَانَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ ... لِأَنَّهُ كَانَ مُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ مَا عَبَّرَ النَّهْرَ⁽³⁾ مِنْ تَفْسَحَ⁽⁴⁾ إِلَى غَزَّةَ عَلَى كُلِّ

1. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 79 .

2. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 3 ، الفقرة 1 .

3. ترد دائما كلمة عبر في التوراة ، وتستخدم بمعنى عبر الوادي ، وهي الناحية الأخرى منه ، عبر النهر مثل الأردن عبر البحر مثل البحر الأبيض المتوسط ، ونهر الفرات يسمى بالنسبة للساميين جميعا النهر الكبير ، وكان كثيرا ما يسمى النهر بدون ذكر اسمه أو صفته . أنظر : حسن ظاظا ، الساميون ولغاتهم ، المرجع السابق ، ص 62 .

4. تفسح : إسم عبري معناه مخاضة أو بحر ، وهي مدينة كانت آخر حدود أملاك سليمان في اتجاه الفرات الواقعة على الضفة الغربية للفرات . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 220 .

مُلُوكِ عَبْرَ النَّهْرِ وَكَانَ لَهُ صُلْحٌ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ حَوَالِيهِ . وَسَكَنَ يَهُودًا وَإِسْرَائِيلَ آمِنِينَ كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرَمَتِهِ وَتَحْتَ تِينَتِهِ مِنْ دَانَ⁽¹⁾ إِلَى بَثْرٍ سَبْعَ كُلِّ أَيَّامٍ سُلَيْمَانَ⁽²⁾ .

إن سليمان اقتصر ملكه على غرب الأردن (أي فلسطين) ، وكانت هنالك ممالك تمارس سيادتها المحلية ، وفي هذا تأييد بأن الشعوب التي كانت تحت قبضة داود في شرق الأردن وسوريا ، قد تخلصت عن حكمه ، فهؤلاء وأولئك كان سليمان على سلام معهم⁽³⁾ .

بل كان على علاقة حسنة مع جيرانه من الأمم الأخرى ، وحاول أن يعطي صورة الملك المؤمن ليصبح مثلاً يقتدى به في كيفية ممارسة الحكم ، ويتضح من نصوص العهد القديم أن سليمان عليه السلام قام بعملية توسيع حدود مملكته ، وتذكر أنه تمكن من القيام بفتوحات شملت مدن وقرى أخرى ، مع إبقاء سكان المنطقة تحت إمرته الذين اثبتوا وجودهم ولم يستسلموا رغم الظروف والمصائب ، بل ظلوا في حروب ومناوشات مع بني إسرائيل .

كما أن هذه المملكة قام بتوطيدها عن طريق الملك الذي ذكره القرآن الكريم ، والذي اختلف العلماء المسلمين في تحديد مفهومه وما المقصود منه فقال عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَأَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾⁽⁴⁾ .

لم يسأل سليمان عليه السلام هذا الملك للتفاخر فهو زائل ، وإنما سأل الله المغفرة ، ثم سأله الملك الذي لا يتأتى لغيره ، لكي يكون له عوناً في الدعوة لله تعالى⁽⁵⁾ .

والسؤال الذي نطرحه لماذا دعا سليمان عليه السلام أن لا يبقى الملك من بعده ؟ وربما لكي لا ينتقل هذا الملك إلى أبنائه ، فيتصارعون فيما بينهم ، كما أن سليمان عليه السلام يدرك أنه إذا تحول إليهم يستغلونه في أغراضهم الشخصية وأهوائهم التي لا تخدم العقيدة بل تسيء إليها .

1 . دان : إسم مدينة تقع غربي بانياس وهي المعروفة الآن بتل القاضي ، وهو المنبع الآخر للأردن وبجانبه مدينة دان . أنظر : المصدر نفسه ، ص 357 .

2 . سفر الملوك الأول ، الإصحاح 4 ، الفقرة 21 ، 24 - 25 .

3 . محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المرجع السابق ، ص 162 - 163 .

4 . سورة ص ، الآية 35 .

5 . عبد الحميد محمود طهماز ، المعجزة والإعجاز في سورة النمل ، (دمشق : دار القلم ، ط1 ، 1407 هـ - 1987 م) ، ص 47 .

فالقُرآن الكريم قرر حقيقة ملك سليمان ﷺ، الذي كان له من القوة والعظمة ما ميّزه عن سائر ملوك الأرض، وما جعله مضرب المثل، ودانت له شعوب المنطقة، فهو ملك شخصي لا يرثه أحد من بعده، ولا ينتقل إلى غيره، وليس خاصا ببني إسرائيل، بل لا ذكر لهم في ملك سليمان، وهذا الملك غير الأرض، فقد ذكر بعض العلماء المسلمين أنه يتمثل في مملكة تشمل جميع الأرض، وهناك خلط بين الملك والمملكة، فهذه المملكة لم تكن تشمل جميع الأرض بدليل الآية الكريمة ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾⁽¹⁾، وقد تنوعت جيوش سليمان لتشمل مجموعة من الجن والإنس والطير التي سخرت لخدمة سليمان ﷺ.

وقد ذكر المؤرخون أن مملكته لم تكن تشمل جميع الأرض، بل كانت ممتدة في حدود بلاد الشام إلى صنعاء والفرات، وورود كلمة من في الآية تؤخذ على التعيين، فلم يكن جميع الإنس والجن والطير في جيش سليمان، فلو كان مثلا جميع الطير ضمن جيشه، لما تمكن من اكتشاف غياب طير وهو الهدهد⁽²⁾.

وهذا الملك كما ذكره القرآن تمثل في تسخير سليمان ﷺ للريح، والقدرة على إذابة النحاس وتشكيله كيفما شاء، وإحضار الجن والشياطين، والطير يأتمرون بأمره مسخرين له في الأعمال، ويعدون كجنود له، وقد هيا له الأسباب من أجل تنفيذ ما أمره الله به، وفي ذلك يقول ﷺ: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوهاَ شَهْرًا وَرَوَاحُهاَ شَهْرًا﴾⁽³⁾، وقال أيضا ﷺ: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهاَ﴾⁽⁴⁾.

وإذا نظرنا إلى هذه الآيات نجد أنها لم تفصل مهمة وعمل الريح، بل ذكرت أنها تستمر فترة، فكانت كشهر في الغدو وكشهر في الرواح، فأحيانا توصف بأنها قوية وشديدة، وأحيانا أخرى بأنها لينة، حسبما يتناسب مع مهمة وعمل سليمان.

ومن هذه الآية نستنتج عدة حقائق يمكن أن تضاف إلى ما تحدثنا عنه، وما سبقت الإشارة إليه في قصة إبراهيم ﷺ والأرض المباركة، فنقول أن سليمان ﷺ كان ينتقل من مكان لآخر بغية

1. سورة النمل، الآية 17.

2. المرجع نفسه، ص 53.

3. سورة سبأ، الآية 12.

4. سورة الأنبياء، الآية 81.

تفقد مملكته ورعاية شؤونها ، ولم يكن مستقرا. يمكن واحد ، فكان ينتقل إلى بقاع الأرض المباركة ، والهدف من ذلك ، فتح المجال للفتوحات من أجل نشر الدعوة ، وليس للحرب أو الغزو ، بدليل أن مملكته سادها الهدوء والسلام ، ويبدو واضحا من القرآن أن هناك ربط واضح بين الأرض التي توجه إليها إبراهيم والتي عاش بها لوط عليهما السلام ، وبين الأرض التي حكم فيها سليمان عليه السلام واستخدام لفظ المباركة بدلا من المقدسة يفيد أن سليمان عليه السلام كان بالأرض التي وصفت بأنها مقدسة ، وهي التي تسمى الأرض المقدسة (فلسطين).

وأما الأرض التي انتقل إليها وصفت بالمباركة ، والتي اتفق معظم المفسرون⁽¹⁾ على أنها أرض الشام ، ويحتل أن مملكته تعدت الأرض المقدسة لتشمل الأرض المباركة ، فالأولى ضمن الأرض الثانية وهذا هو الأرجح .

ونشير هنا إلى ما ذكره بعض المفسرون أن سليمان عليه السلام كانت تحمله الريح على بساط خشبي ، وتنقله من بلد لآخر ، قصد القتال والترفيه وغيره ؛ وهذا يتنافى مع ما ذكره القرآن أن سليمان كان يسير على قدميه أو راكبا على الخيل ، ومن ذلك قوله عَلَيْكَ : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾⁽²⁾.

فهذا دليل على أنه كان يسير على قدميه لا على البساط ، فقد طلبت النملة من النمل أن يدخلوا خوفا من تحطيمهم من سليمان عليه السلام وجنوده .

وقال عَلَيْكَ : ﴿ إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾⁽³⁾.

1. انظر : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المصدر السابق ، مج 6 ، ص 322 . إسماعيل ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، المصدر السابق ، مج 3 ، ص 207 . سيد قطب ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 2391 . محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ج 17 ، ص 123 .

2. سورة النمل ، الآية 18 .

3. سورة ص ، الآية 31-33 .

وهذه الريح التي تحدثنا عنها سابقا سهلت له الانتقال في البر والبحر ، فلم يكن مستقرا. يمكن واحد ، بل مهمته التي كلف من أجلها تستدعي أن يكون شخصية متنقلة و متحركة.

وبالإضافة إلى تسخير الريح ، كان هناك تسخير الجن ، ومن أدلة ذلك قوله ﷺ: ﴿وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ (1) ، وذكر في آية أخرى : ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ (2) ، فقد كان الجن يغوصون في البحر ، وكل حسب عمله الذي كلف به . وقد كان الهدف من هذه الرحلات البحرية التي كانت تستغرق شهرين ، شهرا في الذهاب وشهرا في العودة هو البحث والتقصي ، والغاية من القيام بالرحلات البحرية ، هي السياحة واستخراج ما في البحر من كنوز و ذخائر تضاف إلى مملكة سليمان (3).

وقد سخر سليمان ﷺ الملك في خدمة المملكة ، وهذه المملكة على ما يبدو - من الآيات - أنها كانت على علاقة بالبحر الذي ذكر في القرآن الكريم الغير مصرح باسمه ، فكان بنو إسرائيل متواجدين بمناطق ساحلية ، وكان موقع عاصمة سليمان ﷺ كما هو واضح على منطقة ساحلية . فبعد الحديث عن المملكة ، جاء في العهد القديم ذكر هيكل سليمان ، الذي أفاض الباحثون في وصفه ، وحاول اليهود أن يجعلوا له جذورا تاريخية ومكانة دينية مميزة ، ويذكرون أنه مكان المسجد الأقصى ، وهذه الفكرة قد وجدت طريقها إلى آراء المؤرخين ، سواء منهم العرب أو الغربيون ، وقد حاول بعض العلماء المسلمين أن يربطوا هذا الهيكل بما ذكر في القرآن الكريم .

ونحاول أولا أن نتحدث عن الهيكل في العهد القديم ، فقد جاء في الإصحاح السادس أن سليمان بنى الهيكل في السنة الرابعة من ملكه ، وأتمه في السنة الحادية عشر: (وَكَانَ فِي السَّنَةِ الْأَرْبَعِ مِئَةٍ وَالثَّمَانِينَ لِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِمُلْكِ سُلَيْمَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي شَهْرِ رَيْو وَهُوَ الشَّهْرُ الثَّانِي أَنَّهُ بَنَى الْبَيْتَ لِلرَّبِّ. وَالْبَيْتُ الَّذِي بَنَاهُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِلرَّبِّ طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا

1. سورة ص ، الآية 37 .

2. سورة الأنبياء ، الآية 82 .

3. أحمد عبد الواحد ، تاريخ وجغرافية بني إسرائيل في القرآن : [Http://Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs.HTM-101k](http://Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs.HTM-101k) .

وَعَرَضُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا وَسَمَكُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا . وَالرَّوَاقُ قُدَّامَ هَيْكَلِ الْبَيْتِ طُولُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا حَسَبَ عَرْضِ الْبَيْتِ وَعَرَضُهُ عِشْرُ أَذْرُعٍ قُدَّامَ الْبَيْتِ . وَعَمِلَ لِلْبَيْتِ كُورَى مَسْفُوفَةٌ مُشَبَّكَةٌ (1) .

وتواصل نصوص العهد القديم في وصف الهيكل : (وَكَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى حِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ عَظِيمَةٍ حِجَارَةٍ عِشْرٍ أَذْرُعٍ وَحِجَارَةٍ ثَمَانِ أَذْرُعٍ . وَمِنْ فَوْقِ حِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ كَقِيَاسِ الْمُنْحَوْتَةِ وَأَرْزُ) (2) ، وإلى جانب هذه النصوص هناك إصحاحات أخرى وصفت الهيكل وصفا مفصلا .

إن الهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام وقد تحدثنا عنه سابقا في قصة داود عليه السلام ، هو في نظر العهد القديم مكان لحفظ الأموال والذهب ، وما شابه ذلك من أمتعة وأشياء ذات قيمة مالية ، وكأنه مصرف مالي أكثر منه معبد ديني ، وقد أفاضت نصوص العهد القديم في وصف الهيكل ، وجعلته يتلاءم مع عظمة سليمان ، وذكرت أن سليمان سخر له أموالا ضخمة ولذلك فرض الضرائب على الشعب ، وكان ذلك في العاصمة أورشليم ، وبنائه جاء طلبا من الإله ، وإلى جانب الهيكل تحدثت نصوص العهد القديم عن قصور سليمان عليه السلام ، وبينت أنها تمت بأيدي عمال أجانب ليسوا من بني إسرائيل ، وإنما من سكان الأمم الأخرى ، كما استغرق بناء القصور مدة أطول من بناء الهيكل .

وتجدر الإشارة أن القرآن الكريم لم يتحدث عن الهيكل ، وإنما عن المسجد الأقصى الذي ذكرناه سابقا ، فسليمان عليه السلام جدد بناء المسجد ولم يبن الهيكل الذي ارتبط به أكثر من ابنه داود عليه السلام كما ذكرت نصوص العهد القديم ، ونعود للحديث عن هذه الأبنية ، فنجد أن هناك من الباحثين والمؤرخين من انتقدها وعدّها شبيهة بأبنية الأمم الأخرى .

ولا يمكن أن نقول أن بني إسرائيل عرفوا فن النحت والتصوير ، فالهيكل ما هو إلا بناء نشأ على هيئة الطراز الآشوري المصري من طرف عمال أجانب كما تذكر التوراة (3) .

وهذا يعني أن بني إسرائيل حاولوا تقليد الحضارات المجاورة لما رأوه من عظمة البناء ، واتخذوا لأنفسهم قصورا وهيكلًا لكي يثبتوا حضورهم ومكانتهم ، وأنهم مثل هذه الأمم التي لها حضارة وملك تتميز بها ، فكان البناء على النمط البابلي .

1. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 6 ، الفقرات 1-4 .

2. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 7 ، الفقرة 10-11 .

3. أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 88 .

وهناك أيضا من قتل من شأن الهيكل وعده معبدا صغيرا إذا ما قورن بمعابد المصريين والبابليين وهو بالنسبة إليهما بناء صغيرا (1).

وقد حاول سليمان أن يكون بناؤه أعظم الأبنية آنذاك ، وقام بمواصلة بناء المعبد الذي بدأه داود ، غير أن النصوص الدينية اليهودية قد أضفت عظمة على هذا المعبد بل وبالغت كثيرا (2).

ولكن إذا رجعنا إلى القرآن الكريم لا نجد له ذكرا ولم يتحدث عنه ، بل أورد أن سليمان عليه السلام أقام الصرح الذي بناه له الجن ، و ربما لذلك لم يجد علماء الآثار أي أثر باقي يذكر ، واختفت هذه الأبنية من بعد وفاته ، كما بنى سليمان عليه السلام المحاريب ، ودليل ذلك قوله ﷺ: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (3).

إن كلمة محاريب تشهد أن مملكة سليمان عليه السلام كانت واسعة ، وربما كان إذا نزل بمكان أو منطقة أقام محرابا من أجل العبادة.

إن الصرح الذي أقامه سليمان عليه السلام كان يمثل أعجوبة ، وأن من بناه هم الجن والشياطين ، وكانت مواد بنائه نحاسا ومواد أخرى غير الحجارة ، وتضمن محاريب وتماثيل وأواني نحاسية وأقواس وبرك مائية وكانت من النحاس والجواهر والكنوز من لؤلؤ ومرجان وغيرهما (4) ، فكان احتواؤه على أبنية وأشياء رائعة ومناظر جميلة تسر الناظرين بل وكانت أشبه بالخيال ، فهذا الصرح كان بناء مميزا عما عرف من قبل ولم يشهد له مثيل ، وهذا الملك الذي أعطاه الله لسليمان عليه السلام قد زال بعد وفاته ، ولم يعط لأحد غيره.

1. حسين فوزي التجار ، أرض الميعاد ، (القاهرة : دار المعارف ، ط2 ، دت) ، ص 29 .

2. حسن ظاظا ، أبحاث في الفكر اليهودي ، المرجع السابق ، ص 29 .

3. سورة سبأ ، الآية 12 - 13 .

4. أحمد عبد الواحد ، تاريخ وجغرافية بني إسرائيل في القرآن : [Http://Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs.htm-101k](http://Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs.htm-101k)

3- سليمان عليه السلام وملكة سبأ

نكتشف أثناء حديثنا عن سليمان عليه السلام وملكة سبأ⁽¹⁾ عظمة هذا الصرح ، ويختلف العهد القديم عن القرآن في عرضه لهذا الحدث ، فيذكر أن ملكة سبأ جاءت إلى سليمان عليه السلام بعد ما سمعت بحكمه وشاهدت بنفسها تلك الحكمة العظيمة.

جاء في الإصحاح العاشر : (وَسَمِعَتْ مَلَكَةُ سَبَأَ بِخَبَرِ سُلَيْمَانَ لِمَجْدِ الرَّبِّ فَأَتَتْ لَتَمْتَحِنَهُ بِمَسَائِلَ . فَأَتَتْ إِلَى أُورُشَلِيمَ بِمَوْكَبٍ عَظِيمٍ جَدًّا بِجَمَالٍ حَامِلَةً أَطْيَابًا وَذَهَبًا كَثِيرًا جَدًّا وَحِجَارَةً كَرِيمَةً وَأَتَتْ إِلَى سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَتْهُ بِكُلِّ مَا كَانَ بِقَلْبِهَا . فَأَخْبَرَهَا سُلَيْمَانُ بِكُلِّ كَلَامِهَا . لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مَخْفِيًا عَنِ الْمَلِكِ لَمْ يُخْبِرْهَا بِهِ . فَلَمَّا رَأَتْ مَلَكَةُ سَبَأَ كُلَّ حِكْمَةِ سُلَيْمَانَ وَالْبَيْتَ الَّذِي بَنَاهُ وَطَعَامَ مَائِدَتِهِ وَمَجْلِسَ عَبِيدِهِ وَمَوْقِفَ خُدَامِهِ وَمَلَابِسَهُمْ وَسُقَاتِهِ وَمُحْرَقَاتِهِ الَّتِي كَانَ يُصْعِدُهَا فِي بَيْتِ الرَّبِّ لَمْ يَبْقَ فِيهَا رُوحٌ بَعْدُ . فَقَالَتْ لِلْمَلِكِ صَاحِبًا كَانَ الْخَبْرَ الَّذِي سَمِعْتُهُ فِي أَرْضِي عَنْ أُمُورِكَ وَعَنْ حِكْمَتِكَ . وَلَمْ أَصَدِّقِ الْأَخْبَارَ حَتَّى جِئْتُ وَأَبْصَرْتُ عَيْنَايَ فَهُوَ ذَا النِّصْفِ لَمْ أُخْبِرْ بِهِ . زِدْتَ حِكْمَةً وَصَلَحًا عَلَى الْخَبْرِ الَّذِي سَمِعْتُهُ)⁽²⁾ .

بينما يصور القرآن الكريم مجيء ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام ما حكاها طائر الهدهد لسليمان عليه السلام أنه وجدها وقومها يعبدون الشمس من دون الله فقال ﷺ : ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾⁽³⁾ .

فلما علم سليمان عليه السلام ما كان عليه حال هؤلاء القوم لم يصمت لأن هدفه الدعوة ونشر الإسلام ، وليس السيطرة على الملوك وأراضيهم بغية التوسع ، وأراد أن يختبر الهدهد ، وكلفه بحمل كتاب بعثه إلى ملكة سبأ فقال ﷺ : ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ

1 . سبأ : في جنوب جزيرة العرب ويرد ذكرها في الكتاب مع مصر والحبيشة . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 452 .

2 . سفر الملوك الأول ، الإصحاح 10 ، الفقرات 1-7 .

3 . سورة النمل ، الآية 24 .

سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿١﴾.

سمعت ملكة سبأ عن سليمان عليه السلام وعظمة ملكه ، وذكرت أن الكتاب الذي بعث إليها أنه من سليمان ، ولعلمها به لم تسأل عنه ، بل ولم تزد أكثر من أنه من سليمان ، فكان سليمان معروفا عندها وعند وزرائها ، وكانت هذه المعرفة مقتصرة على أنه ملك فقط ، و تجهل بأمور نبوته ودعوته لعبادة الله وحده (2).

فكان هذا امتحانا للملكة سبأ وقومها ، على الرغم أن مملكتها بلغت حضارة وغنى ، وتميزت بعرش عظيم ، فأثابها الله بما يضاعفها ، بل يفوقها قوة وعظمة ، ف وقعت في حيرة من أمرها ، غير أنها كانت عاقلة وذكية ، ونظرت للأمر بعين الحكمة ، وترثت في الأمر ، وأرسلت إلى سليمان بهدية .
وعن ذلك يقول عليه السلام : ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أُذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أُذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (3).

إن الهدف من هذه الهدية هو معرفة الأخبار عن ملك سليمان عليه السلام ، واكتشاف عظمة هذا الملك والتحقق منه ، وهذه الهدية رفضها سليمان عليه السلام ، وأعلمهم أنه لا حاجة له بها ، فهو غني عن ذلك ، وهدد الملكة بإرسال جنود لا قبل لهم بها ، وأن يخرجوهم من ديارهم أذلة منهزمين (4).

وقد علمت بعظمة سليمان عليه السلام وقوة ملكه ، وأنه غني عن ما قدمته له ، غير طامع في مال أو ثروة ، بل قانعا بما آتاه الله من ملك وما صخره له من جنود ، وكان إحضار سليمان عليه السلام لعرشها إظهارا لهذه العظمة والقوة .

1. سورة النمل ، الآية 27- 31 .

2. عبد الحميد محمود طهماز ، المرجع السابق ، ص 67 .

3. سورة النمل ، الآية 34- 37 .

4. عبد الوهاب النجار ، المرجع السابق ، ص 334 .

قال ﷺ: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (1).

وكان قصر سليمان ﷺ مبنيًا بالزجاج الشفاف ، وذو أرضية زجاجية أيضا ، يحتوي على ماء في الأسفل به أنواع كثيرة من الأسماك ، فلما وصلت الملكة إلى القصر ودخلت ظنت أن ذلك الزجاج ماء ، فكشفت عن ساقها ، فأعلمها سليمان ﷺ أن تحت الزجاج ماء ، حينها أدركت أنها على خطأ وأنها ظلت السبيل (2).

ومن خلال ما وصف به هذا الصرح ، وبما عرف به من روعة في البناء ، لا نجد متطابقا كثيرا مع الهيكل الذي وصفته نصوص العهد القديم .

ونجد هناك من ذكر أن هذا الصرح لا علاقة له بالهيكل ، فكان هذا الصرح على علاقة بالبحر أكثر منه بالبر ، لما وصف به من مياه جارية أسفل الزجاج الشفاف ، فكان البناء على شاطئ البحر ، وبعيدا عن بيت المقدس حيث يعتقد أن الهيكل بني هناك (3).

يتبين من خلال عرض هذا الحدث أن سليمان ﷺ كان يقوم بفتوحات عديدة من أجل دعوة الأمم الأخرى وإرغامها على الدخول في دين الله ، ويستعمل الهدهد وغيره من جنود جيشه ، كوسيلة للبحث والاستطلاع من أجل معرفة أحوال الأمم ، كما نلاحظ عظمة هذا الصرح بدليل أن ملكة سبأ لم تستطع التمييز بين الماء والزجاج .

وأما فيما يتعلق بوجود سليمان ﷺ في اليمن فهناك من ذكر أنه وملكة سبأ ظهرا في الفترة التاريخية من القرن العاشر (ق.م) ، وأن ملكة سبأ كانت في اليمن وكان سليمان هناك ، وقد استدل هؤلاء ببعض الآيات التي ذكرت أمورا لها علاقة باليمن.

ومنها قوله ﷺ: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ (4).

1. سورة النمل ، الآية 44 .

2. مصطفى أحمد المراغي ، المرجع السابق ، ص 142 .

3. حسن الباش ، سليمان عليه السلام بين الحقيقة القرآنية والتحريف اليهودي :

4. سورة النمل ، الآية 20-22 .

ونجد في آية أخرى قوله ﷻ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ تَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾⁽¹⁾ ، وقوله أيضا: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ﴾⁽²⁾.

إن هذه الآيات ذكرت وادي النمل وهو موجود بمنطقة اسمها قحلاف روداع في اليمن ، وذكرت كذلك عين القطر وهي في اليمن ، وأن معنى كلمة (منساته) هي العصا في اللغة الحبشية ، ووردت في القرآن الكريم في لغة جنوب الجزيرة اليمن⁽³⁾ ، فهذا يبقى مجرد احتمال ولا يعني أن مملكة سليمان كانت باليمن وإنما كان بمكان قريب من اليمن ، فلو كان باليمن أو كانت ضمن حدود مملكته لعلم بكفر قومها ولما اضطر المهدهد إلى إخباره بأحوال ملكة سبأ ، وهناك شبه اتفاق بين العهد القديم والقرآن الكريم حول عظمة وملك سليمان ﷻ ، ويعد بنو إسرائيل أن عصر سليمان من أزهى العصور ، بل يعد العصر الذهبي في تاريخهم ، ولم يسبق نظير لملكه ، ولا ينبغي لأحد من بعده ، غير أن هناك من المؤرخين الغربيين من عد مملكة سليمان فيها الكثير من المبالغات والخيال .

ويصرح بعض الباحثين كيف لعب الخيال وصور مملكة سليمان بصورة تفوق الواقع بكثير ، وعد سليمان وهو في أوج مجده ملكا صغيرا على مدينة صغيرة ، وأن دولته عرفت بالضعف وسرعة الإندثارها⁽⁴⁾.

إن أبنية سليمان وعلى الخصوص قصره كانت في نظر اليهود فخمة تفوق الخيال ، غير أنها إذا قورنت بقصور مصر أو بابل أو الهند ، لظهر أنها كانت ضئيلة⁽⁵⁾ ، وهناك من اعتقد أن سليمان ما هو إلا واليا كغيره من الولاة تحت إدارة الحكم المصري⁽⁶⁾.

1. سورة النمل ، الآية 18.

2. سورة سبأ ، الآية 14 .

3. زكي الغول ، ندوة عن الأخطاء الإعلامية في تاريخ المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة ، مجلة الشريعة ، (عمان : در . ع 422 ، شباط 2001م) ، ص 21 .

4. أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 87 . نقلا عن :

5. حسن ظاظا ، أبحاث في الفكر اليهودي ، المرجع السابق ، ص 29 .

6. محمد شامة ، مقال سابق ، ص 23 .

غير أن هذه الآراء التي قدمها أصحابها لا تصور مملكة سليمان عليه السلام كما ينبغي ، وتناقض عما ذكرناه سابقا عن عظمة وقوة هذه المملكة التي حظيت بعناية الله ورعايته ، ونخصت بأفضل الصفات وأعظمها.

ونستطيع القول أن المملكة التي ورثها سليمان عن داود عليهما السلام كانت في الأرض المباركة ، والحقيقة التي نقررها أن ملك سليمان عليه السلام يمثل معجزة وهبها الله له وكان ذلك بالأرض المباركة ، واتخذ الأرض المقدسة عاصمة للملكه ، وأقام عليها أسس التوحيد بمساعدة قوى الجن والإنس والطير والرياح ، بالإضافة إلى الصرح الذي أقامه ، و يعد بناء ضخما لا يستهان به ، ولا يحط من قيمته ، غير أن هذه المرحلة إذا قورنت بما سبقها تعد من أهم مراحل بني إسرائيل التاريخية ، بل أوجها وأكثرها تطورا ، وقد مثلت بني إسرائيل أحسن تمثيل ، وأصبحوا يملكون رقعة جغرافية تمتعوا في ظلها بسيادة وقوة ، وكان لهم موطن استقروا به ، وإن كان القرآن الكريم عند حديثه عن سليمان عليه السلام لا يأتي بذكر لبني إسرائيل.

الفصل الثاني: اليهود في الحضارات القديمة

المبحث الأول: اليهود في أرض العراق

المطلب الأول: اليهود في أرض آشور

المطلب الثاني: اليهود في أرض بابل

المبحث الثاني: اليهود في أرض فلسطين

المطلب الأول: اليهود في عصر الفرس

المطلب الثاني: اليهود في عصر اليونان

المطلب الثالث: اليهود في عصر الرومان

سوف نستعرض بعض الملامح ونعطي بعض الإشارات التاريخية الموجزة عن بعض المناطق والشعوب ذات الصلة باليهود على أساس ما عرفته هذه الشعوب وما لعبته في منطقة الشرق الأدنى القديم التي شكلت المحور الأساسي للصراع الذي دام فترات طويلة ومتعاقبة ، ويضم دول كبرى وحضارات سامية عريقة مثل مصر وبابل وأشور ، وما عرف به من هيمنة إمبراطوريات كبرى على قبائل ظهرت في المنطقة وبالأحرى في فلسطين ، وكانت هناك علاقات بينهم ، ونبدأ أولاً بمصر التي مثلت أقدم مركز للصراع والتفاعل في المنطقة

كانت مصر مقسمة إلى إمارات صغيرة ثم اتحدت و ضمت مملكتان كونتا مملكة موحدة على يد الملك (مينا) أول ملوك الأسرة الأولى⁽¹⁾ ، وتاريخ مصر مرتبط كثيرا بفلسطين والشام ، لأنها تعتمد على بلاد كنعان كمعبر للوصول إلى عمق بلاد الشام ، وحاولت مصر منذ القديم أن تقيم علاقات تجارية معها .

وأثناء حكم الأسرة الثالثة إلى الخامسة قامت مصر بعمليات توسيع بفضل الغارات والحروب التي كانت تشنها من حين لآخر⁽²⁾ وكما ذكر الباحثون عقب مصر أثناء الأسرة السادسة إلى العاشرة مرحلة من الفوضى والاضطراب ، ودخلت قبائل أسيوية في شرق الدلتا ، الأمر الذي أدى إلى فتح الطريق لتقسيم مصر مرة أخرى إلى إمارات صغيرة مستقلة فترة من الزمن ، ثم عادت مصر إلى سابق عهدها ، وتوحدت مصر العليا و السفلى إبان حكم الأسرة الحادية عشر .

وكان حكم الأسرة الثانية عشر يمثل الفترة الافتراضية التي تعاصر ظهور الآباء الذين سبق ذكرهم ، وتوسعت حدود مصر⁽³⁾ .

وهناك من الباحثين من ذكر أن حدود مصر بلغت فلسطين في الشرق و فينيقيا في الشمال ودمشق ومعظم البقاع أصبحت ضمن الحدود الإمبراطورية المصرية⁽⁴⁾ .

1. جيمس هنري برستيد ، تاريخ مصر " من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي " ، ترجمة : حسن كمال ، مراجعة : محمد حسنين الغمراوي ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، د.ط ، 1990م) ، ج 4 ، ص 7-8 .
2. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1812 .
3. المرجع نفسه ، ص 1813 .
4. فيليب حتي ، المرجع السابق ، ص 138 .

وظلت مصر ملجأ لكثير من قبائل البدو الرحل الذين توافدوا عليها أثناء فترات المجاعة والجفاف ، وهذا ما صاحب دخول بني إسرائيل إلى مصر بقيادة إبراهيم وتلاه ابنه إسحاق ويعقوب عليهم السلام ، ثم أبناؤه من بعده بسبب المجاعة التي ضربت فلسطين.

وهذه الهجرة تحولت إلى تسلل ثم إلى غزو⁽¹⁾ واستولت جماعة أسيوية على السلطة تمثلت في الهكسوس أثناء الأسرة الثالثة عشر إلى السادسة عشر ، وكانوا على درجة بسيطة من الثقافة ، وقد سهلوا لليهود الدخول إلى مصر وخاصة في أيام يوسف عليه السلام واستمر حكمهم لفترة طويلة تمكنوا من بسط نفوذهم وحققوا توسعات واستولوا على مناطق الدلتا وضموا مصر وسوريا وفلسطين تحت نفوذهم غير أنهم طردوا من مصر .

وقد بلغت مصر أوج اتساعها أثناء ملوك الأسرة الثامنة عشر الذين تمكنوا من فرض هيمنتهم وخاصة في عهد تحتمس الثالث (1413-1405 ق.م) أحد ملوكها وواضع أساسها ودانت له سوريا ، وأثناء تولي الحكم أمنحوتب الثالث (1405-1367 ق.م) أقام علاقات مع الحوريين⁽²⁾ (المملكة الميتانية) وتعززت كما ذكر الباحثون بزواجه من أميرة متانية⁽³⁾ وظلت المناطق الأسيوية خاضعة لحكمه ، غير أنه لم يستمر الحال على وضعه ، فبدأت تظهر عوامل الضعف وتسربت إلى مصر في عهد أمنحوتب الرابع (أخناتون) (1367-1350 ق.م) ، وتوسعت الاضطرابات لتعم بلاد الشام ، واندلعت ثورات داخلية بعد موت توت عنخ أمون (1347-1339 ق.م) خليفة أخناتون.

وأحرز الحيثيون انتصارا على المصريين وأصبحت فلسطين مستقلة لفترة ، واستمر وجود اليهود بها ، ثم جاء دور ملوك الأسرة التاسعة عشر وأعادوا السيطرة على مصر، وقاد رمسيس الثاني حربا مع الحيثيين الذين تجمعوا في قادش ، ولم يحقق كلا الطرفين النصر ، واتفقا على احترام حدودهما واقتصرت مصر في آسيا على فلسطين ولبنان وجزء من سوريا.

1. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1813 .
2. الحوريون : أقوام جبلية لا يزال أصلها مجهولا ، وإن كان المرجح أن موطنها الأصلي أورارتو (أرمينيا) ، ظهر الحوريون في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، وهاجرا إلى فلسطين ، وسكنوا في منطقة سعير جنوب شرقي فلسطين ، وأسسوا عددا من الإمارات في أجزاء من سوريا وبعض أجزاء آسيا الصغرى ، وقد نجح الحوريون حوالي 1500 ق.م في تأسيس مملكتهم هناك وتسمى ميتاني ، وقد اختفوا في حوالي القرن السادس قبل الميلاد . أنظر : فيليب حتي ، المرجع السابق ، ص162 . عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1850 .
3. المرجع نفسه ، ص 1814 .

ويشار إلى رعمسيس الثاني أنه الفرعون الذي اضطهد اليهود في عهد موسى عليه السلام وخلفه منفتاح (مرنبتاح) الذي يعتقد أنه في عهده خرج موسى عليه السلام بجماعة بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة ، وبعد وفاته ظهرت موجة من الاضطرابات ، وحلت الفوضى مما أدى إلى سقوط الأسرة وقامت الأسرة العشرون مع سنتخت (1184-1181 ق.م) وابنه رعمسيس الثالث (1182-1151 ق.م) وهي الفترة التي تتزامن مع ظهور مملكة داود وسليمان عليهما السلام .

وازدادت العلاقة بين مصر وفلسطين وظهرت أشور كقوة عظمى تنافس السيادة والسيطرة ، ودخلت مع مصر بعد ذلك ما يسمى بالعصور المتأخرة وكان ملوكها من أصل ليبي⁽¹⁾ سكنوا مصر مدة قرنين من الزمن ، وأصبحوا مصريين بحكم هذه المدة الطويلة التي قضوها في مصر ، وكان أول ملوكها شيشنق وهو من الأسرة الثانية والعشرون وفي عهده تطلعت مصر إلى فلسطين وما جاورها ، وأصبحت تحوي الهاريين وتحرضهم على شعوبهم كما حدث لأول ملوك المملكة الإسرائيلية المنقسمة ، واستمر شيشنق في تدخله في شؤون هذه المملكة ، ولعب بذلك دورا بارزا في الجنوب بينما كان لأشور وبابل دور آخر في الشمال ، ولا يمكن الحديث عن أشور بمعزل عن بابل ، فقد كانتا خاضعتان للدولة السومرية⁽²⁾ ، وهي أقدم الحضارات التي كانت تضم عدة دويلات .

واختلط السومريون بالأكاديون⁽³⁾ ، وأصبحوا يعرفون بسومر وأكد⁽⁴⁾ ، واستمر وجودهم في الإمبراطورية البابلية والأشورية ثم في دولة الكلدانيين أخيرا ، الذين هاجروا من شبه الجزيرة العربية وانصهروا مع السومريين و الأكاديين ، وسماهم المؤرخون سلالة بابل الثانية .

1. الليبيون : أهل ليبيا غربي مصر وقد كان الليبيون بين جنود شيشنق وزارح في حملتهما في فلسطين وكان شيشنق ملك مصر من أصل ليبي وأسرته الثانية والعشرون وتسمى الأسرة الليبية الأولى . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 820 .
2. السومريون: سكن السومريون الإقليم الذي يمتد بين الفرات والدجلة تقريبا من بغداد الحديثة حتى الخليج العربي ، وكان يطلقون على بلدهم هذا الاسم سومر أو سومر تعرف باسم أكاد أو أجادي ، وكانت سومر وأكاد يكونان سويا كل بلاد الرافدين وقتذاك . أنظر : محمد عبد القادر محمد ، الساميون في العصور القديمة ، (القاهرة : دار النهضة العربية ، د.ط ، د.ت) ، ص 45 .
3. الأكاديون : هم الساميون الأول الذين استوطنوا العراق ، والذين استمر وجودهم اللغوي و الحضاري و السياسي بعد ذلك ، في الإمبراطورية البابلية و الأشورية ثم في دولة الكلدانيين أخيرا . أنظر : حسن ظاظا ، الساميون ولغاتهم ، المرجع السابق ، ص 25 .
4. حسين فوزي النجار ، المرجع السابق ، ص 40 .

وكان من المدن السومرية المقدسة أور التي يرجح أنها الموطن الأصلي لإبراهيم عليه السلام كما مر بنا سابقا ، وقد تعرضت العراق لكثير من الهجرات المتتالية .
واجتاح العيلاميون⁽¹⁾ المدن السومرية والعموريون بلاد أكد⁽²⁾، وقامت أسرة بابل الثانية ووضعت آشور تحت سلطتها.

وعرفت آشور وبابل أوج الحضارة تحت حكم حمورابي الذي أعاد للعراق وحدته وضم الدويلات العراقية وأصبحت مركزها بابل وخضعت آشور لبابل وهزم العيلاميون ، وسقطت بابل وانتقلت الأنظار إلى آشور ، وعرفت موجة من شعوب الهندو أوروبية الآتية من آسيا .
وفي عهد تجلات بلاسر الأول (تغلات فالصر) (1115-1077 ق.م) أحد ملوك آشور عرفت فترة ازدهار وقوة وحقت انتصارات ، وأعاد آشور ناصر بال الثاني (884-859 ق.م) فتح سوريا ، وأثناء تولي سلما نصر الثالث (853-824 ق.م) نشأ تحالف بين الأرميين وبني إسرائيل ضد الأشوريين بمساعدة مصر وخاضوا معركة كان النصر فيها للأشوريين ، وأصبحوا قوة يعتد بها خاصة في عصر تجلات بلاسر الثالث (745-727 ق.م) الذي سيطر على البابليين وفرض هيمنته على فلسطين وخضعت له المملكة الشمالية (الإسرائيلية) والتي سقطت في عهد سرجون الثاني (722-705 ق.م) أحد قادتها وتم ترحيل عدد كبير منهم إلى آشور ومناطق أخرى وبذلك اختفت قبائلها إلى الأبد .
لم يدم الوضع على حاله فقد ساءت الأحوال داخل الإمبراطورية الآشورية بسبب الثورات الداخلية والاضطرابات المستمرة ، وعمت أرجاءها وانفصلت المملكة الجنوبية (يهوذا).

1. العيلاميون : عيلام من اصل أكادي معناه مرتفعات وهو أكبر أبناء سام ، واليه ينسب العيلاميون وهي أيضا تعني بلاد فيما وراء دجلة ، وإلى الشرق من مملكة بابل ، وإلى الجنوب من مملكة آشور وميديا ، وعلى الضفة الشمالية لخليج العجم ، وإلى الغرب من مملكة فارس وكانت عاصمتها شوشان ، (أي شوش) ومن هنا سمي العيلاميون بالشوشانيين ، وكانت عيلام مركز إمبراطورية قديمة ، وحوالي سنة 2000 قبل الميلاد استعاد العيلاميون قوتهم وتسلط بعض ملوكهم على مدن بابل ، وفي القرن الثامن قبل الميلاد انتصر ملوك آشور على عيلام ، واتخذ الأشوريون العيلاميون جنودا مرتزقة في جيشهم ، ومع إن عيلام ساهمت في إسقاط دولة بابل فقد ضمها الميديون (الفرس) إلى إمبراطوريتهم وحولوها إلى ولاية لهم ، وكان العيلاميون من جملة الشعوب التي حملت إلى السامرة لسكناها بعد سبي يهوذا . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 650-651 .
2. حسين فوزي النجار ، المرجع السابق ، ص 41 .

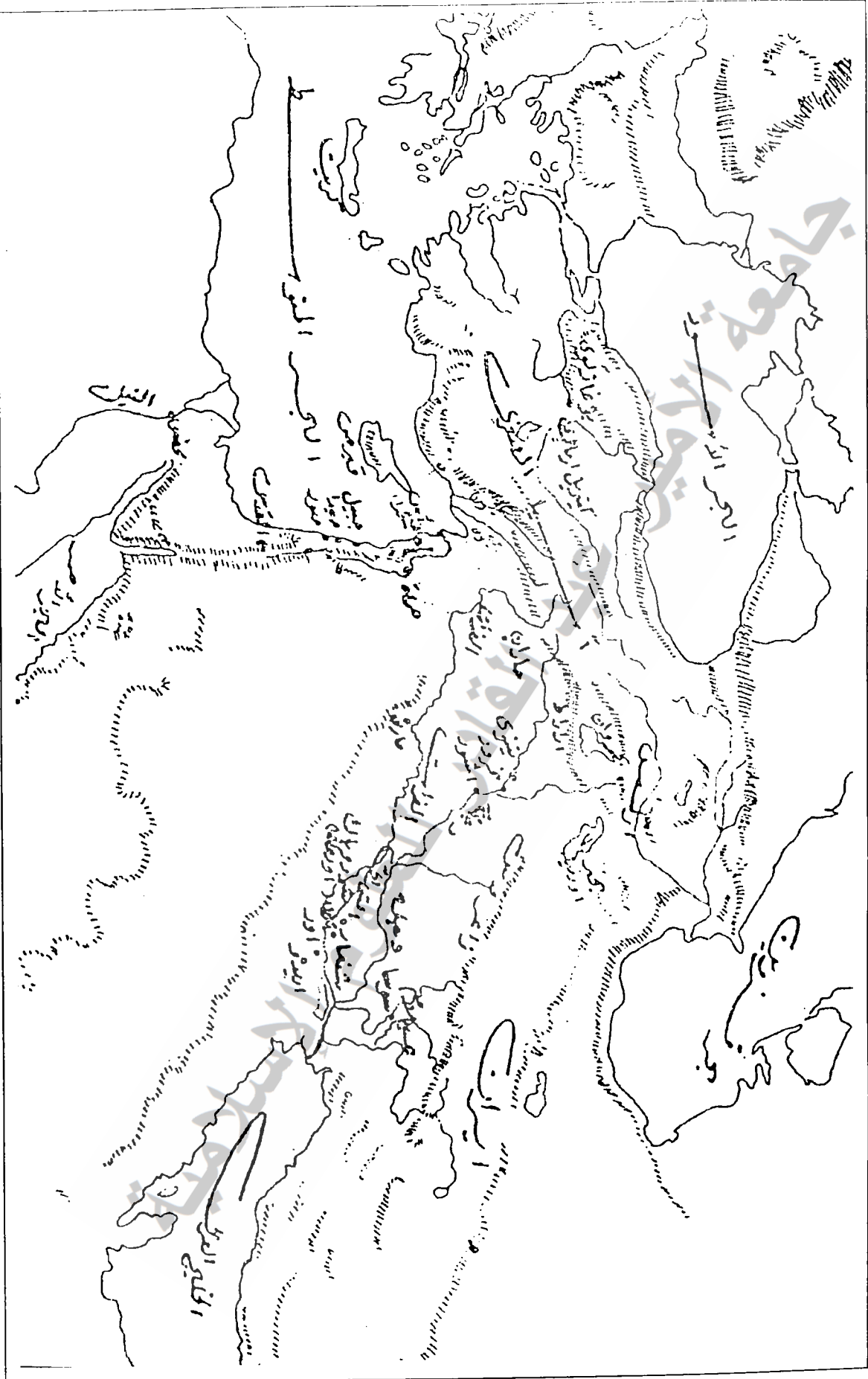
وأخذت بابل استقلالها ونشأت الدولة البابلية الجديدة ، وعرفت ازدهارا كبيرا في عهد نبوخذنصر (605-562 ق.م) الذي أعاد بناء بابل وقضى على المملكة الجنوبية وأخذ عددا منهم إلى بابل .

تدهورت أحوال بابل عقب موت نبوخذ نصر وتعرضت منطقة الشرق الأدنى القديم بعد ذلك لسيطرة الإمبراطورية الفارسية بقيادة قورش (546-530 ق.م) مؤسسها الذي أعاد اليهود إلى فلسطين وعاش اليهود تحت حكمها ونعموا بشيء من الاستقرار ، ثم تعاقب على هذه المنطقة الإمبراطورية اليونانية التي انقسمت إلى عدة دول منها البطلمية في مصر والسلوقية في سوريا ، واشتد الصراع بينهما حول السيطرة على فلسطين ، وحاولت كل منهما كسب اليهود لصفها ، وهكذا اندمج اليهود في ظل هذه الدولة وصبغت عقائدهم وشرائعهم بالصبغة اليونانية وظلوا يعيشون كجماعات تفتقر إلى الحكم المستقل تعتمد على طبقة الكهنة .

ونتيجة للظروف التي كانت تعاني منها الدولة اليونانية ، تدخلت الإمبراطورية الرومانية لثرت أملاك هذه الدولة وتفرض سيطرتها والذي استمر ردحا من الزمن ، وقد تعرضت لبعض الثورات ، خاصة من اليهود الذين رفضوا الوضع الذي آلت إليه أحوالهم لكنهم لم يؤثروا عليها ، وقضت عليهم ولم يعد لهم وجود في فلسطين ، وبقوا مشتتين ومتفرقين بين أرجاء دول العالم حتى القرن التاسع عشر ميلادي .

ونتيجة للظروف والحروب الأهلية والهجمات الخارجية ، وانتشار أفكار المسيحية الجديدة ، انقسمت الإمبراطورية الرومانية وظهرت دولة بيزنطية التي تدعى الرومانية الشرقية ، وقد استمر حكمها لفلسطين وبلاد الشام فترة من الزمن إلى أن تعرضت للخطر الفارسي ، وأصبحت بذلك هذه البلاد تحت قيادتهم ، غير أن المسلمين تمكنوا من إقامة دولة إسلامية واسعة شملت مناطق مختلفة ، وأحكموا سيطرتهم على بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا ، وانتزعوها من يد الرومان والفرس واليهود ، وقد تمتع اليهود في ظل الحكم الإسلامي بالحرية في ممارسة شعائرهم الدينية ، واعتبروا أهل كتاب وذمة ، واستمر حالهم على ذلك حتى قامت الإمبراطورية العثمانية التي تمكنت من إخضاع دول عربية وغير عربية تحت سيطرتها ، وكان لهم دور في مساعدة اليهود ، وأصبحوا بحال أحسن بعد أن تولوا مناصب عليا في الدولة .

المواقع القديمة للشرق الأدنى



المبحث الأول

اليهود في أرض العراق

استطاع بنو إسرائيل في مرحلة من مراحل تاريخهم القديم أن يتجمعوا بأرض فلسطين ويستقروا بها فترة من الزمن كما أوضحنا سابقا ، وتمكنوا بعد مرحلة التجوال والاستقرار التي سادت تاريخهم أن يؤسسوا مملكة تعاقب على عرشها شاول وداود وسليمان .

وظلت فلسطين عرضة لكثير من الغزوات الخارجية المتلاحقة ، فالأشوريين من الشمال الشرقي والمصريين من الجنوب الغربي ، بالإضافة إلى الثورات الداخلية والحروب المستمرة التي دامت طويلا ، وبنو إسرائيل كغيرهم تعرضوا لنفس الظروف التي تعرضت لها شعوب المنطقة ، وخضعوا لعدة عوامل جعلت منهم مطمعا للغزاة .

غير أن هذه الفترة التي عاشها بنو إسرائيل ليست كسابقاتها ، فهم انتقلوا من أرض فلسطين التي ظلت مأوى لهم قرون عديدة إلى أرض لم يكن لهم بها وجود ، وربما في فترات قليلة وجماعات صغيرة ، وسنحاول هنا أن نتحدث عن اليهود في أرض العراق "أشور وبابل" ، ونذكر المواطن اليهودي أثناء هذه الفترة ، وقبل ذلك لا بد أن نذكر الوضعية التي كانوا عليها أثناء تواجدهم بفلسطين ، وكيف كان حالهم آنذاك ؛ أي بعد انتهاء عصر الملوك ، ثم الحديث أولا عن ترحيلهم إلى أرض آشور ، وثانيا ترحيلهم إلى أرض بابل .

المطلب الأول: اليهود في أرض آشور

1- انقسام مملكة سليمان عليه السلام

ذكر الرويات التاريخية استنادا إلى ما ورد في نصوص العهد القديم أن نهاية حكم سليمان عليه السلام عرفت اضطرابات كثيرة ، وبدأت بوادر الانفصال بين أسباط بني إسرائيل المنقسمة بين الشمال والجنوب ، ولم ينعم بنو إسرائيل بالسلطة والنفوذ الذي ساد فترة عصر الملوك وانتهت بذلك مرحلة الاستقرار ، وانقسمت مملكة سليمان عليه السلام إلى قسمين: قسم يدعى المملكة الشمالية ويضم عشرة أسباط ، وقسم يدعى المملكة الجنوبية ويضم سبطين من بين الأسباط الإثني عشر.

و نجد هناك من لا يعتقد بهذا التقسيم ، بل يعترف بوجود مملكة واحدة متمثلة في مملكة الجنوب (يهودا) على أساس أنه لم يرد أي ذكر في التاريخ السبي الأشوري⁽¹⁾ لعشرة أسباط من المملكة الشمالية⁽²⁾ .

ويرى بعض الباحثين⁽³⁾ أنه لا وجود لأدلة تثبت أن مملكة يهوذا كانت في الجنوب ، ومملكة إسرائيل كانت في الشمال ، غير أن الروايات التاريخية تذكر هذه الفترة بهذا التقسيم المعتمد .

غير أن هذا الرأي يخالف ما ذهب إليه المؤرخون الذين ذكروا مملكة إسرائيل في الشمال ، ومملكة يهوذا في الجنوب ، وهذه المرحلة التاريخية دونت في أسفار الملوك الأول والثاني وأخبار الأيام الثاني ، هذه الأخيرة التي كررت معظم الأخبار التي وردت في سفر الملوك ، بالإضافة إلى العهد القديم هناك إشارات بعض النقوش والحوليات الأشورية إلى حروب آشور ضد يهوذا وإسرائيل التي سذكرها في حينها .

وهناك ظروف أدت إلى انقسام مملكة سليمان ~~التي~~ يمكن تلخيصها في عدة أسباب تتمثل في أن بني إسرائيل عرفوا الانقسام قديما ، ويعود ذلك إلى الغيرة الشديدة التي ميزت سبط يهوذا و أفرايم ، التي ظهرت أثناء دخولهم أرض كنعان ، وكان هذا الانقسام واضحا ، فقد عرف القسم الشمالي بأنه شعب مزارع وتجاري ، وأكثر اندماجا وتأثرا بحضارة الكنعانيين ، وعرف القسم الجنوبي بأنه شعب رعوي منعزل غير متأثر بطقوس الآخرين ، وأثناء هذه الفترة دخل نظام جديد ، وظهرت

1. إن تاريخ وجود اليهود في آشور وبابل يذكر في كتب مختلفة بعدة أسماء منها : السبي أو النفي أو التهجير أو التغريب الأشوري أو البابلي ، ويشير عبد الوهاب المسيري إلى هذا المصطلح باسم تهجير على أساس أن هذه الكلمة تشير إلى حدث التهجير في ذاته بشكل وصفي دون تقييم ، ولا تشير إلى حالة المهجرين العقلية ولا إلى موقفهم من الاستقرار في بابل ، أما كلمة " سبي " أو " نفي " فهي تشير إلى حدث التهجير وإلى حالة المهجرين العقلية ، فهاتين الكلمتين تعنيان أن المهجرين رافضين الاستقرار في بابل ، وهذا يخالف الحقائق لأن اليهود رفضوا العودة . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1967 . وهناك تعريف آخر لكلمة السبي : وهي تعني نفي وتغيير مكان الإقامة ، ثم بقاء المنفيين أحرارا في بلاد المنفى . أنظر : رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص228 .

2. أنظر : تاريخ اليهود في التوراة والتلمود : <http://Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs6.htm>

3. وكان من بين هؤلاء الباحثين أستاذ علم الآثار توماس طومسون الذي ذكر في كتابه تاريخ الشعب العبري أن الأبحاث التاريخية المستندة على الأبحاث الأثرية لم تؤكد وجود مملكة إسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب خلال الفترة التي حددتها التوراة . أنظر : عجلة المهدي الزبدة ، المرجع السابق ، ص40 .

اشتراكية الأموال ، وكان نتيجة ذلك ظهور التفاوت الاجتماعي ، ولم يتمكن بنو إسرائيل أن يتماشوا مع هذا النظام ، بل اشتاقت نفوسهم إلى الرجوع على ما كانوا عليه من حياة بسيطة⁽¹⁾. وبالإضافة إلى ذلك هناك من ذكر أن السبب الرئيسي للانقسام يعود إلى رفض ابن سليمان عليه السلام لطلب القبائل الشمالية من تخفيض عبء الضرائب المفروضة عليهم .

والسؤال الذي نطرحه ألم يكن سليمان عليه السلام يملك الحد الذي يجعله مستغنيا عن الضرائب؟! ، فقد كانت ثروته ضخمة ، ولم يكن بحاجة إلى أموال أو ما يعادلها ، ونضيف إلى ما سبق السبب الديني الذي يرجع دائما إلى النزاع والخلاف بين القبائل والشعوب ، فقد كانت إحدى الطائفتين على دين الله والأخرى على ضلالة ، فكان الصراع بينهما ، دون أن ننسى السبب السياسي الذي لم يكن بعيدا بل مختبئا تحت الغطاء الديني ، وربما كان السبب يرجع إلى الصراع على الملك الذي تركه سليمان عليه السلام.

2- المملكة الشمالية (إسرائيل) وحدودها

نتحدث عن حدود المملكة الشمالية من أجل معرفة الأرض التي كان يمتلكها بنو إسرائيل في ظل هذه المملكة وموقعها ، وقبل الحديث عن ذلك لابد أن نشير إلى أن هذه الأخيرة لم تكن تعرف باسم مملكة ، وهذا ما ذهب إليه أحد الباحثين حيث ذكر أن الوثائق الآشورية لم تذكر دويلة إسرائيل بلفظ مملكة ، على الرغم أنها تعتبر أكبر الدويلتين ، بل أطلقوا عليها بيت عمري⁽²⁾ وهو أحد ملوك إسرائيل الذي سيأتي الحديث عنه لاحقا ، ونجد في بعض الكتابات يطلقون عليها دويلتا إسرائيل و يهوذا تصغيرا لما كانتا تتميزان بهما من صغر مساحة حدود الأرض التي تمتلكانها. وتاريخ مملكة إسرائيل حسبما ذكر في العهد القديم يبدأ بالخلاف الذي عرف بين الأسباط ، حينما رفضت القبائل العشرة إعطاء البيعة لرحبعام بن سليمان الذي تولى حكم المملكة الجنوبية واستطاع أن يأخذ تأييد سبطي يهوذا و بنيامين .

1. أحمد أمين سليم ، المرجع السابق ، ص 343 .

2. أحمد يوسف داود ، الميراث العظيم ، (دمشق : دار المستقبل ، ط1 ، 1991م) ، ص 402 .

وقد تم خلافة الحكم في القدس "أورشليم" دون ذكر لأي خلاف أو صعوبة ، ولم يرد ذكر لأية معارضة (1) ، فقد كان بنو إسرائيل المقيمين في هذه المنطقة راضين بحكم هذا السبط دون إثارة لأية مشاكل ، فكان عدم قبوله معناه أن تخرج القيادة منه إلى الأسباب الأخرى .

وأصبحت المملكة الشمالية تسمى إسرائيل أو أفرايم ، وتتكون من عشرة قبائل ، واتخذت السامرة (2) عاصمة لها ، لذلك نجدتها في بعض الأحيان تسمى مملكة السامرة ، وتذكر نصوص العهد القديم والأخبار التاريخية أن هذه المملكة كانت أصغر مساحة وأقل كثافة من سكان مملكة يهوذا ، على الرغم أنها كانت تتمتع بأكبر تأييد من الأسباب وأكثر عددا .

فكانت حدود هذه المملكة تضم وادي الأردن ما عدا شمال حيفا إذ كانت للفينيقيين ، وأما من ناحية الوضع السائد بها فلم تكن أسرة حاكمة ذات شرعية دينية مثل أسرة داود ، وكانت عرضة للغزو الخارجي ، ولم تكن ذات سياسة خارجية واضحة ، كما كانت خليطا من أجناس قبلية غير متجانسة ، إذ كانت تتكون من عشرة قبائل مقابل قبيلتين (3) .

3- ملوك المملكة الشمالية

كان تسلسل حكام المملكة الشمالية مأخوذ من أسفار الملوك وأخبار الأيام التي ذكرت نصوصهم أن عدد ملوك هذه المملكة هو تسعة عشر ملكا في تاريخ فترة بداية ونهاية حكم المملكة . وهؤلاء الحكام كانوا ينتسبون إلى عشائر مختلفة، حيث أنهم لم يتحدثوا عن أنفسهم ولم يوردوا أية أخبار عنهم ، وما هو وارد عنهم مأخوذ من كتب التوراة ، وهم كهنة يهوذا المعادين لهم (4) .

1. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 88 .

2. السامرة : عاصمة المملكة الشمالية وفي اللغة العبرية تسمى: (شومرون) نسبة إلى (شمر) الذي كان يمتلك التل الذي بنيت عليه المدينة ويقع فيها جبل جريزيم الذي يحج إليه السامريون في عيد الفصح ، وتطلق السامرة أحيانا على كل المملكة ، وقد أسست المدينة عام (880- 879 ق، م) حينما جعلها عمري عاصمة المملكة وتشير إليها الحوليات الأشورية إليها باسم بيت عمري ، وقد خضعت لأشور وبابل والفرس ومقدونية والمملكة الحشمونية ويشير الأنبياء إلى المنطقة باسم (إفرام) وأطلق الصهاينة مصطلح "يهودا والسامرة" على الضفة الغربية . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1863- 1864 .

3. المرجع نفسه ، ص 1957 .

4. زياد منى ، مقدمة في تاريخ فلسطين القديم ، (بيروت : بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، ط1 ، 2000م) ، ص 92 .

- يربعام بن نباط (928-907 ق.م)

توالى الحكام على مملكة إسرائيل وتعاقبوا عليها وكان أول ملوكها حسبما ما ورد في العهد القديم هو يربعام بن نباط ، التي تذكر نصوصه أنه عمل في أعمال الصخرة والبناء ، وهو ينتمي إلى سبط أفرام من بلدة صردة⁽¹⁾، وقد أقام يربعام مدة في مصر في أواخر حكم سليمان عليه السلام . وقد لجأ يربعام إلى شيشنق أول ملوك الأسرة العشرين من أجل طلب الحماية⁽²⁾ ، فكان دافعه هو الهرب من سليمان عليه السلام خوفا من قتله ، فكانت مصر ملجأ له خاصة بعدما طلب العون منها ومساعدتها له ، غير أن فترة إقامته بها كانت قصيرة ، إذ سرعان ما علم بموت سليمان عليه السلام فعاد مرة أخرى إلى فلسطين .

وعندما أتت له الفرصة تمكن من قيادة المملكة الشمالية ، خاصة بعد الانقسام الذي ظهر بعد وفاة سليمان عليه السلام ، حيث اتخذ في بداية حكمه منطقة شكيم عاصمة له على أساس ما كانت تتمتع به من قيمة ومترلة دينية عند بني إسرائيل ، ثم تحول بعد ذلك منها إلى منطقة فنوئيل التي جعل فيها معبدا غير أنه لم يستقر بها ، حيث انتقل إلى عاصمة أخرى وهي ترصة⁽³⁾ .

جاء في الإصحاح الثاني عشر : (وَبَنَى يَرْبَعَامُ شَكِيمَ فِي جَبَلِ أَفْرَائِيمَ وَسَكَنَ بِهَا ثُمَّ خَرَجَ مِنْ هُنَاكَ وَبَنَى فَنُوئِيلَ)⁽⁴⁾ ، ثم اتخذ في الأخير ترصة عاصمة لمملكته والتي تعد آخر العواصم ، فكان هناك عدم استقرار ، وكان ينتقل من منطقة إلى أخرى .

إن هذا التحول في العواصم يرجع إلى عدم توفر الأمن ، حيث عرفت المملكة الشمالية صعوبات خاصة في البداية بخلاف ما عرفت به منطقة أورشليم التي كانت ملكا خاصا للملك⁽⁵⁾ .

1. صردة : اسم عبري ربما كان معناه برد وهي قرية جاء منها نباط أبو يربعام وربما جاء منها يربعام نفسه ، وربما كانت هي دير غسانة بالقرب من عين صردا جنوبي غرب شكيم . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 541 .
2. جيمس هنري برستيد ، ج 4 ، المرجع السابق ، ص 358 .
3. ترصة : اسم عبري معناه فرح أو انشراح ، وهي مدينة كنعانية قديمة خربت من طرف يشوع بن نون وكانت مركزا لمملكة أسباط إسرائيل العشرة نحو خمسين سنة حتى بني عمري ، ويمكن أن يكون موقعها رابية تل الفارعة الكبيرة شمالي شرقي مدينة نابلس . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 216 .
4. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 12 ، الفقرة 25 .
5. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 95 .

وبعد فترة من توليه الحكم انصبت مهام يربعام نحو البناء والتعمير ، وشيد أماكن للعبادة ، وخاصة أنه لم يكن لهم مركز ديني يلتفون حوله في المناسبات الخاصة ، أو يقيمون فيه الشرائع والطقوس الدينية .

فشيّد بناء مرتفعات وحاول أن تكون مكانا للعبادة بدلا من مكان الهيكل ، فجاء في الإصحاح : (وَبَنَى بَيْتَ الْمُرْتَفَعَاتِ وَصَيَّرَ كَهَنَةً مِنْ أَطْرَافِ الشَّعْبِ لَمْ يَكُونُوا مِنْ بَنِي لَأَوِي)⁽¹⁾.
غير أن المملكة التي أقامها يربعام لم تخل من الصراعات ، فقد واجهت حروبا مع مملكة الجنوب وبينها وبين الشعوب الأخرى ، فجاء في الإصحاح الرابع عشر : (وَكَانَتْ حَرْبٌ بَيْنَ رَحْبَعَامَ وَيَرُبُعَامَ كُلِّ أَيَّامٍ)⁽²⁾.

إن هذا النص لا يوضح شيئا عن تفاصيل وقوع حرب بين المملكتين ، أما عن خارج المملكة فقد ذكرنا أن يربعام استنجد بملك مصر شيشنق الذي استغل الأوضاع السائدة في المنطقة وقام بغزو فلسطين ، واستعاد سلطة وهيمنة مصر قديما على فلسطين ، غير أن عداؤه كان موجها خاصة للمملكة الجنوبية .

وقام شيشنق بتدمير عدة مدن⁽³⁾ ، وقضى بذلك على شكيم ، ثم تابع وواصل تقدمه ، وقد أدت الحملة إلى تدمير مدن كثيرة كانت في بيت يهوذا ، وهذا ما تؤكد الحفريات الأثرية ، وكان زمن هذا التدمير حوالي نهاية القرن العاشر قبل الميلاد⁽⁴⁾.

وأشارت نصوص العهد القديم إلى الحملة التي قام بها ملك مصر وصعوده على أورشليم ونهبها ، والأسماء الواردة في نصوصه مقصود بها أسماء المدن التي كانت موزعة على أنحاء فلسطين ، وهذه الأسماء ذكرت في النقوش والحفريات ، وذلك أثناء عرضها لهذه الحملة وتدمير شيشنق لهذه المدن ، ومن ذلك ما هو وارد في الإصحاح الرابع : (وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْمَلِكِ رَحْبَعَامَ صَعَدَ شِيشَقُ مَلِكُ

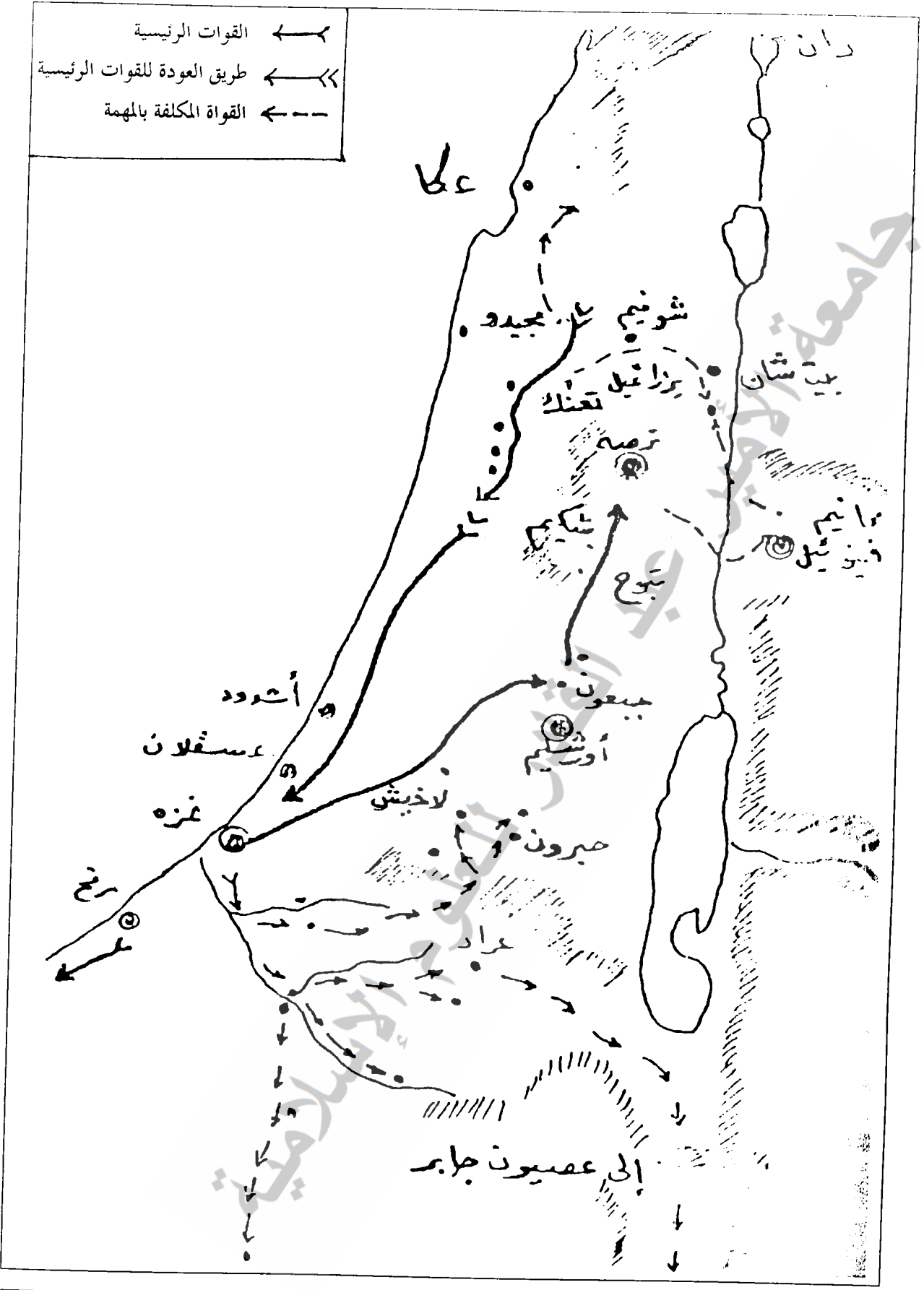
1. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 12 ، الفقرة 31 .

2. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 14 ، الفقرة 30 .

3. وقد استولى شيشنق على عدة مدن منها : جبعون ، بيت حران ، عجلون ، شكيم ، ، فينونيل ، محانيم ، بيت شان ، شونيم ، تعنك .
أنظر : المرجع نفسه ، ص 105 . محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المرجع السابق ، ص 126 .

4. أندريه لومير ، تاريخ الشعب العبري ، ترجمة : أنطوان الهاشم ، (بيروت : عويدات للنشر والطباعة ، ط 1 ، 1999م) ، ص 34 .

← القوات الرئيسية
 << طريق العودة للقوات الرئيسية
 - - - القوة المكلفة بالمهمة



حملة شيشنق الأول على فلسطين
 نقلا عن : مصطفى كمال عبد العليم ص 103

مِصْرَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَأَخَذَ خَزَائِنَ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنَ بَيْتِ الْمَلِكِ وَأَخَذَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَخَذَ جَمِيعَ أَثْرَاسِ الذَّهَبِ الَّتِي عَمَلَهَا سُلَيْمَانُ فَحَمَلَ الْمَلِكُ رَحْبَعَامَ عَوِضًا عَنْهَا أَثْرَاسَ نُحَاسٍ وَسَلَّمَهَا لِيَدِ رُؤَسَاءِ السُّعَاةِ الْحَافِظِينَ بَابَ بَيْتِ الْمَلِكِ⁽¹⁾.

والنصوص التي ذكرت وتخص هذه الفترة أشارت إلى نشوب حرب بين الملكتين والتي استمرت بين يربعام وأيام بن رحبعام الذي زحف على مملكة إسرائيل ووقعت بينهما معركة ، انهزم فيها يربعام وقتل ، وبذلك استولى أيام على عدة مدن كما دل على ذلك الإصحاح الثالث عشر من سفر الأيام الثاني : (وَطَارَدَ أَبِيَّا يُرْبَعَامَ وَأَخَذَ مِنْهُ مَدُنًا بَيْتَ إِيلَ وَقُرَاهَا وَيَشَانَةَ وَقُرَاهَا وَعَقْرُونَ وَقُرَاهَا)⁽²⁾.

أمام هذه الأوضاع لم يكن سكان فلسطين بمنأى عن هذه الصراعات وظلوا محتفظين بقوتهم وكيانهم بجانب بني إسرائيل ، ويمارسون حياتهم الطبيعية .

وتذكر نصوص العهد القديم إلى جانب الحروب أموراً تتعلق بالعقائد والشرائع ، فقد حاول يربعام أن يبني معبداً لإقامة العبادة ماثلاً لمعبد مملكة يهوذا من أجل جذب أتباعه وصرافهم عن مملكة يهوذا ، وخاصة أن هذه المنطقة كانت مقدسة .

- ناداب بن يربعام (907-906 ق.م)

بعد وفاة يربعام تولى ابنه ناداب ، واستمرت الحروب في عهده ، غير أنها كانت أقل حدة وعرفت أوضاعه إستقراراً إذا قرنت بفترة أبيه ، وسار على نفس طريقة أبيه ، فقد أوضح الإصحاح الخامس عشر ما كان عليه ناداب : (وَمَلَكَ نَادَابُ بْنُ يُرْبَعَامَ عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لَأَسَا مَلِكِ يَهُوذَا فَمَلَكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ سَنَتَيْنِ . وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ وَسَارَ فِي طَرِيقِ أَبِيهِ وَفِي خَطِيئَتِهِ الَّتِي جَعَلَ بِهَا إِسْرَائِيلُ يُخْطِئُ)⁽³⁾ إن فترة حكم ناداب لم تدم طويلاً بسبب النزاع على السلطة.

- بعشا بن أخيا (906 - 883 ق.م)

تولى الحكم بعشا بن أخيا بعد أن دبر مكيدة للإطاحة بناداب أو ما يمكن أن يطلق عليه في

1. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 14 ، الفقرات 25-27 .

2. سفر أخبار الأيام الثاني ، الإصحاح 13 ، الفقرة 19 .

3. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 15 ، الفقرة 25-26 .

عصرنا بالانقلاب العسكري ، وقد دل على هذا الحادث ما جاء في الإصحاح الخامس عشر : (وَقَتْنَ عَلَيْهِ بَعْشَا بْنُ أُخِيَا مِنْ بَيْتِ يَسَّاكَرَ وَضَرَبَهُ بَعْشَا فِي جِبْثُونَ⁽¹⁾ الَّتِي لِلْفِلِسْطِينِيِّينَ . وَكَانَ نَادَابُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مُحَاصِرِينَ جِبْثُونَ⁽²⁾) .

فكان هذا يمثل أول تمرد داخلي أو انقلاب في مملكة إسرائيل ، مثلما حدث مع يربعام الذي تمرد على رحبعام ، ولم يكن ذلك يمثل الحدث الأول من نوعه ، بل صاحب ذلك الكثير من التمردات⁽³⁾ .

وهنا نلاحظ حديث العهد القديم عن دور الفلسطينيين ، الذي طالما يناشد به في نصوصه ، فقد تبين أن ناداب قد أطبق الحصار على جبثون مدينة الفلسطينيين ، وأثناء هذا الحصار اغتيل على يد بعشا بن أخيا ، وبذلك انتهى حكم أسرة أفرام لتصبح في يد يساكر ، وهكذا يتواصل الصراع بين الأسباط وينتقل من سبط لآخر ، وقد تابع بعشا مسيرة يربعام واتخذ ترصة عاصمة لمملكته ، وقد دخلت المملكة مرحلة من التحالفات ، والتي كان لا بد من عقدها في ظل تلك الأوضاع والظروف ، فقد عقد بعشا تحالفا مع بن هدد⁽⁴⁾ ملك دمشق (أرام) ضد المملكة الجنوبية ، فجاء في الإصحاح الخامس عشر : (وَكَانَتْ حَرْبٌ بَيْنَ آسَا وَبَعْشَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ كُلِّ أَيَّامِهِمَا وَصَعِدَ بَعْشَا مَلِكُ إِسْرَائِيلَ عَلَى يَهُوذَا وَبَنَى الرَّامَةَ⁽⁵⁾ لِكَيْ لَا يَدَعَ أَحَدًا يَخْرُجُ أَوْ يَدْخُلُ إِلَى آسَا مَلِكِ يَهُوذَا وَأَخَذَ آسَا جَمِيعَ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ الْبَاقِيَةِ فِي خَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ وَدَفَعَهَا لِيَدِ عَبِيدِهِ وَأَرْسَلَهُمُ الْمَلِكُ آسَا إِلَى بَنَهَدَدَ⁽⁶⁾) .

1. جبثون :اسم عبري معناه جبل أو ارتفاع إسم بلدة لبني دان أعطيت لبني قهات اللاويين امتلكها الفلسطينيون ، وهناك قتل ناداب وهو يضرب عليها حصارا وحاصرها عمري قبل أن يعتلي العرش ، وربما تكون هي المعروفة اليوم بتل الميلاط . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 244 .
2. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 15 ، الفقرة 27 .
3. محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المرجع السابق ، ص 215 .
4. بن هدد : إسم عبري صيغته الأرامية بارهدد ومعناه ابن هدد ويطلق على ثلاثة ملوك من الأراميين ، فبن هدد الأول كان ملكا على دمشق في زمن آسا ملك يهوذا وبن هدد الثاني خلف أباه في الملك وقد أثار هذا الملك أيام آخاب حروبا عديدة على مملكة إسرائيل ، وبن هدد الثالث هو ابن حزائيل في زمن ملك يهوذاحاز . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 191 .
5. الرامة (الرام) : اسم عبري معناه مرتفعة ، وهي قرية صغيرة شمال أورشليم . أنظر : المصدر نفسه ، ص 392 .
6. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 15 ، الفقرة 16- 18 .

وتذكر نصوص العهد القديم أنه حاول قطع الطريق المؤدي إلى ملك يهوذا(آسا) ، وهذا الأخير تمكن من إقناع ملك آرام من تغيير رأيه اتجاه بعشا وأرسل مجموعة من الهدايا واستطاع أن يهزم بعشا ويتخلى عن جزء من أراضيه ، ثم يواصل الإصحاح : (فَسَمِعَ بَنَهَدَدُ لِلْمَلِكِ آسَا وَأَرْسَلَ رُؤَسَاءَ الْجِيُوشِ الَّتِي لَهُ عَلَى مَدَنِ إِسْرَائِيلَ وَضَرَبَ عِيُونَ وَدَانَ وَأَبَلَ بَيْتِ مَعَكَّةَ وَكُلَّ كَنْزُوتَ مَعَ كُلِّ أَرْضِ نَفْتَالِي)⁽¹⁾.

- إيلا بن بعشا (883-832 ق.م) .

تعاقب على المملكة إيلا بن بعشا الذي لم يستمر في الحكم طويلا كما تذكر نصوص العهد القديم ، حيث أنه قتل بيد قائد جيشه .

- زمري (882 ق.م) .

تولى الحكم زمري قائد الجيش في عهد إيلا الذي خطط لقتل رئيسه وحدث هنا تمرد ثاني . إن الهدف من هذه الانقلابات لم يكن إصلاحيا وإنما هو استغلال الفرص من أجل تحقيق المآرب الشخصية ، حتى ولو كان ذلك على حساب إراقة الدماء⁽²⁾.

فكان حكم زمري قصير المدى ، ولم يستمر سوى عدة أيام كما تروي نصوص العهد القديم.

- عمري (882-871 ق.م) .

تمكن عمري من محاصرة العاصمة "ترصة" وتولى الحكم بعد صعوبة شديدة نتيجة لما لاقاه من معارضة أرغمته على خوض حروب ضد المعارضين ، وتمكن من اتخاذ السامرة عاصمة لمملكته .

ومن بين الأثر الذي خلفه عمري مدينة السامرة ، حيث أظهرت الحفريات أثارا مترا بالعاج جزء منه مكسو بالذهب ، وكانت أهم جماعة من نحاتي العاج تعرف في شمال سوريا ، وقد ترك هذا الأثر الذي خلفه عمري إطلاق الحوليات الأشورية على السامرة باسم "بيت حمري"⁽³⁾، ويطلق عليها في بعض الحوليات الأشورية "بيت عمري".

1. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 15 ، الفقرة 20 .

2. محمد أحمد المراغي ، المرجع السابق ، ص 45 .

3. فيليب حتي ، المرجع السابق ، ص 209 .

ووردت بعض الأسماء لحكام السامرة "شكيم" مثل "عومري" و"أخاب" في بعض الوثائق والآثار لكنها لا تشير إليهم كملوك ، إنما ذكروا بصيغة: "بيت عمري" حيث ترجمها بعض الباحثين "عومري" ملك إسرائيل بتأثير ما ورد في التوراة⁽¹⁾.

ولم يتمكن من إقامة علاقات خارجية خاصة مع الأراميين ، الذين اشتد ضغطهم على عمري ، مما اضطره إلى التنازل عن عدد من المدن ومن بينها راموت جلعاد⁽²⁾ فضلا عن ذلك سمح للأراميين بفتح متاجر داخل السامرة .

وأمام هذه الظروف قام عمري بتقوية علاقاته مع الفينيقيين وعقد تحالف معهم ، ولتعزيز ذلك التحالف زوج ابنه من إيزابيل⁽³⁾ ابنة ملك صيدا.

فكان تحالف بين عمري وصيدا ، وكان هناك محور صيدا - السامرة ، وقد حاول عمري جذب المملكة الجنوبية إلى هذا التحالف ، كما نجح في السيطرة على المؤابيين ، وأقام عدة تحصينات ، ونعمت بذلك المملكة الشمالية نوعا ما بالاستقرار ، وسادها السلام فترة من الزمن ، حتى غدت هذه المملكة تعرف عند الأشوريين باسم (مملكة عمري)⁽⁴⁾.

ورغم الأعمال التي قام بها عمري وما توصل إليه من إقامة علاقات تجارية ، وما عرفته المنطقة من حركة بناء واسعة وبفضل ما تمتعت به مملكته من ازدهار على خلاف عهد من سبقه ، إلا أننا إذا رجعنا إلى نصوص العهد القديم نجد أن الأخبار عنه نادرة جدا ، والأمر الملاحظ على هذه الفترة أنها مرحلة عرفت الإستقرار و السلام وهدأت الحروب ، كما يبدو واضحا أن عمري تحسنت علاقته مع مملكة يهوذا .

1. جودت السعد ، أوهام التاريخ اليهودي ، (عمان : الأهلية للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1998م) ، ص 100 .

2. راموت جلعاد : إسم عبري معناه مرتفعات ، كانت مدينة للأموريين وصارت للجاديين وموقعها شرقي الأردن وتدعى أيضا الرامة .
أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 393 .

3. إيزابيل : إسم عبري يعني غير مرتفع ، وإيزابيل زوجة أخاب أحد ملوك المملكة الشمالية ، وابنة إيثبعل ملك صور وصيدا وكاهن عشتروت . أنظر : عيد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1961 .

4. المرجع نفسه ، ص 1958 .

- أخاب بن عمري (871-852 ق.م)

بعد وفاة عمري تولى ابنه أخاب الحكم ، ويذكر العهد القديم أنه سار على نفس طريقة يربعام في عبادة العجل ، وقد لعبت زوجته دورا كبيرا في ذلك ، كما قتل بعض الكهنة والأنبياء . وهذه الفترة تختلف عن فترة أبيه ، فلم يتمكن من المحافظة على علاقته مع الأراميين ، وشهدت عودة اللاستقرار وخاض عدة حروب ضد الأراميين أثناء حكم بن هدد ، وزال التحالف بينهما وزحف بن هدد على السامرة ، وفشلت محاولتهم الأولى وانهمزوا ، وعاد النصر لأخاب مؤقتا ، وبعد استرجاع بن هدد قوته ونظم جيشه وعاد بحربه ضد المملكة الشمالية ، ودارت حرب كانت لصالح أخاب وهزم للمرة الثانية وأخذ أسيرا ، وهذا ما ورد في الإصحاح العشرين : (وَجَمَعَ بِنَهْدَدُ مَلِكُ أَرَامَ كُلَّ جَيْشِهِ وَأَثْنِينَ وَثَلَاثِينَ مَلَكًا مَعَهُ وَخَيْلًا وَمَرْكَبَاتٍ وَصَعِدَ وَحَاصَرَ السَّامِرَةَ وَحَارَبَهَا . وَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى أَخَابَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ إِلَى الْمَدِينَةِ)⁽¹⁾.

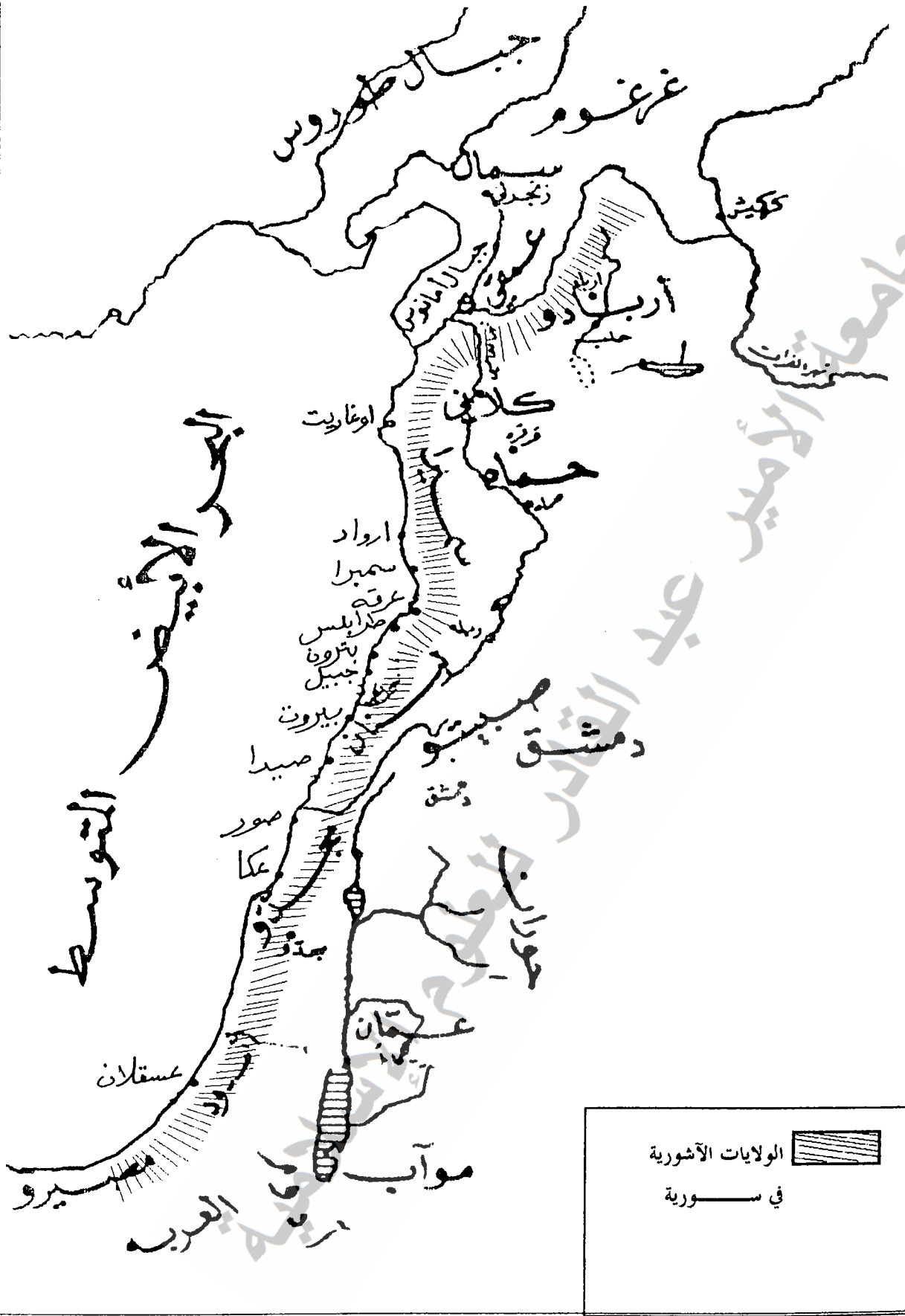
ثم تابع الإصحاح في سرد المعركة بين الأراميين و الإسرائيليين : (وَعِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ عَدَّ بِنَهْدَدُ الْأَرَامِيِّينَ وَصَعِدَ إِلَى أَفِيْقَ لِيُحَارِبَ إِسْرَائِيلَ وَأُحْصِيَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَتَرَوَّدُوا وَسَارُوا لِلْقَائِمِهِمْ وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اشْتَبَكَتِ الْحَرْبُ . فَضَرَبَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْأَرَامِيِّينَ مِئَةَ أَلْفِ رَاجُلٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَهَرَبَ الْبَاقُونَ إِلَى أَفِيْقَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَسَقَطَ السُّورُ عَلَى السَّبْعَةِ وَالْعِشْرِينَ أَلْفَ رَجُلٍ الْبَاقِينَ وَهَرَبَ بِنَهْدَدُ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ مِنْ مَخْدَعٍ إِلَى مَخْدَعٍ)⁽²⁾.

عقد أخاب تحالفا مع الأراميين بعدما أطلق سراح بن هدد ، وأيقن أن خطورة الأشوريين الذي كان بقيادة سلما نصر الثالث ، وكان أخاب يهدف إلى استرجاع المدن التي كانت بجوزة عمري ، واستمر عقد الاتفاقات والتي كانت هذه المرة مع ملك يهوذا يهوشافاط ، ومما خلفه هذا الاتفاق عقد الزواج الذي تم بين ابن يهوشافاط وابنة أخاب ، وكانت هذه السياسة المنتهجة تهدف إلى الحفاظ على حدوده مع كسب تأييد ملك يهوذا ، ثم القضاء على العداء بينهما⁽³⁾.

1. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 20 ، الفقرة 1-2 .

2. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 20 ، الفقرات 26-30 .

3. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 119-120 .



الولايات الآشورية في سورية

نقلا عن : فيليب حتى ص 152

وقد دل على هذا الاتفاق والتعاون بين المملكتين ما ذكره الإصحاح الثاني والعشرون: (وَفِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ نَزَلَ يَهُوشَافَاطُ مَلِكُ يَهُوذَا إِلَى مَلِكِ إِسْرَائِيلَ فَقَالَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ لِعَبِيدِهِ اتَّعَلَمُونَ أَنَّ رَامُوتَ جَلْعَادَ لَنَا وَنَحْنُ سَاكِنُونَ عَنْ أَخْذِهَا مِنْ يَدِ مَلِكِ أَرَامَ وَقَالَ لِيَهُوشَافَاطُ أَتَذْهَبُ مَعِيَ لِلْحَرْبِ إِلَى رَامُوتَ جَلْعَادَ فَقَالَ يَهُوشَافَاطُ لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ مِثْلِي مِثْلَكَ . شَعْبِي كَشَعْبِكَ وَخَيْلِي كَخَيْلِكَ . ثُمَّ قَالَ يَهُوشَافَاطُ لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ إِسْأَلِ الْيَوْمَ عَنْ كَلَامِ الرَّبِّ)⁽¹⁾.

وقد كان هذا التحالف ضد أي هجوم من خارج المملكتين وخاصة الأشوريين الذين كانوا يستغلون أوضاع ضعف الممالك للتدخل في شؤون الأمم وتوسيع نفوذهم .

إن الاتحاد الذي أقيم ضد آشور قد فشل وظهر العداء من جديد بعد السلام الذي ساد حوالي ثلاث سنوات وألحق بن هدد هزيمة بقوات إسرائيل ويهوذا في راموت جلعاد شرقي الأردن ، والتي قتل فيها أخاب ، وهذه المدينة كانت سببا في زيادة تفجير هذا العداء ، خاصة أن الأراميين رفضوا إعادة المدينة لأخاب حسبما كان متفقاً بينهم⁽²⁾.

كان أخاب يعد أول ملك عبراني حيث وجد اسمه في إحدى الأنصاب الأشورية ، وخاصة أنه هزم على يد الأشوريين⁽³⁾.

- أحازيا بن أخاب (852-851 ق.م)

بعد مقتل أخاب تولى ابنه أحازيا ، وفي عهده توترت العلاقات بينه وبين المملكة الجنوبية ، ولم يتمكن من استرجاع أي جزء من أراضي المملكة ، بل وبدأت تظهر حركات تحرر ومنها مؤاب كما ذكرت نصوص العهد القديم ، غير أنها لم تبين العصيان في أي مرحلة ، ثم ذكرت أنه حصل بعد وفاة أخاب ، ومن ذلك : (وَعَصَى مُوَابُ عَلَى إِسْرَائِيلَ بَعْدَ وَفَاةِ أَخَابِ)⁽⁴⁾.

وهكذا كانت الأوضاع بين مد وجزر ، ولم تبدأ سلسلة الاضطرابات والحروب وما صاحبها من توتر وخوف من الأشوريين وخطرهم الداهم عليهم.

1. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 22 ، الفقرات 2-5 .

2. المرجع نفسه ، ص 121 .

3. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1958 .

4. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 1 ، الفقرة 1 .

- يورام بن أخاب (851-842 ق.م)

تولى الإبن الثاني لأخاب يورام وهو آخر ملوك عمري ، وقد عادت العلاقة مع مملكة يهوذا ، وعقد اتفاقا مع ملك أدوم ضد مؤاب ، وحاول يورام استرجاعها وإبقائها تحت سلطته ، فجاء في الإصحاح الثالث : (فَذَهَبَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَمَلِكُ يَهُوذَا وَمَلِكُ أَدُومَ وَدَارُوا مَسِيرَةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ)⁽¹⁾ .

غير أن محاولة استرجاع مؤاب باءت بالفشل واستقلت مؤاب عن مملكة إسرائيل وألحقت الهزيمة بيورام ، فجاء في الإصحاح الثالث : (قَدْ تَحَارَبَ الْمُلُوكُ وَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَالآنَ فِإِلَى النَّهْبِ يَا مُوَابُ وَأَتُوا إِلَى مَحَلَّةِ إِسْرَائِيلَ . فَقَامَ إِسْرَائِيلُ وَضَرَبُوا الْمُوَابِيِّينَ فَهَرَبُوا مِنْ أَمَامِهِمْ فَدَخَلُوهَا وَهُمْ يَضْرِبُونَ الْمُوَابِيِّينَ . وَهَدَمُوا الْمُدْنَ وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَلْقِي حَجْرَهُ فِي كُلِّ حَفْلَةٍ حَيَّةٍ حَتَّى مَلَأُوهَا وَطَمُّوا جَمِيعَ عُيُونِ الْمَاءِ وَقَطَعُوا كُلَّ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ وَلَكِنَّهُمْ أَبْقَوْا فِي قِيرٍ حَارِسَةً حِجَارَتِهَا وَاسْتَدَارَ أَصْحَابُ الْمَقَالِيعِ وَضَرَبُوهَا . فَلَمَّا رَأَى مَلِكُ مُوَابَ أَنَّ الْحَرْبَ قَدْ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ أَخَذَ مَعَهُ سَبْعَ مِئَةِ رَجُلٍ مُسْتَلِي السُّيُوفِ لِكَيْ يَشُقُّوا إِلَى مَلِكِ أَدُومَ فَلَمْ يَقْدِرُوا)⁽²⁾ .

من هنا نستنتج احتمالين اثنين : إما أن مملكة مؤاب كانت قوية لدرجة أنها تغلبت على هذا التحالف ، وإما أن هذا التحالف كان يمثل دويلات صغيرة لم تتمكن من صد هجوم مملكة مؤاب ، و بعد هذا النصر الذي حققه المؤابيون فتح المجال للأدوميين بإعلان استقلالهم عن يهوذا ، وربما فتح المجال أيضا لدويلات أخرى للانفصال والاستقلال.

وأصبح الأراميون يشكلون خطرا على مملكة إسرائيل ، فسارعت هذه الأخيرة إلى ردع هذا الخطر غير أن ملك أرام تمكن من محاصرة السامرة .

وظن الأراميون كما ذكر العهد القديم أنهم أمام جيش كبير ، وذلك عندما سمعوا صوت مركبات وخيول ، فهربوا وسلمت مدينة السامرة ، غير أن هناك من المؤرخين من قدموا تفسيرا آخر لانسحاب الأراميين ، وهو ليس الخوف وإنما الأخبار التي سمعوها عن هجوم الأشوريين ، فلجأوا إلى صد هذا الهجوم وفك الحصار⁽³⁾ .

1. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 3 ، الفقرة 9 .

2. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 3 ، الفقرات 23-26 .

3. مصطفى كمال عبد العظيم ، المرجع السابق ، ص 126 .

وكان من بين المحاولات التي قام بها يورام ، هو استرجاع مدينة راموت جلعاد من الأراميين ، لكنه فشل ولم يحقق مبتغاه وقتل أثناءها.

ويمكن القول أن منطقة فلسطين كانت مسرحا للصراعات والحروب ، سواء بين المملكتين أو بينهما وبين الأراميين ، ويضاف إلى ذلك أنها أصبحت مركزا للتحالفات التي برمجت من أجل صد الأعداء والحد من زحفهم ، وقد عرفت المنطقة بعدم الإستقرار ، وظهرت التمردات في المملكة الشمالية .

وأرض فلسطين كما يبدو واضحا من خلال ما ورد في نصوص العهد القديم أنها لم تكن تضم بني إسرائيل وحدهم ، بل ظل بها المؤابيون والأدوميون وغيرهم من الشعوب .

- ياهو بن نمشي (842-814 ق.م)

استغل ياهو بعد توليه الحكم الأوضاع السابقة ، وقام بثورة وقتل كثيرا من الكهنة والأنبياء ، وقام بإلغاء الحلف مع الدول الفينيقية (صور وصيدا) والمملكة الجنوبية ، الأمر الذي أدى إلى غزو الأراميين للمملكة وخاض ياهو حربا مع حزائيل ملك أرام ، وقد انتصر الأراميون على ياهو مما اضطره إلى دفع الجزية لسلمة نصر الثالث لحمايته من الخطر الأرامي.

وقد سجلت تلك الأحداث على إحدى حولياته ونص ذلك : (في العام الثاني عشر من حكمي عبرت نهر الفرات للدرسة السادسة عشر . وكان حزائيل ملك أرام قد ركن إلى قوة جيشه الكبير العدد الذي استدعاه . وقد جعل سانير القمة الجبلية (رأس الجبل) التي تنهض في مواجهة لبنان ومركزه الحصين (ولكنني) قاتلته وأوقعت به الهزيمة ، وأفنييت بأسلحتي 16,000 من جنده المدربين . وانتزعت منه 1921 من مركباته و 470 من خيول الفرسان مع تجهيزاته وقد فر بعيدا لإنقاذ حياته ، (ولكنني) تابعته وحاصرته في دمشق عاصمته ، واجتثت (قطعت) نباتاته (مخاصيله) و (بعد ذلك) زحفت حتى بلغت جبال حوران وقد دمرت ومزقت وأحرقت بالنار عددا لا يحصى من القرى وحملت منها غنائم تفوق الحصر . وزحفت حتى بلغت جبال وهي (رأس) عند البحر حيث أقيمت صورة لشخصي الملكي . وفي هذا الوقت جاءني جزية شعب صور وصيدا وياهو بن عمري (من بيت عمري) (1).

وقد ورد في نص آخر: (ثم أخذت الجزية من الصوريين و الصيدانيين و من ياهو و من بيت عمري)⁽¹⁾، بينت هذه النصوص أن كل من صور وصيدا وياهو كانوا يدفعون الجزية التي فرضت عليهم من طرف الآشوريين .

وقد حقق حزائيل ملك أرام نصرا وأوقع الهزيمة بياهو ، وأصبحت بذلك إسرائيل تابعة للآراميين في الوقت الذي أوقف فيه الآشوريين زحفهم وحملتهم ضد المملكة الشمالية بسبب الأوضاع الداخلية لآشور وما أصابها من اضطرابات .

- يهوآحاز بن ياهو (814-800 ق.م)

بعد وفاة ياهو تمكن ابنه يهوآحاز من الحكم ، وأثناء فترة حكمه حسبما ورد في نصوص العهد القديم أن ملك أرام ضيق عليهم الخناق .

وأصبح جزءا كبيرا من أراضي المملكة تابعا لأرام ، وتقلصت حدود المملكة لتصبح دويلة⁽²⁾.

وقد دل على ضعف قوتها وخضوع معظم أراضيها لملك أرام ما ورد في الإصحاح الثالث عشر : (فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ وَالْعِشْرِينَ لِيُوشَ بْنِ أَخْزَيَا مَلِكِ يَهُوذَا مَلِكُ يَهُوَأَحَازُ بْنُ يَاهُو عَلَى إِسْرَائِيلَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ وَسَارَ وَرَاءَ خَطَايَا يَرْبَعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ لَمْ يَحِدْ عَنْهَا فَحَمِي غَضِبَ الرَّبُّ عَلَى إِسْرَائِيلَ فَدَفَعَهُمْ لِيَدِ حَزَائِيلَ مَلِكِ أَرَامَ وَلِيَدِ بَنَهَدَدَ بْنِ حَزَائِيلَ كُلِّ الْأَيَّامِ ، وَتَضَرَّعَ يَهُوَأَحَازُ إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ فَسَمِعَ لَهُ الرَّبُّ لِأَنَّهُ رَأَى ضَيْقَ إِسْرَائِيلَ لِأَنَّ مَلِكَ أَرَامَ ضَايَقَهُمْ . وَأَعْطَى الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ مُخْلَصًا فَخَرَّجُوا مِنْ تَحْتِ يَدِ الْأَرَامِيِّينَ وَأَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي حَيَاتِهِمْ كَأَمْسٍ وَمَا قَبْلَهُ)⁽³⁾.

ذكر الإصحاح ما عانت منه المملكة الشمالية من ضيق وشدة ، كما أوضح تضرع يهوآحاز إلى الرب لكي يخلصه من ملك أرام ، واستجابة الرب له ببعثه مخلصا لهم أنقضهم من الآراميين.

- يوش (يهوآش) بن يهوآحاز (800-784 ق.م)

بعد وفاة يهوآحاز تولى ابنه يوش ، وقام باسترجاع بعض المناطق التي فقدتها ، وقد استغل

1. محمد عبد القادر محمد ، المرجع السابق ، ص 224 .

2. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1959 .

3. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 13 ، الفقرات 1- 5 .

الفرصة المواتية بسبب ضعف الأراميين وهزيمتهم على يد الآشوريين.

وكان وجود يواش في نفس الفترة التي ملك فيها ملك يهوذا أمصيا هذا الأخير الذي تمكن من تنظيم حملة استهدفت الأراميين و العماليق وأخذ مدينة سلع "البتراء" وكان هدفه إخضاع السامرة ، غير أن ملك إسرائيل يواش ألحق الهزيمة بأمصيا وسجنه وغزا أورشليم ، وحقق انتصارا بفضل استعادت المملكة تفوقها على مملكة يهوذا من جديد⁽¹⁾.

فجاء في الإصحاح الرابع عشر : (ثُمَّ مَاتَ حَزَائِيلُ مَلِكُ أَرَامَ وَمَلِكُ بَنَهَدَدُ ابْنُهُ عَوَضًا عَنْهُ . فَعَادَ يَهُوَأَشُ بْنُ يَهُوَأَحَازَ وَأَخَذَ الْمُدْنَ مِنْ يَدِ بَنَهَدَدَ بْنِ حَزَائِيلَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ يَدِ يَهُوَأَحَازَ أَبِيهِ بِالْحَرْبِ . ضَرَبَهُ يُوَأَشُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَاسْتَرَدَّ مُدْنَ إِسْرَائِيلَ)⁽²⁾.

ثم تابع الإصحاح الرابع عشر غزوة يهوآش للمملكة يهوذا : (فَصَعَدَ يَهُوَأَشُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَتَرَاعِيَا مُوَاجَهَةً هُوَ وَأَمْصِيَا مَلِكُ يَهُوَذَا فِي بَيْتِ شَمْسٍ الَّتِي لِيَهُوَذَا . فَأَنْهَزَمَ يَهُوَذَا أَمَامَ إِسْرَائِيلَ وَهَرَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَيْمَتِهِ . وَأَمَّا أَمْصِيَا مَلِكُ يَهُوَذَا ابْنُ يَهُوَأَشَ بْنِ أَخْزِيَا فَأَمْسَكَهُ يَهُوَأَشُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ شَمْسٍ وَجَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَهَدَمَ سُورَ أُورُشَلِيمَ مِنْ بَابِ أَفْرَايِمَ إِلَى بَابِ الزَّاوِيَةِ أَرْبَعَ مِئَةَ ذِرَاعٍ . وَأَخَذَ كُلَّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَجَمِيعِ الْآتِيَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ وَفِي خَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ وَالرُّهْنَاءِ وَرَجَعَ إِلَى السَّامِرَةِ)⁽³⁾.

تحدث هذا النص عن تدمير أورشليم وما لحقها من نهب وسرقة ، والمعركة التي جرت بين ملك إسرائيل وملك يهوذا وانهازم مملكة يهوذا على يد قائدها أمصيا .

إن ما يلاحظ على هذا النص وغيره أن أورشليم لم تكن مقدسة عند أغلبية اليهود ، وأن هذه المدينة كانت من قبل في أيدي البيوسيين ، والتي سكن فيها بنيامين معهم من غير أن يكون لهم سلطة أو سيطرة عليها ، ولم يتمتعوا بأي حق في بيت المقدس ، فلو كانت للمنطقة قداسة لما ألحق بها يهوآش هذا التدمير⁽⁴⁾.

1. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 136-137 .

2. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 13 ، الفقرة 24-25 .

3. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 14 ، الفقرات 11-14 . أنظر : سفر أخبار الأيام الثاني ، الإصحاح 23 ، الفقرات 17-24 .

4. أحمد عبد الغفور عطار ، اليهودية والصهيونية ، (د.م : دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ط ، د.ت) ، ص 142 .

نجد بالإضافة إلى تلك الأسباب التي تنفي قداسته أو شليم أنها لم تظم سوى سبطين من أسباط بني إسرائيل ، كما أن سكان مملكة يهوذا أنفسهم لم يقدسوا المدينة " أو شليم " ورفضوها ، بل وهي في بعض الأحيان مرفوضة من طرف الرب ، وربما كانت موضع اللعنة كما هو ثابت في هذا الإصحاح : (وَأَرْفُضُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ الَّتِي اخْتَرْتَهَا أُورُشَلِيمَ وَالْبَيْتَ الَّذِي قُلْتُ يَكُونُ اسْمِي فِيهِ)⁽¹⁾.

- يربعام (الثاني) بن يوآش (748-784 ق.م)

بعد وفاة يهوآش تولى بعده ابنه يربعام الثاني كما تذكر نصوص العهد القديم ، أنه استغل ضعف الأشوريين وحرهما ضد المديانيين واستطاع أن يسترجع بعض المناطق التي أخذها الأراميون . وعرفت آشور الضعف خلال هذه الفترة ، وقد تمكن أداد نيراري الثالث (809-782 ق.م) من تنظيم حملة ضد الأراميين في دمشق ، كما كانت حملة أخرى بقيادة سلما نصر الرابع (781-772 ق.م) ضد الدويلات الأرامية الشمالية⁽²⁾.

وقد كانت الظروف مواتية والتي سنحت ليربعام الثاني باسترجاع الحدود القديمة التي عرفت في عهد أخاب ، وهذه الحدود كانت تمتد من حماة حتى وادي عربة إلى الجنوب من البحر الميت بما فيها مؤاب⁽³⁾.

وقد أوضح ذلك في الإصحاح الرابع عشر : (فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ عَشَرَ لِأَمَصِيَا بْنِ يُوَأَشَ مَلِكِ يَهُودَا مَلِكَ يَرْبَعَامُ بْنُ يُوَأَشَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَعَمَلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبُّ لَمْ يَحِذْ عَن شَيْءٍ مِنْ خَطَايَا يَرْبَعَامُ بْنُ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ . هُوَ رَدَّ تُخْمَ إِسْرَائِيلَ مِنْ مَدْخَلِ حِمَاةِ إِلَى بَحْرِ الْعَرَبَةِ)⁽⁴⁾، فقد بين هذا الإصحاح أن حدود المملكة الشمالية امتدت من مدخل حماة إلى بحر العربة ، وكما ذكرنا سابقا أن ما تعرضت له هذه المملكة من حروب سواء بينها وبين المملكة الجنوبية أو بينها وبين الممالك الأخرى ، قد عرفت حدودها تقريبا خاصة بعدما أخذت

1. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 23 ، الفقرة 27 .

2. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 136-137 .

3. المرجع نفسه ، ص 137 .

4. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 14 ، الفقرة 23-25 .

منها بعض المناطق التي كانت بجوزتها وضمت إلى أعدائها ، فكانت حدود هذه المملكة تضيق وتتسع حسب التطورات التي تعرفها المنطقة.

- زكريا بن يربعام (748 ق.م)

توال الحكام على قيادة المملكة وكانت مدة حكمهم قصيرة ، وكان الحكم بعد يربعام لزكريا بن يربعام ، والذي استمر حكمه ستة أشهر .

- شلوم بن يابيش (748 ق.م)

بعد اغتيال زكريا بن يربعام من طرف شلوم بن يابيش ، تولى هذا الأخير الحكم الذي لم يدم طويلا ، فقد قدر حكمه حوالي شهرا واحدا ، ولم تورد نصوص العهد القديم أية أخبار عن هؤلاء الحكام إلا في بعض الإشارات .

- مناحم بن جادي (747-737 ق.م)

قتل شلوم بن يابيش من طرف مناحم بن جادي ، الذي تمكن من الحكم واستلم السلطة ، وقد ظلت مملكة إسرائيل أثناء حكمه خاضعة للأشوريين كما كانت من قبل ، وقد أوضح نص الإصحاح الخامس عشر ما كان بين مناحم وملك آشور : (فَجَاءَ فُؤُلٌ⁽¹⁾ مَلِكُ أَشُورَ عَلَى الْأَرْضِ فَأَعْطَى مَنَحِيمُ لِفُؤُلَ أَلْفًا وَزَنْةً مِنَ الْفِضَّةِ لِتَكُونَ يَدَاهُ مَعَهُ لِيُثَبَّتَ الْمَمْلَكَةَ فِي يَدِهِ وَوَضَعَ مَنَحِيمُ الْفِضَّةَ عَلَى إِسْرَائِيلَ عَلَى جَمِيعِ جَبَابِرَةِ الْبَاسِ لِيُدْفَعَ لِمَلِكِ أَشُورَ خَمْسِينَ شَاقِلَ فِضَّةٍ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ . فَرَجَعَ مَلِكُ أَشُورَ وَلَمْ يُقَمْ هُنَاكَ فِي الْأَرْضِ)⁽²⁾.

ودفع مناحم الجزية لملك آشور ، وقد ذكرت الحوليات الآشورية مناحم مع رصين ملك آرام (آخر ملوك دمشق) وحيرام ملك صور .

وقد حاول خلال هذه الفترة تجلات بلاسر الثالث ضم فلسطين إلى إمبراطوريته من أجل استخدامها كقاعدة لتكون مركز انطلاق الحملة الموجهة ضد مصر ، وهذه الأخيرة أيضا كانت

1. ذكر بعض الباحثين والمؤرخين أن الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث هو فول الذي حكم بابل تحت اسم بولو . أنظر : محمد

بيومي مهران ، تاريخ العراق القديم ، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، دط 1990 ، م) ، ص 381 . محمد عبد القادر محمد ،

المرجع السابق ، ص 225 . كمال مصطفى عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 141 .

2. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 15 ، الفقرة 19 - 20 .

تحمل نفس النوايا ، فقد كانت تحاول استرجاع سياستها التقليدية في منطقة غرب آسيا مع جذب المماليك في فلسطين ضد آشور⁽¹⁾.

- فقحيا بن مناحم (737-735 ق.م)

وجاء بعد ذلك فقحيا بن مناحم ، غير أنه لم يستمر في الحكم طويلا ، فقد اغتيل من طرف قائد جيشه.

- فاقح بن رمليا (735-733 ق.م)

فاقح كان قائد جيش فقحيا بن مناحم الذي استولى على الحكم بعدما دبر مكيدة لاغتيال رئيسه ، وقام بانقلاب كعادة ملوك المملكة الشمالية ، وقد أصبحت المملكة أثناء هذه الفترة مهددة من طرف الآشوريين و تعاني من عدم الاستقرار .

ومن الواضح أن فاقح لم يكن على علاقة جيدة مع آشور ، وفضل التقارب إلى مصر واسترجاع معاهدة التحالف القديم مع دمشق بقيادة رصين ، وهكذا حيي هذا الإتحاد من جديد الذي كان يجمع الدويلات الأرامية ضد آشور تحت إشراف دمشق⁽²⁾.

وقد حاول هذا الحلف الضغط على المملكة الجنوبية وإرغامها بالانضمام إليه وقام الإتحاد بالهجوم عليها ، فاستغاث ملك يهوذا بالآشوريين ، فتدخلت لنجدة المملكة وقضت على الآراميين ، وبعد الانتهاء من أرام هاجمت المملكة الشمالية وقامت بغزوها، وأصبحت بعض المناطق تابعة لآشور . وحسبما أشارت إليه بعض الحوليات الآشورية في أخبارها من عهد تجلات بلاسر ، أنه قد أخذ كل مدن السامرة ماعداها⁽³⁾ ، وجاء في إحدى حولياته: (قمت بضم جميع مدن بيت عمري في حملاتي السابقة ولم أترك سوى مدينة السامرة ... أخذت نفتالي بأسرها وضممتها إلى آشور وعهدت إلى رجالي بأن يكونوا حكاما عليها وجميع سكان أرض عمري وممتلكاتها حملت إلى آشور)⁽⁴⁾.

1. المرجع نفسه ، ص 142 .

2. المرجع نفسه ، ص 143 .

3. محمد بيومي مهران ، تاريخ العراق القديم ، المرجع السابق ، ص 383 .

4. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 146 .

يتبين كما هو واضح من خلال هذا النص الحدث الذي تعرضت له مملكة إسرائيل وهو السبي إلى آشور ، والذي أخذوا إليها ، وضمت ممتلكاتهم إلى آشور .

تولى الحكم فاقح بن رمليا في ظروف صعبة جدا في الفترة التي كانت تعاني منها مملكة إسرائيل وما تعرضت له من طرف الآشوريين ، وقد أوضح الإصحاح الخامس عشر أن ملك آشور استولى على أرض المملكة الشمالية وأخذ سكانها إلى آشور : (فِي أَيَّامِ فَحْحِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ جَاءَ تَعْلَثَ فَلَاسِرُ مَلِكِ أَشُورَ . وَأَخَذَ عِيُونََ وَأَبْلَ بَيْتِ مَعْكَةَ وَيَائُوثَ وَقَادِشَ وَحَاصُورَ وَجِلْعَادَ وَالْجَلِيلَ وَكُلَّ أَرْضِ نَفْتَالِي وَسَبَاهُمْ إِلَى أَشُورَ) (1) .

وفي الوقت نفسه حاولت المملكة الشمالية بقيادة فاقح بن رمليا وملك آرام مهاجمة يهوذا ، فجاء في الإصحاح السادس عشر : (حِينَئِذٍ صَعَدَ رَصِينُ مَلِكِ أَرَامَ وَفَقَّحُ بْنُ رَمَلِيَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِلْمُحَارَبَةِ فَحَاصَرُوا أَحَازَ وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَغْلِبُوهُ) (2) .

وورد في الإصحاح عندما أرسل أحاز إلى تجلات بلاسر ملك آشور قال : (أَنَا عَبْدُكَ وَأَبْنُكَ اصْعَدْ وَخَلِّصْنِي مِنْ يَدِ مَلِكِ أَرَامَ وَمِنْ يَدِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الْقَائِمِينَ عَلَيَّ . فَأَخَذَ أَحَازُ الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ الْمَوْجُودَةَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ وَفِي خَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ وَأَرْسَلَهَا إِلَى مَلِكِ أَشُورَ هَدِيَّةً فَسَمِعَ لَهُ مَلِكُ أَشُورَ وَصَعَدَ مَلِكُ أَشُورَ إِلَى دِمَشْقَ وَأَخَذَهَا وَسَبَّاهَا إِلَى قَيْرَ وَقَتَلَ رَصِينَ) (3) .

وقد تذلل أحاز للآشوريين إلى حد كبير ، و أخذ كل شيء من الهيكل وأهداه لهم ، وأمام هذه الأوضاع التي مرت بها المملكة الشمالية وسوء الأحوال تم اغتيال فاقح بن رمليا .

- هوشع بن إيله (730-722 ق.م)

تولى الحكم هوشع بن إيله بعدما اغتال فاقح وهو آخر ملوك إسرائيل ، وفي عهده خضع لأشور وأصبح يدين لها بالولاء ، وبقيت إسرائيل تحت الوصاية الآشورية تدفع لها الجزية ، كما أشار

1. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 15 ، الفقرة 29 .

2. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 16 ، الفقرة 5 .

3. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 16 ، الفقرة 7-9 .

إلى ذلك الإصحاح السابع عشر : (وَصَعِدَ عَلَيْهِ شَلْمَنَاسَرُ مَلِكُ أَشُورَ فَصَارَ لَهُ هُوشَعُ عَبْدًا وَدَفَعَ لَهُ جِزْيَةً⁽¹⁾).

هذا النص يتفق مع ما ورد في النصوص الآشورية : (بلاد عمري ، كل سكانها وأمتعتهم حملتهم إلى آشور وقد خلفت ملكهم فقح (يا- كا- حا) وعينت عليهم هوشع واستلمت منهم عشر وزنات من الذهب وألف وزنه من الفضة كجزية وأخذها إلى آشور)⁽²⁾.

4-السي الآشوري

قد حرض المصريون هوشع ملك إسرائيل من أجل النهوض ضد الآشوريين مما دفع الملك الآشوري سلما نصر الخامس (727-722 ق.م) بتجهيز حملة ضد المملكة ، وقام بحصارها عدة سنوات ، وأصبح الدخول إليها صعبا ، ولم يستطع فتحها واستعصت على من جاء من بعده ، وفي السنة الأولى من تولي سرجون الثاني الحكم سقطت السامرة ، وقد تناولت نصوص العهد القديم هذا الحدث الهام في أسفارها .

جاء في الإصحاح السابع عشر : (وَوَجَدَ مَلِكُ أَشُورَ فِي هُوشَعَ خِيَانَةً. لِأَنَّهُ أَرْسَلَ رُسُلًا إِلَى سَوَا مَلِكِ مِصْرَ وَلَمْ يُؤَدِّ جِزْيَةً إِلَى مَلِكِ أَشُورَ حَسَبَ كُلِّ سَنَةٍ فَقَبِضَ عَلَيْهِ مَلِكُ أَشُورَ وَأَوْثَقَهُ فِي السِّجْنِ . وَصَعِدَ مَلِكُ أَشُورَ عَلَى الْأَرْضِ وَصَعِدَ إِلَى السَّامِرَةِ وَحَاصَرَهَا ثَلَاثَ سِنِينَ . فِي السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ لِهُوشَعَ أَخَذَ مَلِكُ أَشُورَ السَّامِرَةَ وَسَبَى إِسْرَائِيلَ إِلَى أَشُورَ وَأَسْكَنَهُمْ فِي حَلْحَ⁽³⁾ وَخَابُور⁽⁴⁾ نَهْرٍ جُوزَانَ وَفِي مُدُنٍ مَادِي⁽⁵⁾).

1. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 17 ، الفقرة 3 .

2. محمد عبد القادر محمد ، المرجع السابق ، ص 226 .

3. حلح : يرجح أنه اسم آشوري ، وهواسم مقاطعة في إمبراطورية آشور ، وربما كانت هي المقاطعة التي عرفت فيما بعد باسم خليكيتيس فيما بين النهرين . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 313 .

4. خابور : اسم أكادي وهو في أرض الكلدانيين وهو غير نهر خابور الذي أطلق عليه اليونان خابوراس والذي يجري على مقربة من مصيبي في أعالي بلاد ما بين النهرين ، أما نهر خابور هذا فقد كان قناة كبيرة في جنوب شرق بابل . أنظر : المصدر نفسه ص 233 .

5. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 17 ، الفقرة 4- 6 .

ذكرت الروايات التاريخية أنه لا يوجد في هذه الفترة ملك لمصر يسمى سوا وربما يكون المقصود به أوسركون الرابع⁽¹⁾ ملك مصر الذي كان ينتمي إلى الأسرة الثانية والعشرين . ويتضح من خلال ما قدمته نصوص العهد القديم أن السبب في ضغط الآشوريين على مملكة إسرائيل يرجع إلى رفض هوشع دفع الجزية لملك آشور و نقض الإتفاق بينهما وعدم الخضوع لهم ، بالإضافة إلى سبب آخر يتمثل في عصيان ملوك هذه المملكة لأوامر الرب كما ذكرت نصوص العهد القديم ، فدائما ترد عبارة "وعمل الشر في عين الرب " .

إن الخطأ الذي ارتكبه ملوك المملكة الشمالية دفع ثمنه الإسرائيليون ، وتم سبيهم على يد الملك سرجون الثاني الذي خلف أخاه سلما نصر الخامس ، وهناك تأكيد من الحفريات التي اكتشفت في خورساباد و يعود تاريخها إلى عام (722 ق.م) أن السبي قد حدث على يد سرجون الثاني وليس سلما نصر ، الذي نسب إليه نص العهد القديم ذلك الحدث⁽²⁾.

وهناك بعض الروايات الآشورية التي ذكرت السبي الآشوري ، وتحدث به الملك سرجون الثاني هذا ما نسبه : (في بداية حكم الملك أنا . . . بلد السامرين حاصرتها وفتحتها (يلي ذلك سطران أصابهما التهشيم) لأجل الإله . . . الذي جعلني أحرز النصر . . . وقد نفيت 27,290 شخصا من سكانها و جهزت من بينهم جنودا ليقودوا خمسين عربة لأجل حرسى الملكي . . . وقد أعدت بناء المدينة بأحسن مما كانت عليه ، من قبل وأسكنت فيها أناسا من مماليك فتحتها (أنا) ، ونصبت ضابطا من ضباطي حاكما عليهم ، وفرضت عليهم ضرائب كما (هي العادة) للمواطنين الآشوريين)⁽³⁾.

وكانت الدولة الآشورية كغيرها من الدول القوية التي تستغل ضعف الشعوب وتطلب منهم الجزية ، وتعمل على إخماد الثورات بين شعوب المنطقة ، وتقوم بعملية تهجير سكان القبائل المهزومة . بعد سقوط السامرة تم ترحيل المقيمين بها من أهل إسرائيل إلى بلاد العراق وميديا "مادي" ، الذين استقروا بالقرب من نمرود على الدجلة ، ومع مرور الزمن لم يعد لهم وجود تاريخي ولا

1. أنظر : محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص 389 .

2. محمد جلال إدريس ، المرجع السابق ، ص 183 . أنظر : سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 18 ، الفقرة 9- 10 .

3. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 152- 153 .

ولا يمكن التكهن بأن القبائل العشرة المفقودة من إسرائيل قد مروا بأوروبا وصولاً إلى إنجلترا ، فهذا يعتمد على نصوص غير واقعية تفتقر إلى الأسس العلمية ، ومع العلم أن إسرائيل لم تبق مهجورة ، بل أسكنت بها أقوام أخرى من مناطق مختلفة من بابل وحماة و كوث⁽¹⁾.

جاء في الإصحاح السابع عشر : (وَأَتَى مَلِكُ أَشُورَ بِقَوْمٍ مِنْ بَابِلَ وَكُوثَ وَعَوًّا وَحَمَامَةَ وَسَفَرَوَائِمَ وَأَسْكَنَهُمْ فِي مُدُنِ السَّامِرَةِ عِوَضًا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَامْتَلَكُوا السَّامِرَةَ ، وَسَكَنُوا فِي مُدُنِهَا)⁽²⁾.

فهذا النص يشير إلى أن ملك آشور قام بعملية إسكان بعض القبائل المختلفة في مدن السامرة ، وكذلك استناداً إلى بعض الروايات الآشورية أنه تم نقل بعض القبائل العربية أيضاً ، وقام بتهجير الساكنين بالمملكة الشمالية إلى مناطق بعيدة على ضفاف نهر الخابور وفي مدن ميديا كما ذكرنا سابقاً.

إن السبي لم يعم جميع بني إسرائيل إذ بقي بعضهم مقيمين في بلدانهم وقراهم القديمة ، وحاولوا بناء ما خلفته الحرب مستعنيين بالمستعمر ، وقد يكون بعضهم لجأ إلى يهوذا وعاش في اورشليم وما حولها ، حاملين معهم أفكاراً كان لها الأثر على سكان اورشليم⁽³⁾.

إن ما رأيناه من أوضاع وتحول سكان المملكة الشمالية من حياة مستقلة - وإن كانت تعاني من اضطرابات وتوترات من حين لآخر - إلى سبي آشوري جعل من المملكة الشمالية إقليماً آشوريا تابعا لها ، وأعيد تنظيمه من جديد وفق المعطيات الآشورية وما تتطلبه الظروف هناك .

وقد أصبح هؤلاء الإسرائيليون بحكم عيشهم تحت الإدارة الآشورية مندمجين مع الشعوب ومتأثرين بعاداتهم ومعتقداتهم.

وقد ظهرت عدة محاولات من طرف مصر لمساعدة مدن فلسطين وسوريا للتخلص من الاحتلال الآشوري ، وكان ذلك واضحاً في إقامة بعض التحالفات بينهم ، لكن الهزيمة لحقت بهم وباءت محاولاتهم بالفشل.

1. محمد عبد القادر محمد ، المرجع السابق ، ص 227 .

2. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 17 ، الفقرة 24 .

3. ظفر الإسلام خان ، المرجع السابق ، ص 57 .

وهناك إشارة من خلال ما قدمته بعض الأدلة إلى أن المهجرين "المسيبين" لم يكونوا عبيدا وإنما أعطيت لهم أعمال مختلفة فكان منهم المزارعين والحرفيين الذين عملوا في مشاريع الدولة ، وتمكن بعضهم من احتلال وظائف حكومية ، وأعطيت لهم حرية ممارسة عاداتهم وشعائرهم الدينية ، وأصبحوا مستوعبين للحياة والبيئة الجديدة⁽¹⁾.

كما أن السكان الباقين في السامرة أعطيت لهم الحرية الدينية في ممارسة شعائرهم وطقوسهم دون أية ضغوطات .

وتم بعث بعض الكهنة من طرف الملك الأشوري إلى بني إسرائيل المتبقين من أجل تعليمهم ديانة يهوه لكي لا يتأثروا بعبادات وشعائر الأمم الأخرى⁽²⁾.

وهكذا نجد أنه بالسبي الأشوري لم يعد للمملكة الشمالية وجود ، وجاء في ملخص تاريخها أن هذه المملكة التي تعرف بمملكة الأسباط العشرة ، وأول ملكها يربعام أنها عانت من أفضع الفجائع ومورست فيها المذابح ، وحاولت طلب العون من الأجنبي الذي لم تستحسنه الأمم المجاورة مطالبة باستئصال جذور الفوضى والتمرد⁽³⁾.

ونستطيع القول أن المملكة الشمالية عانت من عدة ظروف ، فقد أدت التمردات الداخلية والانحرافات والحروب بينهما وبين المملكة الجنوبية من طرف وبين الشعوب الأخرى من طرف آخر إلى سقوطها من طرف الأشوريين الذين ظهوروا كقوة عظمى ، كما أن التحالفات التي أقيمت لم تمنع من انهيارها .

ومعظم تاريخ المملكة مأخوذ من نصوص العهد القديم ما عدا بعض الحوليات الأشورية التي تشير من حين لآخر إلى بعض ملوك المملكة الشمالية ، ونلاحظ أن بني إسرائيل لم يتمكنوا من الاستقرار في ظل هذه الأوضاع التي ذكرناها ، ولم يكونوا مستقلين استقلالاً كاملاً فكانوا خاضعين للدول الكبرى مصر وأشور ، وكانوا في جزء صغير من فلسطين ، وانتهى وجودهم بالسبي ، فلم يعد

1. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1968 .

2. سيد فرج راشد ، السامريون واليهود ، (الرياض : دار المريخ ، د.ط ، 1407 هـ - 1987 م) ، ص 54 .

3. ظفر الإسلام خان ، المرجع السابق ، ص 37 .

لهم حكم ، بل ظلوا موزعين بين أنحاء العراق ، وفي مناطق أخرى ولم يعد لهم موطن يستقرون به ، وهذا السبي جعل المملكة الجنوبية معرضة للأعداء أكثر من ذي قبل .

المطلب الثاني : اليهود في أرض بابل

1- المملكة الجنوبية (يهودا) وحدودها

المملكة الجنوبية هي الجزء المنشق والمنفصل عن المملكة الشمالية بعدما كانتا متحدتين ، وهذه المملكة تضم سبطين من بني إسرائيل يهوذا وبنيامين بخلاف المملكة الشمالية ، وتقع في القسم الجنوبي من فلسطين ، وظلت القدس عاصمتها لم تتغير ، وتعرضت لنفس الظروف والأحداث التاريخية والأزمات المختلفة التي مرت بها المملكة الشمالية وعدت هي الأخرى مطمعا للغزاة ، وظلت هذه العوامل غير مناسبة للإستقرار والسكن في فلسطين ، غير أن المملكة الجنوبية كانت أكثر استقرارا إذا قورنت بالمملكة الأولى ، وباعتبار أن عاصمتها هي القدس و التي تعد المركز الديني لسكان يهوذا ، كان لابد من الإشارة إلى موقع هذه العاصمة وحدود هذه المملكة .

كانت العاصمة تقع على ساحل البحر الميت ، وكان ساحل البحر الأبيض ملكا للفلسطينيين الذين كانوا يسكنون الشريط الساحلي "غزة وأشودود والمجدل⁽¹⁾ ويافا ومنطقة تل أبيب" ، وقد عرفت هذه المملكة بكثرة أنبيائها ، كما تم فيها تدوين العهد القديم ، وكانت أكثر احتفاظا بديانة يهوه⁽²⁾ .

هذه الفترة التاريخية من أهم المراحل التي مر بها اليهود خلال تواجدهم بفلسطين ، والذي أرخت له نصوص العهد القديم ، كما وجدت أيضا بعض الإشارات التي ذكرت في الحوليات الأشورية والبابلية .

وتاريخ المملكة الجنوبية يبدأ كما ذكرنا سابقا بعد وفاة سليمان عليه السلام ، وتولى ابنه الحكم والذي استطاع أن يأخذ البيعة من سبطي يهوذا وبنيامين دون سائر القبائل الأخرى ، وكل من هذين السبطين كانا يرى ضرورة الأحقية في سيادة بني إسرائيل .

1. المجدل : اسم سامي معناه برج وهو اسم مدينة في الجانب الشرقي من بحر الجليل. أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص

غير أن ذلك الأمر لم ير بتلك الصورة ، فقد كانت القبائل الشمالية لا ترى أن لملك يهوذا الحق في السيادة ، بل نظرت إلى ذلك بأنه غير طبيعي (1).

وبغض النظر عن هذا الاختلاف بين وجهات نظر الأسباط فقد تمكن السبطين من قيادة مملكة يهوذا وتولي زمام الأمور ، حتى ولو لم يكن هناك تأييد من طرف القبائل العشرة.

2 - ملوك المملكة الجنوبية

- رحبعام بن سليمان (928-911 ق.م)

وكان عدد ملوك يهوذا يماثل عدد ملوك إسرائيل وهو تسعة عشر ملكا ، وكان أولهم رحبعام بن سليمان واستمر حكمه سبعة عشر سنة ، وأثناء حكمه تعرضت المملكة إلى حملة من طرف شيشنق ، الذي سبقت الإشارة إليه ، وكانت هذه الحملة موجهة على الخصوص لمملكة يهوذا ، وقام بتدمير عدة مدن كما ذكرنا.

والمدينة التي جاء ذكرها بوضوح في العهد القديم هي مدينة أورشليم ، غير أنها لم ترد في سجل شيشنق ويستبعد كثير من الباحثين أن يكون اسم أورشليم قد سقط من ذلك السجل ، وحاولوا الكشف عن اسم أورشليم تحت اسم آخر ، كما أن العهد القديم لم يذكر تفاصيل هذه الحملة ، سوى أنه ذكر أن شيشنق استولى على المدن الحصينة ليهوذا ، والتي مثلت كرسومات لآلهة من طيبة يسوقون إلى شيشنق أكثر من مائة وخمسين أسيرا مكبلين مثل تعنك ومجيدو (2).

أما الحديت عن الحروب بين المملكتين فلم يرد تفاصيل لهذه الحروب ، سوى أنها كانت حربا بين رحبعام و يربعام كل الأيام .

- أبيام بن رحبعام (911-908 ق.م)

تولى أبيام بن رحبعام العرش ، و تواصلت الحروب في عهده ، فجاء في سفر أخبار الأيام الثاني : (وَكَانَتْ حَرْبٌ بَيْنَ أَيْبَا وَيُرْبَعَامَ وَابْتَدَأَ أَيْبَا فِي الْحَرْبِ بِجَيْشٍ مِنْ جَبَابِرَةَ الْقِتَالِ أَرْبَعِ مِئَةِ أَلْفِ رَجُلٍ مُخْتَارٍ وَيُرْبَعَامُ اصْطَفَى لِمُحَارَبَتِهِ بِشَمَانَ مِئَةِ أَلْفِ رَجُلٍ مُخْتَارٍ جَبَابِرَةَ بَأْسٍ) (3).

1. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 88 .

2. المرجع نفسه ، ص 106 - 107 . أنظر أيضا : سفر أخبار الأيام الثاني ، الإصحاح 12 ، الفقرة 2-4 .

3. سفر أخبار الأيام الثاني ، الفقرة 2-3 . أنظر أيضا : سفر الملوك الأول ، الإصحاح 15 ، الفقرات 1-8 .

ويواصل الإصحاح (وَطَارَدَ أَبِيًا يَرُبْعَامَ وَأَخَذَ مِنْهُ مُدْنًا بَيْتَ إِيْلَ وَقَرَاهَا وَيَشَانَةَ وَقَرَاهَا وَعَقَرُونَ وَقَرَاهَا. وَلَمْ يَقَوْ يَرُبْعَامَ بَعْدُ فِي أَيَّامٍ أَبِيًا فَضْرِبَةَ الرَّبِّ وَمَاتَ)⁽¹⁾.

والسبب الذي ذكرته نصوص العهد القديم أن غضب الرب على يربعام بن نباط كان بسبب انحرافه وعبادته للأوثان ، مما أدى إلى هزيمته ، وبذلك استولى أيام على عدة مدن ، وقد كان على اتصال بأرام دمشق التي زادت قوتها بعد استقلالها عن سليمان عليه السلام وعقدت معه اتفاقاً ضد يربعام ، وأصبحت بذلك تحتل عنصراً أساسياً في العلاقة بين المملكتين .

- آسا بن أيام (908-867 ق.م)

لم تتوقف الحرب بعد أيام فقد استمرت في عهد ابنه آسا الذي تولى الحكم ، وقد نجح في استقطاب ملك أرام لصالحه وتغيير رأيه بعدما كان مسانداً للمملكة الشمالية في عهد بعشا . وقد طلب ملك يهوذا النجدة من بن هدد ملك أرام ، في نفس الوقت الذي ازداد فيه الضغط على بعشا وحصاره لبلاده ، وبعث له بالذهب والفضة من خزانة المعبد ، فما كان من بن هدد إلا أن هاجم دولة إسرائيل ، وأخذ مدناً كثيرة وحطم المدينة وأسقط حصونها ، وكان جراء ذلك أن أصبحت الدولتان تحت نفوذ الملك الأرامي ، فواحدة كعدوة والأخرى كمستحيرة⁽²⁾.

وقد دل على ذلك ما روته نصوص العهد القديم في سفر الملوك الأول : (وَكَاثَتْ حَرْبٌ بَيْنَ آسَا وَبَعْشَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ كُلِّ أَيَّامِهِمَا وَصَعِدَ بَعْشَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ عَلَى يَهُوذَا وَبَنَى الرَّامَةَ لِكَيْ لَا يَدَعَ أَحَدًا يَخْرُجُ أَوْ يَدْخُلُ إِلَى آسَا مَلِكِ يَهُوذَا وَأَخَذَ آسَا جَمِيعَ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ الْبَاقِيَةِ فِي خَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ وَدَفَعَهَا لِيَدِ عِبِيدِهِ وَأَرْسَلَهُمُ الْمَلِكُ آسَا إِلَى بَنَهَدَدَ)⁽³⁾.

وتابع الإصحاح : (فَسَمِعَ بَنَهَدَدُ لِلْمَلِكِ آسَا وَأَرْسَلَ رُؤَسَاءَ الْجُيُوشِ الَّتِي لَهُ عَلَى مُدُنِ إِسْرَائِيلَ وَضَرَبَ عِيُونَ وَدَانَ وَأَبْلَ بَيْتِ مَعَكَةَ وَكُلَّ كَنْزُوتَ مَعَ كُلِّ أَرْضِ نَفْتَالِي)⁽⁴⁾.

1. سفر أخبار الأيام الثاني ، الإصحاح 13 ، الفقرة 19 .

2. محمد عزة دروزة ، عبدة من تاريخ فلسطين ، (بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، د.ط ، د.ت) ، ص 49 .

3. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 15 ، الفقرة 16- 18 .

4. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 15 ، الفقرة 20- 22 . أنظر : سفر أخبار الأيام الثاني ، الإصحاح 16 ، الفقرات 1- 6 .

ذكرت نصوص العهد القديم أن آسا قام بدفع هدية لملك آرام فنشأت بينهما علاقة ، واتخذ موقفا مساندا لآسا وضرب بعض المدن الشمالية .

- يهوشافاط بن آسا (867-846 ق.م)

تولى يهوشافاط الحكم بعد وفاة أبيه آسا ، حيث تمكنت مملكة يهوذا من دفع الجزية للفلسطينيين وأقامت تحالفا مع مملكة الشمال ، وقد وثق هذا التحالف بتزويج ابنه يورام من عثليا ابنة أخاب ملك المملكة الشمالية ، واتخذ موقفا ضد ملك آرام .

ونلاحظ عدم الالتزام بالعهد بين شعوب المنطقة وعدم احترام الاتفاقيات بينهما ، واشترك يهوشافاط مع أخاب في حرب راموت جلعاد ودل على ذلك الإصحاح الثاني والعشرون : (وَفِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ نَزَلَ يَهُوشَافَاطُ مَلِكُ يَهُوذَا إِلَى مَلِكِ إِسْرَائِيلَ فَقَالَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ لِعَبِيدِهِ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَامُوتَ جِلْعَادَ لَنَا وَنَحْنُ سَاكِنُونَ عَنْ أَخْذِهَا مِنْ يَدِ مَلِكِ أَرَامَ وَقَالَ لِيَهُوشَافَاطُ أَتَذْهَبُ مَعِيَ لِلْحَرْبِ إِلَى رَامُوتَ جِلْعَادَ فَقَالَ يَهُوشَافَاطُ لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ مِثْلِي مِثْلَكَ . شَعْبِي كَشَعْبِكَ وَخَيْلِي كَخَيْلِكَ⁽¹⁾ ، فقد حدث تصالح بين الملكتين ، واتفقا وخاضا حربا ضد ملك آرام في منطقة راموت جلعاد وحاولا استرجاعها من ملك آرام .

وقد ذكرنا سابقا أن الوضع زاد سوءا بسبب الخلاف الذي نشب بين الأرميين و المملكة الشمالية بسبب رفض الأرميين استرجاع مدينة راموت جلعاد حسب ما كان متفقا بينهما .

ونشأ تحالف بين ملك آرام و يهوشافاط ويورام ضد مؤاب ، فجاء في الإصحاح الثالث من سفر الملوك الثاني : (فَذَهَبَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَمَلِكُ يَهُوذَا وَمَلِكُ أَدُومَ وَدَارُوا مَسِيرَةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ)⁽²⁾ ، وجاء في الإصحاح العشرين من سفر أخبار الأيام الثاني : (ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَتَى بَنُو مُوَابَ وَبَنُو عَمُّونَ وَمَعَهُمُ الْعَمُونِيُّونَ عَلَى يَهُوشَافَاطَ لِلْمُحَارَبَةِ)⁽³⁾ .

تدل هذه النصوص أن الأدوميون والمؤابيون والعمونيون ظلوا بفلسطين مقيمين مع الفلسطينيين ، فلم يكن اليهود وحدهم بأرض فلسطين .

1. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 22 ، الفقرة 2-4 .

2. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 3 ، الفقرة 9 .

3. سفر أخبار الأيام الثاني ، الإصحاح 20 ، الفقرة 1 .

ويرى أحد الباحثين أن أولئك الأقوام الذين سكنوا بأرض كنعان بعد فترة ملك داود وسليمان إنما أتوا من بين القبائل المؤابية والعمونية المقيمة في شرق نهر الأردن⁽¹⁾. وقد دل على ذلك ما ورد في سفر أرميا : (عَنْ بَنِي عَمُونَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ . أَلَيْسَ لِإِسْرَائِيلَ بَنُونَ أَوْلًا وَإِرثٌ لَهُ لِمَاذَا يَرِثُ مَلِكُهُمْ جَادَ وَشَعْبُهُ يَسْكُنُ فِي مَدِينِهِ)⁽²⁾.

- يورام بن يهوشافاط (843/846 ق.م)

تولى يورام "يهورام" الحكم وقد ظهر في عهده فكرة تحرر الأدميين الذين خرجوا عن ولائه وتمكنوا من أخذ استقلالهم ، كما تعرضت مملكة يهوذا أثناء هذه الفترة لغزوات من طرف الفلسطينيين والكوشيين .

ذكر الإصحاح الحادي والعشرون : (وَأَهَاجَ الرَّبُّ عَلَى يَهُورَامَ رُوحَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَالْعَرَبَ الَّذِينَ بِجَانِبِ الْكُوشِيِّينَ فَصَعِدُوا إِلَى يَهُودَا وَافْتَتَحُوهَا وَسَبَّوْا كُلَّ الْأَمْوَالِ الْمَوْجُودَةِ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ بَنِيهِ وَنِسَائِهِ أَيْضًا وَلَمْ يَبْقَ لَهُ ابْنٌ إِلَّا يَهُوَأَحَازُ أَصْغَرَ بَنِيهِ)⁽³⁾.

لقد أوضح هذا الإصحاح غضب الرب على يهورام حيث سلط عليه الفلسطينيين والكوشيين ، وبين ملاقته مملكة يهوذا من سبي لأموال الملك وأبنائه ونسائه إلا ابنه الأصغر يهوآحاز ، وفي ذلك دليل أن المملكة مازالت عرضة للغزو والحرب من جانب الأمم المقيمة معها.

- أخزيا بن يورام (842 / 843 ق.م)

ملك بعد يورام ابنه أخزيا الذي أقام تحالفا مع يورام بن أخاب في حرب راموت جلعاد وخاض معركة ضد ملك آرام ، فكان نتيجة ذلك أن قتلا على يد ياهو ملك إسرائيل الذي ثار على يورام وتولى العرش ، فجاء في الإصحاح الثامن : (وَأَنْطَلَقَ (أخزيا) مَعَ يُورَامَ بْنِ أَخَابَ لِمُقَاتَلَةِ حَزَائِيلَ مَلِكِ أَرَامَ فِي رَامُوتِ جِلْعَادَ فَضْرَبَ الْأَرَامِيُّونَ يُورَامَ)⁽⁴⁾.

1. مجموعة من الباحثين ، الإستعمار والفرار ، (بنغازي : منشورات جامعة قار يونس ، ط1 ، 1991 م) ، ص 264 .

2. سفر أرميا ، الإصحاح 49 ، الفقرة 1- 2 .

3. سفر أخبار الأيام الثاني ، الإصحاح 21 ، الفقرة 16 - 17 .

4. سفر الملوك الثاني الإصحاح 8 ، الفقرة 28 .

- عثليا ابنة آحاب (842 - 836 ق.م)

بعد مقتل أخزيا تولت أمه عثليا الحكم ، وأوضحت أسفار الملوك أنها قضت على أبناء الأسرة ولم تبق إلا حفيدها يواش

- يواش بن أخزيا (836 - 798 ق.م)

وأمام الوضع الذي ذكرناه سابقا لم يبق إلا يواش من الأسرة المالكة فكان عليه تولى الحكم ، غير أنه لاقى في عهده معارضة داخلية كانت من طرف الكهنة ، وكان ذلك بسبب أخذه أموال الهيكل ودفعها لملك آرام .

جاء في الإصحاح الثاني عشر: (حِينَئِذٍ صَعِدَ حَزَائِيلُ مَلِكُ أَرَامَ وَحَارَبَ جَتَّ وَأَخَذَهَا ثُمَّ حَوَّلَ حَزَائِيلُ وَجْهَهُ لِيَصْعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ . فَأَخَذَ يَهُوَأَشُ مَلِكُ يَهُوذَا جَمِيعَ الْأَقْدَاسِ الَّتِي قَدَّسَهَا يَهُوشَافَاطُ وَيَهُوَرَامُ وَأَخْزَيَا أَبَاؤُهُ مُلُوكُ يَهُوذَا وَأَقْدَاسَهُ وَكُلَّ الذَّهَبِ الْمَوْجُودِ فِي حَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ وَبَيْتِ الْمَلِكِ وَأَرْسَلَهَا إِلَى حَزَائِيلَ مَلِكِ أَرَامَ فَصَعِدَ عَنْ أُورُشَلِيمَ)⁽¹⁾.

- أمصيا بن يواش (798-769 ق.م)

بعد اغتيال يواش صعد على المملكة ابنه أمصيا ، وأثناء حكمه توترت العلاقات بينه وبين المملكة الشمالية ، وتحولت حالة الهدوء التي كانت سائدة إلى حالة حرب ، وانهمز فيها جيش أمصيا مما جعل يواش " ملك المملكة الشمالية " يصل إلى القدس وينهب ما فيه ، و يؤكد ذلك الإصحاح الرابع عشر : (فَصَعِدَ يَهُوَأَشُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَتَرَاعِيَا مُوَاَجِهَةً هُوَ وَأَمْصِيَا مَلِكُ يَهُوذَا فِي بَيْتِ شَمْسِ الَّتِي لِيَهُوذَا . فَأَنهَزَمَ يَهُوذَا أَمَامَ إِسْرَائِيلَ)⁽²⁾.

وقد استطاع أمصيا أن يأخذ بثأر أبيه و أحرز انتصارا ضد أدوم ، وهذا الانتصار جعله يواجه مملكة إسرائيل ، غير أنه انهزم على يد يواش وأسر ودمرت أورشليم ونهب الهيكل وأخذ بعض الأسرى ، وهكذا أصبحت مملكة يهوذا تابعة لمملكة إسرائيل⁽³⁾.

1. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 12 ، الفقرة 17- 18 .

2. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 14 ، الفقرة 11- 12 .

3. أندريه لومير ، المرجع السابق ، ص 40 .

- عزيا بن أمصيا (789-733 ق.م)

بعد اغتيال أمصيا تولى ابنه عزيا الحكم ، حيث سادت في فترته حالة الهدوء ، مستغلا بذلك فرصة انشغال الآشوريين بالأراميين وتوقفها نوعا ما في تدخل شؤون المملكة .

وقد قام بحركة بناء ونظم الجيش ، وحقق انتصارات على الفلسطينيين والعرب ، وأخذ الجزية من العمونيين كما هو واضح في الإصحاح العشرين : (وَحَرَاجَ وَحَارَبَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ . . . وَسَاعَدَهُ اللَّهُ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَعَلَى الْعَرَبِ السَّاكِنِينَ فِي جُورِ بَعْلٍ وَ الْمَعُونِيِّينَ وَأَعْطَى الْعَمُونِيِّينَ عَزِيًّا وَهَدَايَا وَامْتَدَّ اسْمُهُ إِلَى مَدْخَلِ مِصْرَ لِأَنَّهُ تَشَدَّدَ جِدًّا. وَبَنَى عَزِيًّا أَبْرَاجًا فِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الزَّائِيَةِ وَعِنْدَ بَابِ الْوَادِي وَعِنْدَ الزَّائِيَةِ وَحِصْنَهَا)⁽¹⁾.

وقد عرفت مملكة يهوذا في عهده ازدهارا بفضل ما قام به من أعمال ، وأصبحت ذات أهمية في المنطقة.

- يوثام بن عزيا (758 - 743 ق.م)

بعد وفاة عزيا تولى ابنه يوثام الحكم وعادت حالة الاضطراب من جديد ، والشيء الملاحظ في هذه الفترة التاريخية أن أرض فلسطين ظلت ميدانا للحروب وموضعا للتحالفات ، فتارة تقع الحروب بين المملكتين وتارة بينهما وبين مملكة الأراميين ، وتارة بينهما وبين الآشوريين . وكانت يهوذا مثل إسرائيل عرضة للصراع من طرف مصر وأشور ، وبعد مرور فترة من تولي "يوثام" الحكم أرغم من طرف رصين ملك أرام لدخول التحالف "سوريا - فلسطين" وكان التحالف مؤيدا من طرف مصر بسبب خلافهما مع آشور ، غير أن يوثام اعتقد أن آشور لا تشكل تهديدا له ، ولذلك رفض دخول التحالف ، فما كان من دول التحالف إلا الهجوم على يهوذا واقتسامها⁽²⁾.

وجاء ذلك في الإصحاح الخامس عشر : (فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ابْتَدَأَ الرَّبُّ يُرْسِلُ عَلَيَّ يَهُوذَا رَصِينَ مَلِكِ أَرَامَ وَفَقَّحَ بَنَ رَمَلِيَا)⁽³⁾.

1. سفر أخبار الأيام الثاني ، الإصحاح 26 ، الفقرات 6-9 .

2. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 143 - 144 .

3. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 15 ، الفقرة 37 .

- آحاز بن يوثام (733-727 ق.م)

بعد تولي آحاز بن يوثام الحكم عرفت مملكة يهوذا مرحلة صعبة ، خاصة بعد تفكك الحلف وتحول أعضائه إلى أعداء ضد المملكة ، وثار الأدوميون وقام الفلسطينيون بغزو بعض المدن واستولوا عليها وهزم آحاز وحصن نفسه داخل أورشليم لمهاجمة محاصريه.

وقد تعرضت المملكة الجنوبية لهجوم من طرف المملكة الشمالية وأرام ، بسبب رفض آحاز الالتحاق بالحلف المعادي لأشور ، فاستنجد آحاز بتجلات بلاسر الثالث الذي غزا سوريا والمملكة الشمالية ، وصارت بذلك خاضعتان له ، وسارعت المملكة الجنوبية بدفع الجزية له ، وأصبحت بذلك تابعة لأشور⁽¹⁾.

- حزقيا بن آحاز (714-696 ق.م)

بعد وفاة آحاز تولى ابنه حزقيا الحكم ، واستمرت المملكة التابعة لأشور ، وقد تابع في دفع الجزية ، واستطاع حزقيا أن يتلقى بعثة من طرف الملك البابلي تحمل إليه السلام والهدايا وكان موقف حزقيا أن فتح خزائنه الحربية وتحالف مع بابل واشترك فيه العرب وغيرهم⁽²⁾.

وقد عرفت هذه الفترة ظهور ملوك كبار توالوا على أشور ، وكان من بينهم سنحاريب (705-681 ق.م) الذي خلف سرجون الثاني ، وعرفت الإمبراطورية في عهده أوج مجدها ، وكان التنافس حادا بين مصر وأشور.

وقد ظلت مصر منشغلة بما يحدث في المنطقة ومهتمة لوضع يهوذا على أساس أنها كانت منافسة للأشوريين ، وقد تدخلت في المنطقة بطلب من يهوذا ، وكونت حلفا يضم فينيقيا وفلسطين وأدوم وعمون لتقف في وجه الأشوريين⁽³⁾.

وبذلك انتهزت مصر وبابل قيام ملك جديد في أشور وكانت بابل تسعى للتخلص من أشور ومصر تهدف إلى استرجاع نفوذها على فلسطين ، ونشأت العداوة بين مصر وأشور⁽⁴⁾.

1. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1955.

2. محمد بيومي مهران ، تاريخ العراق القديم ، المرجع السابق ، ص 404 .

3. المرجع نفسه .

4. المرجع نفسه ، ص 405 .

وقد ذكرت انتصارات سنحاريب واستلائه على عدة مدن ونهبها في إحدى حولياته حيث يقول: (أما حزقيا اليهودي الذي لم يخضع لسلطتي فإنني حاصرت ستا وأربعين من مدنه القوية المسورة والمدن التي بجوارها. والتي لا يمكن تعدادها وفتحها ونهبها واعتيرتها كغنائم وأما هو فحبسته كعصفور في قفص في أورشليم مدينته الملكية . . . إن حزقيا هذا قهرته أمة ملكي المخيفة)⁽¹⁾.

فهذا النص ذكر أن سنحاريب أورد أول مرة كلمة يهودي في الحديث عن حزقيا دون أن يعطيه إسم ملك ، فقد تحدث سنحاريب أنه أخذ ست وأربعين من مدنه وأعطاهما -بقراها- للملك الفلسطينيين في غزة وعقرون وأشدود ، - وبذلك أصبحت حدود مملكة يهوذا متقلصة وارتفعت الجزية التي كان يدفعها- وذكر سنحاريب أنه سبي مائتي ألف رجلا ونساء وأطفالا وشيوخا ، أثناء الحملة التي قام بها ضد يهوذا⁽²⁾.

وقد سجلت أخبار غزو سنحاريب على أورشليم في الإصحاح الثامن عشر : (وفي السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا صعد سنحاريب ملك أشور على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها وأرسل حزقيا ملك يهوذا إلى ملك أشور إلى لحيش⁽³⁾ يقول قد أخطأت أرجع عني ومهما جعلت علي حملته . فوضع ملك أشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب . فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك)⁽⁴⁾.

استجاب حزقيا ولم يجد أمامه غير كنوز الهيكل ليدفعها إلى سنحاريب ولكن الآشوريون استلموا الجزية واستمروا في حصار القدس كما هو واضح أن سنحاريب قام بفتح لحيش ومن تلك المنطقة أرسل جيشه لمحاربة حزقيا وإخضاع القدس .

1. فيليب حتي ، المرجع السابق ، ص 216 .
2. أحمد يوسف داود ، المرجع السابق ، ص 404 - 405 .
3. لحيش : مدينة محصنة تقع في سهول يهوذا وكانت سابقا تعرف بتل الحصى التي تبعد مسافة 16 ميلا إلى الشمال الشرقي من غزة 11 ميلا إلى الجنوب الغربي من مدينة جبرين ، ويرجح الآن أنها تقع في تل الدوير على بعد خمسة أميال إلى الجنوب الغربي من بيت جبرين . أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 813 .
4. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 18 ، الفقرة 13-14 .

وقد زاد الضغط الآشوري على مملكة يهوذا لكنهم لم يذعنوا عملا بنصيحة النبي أشعيا⁽¹⁾ للملك حزقيا وطال حصار القدس في تلك الأثناء وظهر تمرد عيلام ضد سنحاريب ، مما اضطره لرفع الحصار وسحب الجيوش استجابة لنداء الرب لدعاء أشعيا كما تذكر ذلك نصوص العهد القديم .
جاء في الإصحاح التاسع عشر : (وَكَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنَّ مَلَأَكَ الرَّبِّ خَرَجَ وَضَرَبَ مِنْ جَيْشِ أَشُورَ مِئَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةَ وَثَمَانِينَ أَلْفًا . وَلَمَّا بَكَرُوا صَبَاحًا إِذَا هُمْ جَمِيعًا جُثَّتْ مِيتَةٌ . فَأَنْصَرَفَ سَنَحَارِيبُ مَلِكُ أَشُورَ وَذَهَبَ رَاجِعًا وَأَقَامَ فِي نَيْنَوَى)⁽²⁾ .

ويبدو واضحا مما سبق أن الآشوريين ظهروا كقوة عظمى عندما بدت حالة الضعف تعم المنطقة ، باستثناء بعض القبائل التي كانت تواجه الخطر الآشوري من حين إلى آخر .

- منسى بن حزقيا (698 - 642 ق.م)

حل الضعف في مملكة يهوذا وأصبحت خاضعة للآشوريين لمدة طويلة من الزمن ، واستمرت في دفع الجزية بانتظام في عهد منسى بن حزقيا الذي خلف أباه في العرش ، وقام باضطهاد الأنبياء ، وأدخل أنواعا مختلفة من عبادة الأمم الأخرى ، وحاول التقرب من آشور ، وتمكن من استرداد بعض الأراضي التي كان حزقيا قد فقدتها كما جاء في العهد القديم .

- آمون بن منسى (641-640 ق.م)

تولى الحكم آمون وسار على الطريقة السابقة في دفع الجزية وأصبحت المملكة في عهده خاضعة لآشور ، غير أنه لم يستمر طويلا .

- يوشيا بن آمون (639/640 - 609 ق.م)

جاء يوشيا بن آمون "يوشياهو" وهو في الثامنة من عمره ، واستغل حالة الضعف التي نشبت في الدولة الآشورية ، وطالب بالاستقلال والانفصال عن آشور ، خاصة أن هذا الضعف بدا واضحا في أواخر حكم ملك آشور بانيبال ، وظهرت في عهده عدة إصلاحات من الجاني الديني ، منها تخليه

1. أشعيا(734-680 ق.م) : إسم عبري معناه الإله يخلص ، وأشعيا اسم نبي من أهم أنبياء اليهود ، بل هو أعظم أنبياء العهد القديم قاطبة ، كان من أسرة نبيلة ، كما كان ذا ثروة طائلة ، وكان مقربا من البلاط الملكي . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 5 ، ص 2473 .

2. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 19 ، الفقرة 35-37 .

عن العبادة الوثنية وإعادة عبادة يهوه . وقام يوشيا بتقوية جيشه من أجل مواجهة الغزو الآشوري ، وقد وجد الكاهن الأعظم⁽¹⁾ حلقيًا في عهد يوشيا كتاب الشريعة "سفر التثنية" أحد أسفار موسى .
وعن حدود المملكة في عهد يوشيا كانت أكثر اتساعًا خاصة في الشمال ، حيث أصبحت تمتد إلى بيت إيل شمالًا ، ومن جبع⁽²⁾ "في جبال أفرائيم" حتى بئر سبع جنوبًا⁽³⁾ .

وقد ذكرت توسعة حدود مملكته في الإصحاح الثالث والعشرين : (وَأَمَرَ الْمَلِكُ حَلْقِيًا الْكَاهِنَ الْعَظِيمَ وَكَهَنَةَ الْفِرْقَةِ الثَّانِيَةِ وَحُرَّاسَ الْبَابِ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْ هَيْكَلِ الرَّبِّ جَمِيعَ الْآثِيَةِ الْمَصْنُوعَةِ لِلْبَعْلِ وَلِلسَّارِيَةِ وَلِكُلِّ أَجْنَادِ السَّمَاءِ وَأَحْرَقَهَا خَارِجَ أُورُشَلِيمَ فِي حُقُولِ قَدْرُونَ وَحَمَلَ رَمَادَهَا إِلَى بَيْتِ إِيلِ)⁽⁴⁾ وجاء في الإصحاح : (حَيْثُ كَانَ الْكَهَنَةُ يُوقِدُونَ مِنْ جَبَعِ إِلَى بَيْرِ سَبْعِ)⁽⁵⁾ .

وعلى الرغم من تحقيقه الدولة الآشورية من انتصارات وظهورها كقوة عظمى في المنطقة ، فقد جاءت الفترة التي بدأت تضعف فيها ، وسقطت آشور نتيجة لعدة عوامل منها حروبها مع عيلام وبابل وظهور الثورات الداخلية في المدن الفينيقية ، وتوحيد مصر على يد بسماتيك الأول (664-610 ق.م) من الأسرة السادسة والعشرين ، ورفضها دفع الجزية وإعلان استقلالها عن آشور ، كما أدت هذه الاضطرابات إلى سقوط عاصمتها على أيدي البابليين والميديين الذين قضوا عليها .

فكان سقوط نينوى عام 612 ق.م من طرف الميديين والكلدانيين الذين أخذوا في تقسيم آشور ، فكان نصيب الميديون المنطقة الممتدة من شمال العراق حتى حدود آسيا الصغرى ، الذي يتضمن الإقليم الآشوري القديم ، وكان نصيب الكلدانيين الجزء المتبقي من العراق وسوريا وفلسطين⁽⁶⁾ .

1. الكاهن الأعظم : وهو كبير موظفي الهيكل. أنظر : المرجع نفسه ، مج 4 ، ص 1914 .

2. جبع : اسم عبري معناه تل مدينة في بنيامين ، وكانت تقع على الطرف الشمالي لمملكة يهوذا وتبعد مسافة ستة أميال شرق أورشليم .

أنظر : بطرس عبد الملك ، المصدر السابق ، ص 248 .

3. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 161 .

4. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 23 ، الفقرة 4 .

5. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 23 ، الفقرة 8 .

6. المرجع نفسه ، ص 162 .

وظهرت مساعدة مصر للأشوريين ضد البابليين حينما جهز ملك مصر نخاو الثاني (610-595 ق.م) حملة ضدهم ، وهزم الجيش اليهودي الموالي للبابليين في منطقة مجدو ، كما تمكن بعد تغلغله في أواسط وشمال سورية من هزيمة البابليين على ضفاف الفرات "قرب قرقيش" ، واستطاعت بذلك مصر استعادة مناطق كبيرة من الهلال الخصيب⁽¹⁾.

ودل ذلك الإصحاح الثالث والعشرين : (فِي أَيَّامِهِ صَعِدَ فِرْعَوْنُ نَحْوَ مَلِكِ مِصْرَ عَلَى مَلِكِ أَشُورَ إِلَى نَهْرِ الْفُرَاتِ . فَصَعِدَ الْمَلِكُ يُوْشِيَّا لِلِقَائِهِ فَفَقَتَلَهُ فِي مَجْدُو حِينَ رَأَاهُ)⁽²⁾.

- يهوآحاز بن يوشيا

بعد موت يوشيا أعلن ابنه الثاني يهوآحاز ملكا لكن حكمه لم يتجاوز ثلاثة أشهر ، وعزله نخاو وقيده بالسلاسل كما جاء في سفر الملوك الثاني .

- يهوياقيم (609 - 598 ق.م)

خلف يهوآحاز بعد ذلك يهوياقيم ، وظل خاضعا لمصر واستمر في دفع الجزية لها ، كما فعل سابقه ، غير أن مصر لم تتمكن من إحكام سيطرتها على سوريا وفلسطين ، أما في بابل فقد توالى عليها الحكام ، وقويت شوكتها خاصة في هذه الفترة .

وظهر في هذه الأثناء نبوخذنصر الذي تولى قيادة بابل ، وتمكن من استعادة سوريا وفلسطين ضمن نفوذه بعدما أعلن تغلبه على المصريين في منطقة "قرقيش"⁽³⁾ .

وأصبحت المملكة خاضعة لبابل ، غير أن هذا الوضع لم يستمر على حاله فقد انظم يهوياقيم إلى مصر ، واستمر الصراع والمنافسة في السيطرة والاستحواذ على أكبر مساحة من الأراضي .

وقد حاول أتباع يوشيا التخلص من بابل وذلك بطلب المساعدة من مصر ، غير أن نبوخذنصر اكتشف ذلك فسار بجيشه على فلسطين وسيطر على أورشليم ، وأسر يهوياقيم ووضع مكانه صدقيا على مملكة يهوذا وأخذ معه عشرة آلاف أسير يهودي⁽⁴⁾ .

1. أحمد أمين سليم ، في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، المرجع السابق ، ص 228 .

2. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 23 ، الفقرة 29 . أنظر أيضا : سفر أخبار الأيام الثاني ، الإصحاح 35 ، الفقرات 20 - 24 .

3. أندريه لومير ، المرجع السابق ، ص 51 .

4. ول ديورانت ، المرجع السابق ، ص 357 .

إن السبب الذي أدى إلى أسر اليهود ليس سببا عقديا ، وإنما يكمن في إعلان موقفهم من المصريين وتأييدهم لهم، فأثار ذلك غضب العراقيين وقبلوا تحدي المصريين ، فحدث السبي لليهود⁽¹⁾. وقد ذكر هذا السبي في نص العهد القديم : (في أيامه (يهوياقيم) صعد نبوخذنصر ملك بابل فكان له يهوياقيم عبدا ثلاث سنين ثم عاد فتمرد عليه . فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الأراميين وغزاة الموابيين وغزاة بني عمون وأرسلهم على يهوذا ليبيدها)⁽²⁾.

فهناك سبب واضح في حملة نبوخذنصر الذي توجه لإبادة مملكة يهوذا ، حتى لا يترك أية فرصة لدولة أخرى للقيام بالهجوم على بابل ، أو حتى التفكير في ذلك ، والقضاء على التحالف الذي بات يهدد آشور من قبل بابل ، بالإضافة إلى عدم ترك لمصر نفوذا على المنطقة التي تساهم في مساعدة سكان المنطقة من أي خطر ورد هجوم الأعداء ، وقد ذكر الحديث عن السبي البابلي ليهوذا في العهد القديم في الإصحاح الرابع والعشرين : (وسبي كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبي وجميع الصناع والأقيان . لم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض)⁽³⁾. وقد جاء يهوياقيم وحاول أن يقف في وجه بابل لكنه فشل وأسر مع أسرته وجنوده إلى بابل واستولى نبوخذنصر على خزائن القدس .

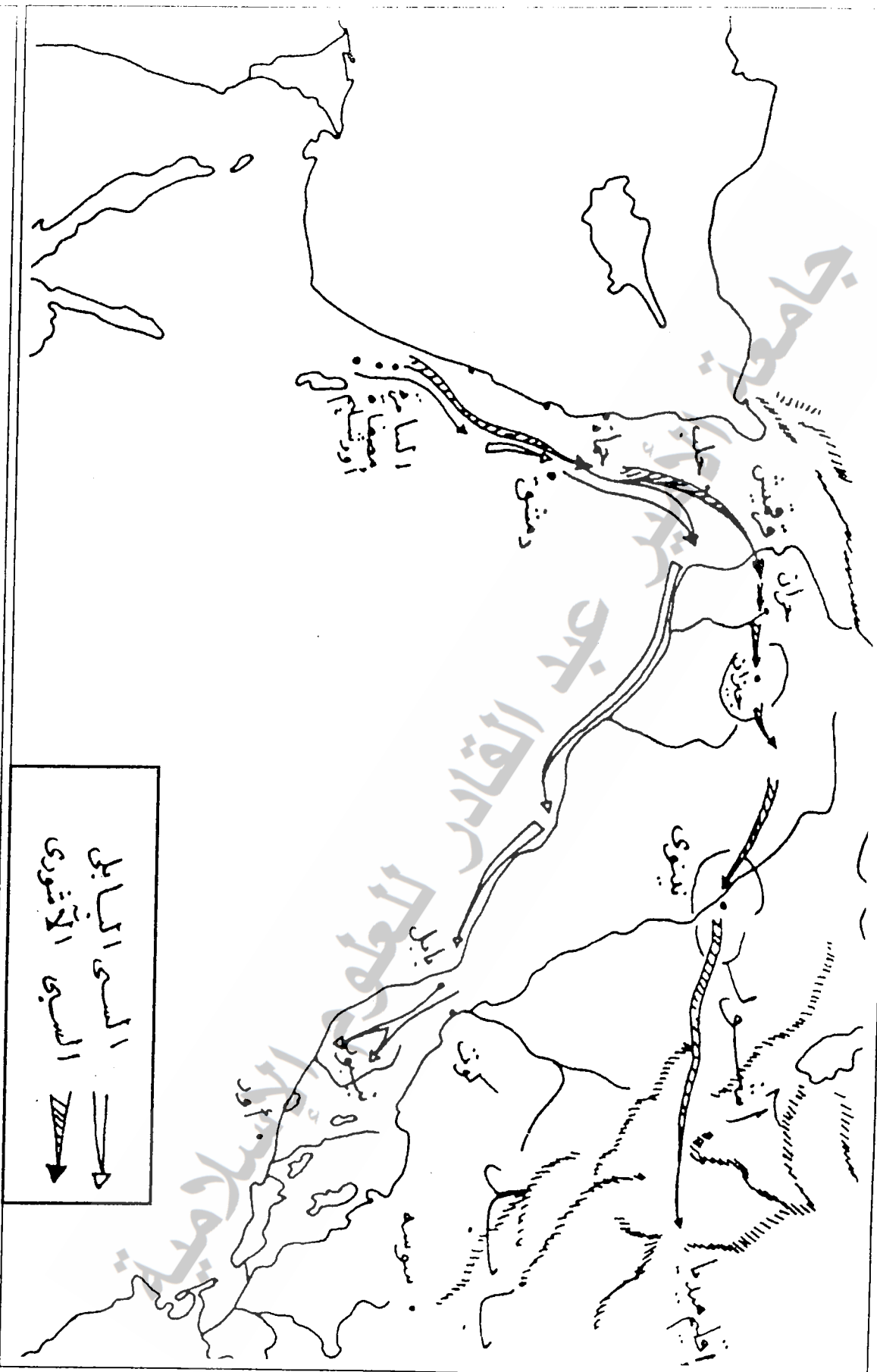
- صدقيا بن يوشيا (597 - 587 ق.م)

جعل نبوخذنصر صدقيا ملكا على يهوذا وتابعا لبابل ، غير أنه حاول التمرد بتأثير من مصر فثار نبوخذنصر وهيا حملة بعث بها إلى يهوذا وحاصر أورشليم ، فسارعت مصر لمساعدة صدقيا لكن حدث ذلك بعد فوات الأوان وسقطت أورشليم في عام 586 ق.م وأسر كثير من الناس إلى بابل⁽⁴⁾.

3- السبي البابلي

قد تحدثت المصادر أن نبوخذنصر أخذ المسيبين إلى بابل وأسكنهم أحصب المناطق منها منطقة نفر "نيبور" وهي أغنى مناطق بابل ، وتمتعوا بذلك بحرية العمل وحرية ممارسة طقوسهم⁽⁵⁾.

1. جودت السعد ، الشخصية اليهودية عبر التاريخ ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، 1985م) ، ص 36 .
2. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 24 ، الفقرة 1-2 .
3. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 24 ، الفقرة 14 .
4. جودت السعد ، أو هام التاريخ اليهودي ، المرجع السابق ، ص 102 .
5. المرجع نفسه .



الاسمى البابلي
 السبى الآشورى

الاسمى الآشورى لملكة اسرائيل والسبى البابلي لملكة يهوذا
 نقل عن : مصطفى كمال عبد العظيم ص 186

وهنا نتساءل كيف قاد نبوخذنصر اليهود أسرى إلى بابل ثم منحهم أخصب وأفضل الأراضي؟! .

وقد استعمل نبوخذنصر في المرة الأولى أسلوب أخذ المسيبين حسب ما هو معتاد دون القضاء على مملكة يهوذا ، حتى يتمكن من ردع الثورات الجديدة وتكون بمثابة تهديد لهم ، غير أنه في المرة الثانية قضى على المدينة ويهوذا ، حتى أنها كادت تخلو من السكان (1) .

وقد اختلفت روايات نصوص العهد القديم حول عدد اليهود المسيبين إلى بابل ، فأحيانا تذكر أن عددهم عشرة آلاف وأحيانا أخرى ثمانية آلاف (2) وهذا من التناقضات التي يقع فيها العهد القديم . وقد علق أحد الباحثين على نقش من البرونز يوضح مشهدا للرحيل إلى بابل ، فكان الرجال مربوطين ببعضهم البعض في جماعات خوفا من الحرب ، بينما النساء والأطفال يسرون دون قيد ، مصطحبين ماشيتهم وعرباتهم ، وأسكنوا في الأماكن المخصصة لهم ، وأكثرها تقع في الجنوب من زينوى ومن بينها تل أبيب ، وكان معتقلهم الكبير في منطقة نهر الخابور وتل حرشا وقرينيا وتل ملح ، وقد أعطيت لهم الأراضي من أجل زراعتها لكن على حسابهم الخاص (3) .

وقد توزع اليهود أثناء سبيهم في أماكن شتى من المناطق القريبة من فلسطين ، فالجأ جزء من اليهود إلى بابل وجزء منهم إلى مصر وجزء آخر لجأ إلى الحجاز وجزء آخر بقي في فلسطين .

وكما هو واضح من الأخبار أن اليهود المسيبين سكنوا في منطقة بين الدجلة والفرات التي كانت تظم أربع مدن رئيسية هي : "نهر دعة" و"قومبيثة" و"سورا" على نهر الفرات والماحوزي على نهر دجلة بجوار طيسفون ، وعرفت هذه المناطق بالتجار والصناع وأصبحت مدنا أغلب سكانها يهودا ، وقد توزع الباقون في الأرياف ، ومارسوا الزراعة وتربية المواشي (4) .

1. ظفر الإسلام خان ، المرجع السابق ، ص 59 .

2. جاء في سفر الملوك الثاني أن عدد الأسرى ثمانية آلاف : (وجميع أصحاب البأس سبعة آلاف والصنّاع والفقير ألف وجميع الأبطال أهل الخرب سبأهم ملك بابل إلى بابل) الإصحاح 24 ، الفقرة 16 . وهذا النص يختلف عما ورد في الإصحاح نفسه بأن عدد الأسرى عشرة آلاف : (وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبي) الإصحاح 24 ، الفقرة 14 .

3. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 168 . أنظر : سفر عزرا ، الإصحاح 2 ، الفقرة 59 .

4. أحمد سوسة ، أبحاث في اليهودية والصهيونية ، (الأردن : دار الأمل للنشر والتوزيع ، دط ، 2003م) ، ص 117 .

وقد تحول حكم اليهود في أيدي الكهنة وأصبحوا بذلك جماعة يترأسها كاهن ، وعن أمر وظيفة هذا الكاهن يذكر أحد الباحثين أنه بعد السبي البابلي أوكل اليهود أمرهم إلى عميد يرعى أحوالهم لقب بريش جالوت⁽¹⁾ ، وتذكر الروايات اليهودية أن أول من تولى ذلك المنصب هو يكتيا ملك يهوذا الذي تم أسره من طرف الملك البابلي نبوخذنصر⁽²⁾.

وهناك من يذكر أن المنفى البابلي كان له دور في جعل اليهود شعبا تجاريا ، غير أن يهود بابل سكنوا هناك في بابل قبل المنفى ومارسون حياتهم الطبيعية من التجارة واشتروا وبعوا المنازل والأراضي ، ولم تكن نيتهم الرجوع إلى فلسطين⁽³⁾.

ونستطيع القول من خلال ما تقدم بشأن أن المملكتين أحمأ عانتا من ضغط كبير من طرف الأمم المجاورة لهم ولم ينعما بالاستقرار خلال تلك الفترة ، وأن اليهود حظوا برقعة جغرافية صغيرة ، وقد لاحظنا أن الفلسطينيين هم وغيرهم من الشعوب لم يغادروا أرضهم التي سكنوا بها منذ القدم .

من خلال تاريخ بني إسرائيل وما تذكره نصوصهم ، يتبن أن السكان الأصليين لفلسطين كان عددهم يقدر بمآت الألوف ، وهو عدد كبير إذا ما قورن بتلك الفترة ، وكانوا موزعين في مناطق شتى من بلادهم طيلة فترة مملكتنا إسرائيل ويهوذا ، حيث كانوا يشكلون تهديدا عليهما ، وكان لهم أثر على الغزاة ، فعاش اليهود على هامش حضارة أهل البلاد ، ومارسوا صناعاتهم وزراعاتهم وتأثروا بدياناتهم وطقوسهم⁽⁴⁾.

إن فلسطين والقدس ظلتا تحت الحكم المصري أثناء حكم الأشوريين والبابليين ، فالمصريين أيقنوا أن الوحدة السياسية بين مصر وفلسطين ، وكانت ذات أهمية للمصريين خاصة أن الدفاع عن مصر ينطلق أساسا من الدفاع عن القدس وفلسطين⁽⁵⁾.

1. ريش جالوت (رأس الجالوت) وتعني حرفيا رئيس المنفى ، وهو لقب أمير الجماعة اليهودية في بلاد الرافدين قبل الإسلام وبعده .

أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1780.

2. أحمد حجازي السقا ، المرجع السابق ، ص 57 .

3. نصر شمالي ، ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية ، (دمشق : مكتبة الخدمات ، ط2 ، 1985م) ، ص 62 .

4. محمد عزة دروزة ، عبرة من تاريخ فلسطين ، المرجع السابق ، ص 117 .

5. محمد سلامة النحال ، فلسطين أرض وتاريخ ، (عمان : دار الجليل للنشر ، ط1 ، 1984م) ، ص 191 .

من خلال هذه المرحلة التاريخية لم نجد لليهود أية دولة أو حكم مستقل بل كانوا خاضعين لدول كبرى في فلسطين وانتقل معظمهم إلى العراق .

إذن انقضى عهد المملكة اليهودية في القدس وفلسطين ، التي كانت فترتها قصيرة بالنسبة لحكم الكنعانيين ، وعرفت بأنها كانت ضعيفة ، بالإضافة إلى الانقسامات الأسرية التي تميزت بها وما تعرضت له من اضطهادات (1).

فعهد الملكين طبع بكثير من الصراعات وساهمت الحروب والخلافات في عدم استقرار اليهود في فلسطين ، كما أن التمردات كان لها دور في إضعاف المملكة الشمالية ، بالإضافة إلى الغزوات المتكررة والمعاهدات التي تنعقد من حين لآخر ضد الأعداء ، وكانت هذه التحالفات خاصة بين الدويلات الصغيرة التي لا تقوى على صد الهجمات المستمرة مما تضطر في بعض الأحيان إلى دفع الجزية كما ذكر المؤرخون استناداً إلى بعض النقوش الآشورية والبابلية وفي المقابل لم نجد هناك مقاومة كبيرة اتجاه الحكم الآشوري البابلي ، بل نجد أن اليهود كانوا يستغلون الوضع السائد وينحازون أحياناً إلى الآشوريين ضد المصريين وأحياناً أخرى ، إلى المصريين ضد الآشوريين.

أما عن سكان فلسطين فقد بقوا في أرضهم ولم يثبت في نصوص العهد القديم أو التاريخ أنهم غادروها ، بل امتزجت بعض القبائل من مؤاب وعمون لتقيم في أرض فلسطين مع السكان الباقين . وبالسبي البابلي و الآشوري زال وانتهى وجود اليهود بفلسطين ولم يتمكنوا من استعادة كيانهم ، وقد تأسس معظم تاريخهم على هذه الحقبة الزمنية ، ولاحظنا أن المصدر الذي أرخ لهذه الفترة هو العهد القديم وبعض الحوليات الآشورية.

1. عبد الفتاح أبو عليه ، عبد الحليم عويس ، بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ ، (دم : دار المريخ للنشر ، دط ، 1401 هـ -

المبحث الثاني

اليهود في أرض فلسطين

عاش اليهود بعد زوال حكمهم تحت وطأة الأشوريين والبابليين لفترات زمنية متعاقبة ، وظل وجودهم في العراق وأماكن أخرى متفرقة ، وتم جلاؤهم عن فلسطين ولم يعد لهم وجود فيها يذكر -إلا إذا استثنينا بعض الأفراد أو العائلات التي ربما ظلت متخفية خيفة أن ينكشف أمرها- وأصبحوا بذلك متفرقين ومشتتين يبحثون عن وطن يلم شملهم ويجمعهم في أرض واحدة .

وفلسطين أثناء هذه الفترة ظلت نوعا ما تحت سيادة مصر ، وقد انتهجت مصر هذه السياسة في الاحتفاظ بفلسطين باعتبارها مركزا مهما ومعبرا للجيش كما ذكرنا سابقا ، فكانت تعد بمثابة حامية من أجل الدفاع عن كيانها ووجودها والوقوف في وجه أي خطر يداهما .

قبل الخوض في هذه المرحلة التاريخية التي عاشها اليهود لابد أن نبين الوضع السائد آنذاك وخاصة في أواخر حكم البابليين والسبب الذي أدى إلى انهيار هذا الحكم ، ثم نبين كيف انتقل مصيرهم إلى أرض فلسطين ونذكر الإمبراطوريات التي تعاقبت على حكم فلسطين .

وقد كان آخر ملوك بابل يدعى نابونيد (555-539 ق.م) الذي اتخذ من تيماء⁽¹⁾ مقرا له وهي عبارة عن واحة تقع في شمال الحجاز وترك الدولة لابنه بلشاصر ، هذا الذي اهتم بالملذات والبذخ أكثر من اهتمامه بالإصلاح⁽²⁾ .

وكان الغرض من اتخاذ نابونيد تيماء مقرا له كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين أنه ليس لسبب ديني وهو التبعد في الصحراء كما أكد علماء الكتاب ، بل من أجل الإشراف على سيطرة مملكته على طرق المواصلات التجارية ، أو ربما البحث عن وطن بديل خاصة عندما أحس أن سقوط بابل ليس بعيدا⁽³⁾ .

1. تيماء (تيماء) : اسم ربما كان معناه (الجنوبي) وهي قبيلة إسماعيلية تسلسلت من تيماء فكانت تقطن بلاد العرب ، وتسمى أيضا الجهة التي يسكنون فيها تيماء ، وكانت القوافل معروفة جيدا في هذه البقعة ، و تيماء في بلاد العرب في منتصف الطريق بين دمشق ومكة وعلى مسافة متساوية من بابل إلى مصر ، وقد ذكرت تيماء مع سناء . أنظر : بطرس عيد الملك ، المصدر السابق ، ص 228 .

2. فيليب حتي ، المرجع السابق ، ص 239 .

3. زياد منى ، المرجع السابق ، ص 101 .

إن هذا السبب قد ساعد كثيرا على سقوط بابل وانهارها وبدا ذلك واضحا عقب وفاة نبوخذنصر، وتعاقب على بابل ملوكا ضعافا لم يكن هدفهم الرئيسي الإصلاح بل العيش في ترف وبذخ والتمتع بخيرات وأموال الدولة والاستفادة منها وتوظيفها لأغراض شخصية ، وتعتبر بابل كغيرها من الدول ظهرت واختفت تاركة مكانها لتعطي فرصة لدول أخرى أقوى منها ، وسقوط بابل معناه تغيير الوضع الذي كان سائدا وإدخال معطيات جديدة ، وظهور عناصر أكثر فعالية بل بمثابة دول كبرى تمثل قوى مهيمنة في المنطقة ، ولم يكن اليهود بمنأى عن هذه الأحداث والصراعات بل عد هذا التغيير في موازين القوى لصالحهم و في خدمة أغراضهم .

إن ما تعرض له اليهود من سبي كما ذكر كثير من المؤرخين ، وأثبتت مراحل تاريخهم أنهم عبارة عن فئات وجماعات محدودة بدأت شخصياتهم الدينية المدعاة تندثر مع مرور الزمن ، وقد رفضوا الاندماج بمن حولهم حتى لا يسوء حالهم⁽¹⁾.

فوجود اليهود في بابل كان له أثر ديني قوي ، فقد بدأت تذوب ملامح تاريخهم ودينهم وبدو أكثر تقليدا للشعوب المجاورة ، بل ودخلت شعائر وعقائد وأفكارا جديدة لم تكن من قبل وحلت معالم أخرى طغت على الدين اليهودي . ونصوص العهد القديم في حديثها أكدت أن هناك عددا كبيرا من الأنبياء الذين ساهموا في إضفاء الصبغة الدينية ، وكان ظهورهم خاصة في السبي وبعده ، وقد استفادوا من هذه الفترة وتأثروا بديانات الأمم الأخرى .

وقد كان من بين الذين مثلوا الدين اليهودي إرميا⁽²⁾ الذي أيقن من خلال دراسة شعبه أن ضعف اليهود يقترن بارتباطهم بالله وقربهم منه ، وأن فكرة وجود دولة يهودية إنما هو من أفكار إبليس لا من الله ، فقد عرفوا طوال تاريخهم الانحراف عن عبادة الله ، وهذا الفكر ممتد إلى عصور قديمة ترجع إلى بداية تكوين الشعب أثناء اعتقادهم أن الله يحكم وليس الإنسان ، وانطلاقا من ذلك تظهر مكانة السبي وتفضيل الشتات على الاستقلال⁽³⁾.

1. صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ص 260 .

2. إرميا (إيرمياهو) (626-586 ق.م) : عبارة عبرية تعني الإله يؤسس أو الإله يثبت ، وهو ثاني الأنبياء الكبار ، وكان من أسرة من الكهنة ناصبته العداء بسبب موقفه . انظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، ص 5 ، ص 2476 .

3. إكرام نعمي ، الإختراق الصهيوني للمسيحية ، (بيروت : دار الشروق ، ط2 ، 1413 هـ - 1993 م) ، ص 39 .

وحسبما ذكرت نصوص العهد القديم وتبعها المؤرخون أن اليهود عاشوا في السبي حوالي خمسين سنة ، ولم يدم حكم البابليين طويلا فكان سقوط الدولة البابلية حوالي منتصف القرن السادس قبل الميلاد على يد منافس جديد .

لا بد أن نبين من خلال هذا المبحث أن اليهود مروا أثناء هذه الفترة بمراحل سيطرت فيها إمبراطوريات كبرى وتعاقبوا عليها حكاما ، وكان أولها الفرس ثم اليونان وأخيرا الرومان .

المطلب الأول : اليهود في عصر الفرس (الدولة الإخمينية)

بعد زوال بابل خضعت سوريا وفلسطين لأكبر القوى في الشرق الأدنى القديم ، والتي شملت جزءا كبيرا من الدول ، غير أنها في بداية حكمها تركت الأمر للبابليين يحكمون باسم الفرس إلى غاية تولى حكامها .

في تلك الأثناء انتهى العصر السامي ولم يعد إلا بعد أكثر من ألف عام ، وبدأ العصر الآري وقد مثل هذه الفترة عرب الجزيرة الذين كانوا خارج العلاقات الدولية القديمة وأما الفرس الذين مثلوا الفترة الهندية -الأوروبية- فهم ينتمون إلى الفرع الهندي - الإيراني- من الجماعة الهندية الأوروبية (1) .

لا بد أن الانتقال من عصر إلى عصر قد سبقته أسباب و ظروف عرفت بها المنطقة وربما كان لها أثر واضح .

وعن الأوضاع في المنطقة نجد أن المشرق العربي شهد تطورات كان لها أثر على مختلف الأوضاع "السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية" بسبب توحيد الإقليم ضمن حدود دولة واحدة وهي الدولة الإخمينية التي قضت على بابل واحتلت عاصمتها عام (540 ق.م) (2) .

والأمر الملفت للانتباه أن المعلومات الخاصة بفترة العصر الفارسي تعد ضئيلة بسبب انعدام الأدلة الأثرية والشواهد التاريخية ، والمصدر الذي أرخ لهذه الفترة هو العهد القديم وخاصة سفري عزرا ونحميا ، غير أن الباحثين في العهد القديم يشككون في مصداقية اعترافهم بهذين السفرين .

1. فيليب حتى ، المرجع السابق ، ص 239 - 240 .

2. زياد منى ، المرجع السابق ، ص 101 .

وليست هناك أية نقوش أو كتابات أثرية تعطي فكرة عن وضعية المشرق العربي وتقسيمه أثناء فترة الحكم الفارسي ، وما توصلت إليه التنقيبات الأثرية لا يشكل صورة عن أوضاع الإقليم⁽¹⁾.

1- قورش (546-530 ق.م)

كانت مهمة النظام الإخميني فرض ولاء الدول الخاضعة لهم وكسب تأييدها ، ولم يتدخل في الشؤون السياسية والدينية في فلسطين ، وأول ظهور للدولة الإخمينية كان مع قورش (كورش) وبفضل سياسته استطاع أن يحاصر بابل ويقضي عليها وبذلك يفتح المجال للسيطرة على إمارات أخرى مع بسط سيطرته عليها .

وقد جاءت أخباره في نصوص العهد القديم في الإصحاح الأول من سفر عزرا : (وَفِي السَّنَةِ الْأُولَى لِكُورُشَ مَلِكِ فَارِسَ عِنْدَ تَمَامِ كَلَامِ الرَّبِّ بِفَمِ إِرْمِيَا نَبِّهِ الرَّبُّ رُوحَ كُورُشَ مَلِكِ فَارِسَ فَأَطْلَقَ نِدَاءً فِي كُلِّ مَمْلَكَتِهِ وَبِالْكِتَابَةِ أَيْضًا قَائِلًا هَكَذَا قَالَ كُورُشَ مَلِكِ فَارِسَ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْأَرْضِ دَفَعَهَا لِي الرَّبُّ إِلَهُ السَّمَاءِ وَهُوَ أَوْصَانِي أَنْ أُنْبِي لَهُ بَيْتًا فِي أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُوذَا)⁽²⁾.

أ- سياسة قورش اتجاه الدول الخاضعة له

من أهم الأعمال التي قام بها قورش عند توليه قيادة الإمبراطورية في منطقة الشرق الأدنى القديم انتهاج طريقة جديدة في الحكم وتغيير معاملة الأسرى البابليين خاصة منهم اليهود ، فكانت سياسته مغايرة لسابقه ، ومن أهم ما قام به فصل القصر عن المعبد ، كما منح حرية التعددية الدينية في المناطق المستعمرة حتى يتفادى التمرد عليه ، كما استغل الشعوب المناهضة لأعدائه ، فقد وعد المدن اليونانية في أيونيا بأخذ استقلالها شريطة مساعدته ضد حاكم ليديا⁽³⁾.

فقد حاول إذا استغلال الشعوب المؤيدة لحكمه ضد أعدائه والمناهضة لهم وكسب الشعوب الواقعة تحت حكمه حتى لا تطالب بالانفصال والاستقلال .

1. المرجع نفسه ، ص 102.

2. سفر عزرا ، الإصحاح 1 ، الفقرة 3 .

3. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1982 .

ويبدو واضحاً من خلال السياسة الجديدة المتبعة من طرف الدولة الإخمينية أن حكامها كانوا أكثر رحمة من الحكام السابقين بل وأقل جبروتاً وقسوة للشعوب الخاضعة لهم . وقد احترم قورش الشعائر الدينية وتقاليد الشعوب التي احتلها وهذه السياسة التي انتهجها ربما قللت من خصومه وقلصت من المناهضين لحكمه ، وكسب تأييد شعوب المنطقة التي فضلت البقاء تحت حكمه ، وهذه السياسة التي خطها قورش فوجئ بها اليهود لأنهم تعودوا الذل تحت ظل الحكام ، والأمر الملاحظ أنه خلال فترتي السبي وبعده لم تكن هناك ثورات وحروب من طرف اليهود بل كانت مرحلة سلام وهدوء وخاصة أن نصوص العهد القديم لم تتطرق لأية أخبار عن اضطرابات حدثت .

ب- مرسوم قورش

بدا قورش متسامحاً مع اليهود المنفيين وأظهر عطفه عليهم ، وأعلن مرسوماً يسمح فيه لليهود الراغبين في العودة إلى أرض كنعان ، وسمح لهم أيضاً ببناء هيكلهم واسترجاع ما أخذه البابليون من الذهب والفضة ، وفتح لهم طريق العودة وأعانهم بالمال والأمتعة⁽¹⁾ .

وقد جاء أمر قورش ببناء المعبد في أورشليم وإمدادهم بالفضة والذهب والبهايم في الإصحاح الأول من سفر عزرا : (لِيَكُنْ إِلَهُهُ مَعَهُ وَيَصْعُدْ إِلَى أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُوذَا فَيَبْنِي بَيْتَ لَرَّبِّ إِلَهٍ إِسْرَائِيلَ . هُوَ إِلَهُ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ وَكُلُّ مَنْ بَقِيَ فِي أَحَدِ الْأَمَاكِنِ حَيْثُ هُوَ مُتَّعَرِّبٌ فَلْنُنَجِّدْهُ أَهْلُ مَكَانِهِ بِفِضَّةٍ وَبِذَهَبٍ وَبِأَمْتَعَةٍ وَبِبِهَائِمٍ مَعَ التَّبْرَعِ لَبَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ)⁽²⁾ .

وتابع نفس الإصحاح : (فَقَامَ رُؤُوسُ آبَاءِ يَهُوذَا وَبَنِيَامِينَ وَالْكَهَنَةُ وَاللَّاوِيُونَ مَعَ كُلِّ مَنْ نَبَّهَ اللَّهُ رُوحَهُ لِيَصْعَدُوا وَلِيَبْنُوا بَيْتَ الرَّبِّ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ وَكُلُّ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ أَعَانُوهُمْ بِأَنِيَّةٍ فِضَّةً وَبِذَهَبٍ وَبِأَمْتَعَةٍ وَبِبِهَائِمٍ وَبِتَحَفٍ فَضْلاً عَنْ كُلِّ مَا تُبْرَعُ بِهِ)⁽³⁾ .

وجاء في الإصحاح السادس : (فِي السَّنَةِ الْأُولَى لِكُورُشَ الْمَلِكِ أَمَرَ كُورُشُ الْمَلِكُ مِنْ جِهَةِ بَيْتِ اللَّهِ فِي أُورُشَلِيمَ لِيُبْنِيَ الْمَكَانُ الَّذِي يَذْبَحُونَ فِيهِ ذَبَائِحَ)⁽⁴⁾ .

1. محمد بن علي بن محمد آل عمر ، المرجع السابق ، ص 46 .

2. سفر عزرا ، الإصحاح 1 ، الفقرة 3-4 .

3. سفر عزرا ، الإصحاح 1 ، الفقرة 5-6 .

4. سفر عزرا ، الإصحاح 6 ، الفقرة 3 .

إن هذا القرار الذي أصدره قورش المتضمن السماح لليهود بالعودة إلى أرض فلسطين والمسمى بمذكرة قورش يتضمن فيه السماح ببناء هيكل أو معبد ، غير أن هناك من الباحثين من ذكر أن هذه المذكرة لا تقدم دليلاً يتضمن السماح لليهود بالعودة ، وإذا حصلت هناك عودة لماذا لم يشمل هذا القرار السامرة⁽¹⁾ الذين سباهم سرجون الثاني ولم يستفيدوا من هذه المذكرة ، كما أن هذه المذكرة تذكر أن لليهود الحق في المساهمة في بناء الهيكل مع أنه ممنوع على المسيبيين من المساهمة في البناء⁽²⁾.

هذا القرار الذي أصدره قورش كان يشمل جميع الشعوب التي سيطر عليها بدون استثناء غير أن اليهود جعلوا الأمر قاصراً عليهم فقط دون سواهم ، ودليل ذلك أن المرسوم الملكي الذي كتب باللغة الفارسية قد اختفى من خزائن "ميديا" في فارس كما ادعى اليهود⁽³⁾.

التف غموض حول هذا المرسوم الذي أصدره قورش لما احتواه من معلومات ، وربما حدث هناك تداخل في المعلومات الواردة فيه ، أو ربما لم يعثر على المرسوم الأصلي .

وذكرت أخبار هذا المرسوم في سفر عزرا : (فِي السَّنَةِ الْأُولَى لِكُورُشَ مَلِكِ بَابِلَ أُصْدِرَ كُورُشُ الْمَلِكُ أَمْرًا بِنَاءِ بَيْتِ اللَّهِ هَذَا . حَتَّى إِنَّ آنِيَةَ بَيْتِ اللَّهِ هَذَا الَّتِي مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ الَّتِي أَخْرَجَهَا بُبُوخَذَنْصَرُ مِنَ الْهَيْكَلِ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ وَأَتَى بِهَا إِلَى الْهَيْكَلِ الَّذِي فِي بَابِلَ أَخْرَجَهَا كُورُشُ الْمَلِكُ مِنَ الْهَيْكَلِ الَّذِي فِي بَابِلَ وَأَعْطَيْتُ لِرَاحِدِ اسْمُهُ شَيْشَبَصَّرُ الَّذِي جَعَلَهُ وَالِيًا . وَقَالَ لَهُ خُذْ هَذِهِ الْآنِيَةَ وَادْهَبْ وَاحْمِلْهَا إِلَى الْهَيْكَلِ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ وَلِيُنْ بَيْتُ اللَّهِ فِي مَكَانِهِ)⁽⁴⁾.

ويذكر العهد القديم بعد ذلك أمره ببناء بيت للعبادة في أورشليم وباسترجاع خزائن الهيكل التي أخذها البابليون فورد في الإصحاح : (فِي السَّنَةِ الْأُولَى لِكُورُشَ الْمَلِكِ أَمَرَ كُورُشُ الْمَلِكُ مِنْ جِهَةِ بَيْتِ اللَّهِ فِي أُورُشَلِيمَ لِيُنْ الْبَيْتُ الْمَكَانُ الَّذِي يَذْبَحُونَ فِيهِ ذَبَائِحَ وَلِتَوْضَعَ أُسُسُهُ ارْتِفَاعُهُ سِتُونَ

1. يهود السامرة (السَمَارْيُون) : هم من بقايا اليهود السامريين في نابلس (السامرة) وهم - الأصل - من الشعوب غير اليهودية ، التي أسكنها الآشوريون في منطقة السامرة بعد إجلاء اليهود عنها إلى كردستان ، ثم تهود هؤلاء . أنظر : رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 248 .

2. زياد مني ، المرجع السابق ، ص 104 - 106 .

3. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 173 - 174 .

4. سفر عزرا ، الإصحاح 5 ، الفقرة 13 - 15 .

ذِرَاعًا وَعَرَضُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا... وَلِتُعْطَ النَّفَقَةَ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ . وَأَيْضًا آيَةٌ بَيْتِ اللَّهِ الَّتِي مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ الَّتِي أَخْرَجَهَا نُبُوخَدَنْصَرُ مِنَ الْهَيْكَلِ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ وَأَتَى بِهَا إِلَى بَابِلَ فَلْتُرَدَّ وَتُرْجَعَ إِلَى الْهَيْكَلِ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ إِلَى مَكَانِهَا وَتُوضَعَ فِي بَيْتِ اللَّهِ⁽¹⁾.

وقد انتقد هذا النص لما احتواه من اختلاف ، فقد كرر المرسوم في النصين (الأول والثاني) وهما مختلفان في الصيغة والمضمون ، فنص المرسوم الملكي الوارد في عزرا (النص الأول) هو تلخيص محرف من النص الأصلي الوارد في عزرا (النص الثاني) الذي حفظ في ميديا أين كانت تحفظ الوثائق الرسمية باللغة الفارسية وفيها تحدث قورش أن البناء إنما كان من خزينة الملك⁽²⁾ .

وهذا القرار وجد في الوثيقة التي أصدرها ونصها ما يلي : (أنا قورش العظيم ملك العالم و ماردوخ الإله العظيم يمجّد ويبارك أعماله ، لقد جمعت كل الشعوب وتركتهم يعودون إلى أوطانهم يعبدون آلهتهم . . . بأمر الإله ماردوخ الإله العظيم فليستقروا بفرح في أوطانهم . . . و يا ليت كل الآلهة التي تركتها تعود إلى مدائنها تصلي لأجلي يوميا حتى نهاية الأيام)⁽³⁾ .

فهذا القرار بعودة اليهود إلى أرضهم جاء ضمن نبوءات نبيهم أشعيا التي ذكر أن قورش هو الذي سيعيد اليهود ، ويسمح لهم ببناء الهيكل ، فجاء في الإصحاح : (الْقَاتِلُ لِلجَّةِ انْشَفِي وَأَنْهَارِكِ أَجْفَفُ الْقَاتِلُ عَنْ كُورَشَ رَاعِيٍّ فَكُلِّ مَسْرَتِي يُتِمُّ وَيَقُولُ عَنْ أُورُشَلِيمَ سَتَبْنِي وَلِلْهَيْكَلِ سَتُؤَسَّسُ)⁽⁴⁾ .

رحب اليهود بهذا القرار وأطلق على قورش المخلص ، أو ما يسمى المسيح المنتظر ودل على ذلك ما ورد في سفر أشعيا : (هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ لِكُورَشَ الَّذِي أَمْسَكَتُ بِيَمِينِهِ لِأَدُوسَ أَمَامَهُ أُمَمًا وَأَحْفَادَ مُلُوكٍ أَحُلُّ لِأَفْتَحَ أَمَامَهُ الْمِصْرَاعَيْنِ وَالْأَبْوَابُ لَا تُعْلَقُ . أَنَا أَسِيرُ قُدَّامَكَ وَالْهَضَابُ أُمَهِّدُ . أَكْسِرُ مِصْرَاعِي الثُّحَاسِ وَمَعَالِيْقَ الْحَدِيدِ أَقْصِفُ . . . أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هَذِهِ . أَقْطِرِي أَيْتَهَا

1. سفر عزرا ، الإصحاح 6 ، الفقرات 3 - 5 .

2. المرجع نفسه ، ص 174 .

3. إكرام لمعي ، المرجع السابق ، ص 40 .

4. سفر أشعيا ، الإصحاح 44 ، الفقرة 27 - 28 .

السَّمَوَاتُ مِنْ فَوْقُ وَلِيُنزِلَ الْجَوْ بَرًّا . لِتَنْفَتِحَ الْأَرْضُ فَيُثْمَرَ الْخَلْصُ وَلِتُنْبِتَ بَرًّا مَعًا . أَنَا الرَّبُّ قَدْ خَلَقْتُهُ (1) .

2- عودة اليهود إلى فلسطين

نتساءل ما السبب الذي جعل قورش يصدر مثل هذا القرار ؟ وهل كانت هناك دواعي أجبرت قورش على انتهاج مثل هذا القرار ؟ .

وقد اختلف المؤرخون في السبب الحقيقي وراء ذلك ويمكن رده إلى ثلاث روايات ، فالأولى تذكر زواج قورش من أخت زربابل (2) التي طلبت منه أن يسمح لليهود بالعودة إلى القدس ، وكانت الثانية تحدثت عن مساعدة اليهود لقورش على فتح بابل ، والرواية الثالثة ذكرت محاولة جعل الطائفة اليهودية موالية للفرس ضد الحزب الموالي للمصريين (3) .

هذه الرواية الأخيرة اجتمع على تأكيدها المؤرخون واعتبروها سببا في قرار العودة ، وبالفعل تم ذلك وكان عددهم كما ذكر العهد القديم اثنين وأربعين ألفا ، غير أن هذا الرقم مبالغ فيه ، كما أن اليهود المتواجدين ببابل لم يعد جميعهم إلى أرض فلسطين ، بل منهم من فضل البقاء في المنفى واندمج مع البابليين واستقر فيها ، وبذلك نشأ جيل جديد ألف الحياة في بابل منبع الحضارة ، غير أنه هناك من فضل العودة على البقاء .

فكان هناك ترحيب من اليهود المنفيين بهذا القرار ، غير أنه لم يعجب أغنياءهم الذين لم يبدو أية حماسة لهذا التحرير بسبب تأقلمهم في بابل وأهم ألفوا ممارسة نشاطهم فترددوا في مغادرة حقولهم وأنشطتهم التي اعتادوا عليها ليعودوا إلى أرض خربة في فلسطين (4) .

1. سفر أشعيا ، الإصحاح 45 ، الفقرات 1-8 .

2. زر بابل (522 ق.م) : إسم أكادي معناه زرع بابل أو المولود في بابل ، وهو إسم رئيس مجموعة اليهود الذين سمح لهم كورش في مرسومه الشهير (538 ق.م) بالعودة ، ويقال إنه من سلالة ملوك الدولة الجنوبية ، هو آخر ملك عبراني يقال إنه استدعى إلى فارس ثم خلع عن عرشه لأن الفرس كانوا يخشون ظهور أسرة ملكية من نسل داود تطالب باستقلال اليهود ، وقد ازداد نفوذ الكهنة بعد خلعهم . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1988 .

3. عبلة المهدي الزيدة ، المرجع السابق ، ص 46-47 .

4. أنظر : ول ديورانت ، المرجع السابق ، مج 1 ، ص 346-365 . أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 93-94 .

إن هؤلاء الذين فضلوا البقاء وردت في شأنهم أدلة في السجلات القديمة وذكر أحد الباحثين شرحاً لذلك من خلال الأدلة في الوثائق التجارية عن ورود أسماء عبرانية متكررة وكان بعضها مركبا من أسماء آلهة بابلية، وقد أطلقت الدياسبورا⁽¹⁾ على الذين فضلوا الاندماج ورفضوا العودة⁽²⁾. ومعنى هذا أن الذين تمكنوا من العودة كانوا من الطبقة الفقيرة، غير أننا نتساءل لماذا فضلت فرقة كبيرة من اليهود البقاء في المنفى رغم أن الظروف كانت مواتية للرجوع إلى فلسطين التي تعد موطناً مقدساً بالنسبة لهم؟ فالسبب الذي قدم غير كافي، فهاهم اليوم يطالبون بفلسطين وتركوا أوطانهم التي ألفوها عبر الزمن، والتي سكنت بها أجيال يهودية جديدة ربما نسيت موطنها وعرفت الرخاء والعيش الكريم.

وفي الوقت نفسه نجد أنهم في السبي البابلي لم يستطيعوا نسيان أورشليم وهذا ما أكده سفر المزامير الذي يصف حينئذٍ إليهما: (عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا بَكِيْنَا أَيضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صُهِيُونَ . عَلَى الصَّفْصَافِ فِي وَسْطِهَا عَلَقْنَا أَعْوَادَنَا . لِأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلْنَا الَّذِينَ سَبَّوْنَا كَلَامَ تَرْنِيمَةٍ ... كَيْفَ تُرْتَمُ تَرْنِيمَةُ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ . إِنْ نَسَيْتُكَ يَا أُورُشَلِيمُ تَنْسَى يَمِينِي)⁽³⁾.

أما بالنسبة لليهود الذين فضلوا العودة إلى أرض فلسطين فلم يكن مرغوب فيهم، وخاصة أنهم غادروها منذ زمن.

فلم يكن العائدون يحظون بالترحيب شأنهم شأن العائدين إليها اليوم، فقد عرفت أقواما آخرين سكنوا بها وأصبحوا يمتلكون الأرض وعملوا فيها، فنظروا إلى العائدين نظرة مخالفة يملئها المقت، واعتبروهم مغيرين على أرضهم، وكانت مساندة الفرس لهم هي التي جعلت اليهود يعودون إلى فلسطين⁽⁴⁾.

1. الدياسبورا: كلمة يونانية تعني الشتات أو الانتشار، وقد كانت الدياسبورا نمطا شائعا في العلم الهيليني الروماني، وفي الكتابات اليهودية والصهيونية فهي تحمل معنى سلبيا أكيدا، باعتبار أن اليهودي الموجود خارج فلسطين أو إرتس إسرائيل أو صهيون (في المصطلح الديني)، أو المصطلح القومي (في المصطلح السياسي) موجود خارج وطنه رغم أنه، وبالتالي فهو في المنفى. أنظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، مج2، ص 486.
2. فيليب حتي، المرجع السابق، ص 243 - 244.
3. سفر المزامير، الإصحاح 137، الفقرات 1-5.
4. ول ديورانت، المرجع السابق، ص 365.

إن الذين عادوا كانوا فئة قليلة يمثلون طائفة دينية يرأسها كاهن أكثر منها سياسية وكانت عودتهم عودة أشخاص وليس عودة الدولة⁽¹⁾ ، وقد ظلوا خاضعين للسلطة الإخمينية ومنحت لهم حريتهم الدينية ونصب عليهم حكاما من الفرس .

وهناك من ذكر أن قورش لم يمنحهم أكثر من أن يجيوا على الهامش ، فلم يكن لهم حق التمسك بالقديم أو المعتقد ، وظل اليهود تحت الحكم الفارسي بانعدام الوجود السياسي والاجتماعي قرابة قرنين من الزمن أو أكثر ، وهم على تلك الوضعية من الذل⁽²⁾ .

3- مراحل عودة اليهود وأهم الشخصيات اليهودية

إن عودة اليهود كانت في منطقة صغيرة من مساحة القدس لا تتجاوزها ، يحكمون بما سمح لهم به الفرس ، وهذه العودة لم تكن دفعة واحدة بل تمت على عدة مراحل وفي شكل موجات متتابعة .

فكانت الموجة الأولى للعودة سنة 538 ق.م والتي كانت تحت قيادة ابن الملك ياهوياكين ولكن فشلت بسبب رفض اليهود المقيمين في أورشليم ، وفي المحاولة الثانية نجحت العودة بقيادة زربابل ، وكانت بمساندة ضخمة من طرف قورش ، وكانت الموجة الثالثة تحت قيادة عزرا الكاهن والكاتب ، وفي الموجة الرابعة كانت بقيادة نحemia ، وقد انظم إلى عزرا واستطاع أن يبني الهيكل وقد حاول هؤلاء استدعاء عائلات يهودية و محاولة توطينهم في أورشليم بسبب قلة اليهود الموجودين في المدينة⁽³⁾ .

فكانت عودة اليهود تتلخص في أربعة مراحل مع شيشبصر ثم زربابل ثم عزرا ونحميا ، غير أن هؤلاء الشخصيات غير متفق على ترتيبهم الزمني والذي سنناقشه فيما بعد .

وكانت هذه العودة مع كبار الشخصيات اليهودية ذات وزن ديني يعتد به ، ولها مكانة مرموقة عند اليهود .

1. أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 94 .

2. صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ص 260-261 .

3. إكرام لمعي ، المرجع السابق ، ص 41 .

وقد كانت هذه العودة تحمل معها عددا كبيرا من اليهود ، وكان من ضمن العائدين والذي ترأس هذه الفئة يهوشع بن يهوصاداق وزر بابل بن شلتئيل ، ثم بعد فترة طويلة تقدر بثمانية عشر عاما جاء عزرا ونحميا ، هذا الأخير الذي كان له دور في إعادة بناء هيكل سليمان (1). نجد هناك تناقضا واضحا في روايات العهد القديم حول من بنى الهيكل في أورشليم ، حتى أن الباحثين تناقلوا ما هو موجود في العهد القديم لانعدام الأدلة التاريخية.

- شيشبصر (538 ق.م)

قد اختلفت الروايات التوراتية حول من كان واليا على يهوذا ومن قام ببناء الهيكل ، فجاءت الرواية الأولى تذكر أن شيشبصر هو من تولى قيادة اليهود في ظل حكم الفرس . لقد كان شيشبصر واليا على ولاية يهوذا ، غير أنه ليس هناك دليل واضح يؤكد هويته ، والأرجح أنه كان الإبن الثاني ليهوياكين الذي كان يلقب شناصارا وشنصرا (2).

وكان من بين العائدين واستطاع أن يقيم مذبحا للرب ، وأن يضع أساس الهيكل غير أن العمل توقف عند موت قورش فقد جاء في الإصحاح الأول من سفر عزرا : (وَأَلَمَلِكُ كُورُشُ أَخْرَجَ آنِيَةَ بَيْتِ الرَّبِّ الَّتِي أَخْرَجَهَا نُبُوخَذَنْصَرٌ مِنْ أُورُشَلِيمَ وَجَعَلَهَا فِي بَيْتِ آلِهَتِهِ . أَخْرَجَهَا كُورُشُ مَلِكُ فَارِسَ عَنْ يَدِ مَتْرَدَاثِ الْخَازِنِ وَعَدَّهَا لِشَيْشَبَصَّرِ رَئِيسِ يَهُودَا) (3).

و من بعض مميزات الفرس عدم التعرض لأبناء الملوك المقيمين في المنفى بل احترامهم ، ومحاولة إرجاعهم إلى حكمهم ، رغم ما أبدوه آباءهم من رفض للملوك الفرس ومحاربتهم ، وليس هناك ما يدل على السنة (قبل عام 520 ق.م تقريبا) التي ترك فيها شيشبصر الحكم ولا الأسباب التي جعلته يتخلى عن مهامه (4).

1. حسن ظاظا ، أبحاث الفكر اليهودي ، المرجع السابق ، ص 33 .

2. أندريه لومير ، المرجع السابق ، ص 60 .

3. سفر عزرا ، الإصحاح 1 ، الفقرة 7-8 .

4. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 183 .

وفي رواية أخرى نجد أن زربابل كان واليا على يهوذا وأقام مذبحا وقام ببناء الهيكل ، و هذا ما يناقض ما ورد في النص السابق ، فكان هناك اختلاف حول الأسبقية الزمنية لظهور هاتين الشخصيتين.

- زربابل (522 ق.م)

وكان هذا التعيين (لزربابل) في العام الثاني لحكم دارا (داريوس)(522-515ق.م) الملك الفارسي ، وذلك بمساعدة شيوخ وشخصيات يهودية وكان سبب اختياره على يهوذا من أجل إرضاء سكان المنطقة خاصة بعد الاضطرابات التي ظهرت في بداية حكمه⁽¹⁾.

وقد جاء تأكيد هذه المسألة في سفر حجي : (فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِدَارِيُوسَ الْمَلِكِ فِي الشَّهْرِ السَّادِسِ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ كَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ عَنْ يَدِ حَجِّي (2) النَّبِيِّ إِلَى زَرْبَابِلَ بْنِ شَأَلْتَيْئِيلَ وَالْيَ يَهُوذَا وَإِلَى يَهُوشَعَ بْنِ يَهُوصَادَقَ الْكَاهِنِ الْعَظِيمِ قَائِلًا هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلًا. هَذَا الشَّعْبُ قَالَ إِنَّ الْوَقْتَ لَمْ يَبْلُغْ وَقْتَ بِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ (3).

وهنا تظهر شخصية النبي حجي الذي أوعز إليه الرب لإبلاغ زربابل والي يهوذا وكاهنها العظيم يهوشع بعدم بناء المعبد لأن الوقت لم يكن بعد ولم يكن الظرف مواتيا لذلك ، وربما يعود ذلك إلى الاضطرابات وعدم ثبوت استقرار الحكام عليها.

- عزرا (منتصف القرن الخامس ميلادي)

ومن الشخصيات التي كان لها دور بارز في توجيه اليهود كما ذكرنا هما عزرا ونحميا وقد وقع المؤرخون في إشكال حول حقيقتهما ومن جاء أولا منهما ، ونجد أن روايات نصوص العهد القديم مختلفة في هذا الشأن من ناحية التسلسل التاريخي ، فنجد أن عزرا ظهر قبل نحميا غير أن هناك

1. المرجع نفسه ، ص 177 . نقلا : عن إسحاق بن صبي ، كتاب السامريين ، ص 6.

2. حجي (حجاي)(520 ق.م) : اسم عبري معناه عيد (مولود في يوم عيد) ، وحجاي أحد الأنبياء الصغار ، تنبأ بعد التهجير إلى بابل في العام الثاني من حكم دارا الأول ، وقد دعا إلى بناء الهيكل ، وتحدث عن قوانين النجاسة، وتنبأ بعظمة الهيكل . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 5 ، ص 2479 .

3. سفر حجي ، الإصحاح 1 ، الفقرة 1- 2 ، أنظر: سفر حجي ، الإصحاح 2 ، الفقرة 1- 2 . سفر زكريا ، الإصحاح 4 ، الفقرات 6- 10.

إشارات يفهم من سياقها أن نحميا سبق عزرا ، فنحاول هنا في هذا الصدد أن نستعرض بعض الأعمال التي قام بها كلاهما .

ونبدأ أولا بعزرا الذي كان له دور مهم حسبما تذكر نصوص العهد القديم في بعث اليهود دينيا واهتم بتدوين الأسفار واشتد في ممارسة الطقوس والشعائر الدينية ، بالإضافة إلى العمل على عودة اليهود إلى أورشليم ، و منع الزواج المختلط ، وقد كان أكثر ظهورا من نحميا .

وقد كلفه الملك الفارسي أرتخشستا الثاني بأربعة مهام : كان عليه أن يشرف على عودة جماعة اليهود من السبي وأن يحمل الهدايا من الجالية اليهودية في بابل إلى المعبد ، وأن يتفقد أحوال يهوذا وأخيرا أن يعلم هذه الشريعة لليهود في أرض الشام ، وعلى أساس ما كان يتمتع به عزرا وتميزه بأنه خبير في القضاء ، فمن المحتمل أن يكون قد تمكن من الوصول إلى التوفيق بين التوراة وبين النظام القضائي الفارسي ، وكان الملك الفارسي يسعى إلى التأكد من أن هذا القضاء يمارس في أرض يهوذا أيضا ، فكان على عزرا أن يطبق التوراة في أورشليم ، وتصبح تمثل القانون الرسمي⁽¹⁾.

وقد تمكن عزرا من جمع اليهود وتلى عليهم الشريعة ، وفرض عليهم طاعته من خلال القسم الذي يؤدونه ، وبذلك أصبح اليهود ضمن إطار دولة دينية يمثلها رجال الدين ، فكان القسم بمثابة عهد جديد مع موسى ، وكان من بين ما أملاه أيضا على اليهود منع الزواج المختلط⁽²⁾.

فهذا القانون الصارم الذي فرضه عزرا على اليهود جعل منهم فئة تمتاز بالانطواء والانعزال على العالم الخارجي والتكيف مع المعطيات الجديدة المفروضة عليهم والتقييد بما أملاه عليهم ضمن إطار محدود ورقيقة جغرافية ضيقة.

- نحميا (444-432 ق.م)

يذكر العهد القديم أن نحميا كان يعمل ساقيا للملك الفارسي ارتخشستا الذي خلف قورش ، وقد استطاع أن يقنع الملك بالعودة إلى أورشليم والسماح له ببناء أسوار أورشليم وخاصة بعد علمه بالوضعية السيئة والمزرية التي كان يعيشها اليهود ، واستجاب له الملك وعادوا إلى أورشليم.

1. كارين أرمسترونج ، المرجع السابق ، ص 179 .

2. يوسف عيد ، موسوعة الأديان السماوية والوضعية ، (بيروت : دار الفكر اللبناني ، دط ، دبت) ، ص 54 .

وقد قام نحemia بزيارة لأورشليم وكان ذلك في السنة العشرين التي تتزامن مع حكم أرتخشستا الذي بعث لنحemia برسائل من أجل إرسالها إلى الولاة عبر النهر ، والغاية من ذلك مساعدته بالمواد لترميم أسوار أورشليم ، وعند وصول نحemia إليها قام بإجراء سري يتمثل في دراسة أسوارها المهدامة⁽¹⁾.

ودليل ذلك ما ورد في الإصحاح الثاني من سفر نحemia : (وَقُلْتُ لِلْمَلِكِ إِنَّ حَسْنَ عِنْدَ الْمَلِكِ فَلْتُعْطَى لِي رَسَائِلُ إِلَى وُلَاةِ عَبْرِ النَّهْرِ لِكَيْ يُجِيزُونِي حَتَّى أَصِلَ إِلَى يَهُودَا وَرِسَالَةٌ إِلَى آسَافَ حَارِسِ فِرْدَوْسِ الْمَلِكِ لِكَيْ يُعْطِينِي أَحْشَابًا لِسَقْفِ أَبْوَابِ الْقَصْرِ الَّذِي لِلْبَيْتِ وَلِسُورِ الْمَدِينَةِ وَلِلْبَيْتِ الَّذِي أَدْخُلُ إِلَيْهِ . فَأَعْطَانِي الْمَلِكُ حَسَبَ يَدِ إِلَهِي الصَّالِحَةِ عَلَيَّ)⁽²⁾.

ثم تابع نفس الإصحاح : (ثُمَّ قُمْتُ لَيْلًا أَنَا وَرِجَالٌ قَلِيلُونَ مَعِي وَلَمْ أُخْبِرْ أَحَدًا بِمَا جَعَلَهُ إِلَهِي فِي قَلْبِي لِأَعْمَلِهِ فِي أورشليم . . . وَخَرَجْتُ مِنْ بَابِ الْوَادِي لَيْلًا أَمَامَ عَيْنِ التَّنِينِ إِلَى بَابِ الدَّمَنِ وَصِرْتُ أَتَفَرَّسُ فِي أَسْوَارِ أورشليمِ الْمُنْهَدِمَةِ وَأَبْوَابِهَا الَّتِي أَكَلَتْهَا النَّارُ)⁽³⁾ ، وفي هذا تأكيد لما قام به نحemia من تفحص لأسوار أورشليم من أجل وضع برنامج أو مخطط لإعادة تلك الأسوار على ما كانت عليه من قبل.

وقبل البدء في العمل اجتمع مع أهل يهوذا لتنفيذ خطته التي لاقت موافقة من طرف المجتمعين ، وكان متخوفا من حاكم إقليم السامرة والعمونيين والأشوديين والعرب ، فتوخى الحذر ونشر الحراس ليلا ونهارا ، وتمكن من إنهاء المهمة في ظرف اثنين وخمسين يوما ، وكان وفقا لذلك وضع خطة يتم فيها إسكان أورشليم بما يعادل أضعاف سكان يهوذا ، ويوزع بقية السكان على المدن المحيطة بأورشليم ، وتنظيم قائمة تحمل أسماء رؤساء العشائر والكهنة والثنينيم (طائفة من العبيد تعاطفوا مع اليهود) واللاويين⁽⁴⁾.

1. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 185 .

2. سفر نحemia ، الإصحاح 2 ، الفقرة 7-8 .

3. سفر نحemia ، الإصحاح 2 ، الفقرة 12-13 .

4. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 185 .

وقد تعاون الكهنة مع عامة الشعب من أجل بناء أسوار المدينة في فترة لم تتجاوز اثنين وخمسين يوما كما ذكر سفر نحμία ، وهذه المدة ضئيلة وهي مبالغ فيها إلى حد كبير ، وخاصة إذا قورنت بالأوضاع التي عرفتها المنطقة وما كان يواجهه نحμία ، والملاحظ أن عدد سكان اليهود كان قليلا ، لذا لجأ نحμία إلى إعادة وضع خطة من أجل تعمير المدينة .

حاول نحμία إعادة الحياة من جديد إلى أورشليم ، خاصة أنها عرفت تردد اليهود إليها بسبب خوفهم من سكان الأرض ، فقد قام بنقل عدد كبير من السكان (اليهود المتطوعين) نحو عشرة آلاف من خلال عملية القرعة ومن يكن تربيته العاشر أو مضاعفات عشرة عليه أن يسكن المدينة ، وهكذا تزايد عدد سكانها وأصبحت عاصمة للإقليم⁽¹⁾.

وقد كان نحμία يهدف من خلال ذلك عودة اليهود إلى أورشليم وبناء الهيكل وفرض الشريعة ومحاوله التمسك بها ، والعمل على توحيد اليهود في أرض واحدة واندماجهم مع بعضهم وجعلها منطقة خاصة بهم ، ثم اجتمع مع عزرا من أجل بيان هذه الشريعة ، فقد جاء في سفر نحμία : (اجتمع كل الشعب كرجل واحد إلى الساحة التي أمام باب الماء وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتي بسفر شريعة موسى التي أمر بها الرب إسرائيل. فأتى عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة من الرجال والنساء)⁽²⁾ . والأمر الملفت للانتباه هو اجتماع عزرا مع نحμία من أجل قراءة الشريعة على الشعب ، وقد انتقد سفري عزرا ونحμία لما فيهما من أخبار متناقضة.

وبما أن سفري عزرا ونحμία تكونا من مصادر مختلفة فالحقائق فيهما مختلفة ، فكان اسم عزرا في سفر نحμία (الإصحاح الثامن) من خلال الحديث عن اشتراكه مع نحμία في إبلاغ بني إسرائيل الشريعة ، وهذا لا يحمل اتفاقا من أن نحμία سبق عزرا ، فالعائدين من السبي مع عزرا ليس منهم من ذكر أن نحμία عاون في البناء ، فحديث عزرا عن نحμία وبناء هيكل فيه ذكر أن بناء الأسوار كانت على يد نحμία ، كما أن عزرا لم يكن قد بعث إلا بعد أن قام نحμία بإصلاحاته و نفذ إجراءاته ووضع

1. كارين أرمسترونج ، المرجع السابق ، ص 176 .

2. سفر نحμία ، الإصحاح 8 ، الفقرة 1-2 .

أمر (الميثاق والقسم) من أجل الرجوع إلى الشريعة ، فكانت رؤية عزرا لأورشليم بعد عودته أن تكون بلا سلاح ، غير أن إصلاحات نحميا جعلته يرى الأمر مختلفا عما توقع (1) .

فهذه التناقضات التي وردت في السفرين توحى بأن نحميا سبق عزرا ، وذلك من خلال الأدلة التي تخص بعض الإجراءات والأعمال التي قام بها.

فكان سفري عزرا ونحميا يتكلمان من عدة وثائق غير متصلة ، فذكر أنهما عاشا في فترة واحدة وأن عزرا وصل إلى أورشليم قبل نحميا ، غير أن الأدلة تؤكد أن بعثة عزرا تمت بعد نحميا أثناء حكم أرتخشستا الثاني (2) .

ويمكن القول أن مهمة نحميا كانت من أجل العمل على بناء أسوار القدس ومهمة عزرا كانت من أجل إقامة الشريعة اليهودية وهي لا تخرج عن الحكم الفارسي ولا تمثل تهديدا على هذه الإمبراطورية ولا خطرا عليها ويبدو أنهم كانوا أقلية صغيرة في مساحة صغيرة من القدس ، فقد اعتبرت مرحلة الحكم الفارسي على فلسطين فترة سلام ولم يمارس فيه أية ضغوطات على اليهود ، فهذه الفترة تتحدث عن عودة اليهود إلى فلسطين ، وأهم الشخصيات التي كان لها دور فعال ، وليس هناك رسم للحدود التي كان يتمتع بها اليهود في ظل حكم الفرس سوى التركيز على مدينة أورشليم وما حولها.

والشيء الملاحظ أن اليهود لم يذكروا أخبارا عن الأقوام الفلسطينية التي كانت معهم وكأنهم عاشوا وحدهم دون سائر الشعوب ، كما أن هذه العودة لم تكن تمثل وجودا حقيقيا في إطار السيادة الفارسية بما أنهم كانوا خاضعين لها ، وكان اليهود يعودون في نظامهم إلى طبقة الكهنة التي تُسِيرُ أمورهم ويعتمدون عليها ، لأنه لم يكن لهم موطن يتمتعون فيه بالحرية الكاملة كما هو الشأن للشعوب التي جاورتهم .

المطلب الثاني : اليهود في عصر اليونان

استطاع اليهود أثناء تواجدهم تحت حكم الفرس في فلسطين أن يجدوا لهم مكانا في أورشليم ووفقا لذلك بدأوا يخططون لتكوين مجتمع يسوده الدين وتحت نظام سياسي بعيدا عن الإطار الذي

1. مصطفى كمال عبد العظيم ، المرجع السابق ، ص 187-188 .

2. كارين أرمسترونج ، المرجع السابق ، ص 174 .

منحه لهم الفرس وبدت بذلك تظهر ملامح جديدة طغت على جماعة اليهود وخاصة في ظل الحرية التي أعطيت لهم ، غير أن هذا الوضع لم يستمر على حاله ، ومع العلم أنه لم يقم لهم كيان سياسي أو دولة بل ظلوا خاضعين تحت الإدارة الفارسية ، هذه الأخيرة بالرغم من حقته من انتصارات لم تعد تشغل حيزا كبيرا في احتلالها جزءا من مناطق الشرق الأدنى القديم فجاء من ينافسها السيادة بل يقضي عليها ، وخاصة في أواخر حكمها بدأ الضعف يدب داخلها وبدأت ملامح الاثيار تظهر جلية ، وهذه المرة كانت من قبل اليونانيين أو ما يطلق عليهم الإغريقين.

1- الإمبراطورية اليونانية في عهد الإسكندر المقدوني (356-323 ق.م)

وقد سقطت الإمبراطورية الفارسية على يد الإسكندر المقدوني مؤسس الإمبراطورية اليونانية الذي قاد حملته الشهيرة من أجل عملية التوسع والاحتلال.

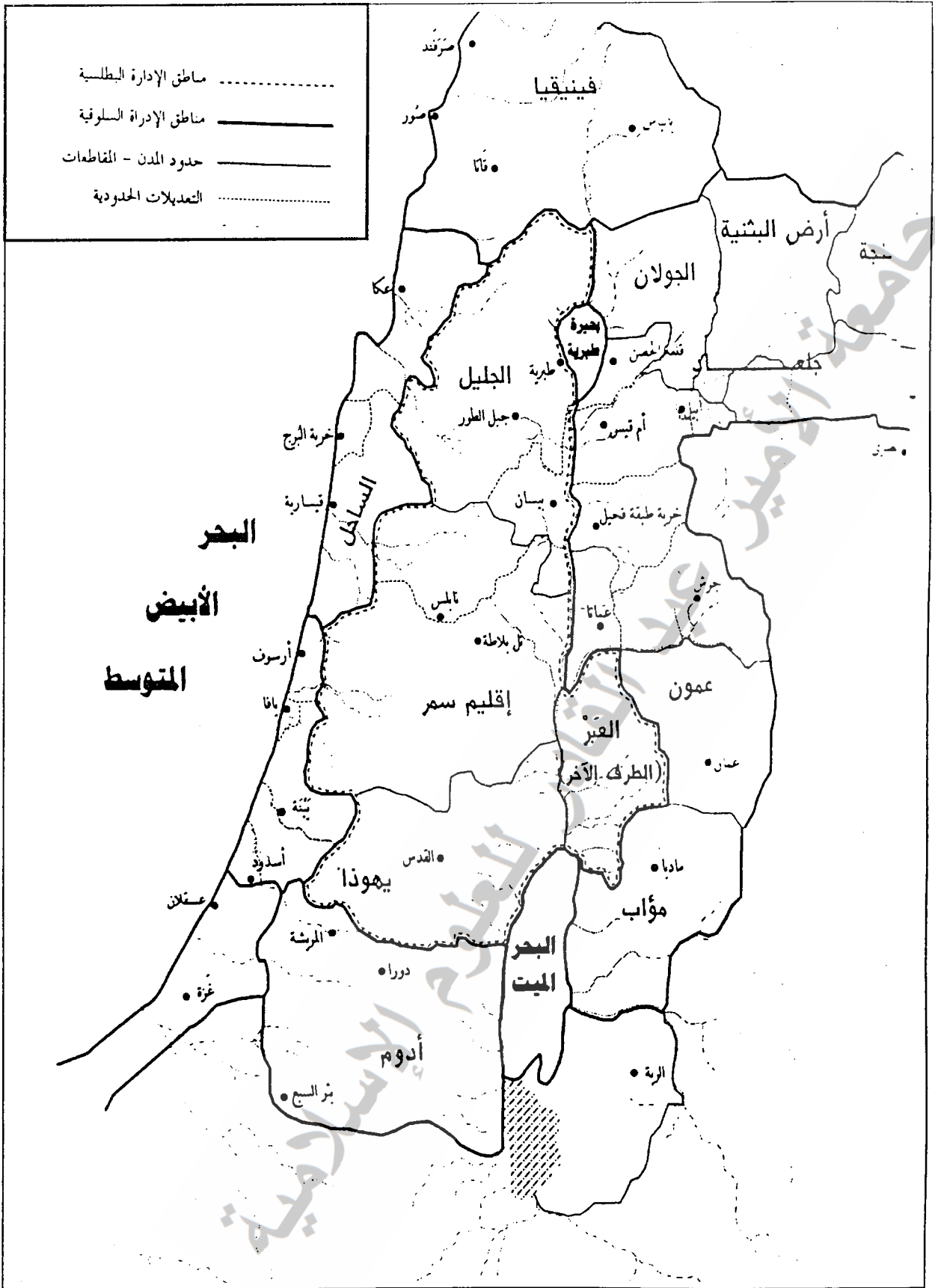
وقد نشبت الحرب بين الدولتين الفارسية واليونانية ، فكانت الأولى بقيادة الملك دارا ، والثانية بقيادة الملك الإسكندر الذي استطاع أن يفتح العديد من المدن والأمصار ، وكان من بينها دمشق وصيدا ، وقد حاصر صور وضمها إليه ، وتوجه نحو مدينة القدس ، وتمكن من فتحها دون مقاومة وكان ذلك عام 332 ق.م (330 ق.م) ومنح الإسكندر اليهود المقيمين في القدس حريتهم تحت ظل الحكم الذاتي وجعل مدة دفع الجزية كل سبع سنين⁽¹⁾.

وهكذا دانت له هذه المدن بعدما وجد صعوبة في فتحها وطال حصاره لها ، وبفضل الحروب التي قام بها استطاع أن يفرض سيطرته على عدة مناطق وأن يحقق النصر ، وكانت منطقة فلسطين من ضمن أهدافه وخطته ، وبهذا النجاح والانتصار ولى عهد وجاء عصر جديد وتمتع اليهود بنوع من الحرية في ظل حكم الإسكندر الذي سمح لهم بالإقامة في فلسطين دون المساس بهم ، وربما كان لليهود يد في مساعدة الإسكندر كما فعلوا مع سابقه .

ولم يكن أثناء حكم الإغريق بقيادة الإسكندر وجود سياسي أو اجتماعي لليهود ولا أدنى ذكر تاريخي يجده الباحث⁽²⁾.

1. عبلة المهدي الزيدة ، المرجع السابق ، ص 49 .

2. صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ص 261 .



التقسيم الإداري لفلسطين إبان العهد اليوناني

نقلا عن : زياد مني ص 123

ومن أهم الإجراءات التي قام بها الإسكندر أنه دمج اليونانيين بالفلسطينيين ، وجعل فلسطين ولاية أو مقاطعة يونانية ، واتبع في ذلك عدة طرق ، كان من بينها نقل أسر من اليونان إلى فلسطين وإباحة الزواج المختلط ، وإضفاء على العادات والتقاليد والشرائع طابعا يونانيا ، غير أنه لم ينجح في ذلك ، فمن الصعب أن يتخلى الشعب في ظرف سنين عن أمور ألف بها واكتسبها عدة قرون ، فهذا التغيير قد لاقى رفضا وجوبه بمقاومة ، بل رفض منذ بداية ظهوره .

وقام الإسكندر بتعيين أندروماخوس حاكما يونانيا على السامريين غير أنهم ثاروا عليه وقتلوه حرقا فكان جزاؤهم أن عوقبوا من طرف الإسكندر وقتل الكثير منهم ، وأصبحت مدينة السامرة بعد ذلك برئاسة بيردكاس (323-321 ق.م) الذي غير معالمها وأصبحت بها حامية عسكرية كانت الأولى في فلسطين⁽¹⁾.

وقد آلت أمور اليهود بعد ذلك بتعيين الإسكندر الكاهن الأعظم ، وكان مسؤولا عن الإدارة الدينية والسياسية وتطبيق الشرائع ، وهو بمثابة حاكم تحت إمارة يونانية ، وكان من أهم الأعمال التي قام بها الإسكندر والتي خلدت تاريخه تأسيس مدينة الإسكندرية .

وكانت غايته من خلال تأسيسها أن يجعلها مركزا حضاريا إغريقيا ، وقد بنى مدنا أخرى واستخدم مهندسين وبنائين وحاول إسكان فيها اليونانيين والمصريين والفرس واليهود والمشاركة في الحكم الديمقراطي ، كما تقرب من اليهود وحاول أن يكون وجودهم مكثف في الإسكندرية ، وفي أورشليم ظهرت عبارات يونانية جلها عبرية ، وحدث هناك تأثر الكهنة بالثقافة الهلينية⁽²⁾ ، وفضل الكتبة والربانيين الانطواء والتمسك بالتوراة ، فأطلق عليهم المحافظون⁽³⁾.

2- الإمبراطورية اليونانية بعد الإسكندر

لم تبق الإمبراطورية على حالها بعد وفاة الإسكندر ، فقد انقسمت ونشبت معارك طويلة

1. يوسف أيوب حداد ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 221 .

2. الهلينية : مصطلح يستخدمه المؤرخون للإشارة إلى التقاليد الحضارية السائدة في تلك المنطقة التي كانت تتحدث اليونانية في الإمبراطورية الهلينية (السلوقية والبطلمية) وفي الإمبراطورية الرومانية . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، ص 4 ، ص 1999 .

3. يوسف عيد ، المرجع السابق ، ص 56 .

ودامية بين كبار قادتها ، وكان هذا التراع من أجل السيطرة على الإمبراطورية والتسابق على أحسن مناطقها ، وغدت فلسطين ميدانا لهذه الحروب والصراعات وتعاقب على حكمها ما يطلق عليهم خلفاء الإسكندر ، وظهر أربع قواد على رأس أربع دول : فكان بطليموس في مصر وسلوقس (312-280 ق.م) في بابل وانطيوخس في آسيا الصغرى و انيتاتر في مقدونيا ، وكانت فلسطين من نصيب حكم البطالمة (البطالسة) ، والأمر المهم أن الدولتان اللتان لهما علاقة بتاريخ فلسطين هما البطلمية التي أسس أسرتها بطليموس و السلوقية التي أسس أسرتها سلوقس .

3- فلسطين تحت حكم البطالمة

ورث البطالمة والسلاقيون فلسطين بعد وفاة الإسكندر فكانت الأولى في الجنوب واتخذت مصرا مقرا لها وحكمت فلسطين فترة من الزمن ، والثانية كان مقرها الشمال ومركزها بابل ، وكانت فلسطين تعرف تحت اسم منطقة سوريا وفينيقيا .

فكانت فلسطين جزءا من مقاطعة مالية يطلق عليها "سوريا و فينيقيا" البطلمية ، وذلك من خلال ما ذكر في بعض البرديات التي تشير إلى "مدير عائدات سوريا وفلسطين" فكانت بمثابة مصدر دخل للبطالسة⁽¹⁾.

إن الوضع الذي عرفته الإمبراطورية اليونانية قد انعكس سلبا على اليهود ، وأخذوا وضعية جديدة في إطار هذا التغيير والانقسام ، وتعرضوا إلى محن شديدة غيرت مجرى تاريخهم من جديد بعدما استقروا فترة من الزمن ، وهذا ما لاحظناه منذ بداية نشأتهم وما خضعوا له من تغييرات وعدم استقرار باحثين عن موطن لآخر .

ويمكن تفسير ما تعرض له اليهود من محن جراء تغير الحكم من سلطة إلى أخرى أنهم أظهروا ولاء للسلوقيين ، ولاقوا زحفا من طرف بطليموس الذي تمكن من السيطرة على أورشليم ، وتعرض اليهود لعقوبة ونفي أكثر من مائة ألف إلى مصر، فمثل هذا أول تشتت لليهود بعد التجمع الجديد⁽²⁾.

1. زياد منى ، المرجع السابق ، ص 116 .

2. محمد عزة دروزة ، عبرة من تاريخ فلسطين ، المرجع السابق ، ص 62 .

فكان هناك تنازع على أشده من أجل الاستيلاء على فلسطين وبسط سيطرتهم عليها ، وهنا نلاحظ أن هذا الصراع عرف من قبل واستمر طويلا ، وفي هذا دليل كبير على أهمية المنطقة . فقد تواصل التنافس بين القواد اليونانيين ، وظلت كفتا فلسطين واليهود تتأرجح تارة لهؤلاء وتارة أخرى لهؤلاء ، ومن تكن له الغلبة يمارس الضغط على المغلوب ، ولقد حالف النصر السلوقيون فترة من الزمن الذين أظهروا عداؤهم للبطالسة اليهود وנקלו بهم ، فلجأوا إلى مصر فارين فكان هذا التشتت الثاني بعد التجمع الجديد⁽¹⁾ .

- بطليموس الأول (سوتر) (283/323 ق.م)

بدأ الحديث عن البطالمة بتولي أول قوادها بطليموس الأول الذي قام بتنظيم عدة حملات عسكرية ، وضم من خلالها فلسطين وجزءا من سوريا ، وكان ذلك في عام 320 ق.م ، ولم يلاق أي صعوبات في فتحها حتى أن اليهود استسلموا دون دفاع عنها ، وكان مصير هؤلاء اليهود أن أخذوا أسرى إلى مصر .

فكان من جراء تلك الحملات التي قادها بطليموس الأول أن نقل عددا من الأسرى اليهود والسامريين إلى مصر وتوزيعهم على مناطق مختلفة ، وقد تميز هؤلاء الأسرى بمعاملة تماثل معاملة المقدونيين⁽²⁾ .

وهنا نجد أن اليهود توزعوا في أنحاء مختلفة من مصر وفلسطين ، ويبدو من خلال المعاناة التي لاقاها اليهود أن وضعهم قد استقر نوعا ما ، وأخذ يسوده الهدوء .

فهذا التساهل في معاملة اليهود يبدو من خلاله أن بطليموس وقع اتفاقا معهم مقابل دفع الجزية بانتظام ، والتي كانت سائدة عند خضوع أي شعب من الشعوب للسيطرة .

- بطليموس الثاني (فيلادلفوس) (283-245 ق.م)

وقد خلف بطليموس الأول في الحكم بطليموس الثاني ، والذي أخذ ينظر إلى اليهود نظرة تحمل العطف والرأفة ، ويظهر من خلال هذه المعاملة أن اليهود أثناء هذه الفترة كانوا أكثر حرية من الذين سبقوا .

1. المرجع نفسه.

2. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 216 .

وقد استمر بطليموس الثاني في معاملة اليهود معاملة حسنة ، وكان يريد من خلال العطف عليهم أن يكسب تأييدهم وولاءهم له ، وقد أعطى الحرية لليهود الذين كانوا في الجيش أو غيره ، كما كان ضمن سياسته الثقافية والعلمية إغناء مكتبة الإسكندرية ، ووضع ترجمة يونانية عرفت هذه الترجمة بالترجمة السبعينية⁽¹⁾ للكتب المقدسة اليهودية⁽²⁾.

فكان بطليموس يواصل بناء فلسطين عمرانيا وذلك من خلال حركة التعمير التي قام بها في بناء وتأسيس عدة مدن وخاصة في مصر ، أما ثقافيا فكانت تظهر من خلال فتح المجال للترجمات التي قام بها ، فقد عرف عصره تقدما وازدهارا ، وأعطى فرصة لليهود أن يحيوا حياة جديدة ضمن هذه السياسة وأن يشاركوا المصريين وغيرهم من الشعوب متأثرين بثقافتهم .

- بطليموس الثالث (246-221 ق.م)

تعاقب على حكم مصر وفلسطين بطليموس الثالث الذي تساهل مع اليهود في دفع الجزية التي أثقلت كاهل اليهود ولم يتمكنوا من دفعها وحاولوا التملص منها ، فطلبوا من حاكم البطالمة إعفاءهم منها ، فعفى عنهم السنوات الماضية مع وجوب دفعها في تلك السنة وما بعدها.

- بطليموس الرابع (221-203 ق.م)

بعد تولي بطليموس الرابع عرفت مصر هذه الفترة ضعفا وهذا ما جعل الملك السلوقي انطيوخوس الثالث الذي يطلق عليه الأكبر أن يشن هجوما عام 218 ق.م على جوف سوريا "كان يشمل فلسطين وجنوب سوريا " بما فيها السامرة ، غير أنه لم يتمكن من بسط نفوذه على إقليم يهوذا والقدس ، بل ظلنا خاضعتين لمصر⁽³⁾.

1. الترجمة السبعينية : من الكلمة اللاتينية سبتواجينتا ومعناها سبعون ، وهي إشارة إلى الأسطورة القائلة بأن اثنين وسبعين من علماء اليهود قاموا بترجمة العهد القديم إلى اليونانية بأمر من بطليموس فيلادلفيوس ، وهي أقدم ترجمات العهد القديم بأية لغة ، وكان الغرض من الترجمة إلى اليونانية سد حاجة المصريين اليهود المتأخرين الذين كانوا يجهلون العبرية تماما بسبب اندماجهم في المحيط الهيليني ، وقد تمت الترجمة بالتدريج ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد . أنظر : عبد الوهاب المسيري : المرجع السابق ، مج5 ، ص 2441 .

2. أندريه لومير ، المرجع السابق ، ص 71-72 .

3. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 222 .

غير أن هذا الوضع لم يدم على حاله فبعد فشل انطيوخس الثالث في المرة الأولى نجح في هذه الحملة وضم فلسطين و مناطق أخرى تحت إقليمه وقد ساعده اليهود على الاحتلال ، وهكذا بقيت فلسطين عرضى لسلسلة من الحروب وموجات من التدمير والبناء كلما حلت بأرضها جيوش مقاتلة.

- بطليموس السابع (فيلوميتور) (181-145 ق.م)

وكان من أهم الفترات التاريخية التي توضح العلاقة بين اليهود و البطالمة هي الفترة التي حكم فيها بطليموس السادس أو السابع الذي استغل اليهود واعتمد عليهم في مواجهة السلوقيين ومنحت فرصة لليهود من أجل الاستيطان في مصر وأعطيت لهم مناصب إدارية في الدولة ومنح لليهود الفارين من فلسطين أرضا لبنوا فيها هيكلًا ينافس هيكل القدس ، وأقيم إلى جواره حامية عسكرية يهودية⁽¹⁾. وهكذا عاشت فلسطين تحت حكم البطالمة مدة طويلة امتدت من عام 301 إلى 198 ق.م وفي هذه الفترة لم تكن أمور اليهود مستقرة ، بل كانت متأرجحة بين الحكام البطالمة ، ولم يشكلوا كيانا يهوديا أو دولة مستقلة بل كانوا أحيانا ينتقلون إلى مصر في شكل أسرى ومرغمين على ذلك وأحيانا يفتح لهم باب الهجرة ، وظلوا غرباء عن المنطقة التي يحلون بها مرفوضين من طرف الشعوب ، وربما كان سببا في انعزالهم وانطوائهم .

فكان اليهود يتمتعون بحكم ذاتي تحت ظل السيادة اليونانية وقد تأثروا بالبطالمة واكتسبوا عادات وشعائر وظلوا مواليين لهم وتعايشوا معهم جنبا إلى جنب .

وانصب اهتمام البطالمة بفلسطين على جمع الضرائب من خلال وضع شبكة لجمع الضرائب متكونة من أفراد أثرياء ملتزمين بتلك المهمة ورفعها ، مستغلين بذلك الخزينة لصالح جيوبهم ، ونشأت بذلك فئة وظيفية يهودية تابعة للحكومة البطلمية⁽²⁾.

4- فلسطين تحت حكم السلوقيين

أ- حكام السلوقيين قبل الثورة اليهودية

- انطيوخس الثالث (222-187 ق.م)

1. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 1993 .

2. المرجع نفسه ، ص 1995 .

لم يستمر حكم البطالمة فقد انتقل إلى السلوقيين الذين تمكنوا من السيطرة على فلسطين إثر المعركة التي عرفت باسم نانيون (بانيوم) وأحرز انطيوخس الثالث من أسرة السلوقيين انتصارا على البطالمة وأصبحت فلسطين تحت حكم السلوقيين وأثناء هذه الفترة تحصل اليهود على بعض الحرية ومنحت لهم بعض الوظائف ، ومن مظاهر هذا التسامح التأييد لليهود .

وقد أعلن مرسوم يتضمن بعض التسهيلات لليهود في تقدمات الهيكل واستيراد الخشب من لبنان ومواد ضرورية من أجل ترميم الهيكل ، ومنح لهم حرية التمسك بشريعتهم ، وأصدر العفو لمجلس الشيوخ والكهنة من الجزية وبعض الضرائب "ضريبة التاج وضريبة الملح" كما أعلن العفو بالنسبة للسكان الحاليين أو الراغبين في العودة إلى أورشليم من الضرائب لمدة ثلاث سنوات ، وتحرير السكان العبيد وإرجاع أملاكهم إليهم⁽¹⁾.

احترم انطيوخس الرابع شريعة اليهود و أعفاهم من الضرائب و تبرع لإصلاح الهيكل ، واستمر الوضع على ذلك ، ونعم اليهود تحت حكمه بنوع من الاستقلال .

- انطيوخس الرابع (175-164 ق.م)

بعد تولي انطيوخس الرابع الحكم تغيرت بمجيئه السياسة وأخذت شكلا آخر ، وعومل اليهود معاملة مغايرة لما ألفوه من قبل .

وكان انطيوخس على علم بالحد الذي يرتبط به اليهود مع أعدائه البطالمة ، فعمل على إضعاف شوكتهم والقضاء عليهم بإضفاء الصبغة الإغريقية عليهم ، كما كلف أحد قادته إلى القدس عام 167ق.م من أجل إلغاء الشرائع والطقوس اليهودية وجعل مكائها شرائع يونانية⁽²⁾.

ب - اندلاع الثورة اليهودية "المكابية" (66-70م)

بدأ البطالمة بتطبيق نظام مخالف لليهود لا يخدم مصالحهم البتة ، واتضح من خلال المساس بدينهم وهو ما يسمى بالاضطهاد الديني وانتشرت الطقوس اليونانية بين اليهود وفرضوا عليهم التحلي عن عاداتهم وإلغاء الشعائر الدينية ، و التقيد بالأنظمة و القوانين اليونانية بالإضافة إلى محاولة توحيد شعوب الدولة السلوقية تحت إمارة واحدة ، كما ساهم الوضع الداخلي لليهود المتمثل في سيطرة

1. أندريه لومير ، المرجع السابق ، ص 72-73 .

2. عبلة المهدي الزيدة ، المرجع السابق ، ص 50 .

الكهنة الذين يمثلون السلطة الدينية العليا وساهمت سياستهم بشكل مباشر في إضعاف وإغراق الشعب بالضرائب ، بالإضافة إلى الصراع بين الفرق الدينية⁽¹⁾ التي لعبت دورا في تشتت اليهود وتفرقهم بعد التجمع الذي عرفوه مؤخرا ، وأصبحت هذه الفرق بطبيعة الحال تخالف بعضها وتتبع بعض الشرائع والطقوس التي تميزها عن غيرها ، فبعضها متأثر بما يحيط به والبعض الآخر منعزل ومكتف بعبادته وطقوسه.

هذه الأوضاع وغيرها قد ساعدت على انقسام اليهود إلى قسمين : قسم تمسك بالشرعية مقتنعا أو مكرها وسموا بالمتهلنون أو المتأغرقون وأقاموا في القدس ، وقسم آخر أقل عددا من سكان القدس وأطلق عليهم اسم حزب القديسين .

وكان المرجع الوحيد لهذه الحقبة من التاريخ هو سفر المكابيين الأول والثاني اللذان لم يكونا ضمن النسخة المقدسة التي بحوزتنا ، لذلك اعتمدنا على آراء بعض الباحثين و المؤرخين التي كانت في معظمها مستمدة من هذه الأسفار.

وعن الوضع السائد الذي عرفه اليهود نجد أن بعضهم فضل التمسك بشريعته ، الأمر الذي أدى إلى تعرضهم للضغط والتنكيل من طرف السلوقيين الذين فرضوا تقاليدهم وحرموا التقاليد الأخرى ، وكان من جراء ذلك الإجراء إنفجار الثورة المكابية التي لعبت دورا جديدا لظهور اليهود من جديد نحو مائتين وثلاثين سنة وكان ذلك سنة 160 ق.م واستمرت إلى سنة 70 ب.م ، كما عرف اليهود أثناءها نوع من السيادة والاستقلال الذاتي في كثير من المدن ، وقد ساعد على تطور

1. الفرق الدينية : ومن أهمها : السامريون وهي تعيش بجوار مدينة نابلس وتثير خلافا حول أصلها وتاريخها ، وهؤلاء يكفرون بدواد وسليمان لأنهما غيرا من شكل المجتمع الديني ، وعقيدتهم تتمثل في الإيمان بالله واحد وبموسى وتوراته وأن القبلة هي جبل جرزيم ، و الفريزيون(الفريسيون) هم طائفة علماء الشريعة من الربانيين قديما ، وكانوا يلقبون أنفسهم فيما بينهم بلقب حسيديم أي الأتقياء وهم يؤمنون بالتوراة وبكل الأنبياء الذين جاؤوا بعد موسى وبجميع الأسفار المقدسة ، والصدوقيون هي فرقة دينية عاصرت الفريزيين وهم يدعون أنهم ينتسبون إلى صدوق وهو فيما يقال الكاهن الأعظم لداود ، وتمتاز بأنها لا تؤمن ببعث الأموات وترفض الثواب والعقاب وتكر وجود الملائكة والقضاء والقدر وتؤمن بقدسية العهد القديم فقط ، و القنأون هم شعبة من الفريزيين يمتازون بالتطرف الشديد ويمكن وصفهم بأنهم غلاة ، وهي تمتاز بتمسكها بفكرة الوطن اليهودي المستقل ، و الأسينيون هي من أهم فرق اليهود وأشدها احتراما وتمتاز بالاعتزال عن الناس والاهتمام بشروق الشمس لأداء صلاة معينة وتحريم الذبيحة ، والزواج والاستعباد والرق والتمسك بالتوراة وأحكامها . أنظر : حسن ظاظا ، الفكر الديني اليهودي " أطواره ومذاهبه " ، المرجع السابق ، ص 205-226 .

الثورة ما كان سائدا بين السلوقيين والبطالسة ، وبين السلوقيين أنفسهم⁽¹⁾ .

إن هذه الثورة التي قام بها اليهود يفتخرون بها غير أنها لصقت بها بعض الأمور التي أضعفت قوتها ونتائجها ، فلم تكن مساندة من طرف اليهود بل الكثير منهم كانوا يعارضونها ، ومساندين للسلوقيين ضد الثورة ، هذه الأخيرة التي عرفت في بعض الأحيان نزاعات ومكائد أدت إلى إراقة الدماء ، وذلك مما عجل بفترة المكابين وانهارهم⁽²⁾ .

وكان المكابيون يهدفون إلى التوسع واحتلال مناطق أخرى ، وإن كانت في البداية غايتها دينية ، وهذه الثورة التي قام بها المكابيون كان هدفها الأساسي تكوين دولة يهودية في فلسطين قائمة على أساس الشرائع و الطقوس الخاصة بهم ، خاصة بعد الحملة التي جهزها السلوقيون ضد اليهود التي أعلنوها صراحة ، وحرموا عليهم إقامة شرائعهم بالإضافة إلى تطهير الهيكل ، وكان يترأس هذه الثورة كهنة اليهود الذين عرفوا بالمكابين ، ورفضوا هذه الأوضاع التي فرضها عليهم السلوقيين ومواجهة الطوائف اليهودية الأخرى التي تمسكت بالشرائع اليونانية .

- يهوذا

فكانت الثورة المكابية في عهد انطيوخوس الرابع ، وثار الكاهن ماتياس بمساعدة أبنائه وهم يوحنا و سمعان و يهوذا و اليعازار ويوناثان ، فكانت الثورة في بداية أمرها ثورة دينية بقيادة الكهنة ، تهدف إلى إعادة الشريعة اليهودية.

وكان موقف الدولة أن نظمت حملة تقضي على هؤلاء المتمردين أو ما يطلق عليهم الإرهابيون ، ومن نتيجة تلك الحملة أن قتل الكاهن متانيا(ماتياس) وأصبحت القيادة لابنه يهوذا⁽³⁾ .

وقد ذكر سفري المكابين الأول والثاني أن المكابين تمكنوا من تحقيق انتصارات على الطوائف الفلسطينية وأيضا على السلوقيين الذين اضطروا إلى عقد اتفاقات معهم ، خاصة بعد مرض الملك الأنطاكي الرابع ، وقد ساعد أيضا على هذا النجاح تدخل الإمبراطورية الرومانية ضد السلوقيين⁽⁴⁾ .

1. محمد عزة دروزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المرجع السابق ، ص 296-297 .

2. المرجع نفسه ، ص 297 .

3. محمد علي البار ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، (دمشق : دار القلم ، ط1 ، 1410 هـ-1990م) ، ص 105-106 .

4. زياد منى ، المرجع السابق ، ص 132 .

وقد ساعدهم على هذا النجاح أيضا الصراع بين السلوقيين و البطالمة والاضطرابات الداخلية التي كانت تعاني منها الدولة السلوقية ، وإثر هذه الانتصارات منح لليهود حرية التعبد وفق شريعتهم والاعتراف بأحقيتهم في ممارسة هذه الشرائع ، وبعدها اندلعت حروب بين السلوقيين و المكابيين دامت ثلاثة أعوام جاءت بعدها هدنة ، وانتهز يهوذا هذه الفرصة وهاجم القدس وأعيد فتح الهيكل من أجل إقامة الشعائر اليهودية ، وقد طبق اليهود النظام الكهنوتي القديم من حيث تعيين الكهنة و اللاويين في المعبد ، كما أقصى الذين انخرفوا عن الخدمة في المعبد⁽¹⁾.

- سمعان المكابي

تأسست الأسرة الحشمونية (المكابية) على يد سمعان المكابي (الابن الثالث لماتياس) وقد لاقت تأييد من طرف الجمع الشعبي الذي أعلن اعترافه بها ، واعترف سمعان الكاهن الأعظم والقائد العسكري بأنها وراثية في أسرته ، وهذا ما زاد على نشوء الخلاف داخل الأسرة ، بل أدى إلى نشوب حروب أهلية بسبب الأحقية في تولي الخلافة⁽²⁾.

وقد حرر سمعان من يد السلوقيين ، ويتضح أن المكابيين لم يستقروا خلال هذه الفترة فقد كانوا يعانون من مشاكل لحقت بهم وخاصة بعد أن اشتد التنافس بين أفراد الأسرة على الحكم . وفي ظل الحرية التي منحت لليهود في عهد المكابيين ، نجد أن الكهنة عرفوا حكما دينيا " ثيوقراطيا" وأطلق على الحاكم بكبير الكهنة وموحد اليهود ، وأطلق على المكابيين ملوكا رغم أنهم كانوا تحت الحكم السلوقي ويؤدون الجزية⁽³⁾.

ج- الحكام المكابيون بعد الثورة اليهودية

- يوحنا هيركانوس الأول (135-104 ق.م)

كان أول الملوك المكابيون يوحنا هيركانوس وهو ابن شمعون وقد عاد في عهده السلوقيون ، وأصبحت يهوذا تابعة من جديد وخاضعة لهم ودفعت لهم الجزية ، لكن سرعان ما نشأت ظروفًا

1. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 227 .

2. يوسف أيوب حداد ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 226 .

3. ظفر الإسلام خان ، المرجع السابق ، ص 78 .

واضطرابات داخل السلوقيين أدت بهم إلى التراجع وترك المجال مرة أخرى لهيركانوس الذي أعلن استقلال يهوذا عن السلوقيين .

– أرسطوبولوس الأول (104-103 ق.م)

وقد خلف يوحنا هيركانوس الأول في الحكم ابنه الأكبر أرسطوبولوس الأول الذي اتخذ لنفسه لقب ملك ، وقد كان متأثراً بالهلينيين وثقافتهم .

– ألكسونديرياناويوس (103-76 ق.م)

استطاع ألكسونديرياناويوس في عهده أن يضم عدة مناطق ، وأن يوسع حدود مملكته حتى ضمت مدن الساحل ، وقد تطورت الدولة الحشمونية في عهده غير أن حكومته لم تخل من الاضطرابات ، وأعلن معارضته للفريسيين (إحدى فرق اليهود) ، فأدى ذلك إلى نشوب حرب أهلية تمكن من خلالها الفريسيون من طلب المساعدة بديميتريوس الثالث ملك سوريا السلوقي ، الذي استطاع أن يحرز نصراً على ياناويوس ويهزمه قرب شكيم سنة 88 ق.م ، حيث انسحب جيش ديمتريوس وانظم إلى ياناويوس ، وتمكن من صلب نحو ستة آلاف من الفريسيين (1).

بعد وفاة ألكسونديرياناويوس تولت القيادة أرملته سالومي ألكسندرا (76-67 ق.م) وعادت قيادة منصب كبير الكهنة إلى ابنه.

نشأ الصراع على الحكم بعد وفاة سالومي بين ابنه هيركانوس الثاني (30 ق.م) وأرسطوبولوس الثاني (67-63 ق.م) فأظهر الأول تعاوناً مع الأنباط ضد أخيه ، وقد ظهر أنتباترس ابن حاكم مقاطعة أدوم ، هذا الأخير توسط بين هيركانوس الثاني والعرب لمساعدته ، وقد دخلت الأنباط القدس ، غير أنها تراجعَت بسبب موقف الإمبراطورية الرومانية لصالح الشقيق الآخر ، ودخلت القدس وظهرت بذلك مرحلة جديدة (2).

وقد كان حكم المكابيين الذي عد العصر الذهبي لليهود قصير المدى ، بسبب الصراعات والتراعات وعدم وجود وحدة سياسية ودينية بين زعمائها ، والانفصالات التي صاحبت تاريخ ظهورهم ، والفرقة والتشتت بين اليهود ، وظهور المؤيدين والمعارضين ، والخيانة في بعض الأحيان .

1. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 2004 .

2. زياد منى ، المرجع السابق ، ص 139-140 .

يتبين من خلال ما سبق أن اليهود تعرضوا للمحن والمصائب من جراء تقلب الأنظمة وتحولها من دولة لأخرى ومن ثم التنكيل بأهل البلاد ، الأمر الذي أدى باليهود إلى إحاكة الدسائس والمؤامرات ، والوقوف إلى جانب الطرف المنتصر وغدت فلسطين مركزا لها ، كما ظهر الاضطهاد الديني لليهود ومحاولة إرغامهم على الانقياد بالقوانين اليونانية التي تسللت إلى الدين اليهودي ، بالإضافة إلى المعاملة القاسية في بعض الأحيان ، وظهر مجموعة من التيارات الفكرية والعقائدية التي تتصارع فيما بينها أحيانا وبينها وبين الحكم اليوناني أحيانا أخرى ، وقد كان لها دور كبير في تكوين وتشكيل حكم ذاتي داخل فلسطين خاضعا للسيادة اليونانية ، وظهر الحركة المكابية التي كان هدفها الأول التمسك بالشرائع ، ثم أصبحت حركة قومية تتطلع للتوسع وضم مناطق من فلسطين ، واتخذت أساليب في جعلها دولة يهودية والتي استمر عليها التنافس بين السلوقيين والبطالمة .

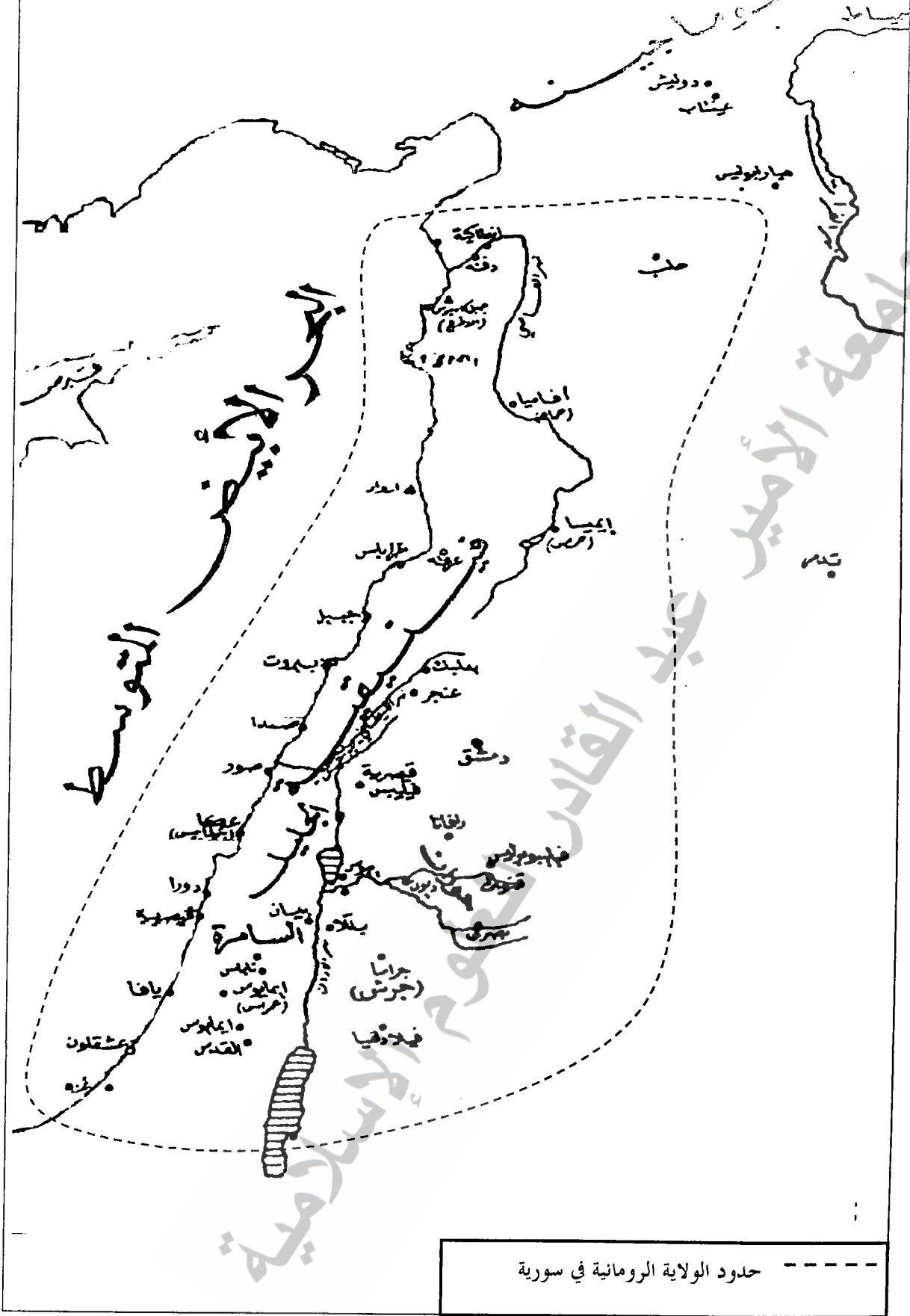
المطلب الثالث : اليهود في عصر الرومان

عرف تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم في ظل الحكومات المتعاقبة ظروفًا وأوضاعًا متوترة واضطرابات سياسية ودينية كان لها أثرًا واضحًا على شعوب المنطقة ، وقد دب الضعف في الدولة السلوقية ونشوب حروب المكابيين التي قادتها جماعة اليهود وتأييدهم من طرف السلطات العليا آنذاك ، وظهر الثورات الداخلية والاشتباكات المتواصلة حول الحكم ، وأدى ذلك إلى تغيير موازين القوى ، ودخول الاجتياح الروماني لبلاد البحر الأبيض المتوسط وظهوره كقوة عظمى وأصبحت لهم تدخلات في المنطقة سواء من بعيد أو من قريب ، وبدأ خاصة عندما احتك اليهود بالرومان وتوطدت بينهما صلات وعلاقات بالإضافة إلى اعتراف روما بالمكابيين ، ومنذ تلك اللحظة والأنظار موجهة للمنطقة وبقية روما تتابع التطورات والمستجدات الجديدة ، وتترقب الفرصة المواتية حتى جاءت اللحظة الحاسمة التي تمكنت فيها من فرض سيطرتها على سوريا وذلك عام 64 ق.م وأصبحت فلسطين تحت حكم الرومان .

1- حكام الرومان قبل اندلاع الثورة اليهودية الثانية

- بومبي (بومبيوس) (70-48 ق.م)

وقد تم فتح القدس سنة 63 ق.م وأصبحت ضمن النفوذ الروماني وذلك في عهد بومبي وكان سكانها معظمهم يهود ، وضمت الأنباط في بلاد أدوم جنوب القدس ، وفي الشمال كان المصريون



سورية كولاية رومانية

نقلا عن: فيليب حتي ص 338

والعرب والفينيقيون ، وغدت ولاية سوريا حسب قرار بومبي يمثلها نائب أو قنصل روماني يتمتع بسلطة تجنيد الجيوش والاشتراك في الحروب ، وحكم ولاية سوريا أولوس جاينوس (55-57 ق.م) وضيق من سلطة الإدارة اليهودية في القدس ، وذلك بإجبار الكاهن الأعظم هيركانوس الثاني عن تخليه عن رتبته الملكية⁽¹⁾، وبقي هيركانوس الثاني محتفظا برتبته الدينية فقط ، وأصبح خاضعا للحكم الروماني وبذلك انتزعت الملكية من المكابيين .

وهكذا انتهت الدولة اليهودية في القدس ، غير أن الأسرة المكايبية استمرت في الحكم تحت ظل الرومان باسم كبير الكهنة وليس ملكا خاصا⁽²⁾ .

وقد قام الحاكم الجديد أوليوس جاينوس أيضا بترتيب وتنظيم المناطق ، وإعادة توزيعها ونقلها إلى حكام جدد.

وقد طبق جاينوس عدة إجراءات وأمر بتعمير المدن التي لحقها تدمير السامرة وبيت شان ، إلى جانب ذلك قسم فلسطين إلى خمس مقاطعات تسير وفق الحكم الذاتي ، وجعل لها سلطات قضائية وهي القدس وأريحا وجازر والجليل الأعلى وشرق الأردن ، وسبب التقسيم كما هو واضح جعل أمر الضرائب سهلا ، غير أن هناك سببا حقيقيا وراء ذلك يكمن في تفكيك الكيان اليهودي ، وصبغ المناطق بالصبغة الإغريقية التي كانت بحوزة المكابيين والتي هودوها⁽³⁾.

- قيصر (49-43 ق.م)

وفي ظل حكومة قيصر الذي آلت إليه قيادة روما بعد وفاة بومبي استعاد اليهود الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية ، وقد تم إلغاء التقسيمات التي اتخذها جاينوس ، وظهر الصراع بين هيركانوس الثاني وارسطوبولوس الثاني على السلطة ، فقد كان الأول على صلة بالأنباط وكان حاكما على أدوم والذي عينه ألكسندر يانايوس.

1. عيلة المهتدى الزبدة ، المرجع السابق ، ص 54 .

2. رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 238.

3. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 230 .

وعرف الشرق الأدنى القديم ثورات وظهر مارك أنطونيوس الذي سلم أحد فرقه للقائد انتباتور الذي عين حاكما على يهوذا ، وقد قسم مهام ولديه فكان فاسيل حاكما على اورشليم ، والابن الثاني حاكما على الجليل ، وبعد وفاة انتباتور تقاسم ولداه السلطة ، فكان القسم الأكبر لهيرودس (1) .

- أوكتافيان (27-14 ق.م)

وقد تم تقسيم الإمبراطورية نتيجة الصراع القائم ، وبعد تعرض قيصر لعملية الاغتيال ظهر الخلاف والتراع بين أوكتافيان وأنطونيوس سنة 30 ق.م ، وعاد فيها النصر إلى أوكتافيان وأصبح أول إمبراطور روماني أطلق عليه أغسطس، وقبل هذا الخلاف قد عين هيرودس الأرومي ملكا على يهوذا وعلى الجليل سنة 39 ق.م (2) .

- هيرودس (37 ق.م - 4م)

إن هيرودس تم تعيينه من طرف مجلس الشيوخ كحاكم على اليهود وأصبح يملك سلطة عليهم في تنفيذ أحكامهم ولكنه بقي تابعا للرومان وناصرهم ، ويدين لهم بالولاء وذلك من أجل كسب تأييد روما ، غير أن اليهود كانوا يكرهونه ويعتبرونه أجنبيا عنهم وخاصة أنه لم يكن يهوديا خالصا ، وقد ازدادوا بغضا له بعدما حارب المكابيين .

وعرفت بداية حكمه حروبا مستمرة من أجل تعضيد سلطانه والقضاء على ما يتعقب طريقه ، وفي هذه الأثناء مازال الصراع حول السلطة قائما بين المكابيين ، رغم أن سلطتها كانت ضعيفة تعتمد على جمع العشور من اليهود وتطبيق الأحكام الشرعية (3) .

وقد تمكن من السيطرة على القدس وحاول استرضاء اليهود وغيرهم ، وإقامة علاقة خاصة مع الحاكم الروماني أغسطس لكي يستغل هذه العلاقة في كسب تأييد الإمبراطورية له وضمان حقوق اليهود.

1. فاليز فهد جالير ، المرجع السابق ، ص 33 .

2. أحمد بوسنة ، المرجع السابق ، ص 122 .

3. مصطفى كمال عبد الحلیم ، المرجع السابق ، ص 231 .

استطاع هيرودس الكبير بفضل سلطته أن يجعل المملكة اليهودية من الفخامة والجمال شبه مملكة هيلنستية ، حتى أن بعض مبانيه الضخمة ، وخاصة في القدس ما زالت شاهدة على ذلك حتى اليوم⁽¹⁾.

وفي إطار الخطة التي انتهجها هيرودس قام بأهم عمل لكسب تأييد اليهود ، وهو إعادة بناء الهيكل على الرغم أنه لاقى اعتراضا من طرف الكهنة ، مع العلم أن النظام الكهنوتي في القدس لم يعد كالسابق فقد أصبح هيرودس يتدخل في أمور الكاهن وجعل تعيينه من طرف الدولة وفصل الأمور الدينية عن السياسة .

وأثناء الفتح الروماني لمصر عام 30 ق.م ، كان اليهود يمثلون جزءا هاما من سكانها ، خاصة بعدما عرفوا تزايدا نتيجة ما حل بهم من طمأنينة وسلام في فترة البطالمة ، وعرف اليهود في الإسكندرية ازدهارا وأصبحوا يشكلون خطرا في البلاد من الناحية الاقتصادية والسياسية⁽²⁾.

وتوالى الحكام بعد وفاة هيرودس وتداول على فلسطين حكام من الرومان ، وكان ذلك بعد تطبيق وصية هيرودس بتولية أبنائه الحكم من بعده ، وقد عادت الاضطرابات من جديد وساءت الأحوال ، ومن نتيجة ذلك أصبح حكم الرومان حكما مباشرا وألغي نظام الممالك اليهودية القائم على الحكم الذاتي .

ولابد أن نشير هنا إلى أن الإمبراطورية الرومانية قد عينت أغريبا(41-44 م) حفيد هيرودس ملكا على فلسطين في عهد الإمبراطور كاليغولا(37-41 م) الذي تولى الحكم ، وكانت مدته قصيرة .
- نيرون (45-68 م)

ومن أهم الأحداث التي تسجل تلك التي تعرضت لها القدس بفعل ثورات اليهود المتكررة ضد الحكم الروماني وأولها في عهد الإمبراطور نيرون ، وكان من بواعثها استغلال الحكام الذين تم تعيينهم من طرف الرومان في فلسطين وإثقال كاهل السكان بالضرائب فازداد الأغنياء غنى والفقراء فقرا ومساندة الحاكم الروماني لمصالح هؤلاء الأثرياء وبذلك ساءت أحوالهم وضاعت بذلك حقوق اليهود

1. عبلة المهدي الزبدة ، المرجع السابق ، ص 55 .

2. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 233 .

الآخرين ، ويضاف إلى ذلك الصراع بين الفرق اليهودية فكان صراع بين الطبقات العليا لليهود والدنيا واندلعت الحرب بين الرومان واليهود.

وقد جندت الإمبراطورية قوتها واستدعت بعضها من مصر ، وزاد الوضع تآزما في الإسكندرية بين اليهود والإغريق ، وربما كان له تأثير لما جرى في يهوذا⁽¹⁾.

وتوالى الحكام على الإمبراطورية وخاضوا مجموعة من المعارك ، وواصلوا ضغطهم على اليهود وضيقوا عليهم الخناق حتى لا تقوم لهم قائمة ، غير أن اليهود لم يسكتوا عن هذا الوضع المتأزم ، بل عملوا من أجل صد تحركاتهم ومقاومتهم.

- تيتوس (79-81م)

أصبحت القيادة في فلسطين إلى تيتوس ابن الإمبراطور فسبسيان -خلف نيرون- الذي تمكن من الرد على اليهود (أثناء قيامهم بالثورة) ، واستولى على أورشليم سنة 70م ، حيث أراق الدماء ودمر المدينة وهدم الهيكل وأحرقه بل أزاله من الوجود ، وذبح الكهنة ومن تبقى سيق عبيدا⁽²⁾.

وهكذا فشلت هذه الثورة وقضى على الكيان اليهودي بعدما دمرت مدينة القدس ودمر هيكلها تدميرا تاما، وتشتت اليهود فبعضهم أسر وأخذوا من فلسطين مرة أخرى وبعضهم بقي داخل فلسطين محتبئا ، وبعد انتهاء الثورة التي قام بها اليهود عرفت المنطقة فترة هدوء ثم عادت من جديد.

- تراجان (98-117م)

وفي عهد الإمبراطور تراجان اندلعت الثورة من جديد ، لكن هذه المرة لم تكن محصورة في مكان معين ، بل عرفت توسعا أكثر وانتشرت في أطراف الإمبراطورية مستغلة إنشغال الإمبراطور في بسط نفوذه وحملته في الشرق .

وما لبث حقد اليهود على الرومان والإغريق في أكثر من مكان أن يفجر عنفا مدمرا ، خاصة عندما اندلعت الثورة في بدايتها في برقة ، ثم امتدت إلى قبرص ثم امتدت إلى مصر في عام 115م ، وأمام هذا الوضع استدعى سحب الحاميات الرومانية من مختلف ولايات الإمبراطورية⁽³⁾.

1. المرجع نفسه ، ص 238 .

2. أحمد سوسة ، المرجع السابق ، ص 122- 123 .

3. مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص 243 .

وأمام هذا الوضع الذي عرفه الرومان عملوا ما بوسعهم لصد تلك الثورة وإخمادها ، وتجنيد الجيش ، فكان الرومان يعملون على القضاء على أي عمل مماثل لما قام به اليهود ، والتشدد في تطبيق الإجراءات من أجل قمع وإسكات أيًا كان من الشعوب الخاضعة تحت سلطتهم.

- هدریان (117-138 م)

ولم تخمد نيران الحقد ضد الرومان واستمر السخط اليهودي وبقي حيا في نفوسهم ، ينتظرون الظروف الملائمة للقيام بالثورة ، وكان ذلك في عصر الإمبراطور هدریان الذي خلف تراجان . وقد تمكن هدریان من زيارة أورشلیم ولاحظ ما يخطط له اليهود فأعلن عن تدمير المدينة ، واتخذ عدة إجراءات ضد اليهود من بينها تحريم تقديس السبت ، ومنع الختان ، وقرر تحويل القدس إلى مستعمرة رومانية⁽¹⁾.

ونتيجة هذا الإجراء الذي قام به هدریان أصبحت منطقة اليهود منطقة رومانية خاضعة لهم ، وخاصة بعد أن ألغى بعض الشرائع الدينية التي التزم بها اليهود لمدة طويلة ، فكان هذا العمل رد فعل من الحاكم الروماني من أجل إبطال أي عمل يقوم به اليهود أو يحاولون حتى التفكير فيه.

2- الثورة اليهودية الثانية "باركوخبا" (132-135م)

إن الأوضاع التي مر بها اليهود وما صاحبها من تنفيذ إجراءات مشددة وصارمة من طرف الإمبراطورية ، لم تمنع اليهود من تجميع قواهم مرة أخرى وتكتلهم وفق تنظيم جديد ، خاصة أثناء ظهور سيمون باركوخبا "باركوزبا" القائد اليهودي ، الذي استطاع أن يستقطب عددا كبيرا من اليهود واجتمعوا تحت لوائه ، وحثهم من أجل السعي على الاستقلال ، والتجمع في فلسطين واتخاذ القدس عاصمة دينية ، فأقنع اليهود بضرورة الثورة والتبرع من أجل خدمة أغراضها ، مدعيا أنه المسيح المخلص الذي يخلصهم من الرومان تحت مملكة يهودية مستقلة.

وليست هناك معلومات توضح الأسباب الحقيقية لاندلاع حركة باركوخبا ، وإن كانت المعلومات تجعلها في واحد من الثلاثة : فالأول إعلان الإمبراطور هدریان بناء مدينة مكان القدس ، والثاني تراجعها عن إعادة بناء الهيكل ، والثالث منعه عادة الختان ، غير أن هناك من الباحثين من اعتقد

1. فايز فهد جابر ، المرجع السابق ، ص 35 .

أن هديران يجعله القدس مستعمرة رومانية اسمها "أيلاكابيتوليا"، إنما كان إرضاء لمجموعة من اليهوديين الهلنستيين⁽¹⁾.

إن هذه الاضطرابات الجديدة لم تعم جميع أطراف فلسطين ، بل ظلت منطقة الجليل كمثال خارج الحرب ، وهناك الكثير من المؤرخين من يعتقد أن هذه الحركة لم تخرج عن إطار القدس ، رغم أنها تشمل المدينة نفسها⁽²⁾.

وقد جرت مقابلة بين الجيش الروماني - الذي سخر قواته للقضاء على الحركة- وبين رجال باركوخبا عند أورشليم ، وترأس الجيش الروماني يوليوس سيفيرس الذي خطط بإحكام للقضاء على قوات اليهود ، وبعدها سقطت أورشليم توجه باركوخبا ورجاله إلى المرتفعات الغربية عند مكان يسمى بيت تير "بيطار" جنوبي غرب أورشليم ، وأثناءها انهزم باركوخبا وقتله الرومان⁽³⁾.

وهكذا قضت القوات الرومانية على باركوخبا في ظرف ثلاث سنوات واستطاع هديران إيقاف هؤلاء الثائرين اليهود ونكل بهم ، وأصدر قرارا بتدمير الهيكل وهدم مدينة القدس ، وقتل وسبي عددا كبيرا من اليهود ومنعهم من دخول القدس والاستقرار بها بل وسمح للمسيحيين بالإقامة فيها ، وأقام مدينة جديدة سماها أيلاكابيتوليا وعرفت بعد ذلك بـ إيلياء وأقام هيكلًا للإله اليوناني أعلى مكان الهيكل القديم ، ومسح بذلك المعالم اليهودية وصنع عليها الصبغة الرومانية ، فكانت هذه الحادثة قد قضت على تجمع اليهود ، ولم يعد لهم في فلسطين وجود ، بل تشرذوا في بقاع الإمبراطورية ، ولم تقم لهم قائمة إلا في عصور متأخرة .

إن ما جرى لليهود قد تحقق في النصوص الدينية ومنها ما ورد في الإصحاح السابع والعشرون من سفر التثنية : (وَكَمَا فَرِحَ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُحْسِنَ إِلَيْكُمْ وَيُكَثِّرَكُمْ كَذَلِكَ يَفْرَحُ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُفْنِيَكُمْ وَيُهْلِكَكُمْ فَتُسْتَأْصَلُونَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لَتَمْتَلِكَهَا . وَيُيَدِّدُكَ الرَّبُّ فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ

1. زياد منى ، المرجع السابق ، ص 176 .

2. المرجع نفسه .

3. فايز فهد جابر ، المرجع السابق ، ص 35 .

مِنْ أَقْصَاءِ الْأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا⁽¹⁾ ، فقد أوضح هذا النص أن الرب قد توعد اليهود بعقابهم وذلك من خلال هلاكهم في الأرض وفنائهم ، بل وتفريقهم في أنحاء المعمورة ، وعن هذا التفرق أيضا يذكر القرآن الكريم : ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا ﴾⁽²⁾ .

وبقي قرار منع دخول أي يهودي إلى القدس ساريا حتى سنة 200م ، حيث سمح الإمبراطور أورليوس بدخول اليهود إلى القدس لأداء الصلاة⁽³⁾ .

- قسطنطين (288-337 م)

وقد شهدت الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع ميلادي مرحلة جديدة بمجيء قسطنطين الذي اعتنق المسيحية متأثرا ومتعاطفا مع المسيحيين للحد الذي جعل العقيدة المسيحية عقيدة رسمية للإمبراطورية وازداد عدد المسيحيين ، وأصبحت القدس مدينة مسيحية ومركزا للحجيج .

ولابد من الإشارة أن الإمبراطورية الرومانية انقسمت عام 395م إلى إمبراطوريتين ، وقد وقعت فلسطين وبلاد الشام ضمن الإمبراطورية الرومانية الشرقية⁽⁴⁾ .

وكان من بين الإجراءات التي أصدرها قسطنطين تحريم اليهود من دخول القدس ، فتعرض اليهود للمعاملة السيئة من طرف هذا الإمبراطور ، وتواصلت معاملتهم على هذا النمط حتى تولى جوليان الحكم ، الذي أعلن تمردة على المسيحية وفضل اليهودية ، وحاول إعادة مقدسات اليهود وبناء هيكل اليهود المدمر ، غير أنه اهتم بأمر كثيرة حالت بينه وبين تطبيق تلك الإجراءات⁽⁵⁾ ، وقد استمر هذا العداء بين اليهودية والمسيحية.

- هرقل (611-641م)

تعرضت فلسطين للخطر من طرف خسرو الثاني إمبراطور الفرس ، الذي شن هجوما على فلسطين وبقية بلاد الشام ، وقد لاقى ذلك ترحيبا من طرف اليهود الذين اشتركوا مع الفرس في قتل

1. سفر التثنية ، الإصحاح 27 ، الفقرة 63-64 .

2. سورة الأعراف ، الآية 168 .

3. أنظر : ظفر الإسلام خان ، المرجع السابق ، ص 93 .

4. رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 248 .

5. طارق السويدان ، المرجع السابق ، ص 68 .

المسيحيين وتدمير مقدساتهم ، وبذلك أصبحت سوريا بما فيها فلسطين تحت حكم الفرس لعدة سنوات ، حتى تمكن هرقل من استعادتها عام 628م⁽¹⁾ .

وقد لاقى الفرس مساعدة من اليهود على فتح القدس وقتل عددا كبيرا من المسيحيين وهدمت الكنائس ، غير أن هرقل استطاع استعادة المدينة وطرد الفرس منها وقام بتنكيل اليهود وقتلهم وحضر عليهم دخولها وتشتتوا خارج فلسطين.

ظل الرومان يحكمون القدس حتى الفتح الإسلامي (636 م) ، وكان أول فتح إسلامي لها ولم يكن لليهود وجود بها وقت الفتح وبذلك دخلت المدينة الإسلام ، وأثناء هذا الفتح صدرت الوثيقة التي تدعى بالعهد العمرية نسبة إلى الصحابي عمر بن الخطاب. وقد جاء فيها ما يلي (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها . أنه لا تسكن كنائسهم ولا تخدم . ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود . . .)⁽²⁾.

وضع عمر بن الخطاب شرطا على النصارى أن لا يدخل إيلياء أحد معهم من اليهود ، ومنعوا بذلك من دخول القدس ، وكان هذا من طلب النصارى أنفسهم لما لاقوه من مصائب من مؤامرات ودسائس ، وعندما فتحت القدس لم يجدوا فيها أحدا من اليهود لأنها حرمت عليهم دخولها من قبل ، وأعطى الأمان لسكان البلاد مقابل دفع الجزية ، وعند هذا نجد قمة التسامح عند المسلمين ، وقد سمح لهم عمر بأداء شعائرهم بعدما حرّموا من ذلك.

كان الحكم الإسلامي الجديد عادلا في تطبيق أحكامه ومتساهلا مرنا مع رعيته ، فعومل اليهود معاملة حسنة بعدما لاقى المعاملة السيئة من طرف الرومان ، فكان هذا لصالح اليهود ، خاصة بعدما أنقذوا من المعانات والتشتت ، ومع العلم أن فلسطين ظلت منذ الفتح الإسلامي جزءاً من الدول الإسلامية ، وقد استمر نوعا ما انعدام اليهود في فلسطين حتى وقوع بلاد الشام تحت حكم العثمانيين .

1. رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 249 .

2. مجير الدين حنبلي ، المصدر السابق ، ص 377 .

في هذه الأدوار التاريخية نلاحظ أن اليهود لم تكن لهم دولة ، بل كانوا عبارة عن جماعات تتفق أحيانا عندما يداهما الخطر من جانب الأمم والشعوب المجاورة ، وقد كان يحكمهم نظام كهنوتي قائم على الدين ، وكان حكمهم الذاتي تحت سلطة الإمبراطوريات ضعيفا ومحدودا في جزء من القدس ، وإن تمتعوا نوعا ما بالاستقلال تحت ظل حكم المكابيين ، ورغم أن الثورة التي قاموا بها إلا أنهم لم يتمكنوا من تحقيق الاستقلال والسيادة أو يحققوا لهم كيانا ، بل ضلوا منتشرين داخل وخارج فلسطين ، ولم تتحقق لهم شروط المواطنة ، ولم يكن لهم سيادة ولا إقليم ولا حدود واضحة ، بالإضافة إلى الضغوطات التي مورست عليهم ، والإجراءات المشددة التي طبقت عليهم ، وهكذا ظل اليهود مشردين في الأرض ، ولا صلة لهم بفلسطين إلا في القرن التاسع عشر.

الفصل الثالث: الإدعاءات اليهودية في الأرض المقدسة

المبحث الأول: الحركة الصهيونية

المطلب الأول: مفهوم الحركة الصهيونية ونشأتها

المطلب الثاني: أسباب ظهور الحركة الصهيونية وفكرة الوطن القومي

المبحث الثاني: الإدعاءات اليهودية في الأرض المقدسة

المطلب الأول: الإدعاءات الدينية

المطلب الثاني: الإدعاءات التاريخية

المبحث الأول

الحركة الصهيونية

بعدما تحدثنا في الفصلين السابقين عن مواطن اليهود وتواجدهم في ظل الحضارات القديمة ، نتطرق في هذا الفصل إلى دعاة الوطن اليهودي ، ونأخذ الحركة الصهيونية كنموذج على ذلك مع عرض مفهوم هذه الحركة ووضع أهم المحطات التاريخية ، والحديث عن نشأة فكرة الوطن اليهودي ، مع دراسة الوعود الإلهية لأنبياء بني إسرائيل ، ومحاولة مناقشة نصوص التوراة ونقدها .

المطلب الأول : مفهوم الحركة الصهيونية ونشأتها

قبل الحديث عن هذه الحركة اليهودية لا بد من التعرف عليها وبيان حقيقة معناها ومدلولها طبقا لما ذهب إليه الباحثون وما حدده المؤرخون وما ذكرته الأخبار التاريخية ، باعتبار هذه المرحلة لها دور كبير في تاريخ اليهود لما لعبته هذه الحركة في بلورة الحقائق وتغييرها إلى صالحها وما يخدم أغراضها ، وبطبيعة الحال تكاثفت جهود هذه الحركة وتضافرت ، وعملت على فرض الادعاءات والافتراءات وانتظار الفرصة المناسبة لإعلان نواياها وما تخطط له ، وهذه الحركة أصبحت تؤلف أفكارا بل ومعتقدات اكتسبتها من المحيط الذي تعيش فيه واندجت بذلك في فكر اليهود ، وتحولت إلى حقيقة وأصبح أحلامها واقعا معاشا ، وانتقلت من الفكرة إلى الحقيقة ، ومن مرحلة التخطيط إلى مرحلة التنظيم والعمل ، وأصبح هذا أمرا حتميا شئنا أم أبينا ، وهذا ما نلاحظه عن بعد من الأحداث المتصارعة والمتسارعة والوقائع التي تحدث في فلسطين ، ولا أحد منا ينكر هذه الأحداث ، وأصبحت دولة اليهود واقعا حقيقيا ، والشعب الفلسطيني على هامش الأحداث وتوجه إليه إصبع الاتهام ولا يعتد به ، بل ولا يعترف به كشعب على الرغم ما قام به من محاولات لاسترداد الأرض المقدسة و النضال من أجلها ، ورغم الملتقيات والمؤتمرات التي تقام لكن دون جدوى ، بل وظفت تلك في خدمة الأغراض الصهيونية .

1- مفهوم الحركة الصهيونية

وهنا نتساءل لماذا سميت هذه الحركة بالحركة الصهيونية دون سائر الأسماء ؟ وأصبح اسمها متخذا من مكان مقدس بدلا من أسماء عبرية أو إسرائيلية أو يهودية ، والانتماء إلى نبي من أنبيائها ، أو سبط من أسباطها دون الآخر، وهذا ما نلاحظه من خلال تعريفها ، فنجد هناك اختلافا بين الباحثين والمؤرخين حول تعريفها ، فلم يضعوا تعريفا واضحا وخصوصا بها أو جامعا لها ، وربما السبب

في ذلك يعود إلى صعوبة البحث عن نشأتها ومولدها ، أو البوادر الأولى لظهورها وتأسيسها وتعدد مظاهرها ، أو الأسباب التي وضفتها في خدمة أهدافها ، وقد حظيت باهتمام كبير من طرف الباحثين وكتبت فيها بحوث ودراسات ومقالات شتى .

ونظرا لصعوبة تحديد معناها نجد أنه قيل عنها أنها ذات مفهوم غير واضح ومختلط لما تحتويه من أفكار ومفاهيم مثل انتظار مجيء المسيح المخلص ، و نزعة قومية وغيرها من الأفكار التي رسخت في الفكر اليهودي ، بل وأصبحت ضمن معتقداته⁽¹⁾.

وجاء في مفهومها أيضا أنها ظاهرة صعبة ومعقدة لم يفقه أفكارها إلا عدد قليل من نقادها وبعض من مؤيديها⁽²⁾.

فكان هناك شبه اتفاق على أنها غير واضحة الأفكار والمعالم ، لما كانت تنادي وتطالب به.

أ- تعريف الصهيونية واشتقاقها

اتفق معظم الباحثين في تعريف الحركة الصهيونية من خلال اشتقاقها ، وماذا تعنيه الكلمة أو المراد به ، والرجوع إلى ورود اشتقاق هذه الكلمة من نصوص العهد القديم فجاء في تعريفها : إن لفظة الصهيونية مشتقة من صهيون⁽³⁾ وهو أحد المرتفعات في أورشليم التي بنى عليها اليبوسيون حصنا ، وكان ذلك قبل ظهور بنو إسرائيل (قوم موسى)⁽⁴⁾ بجوالي ألف عام ، فكانت هذه اللفظة كنعانية وليست عبرية كغيرها من أسماء المدن والقرى الفلسطينية التي تحمل أسماء كنعانية حتى اليوم⁽⁵⁾.

1. درويس بن سيمون ، إجلال إبراهيم ، إسرائيل وشعوبها ، ترجمة وتعليق : نعيمة شومان ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1423 هـ - 2002 م) ، ص 39 .
2. أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبيني ، العنصرية اليهودية وأثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها ، (الرياض : مكتبة العبيكان ، ط1 ، 1998 م) ج 1 ، ص 250 . نقلا عن : همفراي والز ، الصهيونية حركة عنصرية ، ص 27.
3. كلمة صهيون ترد على ثلاثة أشكال وهي : بكسر الصاد وفتح الياء ، وبفتح الصاد وضم الياء ، وبكسر الصاد وضم الياء ، وهذا الأخير هو الأشهر ، المرجع نفسه ، ص 244 .
4. يذكر أحمد سوسة أن اليهود لم يظهروا للوجود في عهد إبراهيم عليه السلام ، ويتساءل أين كان اليهود في عصر إبراهيم الخليل عليه السلام ، في حين اليهود لم يظهروا إلى عالم الوجود إلا بعد الألف الرابعة قبل الميلاد ب 2700 سنة ، أي في عهد النبي موسى عليه السلام ؟ أنظر : أحمد سوسة ، المرجع السابق ، ص 105 .
5. المرجع نفسه ، ص 145 .

فالصهيونية أخذت اسمها من جبل مقدس وهو صهيون الذي يقع شرقي القدس كما مر بنا سابقا ، وقد تمكن النبي داود من فتحه وأخذه من يد اليوسيين المقيمين فيه الذين كانوا من الأقوام الأولى التي سكنت فلسطين باعتراف المؤرخين ، وقد بنى عليه داود قصره كما ذكر العهد القديم .

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن لماذا صهيون بالذات دون سائر الأماكن المقدسة ، والجواب على ذلك ربما من أجل المطالبة بحصن صهيون ، وبعث اليهود من جديد وإحياء أجداد الماضي وما مر باليهود بمرحلة فخر واعتزاز ففضلت الانتماء إليه ، أو من أجل إثارة مشاعر اليهود وترغيبهم في العودة لتجميعهم مرة أخرى وإنهاء مرحلة الشتات التي دامت قرونا من الزمن .

وقد جاءت كلمة صهيون في نصوص العهد القديم عدة مرات وتكرر ذكرها في مواقع مختلفة وفي مناسبات عدة ، ومن ذلك ما ورد في بعض النصوص وهي :

جاء في الإصحاح الخامس من سفر صموئيل الثاني : (وَأَخَذَ دَاوُدُ حِصْنَ صِهْيُونَ . هِيَ مَدِينَةُ دَاوُدَ . . . وَأَقَامَ دَاوُدُ فِي الْحِصْنِ وَسَمَّاهُ مَدِينَةَ دَاوُدَ)⁽¹⁾ ، ومن ذلك أصبح هذا المكان مقدسا واتخذ هذه القداسة من اتخاذه داود مكانا له وإقامة حصن فيه .

ثم جاء ذكر صهيون في سفر أشعيا : (وَيَكُونُ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجَبَلِ وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التَّلَالِ وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الْأُمَمِ . وَتَسِيرُ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ وَيَقُولُونَ هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ إِلَى بَيْتِ إِلَهٍ يَعْقُوبَ فَيَعْلَمُنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ فِي سَبِيلِهِ لِأَنَّهُ مِنْ صِهْيُونَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ)⁽²⁾ .

وجاء في الإصحاح الثاني والخمسون (البسِّي عِزِّكَ يَا صُهَيْونُ البِيسِي ثِيَابَ جَمَالِكَ يَا أُورُشَلِيمُ)⁽³⁾ ، وجاء في الإصحاح الثلاثون : (لِأَنَّ الشَّعْبَ فِي صِهْيُونَ يَسْكُنُ فِي أُورُشَلِيمِ)⁽⁴⁾ .

1. سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح 5 ، الفقرة 7 ، 9 .

2. سفر أشعيا ، الإصحاح 2 ، الفقرة 2-4 .

3. سفر أشعيا ، الإصحاح 52 ، الفقرة 1 .

4. سفر أشعيا ، الإصحاح 30 ، الفقرة 19 .

ومما يدل على قداسة حصن صهيون ما ورد في أحد المزامير: (رَنِّمُوا لِلرَّبِّ السَّاكِنِ فِي صُهْيُونَ⁽¹⁾). وجاء أيضا: (لِيَتَهَجَّ بَنُو صُهْيُونَ)⁽²⁾.

ب- مفهوم الصهيونية

فيما يخص بيان مفهوم كلمة الصهيونية ؛ فقد جاء تعريفها في الموسوعات خاصة منها البريطانية واليهودية ، وذلك من خلال إعطاء مفهوم خاص بأهداف اليهود وما يتطلعون إلى تحقيقه وما يرمون إلى إنجازه.

(إن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل ، واجتماع الشعب في فلسطين ، واستعادة الدولة اليهودية ، وإعادة بناء الهيكل ، وإقامة عرش داود في القدس ثانية وعليه أمير من نسل داود)⁽³⁾. وقد ورد للحركة الصهيونية مفهوما آخر ، فجاء شرح لهذه الكلمة "صهيونية" ، (ينبغي لليهود أن يجمعوا أمرهم ، وأن يقدموا إلى القدس ويتغلبوا على قوة الأعداء ، وأن يعيدوا العبادة إلى الهيكل ، مكان المسجد الأقصى ، وقيموا أملاكهم هناك)⁽⁴⁾.

وفي هذا التفسير نجد هدف الصهيونية ، وهو تجميع اليهود من الشتات في مكان واحد وهو فلسطين دون سائر الأمكنة واستعادتها من جديد ، وإقامة دولة هناك وبناء واتخاذ هيكل سليمان مكان مقدس لعبادتهم ، وعودة مملكة داود في القدس ، وإعادة مجد اليهود ثانية . ويعطي الفكر الصهيوني تعريفا لهذه الحركة : (هي الحركة اليهودية الوطنية في العهد الجديد ، وهذه الحركة تؤيد عودة الشعب إلى صهيون ، إلى وطنه التاريخي أرض إسرائيل وإقامة دولة يهودية حرة ومستقلة ، وتحديد حياة الشعب اليهودي ، الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية)⁽⁵⁾.

1. سفر المزامير ، الإصحاح 9 ، الفقرة 11 .

2. سفر المزامير ، الإصحاح 149 ، الفقرة 2 .

3. أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبني ، المرجع السابق ، ص 250 . نقلا عن : دائرة المعارف البريطانية ، (1936م) ، مج 27 ، ص 986-987 .

4. عبد العزيز بن مصطفى كامل ، المرجع السابق ، ص 161 . نقلا عن : دائرة المعارف البريطانية ، (1964م) .

5. فيصل دراج ، التلفيق والعوانية في الإيديولوجية الصهيونية : <http://www.wahdah.net/zionideology.htm> .

كما ورد هناك تعريف بسيط وجامع للصهيونية ، فكانت هي استقرار بني إسرائيل في فلسطين ، ومساندة اليهودي في القول والفعل ومساعدتهم مساعدة مادية ، فاليهودي هو الصهيوني الذي يفضل العيش في فلسطين وهو من يساعد اليهود للاستيطان فيها⁽¹⁾.

ونستطيع القول أن الصهيونية حركة يهودية سياسية ودينية ، أو بالأحرى وظفت الدين في خدمة أغراضها السياسية وجعلته ذريعة في تنفيذ ما تصبوا إليه ، فهي ذات بعدين سياسي وديني ، وقد غلب عليها هذا الأخير ، واتسمت به في بداية ظهورها ، وطبعت به أكثر من الجانب الأول الذي وظف فيما بعد.

ج- العلاقة بين الصهيونية واليهودية

وعند الحديث عن الصهيونية لابد من توضيح وبيان إذا كان هناك فرق بين الصهيونية واليهودية ، وفي هذا نجد اختلافا بين الباحثين فمنهم من ذهب إلى التفريق والتمييز بينهما واعتبر اليهودية ديانة والصهيونية حركة سياسية. وهناك من ذهب إلى عدم التفرقة بينهما⁽²⁾.

ولقد أصبحت اليهودية بعدما كانت عقيدة دينية صارت مذهبا سياسيا ، ثم اختلطت اليهودية بالصهيونية ، فكانتا اسما لمسميين ، ولا يمكن للبشرية الخلاص منهما إلا إذا خلصت من اليهودية وتحررت منها⁽³⁾.

فكانت اليهودية تمثل الديانة والصهيونية تمثل المذهب السياسي ، وعلى هذا الأساس نقول أن اليهودية استعملت الصهيونية كغطاء وأداة في توجيهها واعتمادها كوسيلة للوصول إلى غايتها وأهدافها ، ومن أجل التوسع والاستيطان والاستيلاء على أراض الغير ، مع تمسكها بالمرجعية الدينية لتنفيذ ما نصت عليه التوراة والعودة إلى أرض الميعاد ، وأصبحت ذات أهداف استيطانية وتوسعية ، تسعى إلى الخروج عن نطاق فلسطين وحدودها إلى مناطق أخرى.

1. أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 135 .

2. أنظر : أحمد عبد الغفور عطار ، اليهودية والصهيونية ، المرجع السابق ، ص 8 . أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 135 . عبد

الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، (الجزائر : قصر الكتاب ، د.ط ، 1989م) ، ص 171 .

3. طلعت رضوان ، الصهيونية بذور سوداء داخل ديانة قديمة ، مجلة الكتاب العربي ، (الكويت : وزارة الإعلام ، ط 1 ، 15 أبريل

2004م) ، ص 64 .

2- نشأة الحركة الصهيونية ومراحلها

وكما اختلف الباحثون في تعريفها وانتمائها اختلفوا أيضا في جذورها ونشأتها ، وهل هي قديمة أم حديثة ، وإذا كانت ذات جذور قديمة فما هي الدلائل على ذلك ؟.

وعن نشأة الحركة الصهيونية يذكر أحد الباحثين أنها ذات جذور قديمة قدم الأفكار اليهودية في التعلق بصهيون ، وارتباطها ملتصق بدولة داود عليه السلام وهذه الأهداف غير مرتبطة بالدين لأنه ليس في تاريخ اليهود ارتباط ديني ، إنما ارتبطت هذه الأهداف بالمصلحة والسياسة أكثر⁽¹⁾.

وقد درج كثير من المؤرخين والباحثين على اعتبار أن الحركة الصهيونية قد بدأت في القرن التاسع عشر مع مؤسسها الأول ، وهي ليست حركة قديمة بل حديثة ، غير أننا نستطيع القول أن الحركة في العصر الحديث وضعت الإطار الشرعي لها ، وأصبحت منظمة ومنتظمة وفق معطيات وخلفيات سابقة ، وتبدو أكثر استقرارا في بث أفكارها ، بل والعمل على ذلك من خلال خططها وبرامجها ، وأصبحت تشكل تنظيمات ومؤتمرات خاصة بها ، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون ذات جذور قديمة تأصلت عند اليهود من جراء ما عانوه من اضطهاد وسيطرة ، وعدم السماح لهم بممارسة حقوقهم و شرائعهم ، ومورست عليهم جرائم ومنعوا من العيش بسلام ، بل عاشوا مهددين من حين لآخر ، فتارة تحت حكم الأشوريين والبابليين في المنفى ، وتارة تحت ظل الحكومات والإمبراطوريات الكبرى ، وفي الأخير الشتات والتفريق في أرجاء العالم ، أليس ذلك كاف أن تتكون جراء ذلك أفكار ومعتقدات متحررة تطالب برفض العناء ، والاستقرار في مكان واحد والعيش كالغير ؟ أليس هذا كافيا في ظهور محاولات من أجل التجمع في وطن واحد وتحت ظل حكم واحد ، وفي مجتمع يهودي خالص يضم أفراد يهودا فقط ، بدلا من التشكيلات المختلفة الغربية ، وعلى هذا الأساس نقول أن الحركة قديمة ومرت بأدوار عديدة ، ونذكر أهمها كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين⁽²⁾ في تحديد هذه الأدوار .

1. صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 185.

2. انظر : أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 135 - 136 . عبد الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، المرجع

السابق ، ص 157 - 158 . صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ص 162 - 164.

وقد ذهب أحد الباحثين في تلخيص البداية الأولى لمرحلة من مراحلها ، وذلك بعودتها إلى النبي موسى عليه السلام الذي عد في نظر اليهود أول قائد للصهيونية ووضع أسسها باعتباره أول من تولى قيادة بني إسرائيل وأخرجهم من مصر إلى فلسطين ، الذين دخلوا من بعد موسى إلى هذه الأرض وتعرضوا أثناء وجودهم هناك إلى محن كثيرة وأخرجوا منها عدة مرات ، وفي كل مرة حاول بعضهم العودة إلى أرض الهيكل وكان هؤلاء هم الصهيونيون⁽¹⁾.

ومن أهم المراحل والأدوار التي عرفتتها الحركة الصهيونية قبل ظهورها إلى الوجود وقبل اتخاذ شكلها الحديث والمنظم ، ظهور حركات سعت إلى وحدة اليهود وتجميعهم في فلسطين منها :

- حركة المكابيين التي تحدثنا عنها سابقا والتي ظهرت بعد السبي البابلي ، وكان هدفها العودة باليهود إلى فلسطين وتجميعهم تحت سيادة واحدة مستقلة وبناء الهيكل .
- حركة باركوخبا التي ظهرت أثناء الحكم الروماني كما رأينا سابقا ، وكان هدفها كسابقتها العمل على العودة والسعي على تجميع اليهود في فلسطين ، وتعيين ملكا عليها ، يكون من نسل داود .

- وكان من بين الحركات أيضا حركة موزيس الكريتي وكانت مثل حركة "باركوخبا" ، وهذه الحركة لم تنجح مثل سابقتها.

ثم عرف اليهود مرحلة ركود وتضاءل النشاط اليهودي بسبب المعانات التي لاقوها خلال هذه الفترة ، ولذلك لا نجد أية نشاطات لحركات صهيونية تطالب بإعادة دولة اليهود في فلسطين⁽²⁾.

- ثم جاءت بعد ذلك حركة تدعى حركة دافيد روبين (1501-1532) في القرن الخامس عشر ، ولم تدم طويلا فسرعان ما انتهت⁽³⁾ ، ولم تكن ذات أهمية بالنسبة للعالم ، ولم تعتبر حدثا مهما يذكر ، وقد فشلت ولم تستطع المواصلة والاستمرار ، وهدفها كغيرها ممن سبقها.

- ثم ظهرت بعد ذلك حركة قادها منشى بن إسرائيل (1604-1657م) في القرن السابع عشر والتي كانت تسعى إلى توطين اليهود وتجميعهم ، وقد حددت الوطن الذي تريد الاستقرار به .

1. أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 135-136 .

2. عبد العزيز بن مصطفى كامل ، قبل الكارثة نذير .. ونفير ، المرجع السابق ، ص 163 .

3. أنظر : صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ص 194 .

فكان يسعى منشى بن إسرائيل إلى توطين اليهود في بريطانيا من أجل إعادتهم إلى فلسطين ، والظاهر أن هذه الحركة كانت توطئة لإعادتهم إلى فلسطين ، ويبدو أن هذه الحركة كانت البذرة الأولى والتي مهدت لظهور الصهيونية الحديثة التي نمت في بريطانيا ، وتمكنت في ظرف ثلاثة قرون أن تكسب تأييد بريطانيا لصالحها لتحقيق أغراض اليهود (1).

- وجاءت حركة شيبثاي ليفي (1626-1676م) وقد كانت هذه الحركة عنيفة ومستعصية ولم تحقق نجاحا في قيادة اليهود سياسيا وتوجيههم إلى العمل المنظم من أجل الوطن القومي (2). وكان صاحب هذه الشخصية أن ذهب به الأمر إلى الادعاء بأنه المسيح المنتظر ، وكانت هذه الحركة تنادي بتجميع اليهود في أي مكان من أرض العالم ، يقودها قادة اليهودية ومفكر يهم ، وتسخير ما أمكن تسخيره لتحقيق ذلك .

يبدو أن هذه الحركات وما عملت من أجله لإحياء اليهود من جديد وتجميعهم في الوطن القومي كانت غير منظمة ، ولم تلق التأييد والمساندة من طرف الحكومات الغربية أو من جهة اليهود أنفسهم ، وأعلنت هذه الحركات فشلها حتى أن بعضها انتهى عمله في بداية ظهوره وبعضها الآخر استمر مدة ثم فشل ولم يكتب لها النجاح .

المطلب الثاني : أسباب ظهور الحركة الصهيونية وفكرة الوطن القومي

1- أسباب ظهور الحركة الصهيونية

وأمام هذه البدايات الأولى لظهور هذه الحركة أو ما نستطيع أن نسميه المحاولات والنداءات من أجل الدعوة إلى تأسيس وطن يهودي ، نأتي للحديث عن تلخيص أهم المؤشرات ، مع العلم أن لكل ظاهرة أو حركة أسباب ظهور وعوامل فهي لا تنطلق من عدم ، بل مهدت وهيأت لها ظروف دعت إلى تحريكها وساهمت في إعدادها ، وهيأت لها المناخ للانطلاق وبت أفكارها في الفكر اليهودي ومفكريهم ومثقفهم أو عامتهم ، وعملت هذه الحركة لإعداد أجيال من اليهود يتقبلون

1. عبد الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، المرجع السابق ، ص 158 .

2. صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ص 194 .

ما نادى به ، وخاصة أنها جوهت برفض شديد من طرف الكثير من اليهود في بدايتها ، وهذه الأفكار اكتسبتها من المجتمعات التي عاشت بين ظهرانيتها ، وظهرت الفترة التي حصل فيها نوعا ما شبه اندماج الجماعات اليهودية والجماعات الأوروبية ، وقد تركزت هذه الحركة في أوروبا خاصة دون سائر الأمكنة ، وهذه الحركة كغيرها ساعدتها عدة عوامل وأسباب .

- تغير الأنظمة

وقد أرجع ظهورها إلى عامل انخيار النظام الإقطاعي وما خلفه من ظروف أثرت على بعض القوى ، وساعدت على ظهور أنظمة جديدة كان لها الأثر البالغ على الجماعات اليهودية ، فكان لابد من تقديم شرح مختصر لأهم الظروف الاقتصادية والسياسية.

عرفت الجماعات اليهودية في ظل النظام الإقطاعي تقدما ومارست التجارة ، غير أنها بقيت على هامش المجتمعات الأوروبية ، ومع بداية ظهور القرن الثاني عشر بدأت ملامح الانخيار تظهر على هذه المجتمعات الإقطاعية لعدة أسباب اقتصادية وسياسية منها حركة العمران الواسعة ، وارتفاع حجم التجارة الدولية ، ونمو الصناعات المحلية ، وظهور الملكيات المستقلة عن الإقطاعيين والحملات الصليبية ، وقد أثر هذا الوضع على اليهود وظهرت الكثير من التكتلات الدولية مكان اليهود ، الأمر الذي جعلهم يلتفون حول التجارة الداخلية و الإقراض بالربا ، ونتيجة لظهور المصارف و التجار المحليين انعكس ذلك سلبا على اليهود وأخذوا يفقدون أعمالهم ، وحل مكان التاجر والمرابي اليهودي الأوروبي ، وأصبحت الجماعات اليهودية تمثل عالة ثقيلة على أوروبا وظهر ما يسمى بالمسألة اليهودية نتيجة ما حدث لأوروبا من تطورات وتغير النظام الإقطاعي إلى نظام رأس مالي ، وهذا ما يوضح ما لاقاه اليهود من طرد ، خاصة في فرنسا في القرن الثاني عشر ، مما اضطر اليهود إلى الهجرة إلى مجتمعات إقطاعية ، والهجرة إلى وسط وشرق أوروبا وخاصة إلى بولندا⁽¹⁾.

ويتبين من ذلك أن اليهود أصبحوا يعيشون على هامش الأحداث ، بل بعيدين عن وظائف التجارة بعد أن كان لهم دور في ممارستها في ظل النظام الإقطاعي ، وكانت تغير الأنظمة لها دور كبير في إبعاد اليهود من المجتمعات الأوروبية.

1. عبد الفتاح محمد ماضي ، الدين والسياسة في إسرائيل " دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية " ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ط1 ، 1999م) ، ص 94-95 .

- الجيتو

بعد حلول النظام الرأسمالي تغير وضع اليهود بسبب ما نتج عن هذا النظام وما فرضه من الاستغناء عن خدمات اليهود ولم يعد بحاجة إليهم ، ولم يكن ذلك لصالح اليهود ولا يخدم أغراضهم بل يعرضهم للخطر ، فكانت أوروبا البلد الذي احتوى عددا كبيرا منهم وعاشوا هناك فترة طويلة متأثرين بما يحدث فيها ، غير أننا نجد أن بعضهم فضل الدخول فيما يطلق عليه الجيتو⁽¹⁾ والانعزال عن الشعوب ، وعدم الاندماج معهم أو الاختلاط بهم ، غير أن هذه العزلة كانت من طبيعة اليهود التي عرفناها من خلال تاريخهم ، فكانوا يرون أنفسهم أهم شعب الله المختار وأنهم فوق الجميع يفوقونهم في كل شيء ، ومن ثم لا ينبغي لهم الاختلاط بمؤلاء الشعوب الدونية .

وكانت التوراة ترجع هذه العزلة إلى فترة إقامة بني إسرائيل في مصر عندما استدعاهم النبي يوسف للإقامة هناك ، حيث أعطيت لهم أرض خاصة بهم من طرف فرعون مصر للرفع من شأنهم ، واستمر الحال على ذلك حتى جاءت فترة عرفوا فيها العمل ، فعدوا ذلك عبودية ففضلوا الخروج ، وأن وجودهم في المجتمعات القديمة والوسيطه اتخذ أشكالا "حارة اليهود في مصر" و"قاعة اليهود" في اليمن و" الملاح " في المغرب ، واتخذت مناطق الانعزال أسماء مثل الشتل⁽²⁾ والقاهال⁽³⁾ في أوروبا⁽⁴⁾.

1. الجيتو : والمقصود به الحي الخاص بإحدى الأقليات الدينية أو القومية ، وتسمية الجيتو تتعلق بأحياء اليهود في أوروبا ، وله معنيان عام وخاص ، فالأول يعني مكان يعيش فيه فقراء اليهود دون قصر من جانب الدولة ، أو حي اليهود بشكل عام ، وتاريخه يعود إلى الإمبراطورية اليونانية والرومانية ، وأما الثاني وهو الشائع والذي يقصد به المكان الذي أجبر اليهود على العيش فيه ، وقد استخدمت الكلمة بهذا المعنى للإشارة إلى جيتو البندقية "1516" وأصل الكلمة غير معروف ، ويقال إنها حي اليهود في البندقية ، ويقال أيضا أن الكلمة مشتقة من الكلمة الألمانية "جهكتر أورت" التي تعني المكان المحاط بالأسوار أو هي من الكلمة العبرية "جت" أو "جيط" بمعنى الانفصال أو الطلاق . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج4 ، ص 2113 .
2. الشتل : كلمة ييديشية (اليديش : عبارة عن خليط من الألمانية وبعض اللهجات السلافية والأرامية والعبرية وتكتب بالحروف العبرية) تعني "المدينة الصغيرة" ، وهو عبارة عن تجمع سكاني من اليهود يتراوح بين ألف وعشرين ألفا ، وكانت الحياة تدور فيه حول المعبد اليهودي ، والمنزل اليهودي ثم السوق الذي يلتقي فيه اليهود بالأغيار . أنظر : رشاد عبد الله الشامي ، الشخصية الإسرائيلية والروح العدوانية ، (بيروت : سلسلة علم المعرفة ، د.ط ، 1986م) ، ص 13 .
3. القاهال : كلمة عبرية تعني جمهورا أو جماعة كبيرة من الناس في مكان واحد ، أو الطائفة اليهودية في إحدى مدن الشتات اليهودي ويعني بها الخلية الأساسية لتنظيم حياة اليهود في منطقة إقامتهم ، وكانت مهام القاهال مشابهة لمهام الدولة تجاه مواطنيها ، وتعتبر تجسيدا للحكم الذاتي من قبل الحكومة . أنظر : المرجع نفسه .
4. المرجع نفسه ، ص 12 - 13 .

فكان الجيتو يمثل الأحياء أو الحارات أو الشوارع التي يقيم بها اليهود ، وكانت عبارة عن أمكنة خاصة بهم وحدهم دون سائر الشعوب.

وقد تحولت هذه العزلة الاختيارية بعد أن أصدر البابا بولس الرابع (1550-1559) نشرة بابوية في عام 1555 تنص على إنشاء أحياء لليهود لكن تحت عزلة إجبارية ، وأمام هذا الإجراء اضطر يهود روما إلى نقل محل إقامتهم إلى الأحياء الجديدة المعزولة عن المدينة ، وانتشر هذا الاستحداث في مختلف المدن الواقعة تحت سلطة البابوية ، غير أن هذه العزلة كانت قائمة من قبل هذا القرار لأسباب دينية⁽¹⁾.

فالدخول في العزلة بقدر ما هو إيجابي يتمثل في المحافظة على الدين والشخصية اليهودية والإبقاء على العادات والتقاليد ، بقدر ما هو سلبي يتمثل في إبعاد اليهود عن الشعوب الأوروبية ، بل إثارة الشبهات حولهم وملاحقتهم ، وبقى الخوف ينتاب شعوب أوروبا من اليهود ، فحرصوا على مراقبتهم حذرا من التخطيط لأي مشروعات تستهدف أوروبا .

وقد خلف الجيتو نتائج منها اندماج اليهود بالمسيحيين فزاد من الشبهات حول اليهود ، ونظرا لقيود التوسع في مساحة الأحياء ازدادت نسبة الكثافة السكانية ، مما أثر على المستوى الاجتماعي لليهود وتفشي الأمراض وتراكم الأوساخ ، مما زاد انفصال اليهود عن غيرهم وتفضيل الانعزال داخل أسوار الجيتو التي يحسون بالاطمئنان داخلها ، وكان عليها حراس مسيحيون يلزمونهم بدفع أجورهم وكانت تغلق هذه الأسوار بالليل وفي المناسبات الخاصة، وظن اليهود أن الجيتو هو الذي يقيهم ويحفظ شريعتهم، وقد قلل العزل الإجباري من نشاط اليهود في مجال التجارة الدولية فانتشر الفقر بينهم⁽²⁾.

وقد نشأ في ظل العيش في أحياء الجيتو فكرة الاستعلاء وتفوق الجنس اليهودي والنقاء العرقي وأنهم أفضل الشعوب بل شعب الله المختار ، وباقي الأمم تطلق عليهم جوييم⁽³⁾ ، وعدم الاختلاط

1. رشاد عبد الله الشامي ، المرجع السابق ، ص 18 .

2. المرجع نفسه ، ص 19- 20 .

3. الجوييم : كلمة عبرية مفردتها "جوى" ، وأصلها غير معروف ، ويرى بعض العلماء أنها جاءت من أصول غير سامية ، واستخدمها العبريون قديما بمعنى الهوام والحشرات ، مكررة مرتين للتوهيل ، فكانوا يقولون "جوى - جوى" ، ومن هذا التركيب بقي في اللغة العربية لفظ "غوغاء" ، ومعناه أيضا جموع الجراد ونموه من الحشرات ، ثم انتقل إلى معنى الكثير المختلط من الناس ، ثم أصبح يدل على السوقة والأشرار بصفة خاصة . أنظر : المرجع نفسه ، ص 35 .

وعدم مشاركة الشعوب الأخرى في الحياة العامة ، وهذا ما ساعدهم على الاحتفاظ بشريعتهم وتقاليدهم ، وقد ساعدهم هذا الوضع على التماسك والاندماج مع بعضهم البعض وتصورهم بأنهم يشكلون جماعات يهودية خالصة ، فالجيتو غير من نظرة الشعوب الأخرى التي رفضت التعاون معهم وأثر ذلك سلبا عليهم وأضعفهم نوعا ما .

وهذه العزلة تميز بها يهود أوروبا الشرقية التي كانت في بدايتها اختيارية ثم تحولت إلى إجبارية كما ذكرنا ، وأما يهود أوروبا الغربية فعاشوا على عكس حياة يهود الشرق ، واختلطوا بالشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها ، وفضلوا الاندماج على الوحدة والعزلة ، فنشأ عدم ترابط بينهم وبين يهود الشرق ، وظهر انفصال بينهما نتيجة لإختلاف أفكارهم وتباعدها .

إن الاختلاط والانصهار الاجتماعي الذي عرفه يهود أوروبا الغربية يرجع إلى الحياة الاقتصادية والثقافية التي عرفوها ، فكان هؤلاء اليهود غير مباين بتلك الأحياء ، ودليل ذلك ما أصدر عن المؤتمر الحاخامي الخامس في مدينة بتسبورغ "الولايات المتحدة" الذي جاء فيه "نحن اليهود لا نعتبر أنفسنا أمة بعد اليوم ، بل جماعة دينية ، ولذلك لا نتوقع عودة إلى فلسطين ، ولا استرجاعا لأي من القوانين المتعلقة بالدولة اليهودية ، إن أمريكا صهيوننا"⁽¹⁾ .

إن هذا النص أنكر فيه اليهود أنفسهم أنهم يمثلون أمة ، بل قزموا من شأنهم وجعلوا أنفسهم جماعات دينية فقط ، لا تريد العودة إلى فلسطين أو استعادة أية قوانين متعلقة بهم ، وقد أثر هذا الرفض وعدم الاعتراف بالقومية اليهودية والاندماج في بعض الشخصيات التي نادى بهذه الأفكار ، وقد كان من بينهم الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان⁽²⁾ "الذي أصيب بخيبة أمل وإحباط لهذا الرفض .

1. عبد الغني عمار ، الصهيونية وإشكالية بناء النموذج : <http://www.wahdah.net/sahyouni.htm-36k> .

2. حاييم وايزمان (1864-1952): (hayyim weizmann) : هو زعيم صهيوني ، عالم كيميائي ، وأول رئيس لدولة إسرائيل ، ولد

في روسيا في منطقة الاستيطان وتلقى تعليما دينيا تقليديا ، درس العهد القديم ، وتلقى بعد ذلك تعليما علمانيا ، وقد أخذ الدكتوراه من ألمانيا واشتغل بالتدريس في سويسرا ثم ألمانيا ، ساهم في تأسيس الجامعة العبرية وأحد المعاهد العلمية في فلسطين ، وقد تمكن أثناء اشتغاله بجامعة مانستتر ، كما تمكن من جمع مجموعة من الصهاينة اليهود الذين كثفوا النشاط الصهيوني وكونوا نواة الحركة الصهيونية . انظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج6 ، ص 334 .

وقد ساعد على هذا الاندماج ما خلفته الثورة الفرنسية من مبادئ العدالة والحرية والمساواة التي أثرت في حياة اليهود ، وتوسع هذا الاندماج ليشمل حتى الشرائح الفقيرة والدونية من اليهود .

- حركة المهسكالاه

ظهرت في ظل هذه الأوضاع التي ذكرناها سابقا حركة يهودية انطلقت من ألمانيا والتي كانت الأرضية لنشاطها ، ويطلق عليها المهسكالاه⁽¹⁾ أو حركة التنوير اليهودية أو حركة الإصلاح الديني ، والتي كان لها دور كبير في إحداث تغيير في الفكر اليهودي في أوروبا ، وقد تزعم هذه الحركة موسى مندلسون⁽²⁾.

وقد وضع لهذه الحركة وجهة جديدة في الفكر اليهودي وأعطى من خلالها نظرة تدعو إلى التخلي عن أفكار الجيتو والاختلاط مع الشعوب الأخرى ، وقد دعا إلى اعتقاد ديانات الآخرين حسب ما يناسب شخصياتهم المختلفة ، وأشار إلى أن اليهود المتدينين باستطاعتهم أن يصبحوا مخلصين للوطن المقيمين فيه⁽³⁾.

دعا مندلسون إلى اختلاط اليهود مع الشعوب واندماجهم معها والأخذ بعاداتهم وثقافتهم ، وأن يكونوا مواطنين موالين لهؤلاء الشعوب .

وقد تبنت حركة المهسكالاه مجموعة من الأفكار والمعتقدات ، بل وحاربت حركة الاستنارة فكرة المسيح المنتظر الذي سيأتي بالخلاص ، ويخلصهم ويعيدهم إلى الأرض المقدسة ، ومن ثم فالخلاص يحصل من اليهود أنفسهم دون انتظار مخلص ، واعتبرت حركة اندماجية تطالب باندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها ، والحصول على حقوقهم المدنية وفصل الدين عن الدولة.

1. الهسكالاه (1750-1880م): كلمة عبرية مشتقة من "سيخيل" ومعناها عقل أو ذكاء ، ثم اشتقت منها كلمة "سيكيل" بمعنى نور ثم

استخدمت الكلمة بمعنى إنارة والاسم منها "مسكيل وجمعه "مسكليم" ، أنظر : المرجع نفسه ، مج3 ، ص 1136.

2. موسى مندلسون (1729-1786م) : (moses mendelson) : راند حركة التنوير اليهودية ولد في دساو "ألمانيا الوسطى" ، تلقى

تعلوما تقليديا على يد حاخام ثم سافر إلى برلين حيث درس الطب والفلسفة واللغات اليونانية واللاتينية والإنجليزية والفرنسية ، واشتغل مدرسا خصوصيا وعمل محاسبا ، وقد تأثر بمفكري عصر العقل والاستنارة والفلاسفة الربوبيين الذين يؤمنون بالخالق دون إيمان بأي دين ، وقد دخل مرحلة فكرية ظهر فيها اهتمامه باليهود واليهودية وعمل على القضاء على العزلة الفعلية والنفسية لليهود ، وعلى

تحطيم الجيتو العقلي الداخلي اليهودي ، أنظر : المرجع نفسه ، مج3 ، ص 1147 .

3. رشاد عبد الله الشامي ، المرجع السابق ، ص 41.

وقد أثارت تلك الحركات اليهودية مجموعة من التساؤلات منها كيف يكون الشخص يهوديا بالتوراة والتلمود⁽¹⁾ ، وفي نفس الوقت ألمانيا أو فرنسا مخلصا للوطن ويعيش في ظل حضارة مختلفة عما وردت في كتبه المقدسة ؟ ، وكيف يوفق اليهودي بين العلمانية التي جعلت اليهود مواطنين في أوروبا وبين الدين اليهودي الذي يفرق بين اليهود وغيرهم من الشعوب⁽²⁾.

فكان من الصعب لدعاة هذه الحركة أن يحدثوا تغييرا لأفكار ألفها اليهود مدة طويلة في ظرف فترة من الزمن ، وأن يثبوا أفكارا في الفكر اليهودي وهو ما لا يتقبلوه نوعا ما ، بل ويرفضون فكرة الاندماج على الأقل في هذه الفترة وفي ظل هذه الأوضاع والظروف ، وإن كان بعض اليهود قد تبني هذه الأفكار وقبل بها.

وقد نشأ صراع بين يهود الشرق والغرب ، فكان يهود الشرق يتشبثون بالمرجعية الدينية اليهودية ، واعتبار أنفسهم أنهم يمثلون شعب الله المختار ، ويحق لهم الاستيطان وطرده سكان الأرض ، وهي حقوق كما يعتقدون أنها مستمدة من إله بني إسرائيل ، وفي المقابل نجد يهود الغرب يرفضون هذه المرجعية ، ويوافقون على حق المواطنة ورفض التوسع على حساب أرض الغير .

- اللاسامية

وأمام هذا الوضع واعتبار اليهود أنفسهم منفصلين عن الشعوب الأخرى ونعتها بالجويم واحتقارهم من طرف اليهود ، نشأت بعض الحركات والمذاهب يطلق عليها اللاسامية⁽³⁾ تعتبر كردة

1. التلمود : هو الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية الشفوية ، أو هو الكتاب العقائدي الذي يفسر ويبسط كل معارف الشعب الإسرائيلي وتعاليمه وقوانينه الأخلاقية وأدابه ، ويتكون من المشنا وهو الجزء الأول للتلمود ، والجمارا تكونت من مناقشات ومناظرات علمائهم حول محتويات المشنا ، وقد دونت هذه التفسيرات وأضيفت إلى المشنا كجزء جديد ، وهي تمثل الشرح والتعليق . انظر : محمد عبد الله الشراقي ، الكنز المرصود في فضائح التلمود ، (بيروت : دار عمران ، ط1 ، 1414 هـ - 1993م) ، ص 11 ، 16 ، 20 .

2. عبد الغني عمار ، الصهيونية وإشكالية بناء النموذج : <http://www.wahdah.net/sahyouni.htm-36k> .

3. اللاسامية (معاداة السامية) : مصطلح أوروبي حديث يشار به إلى معاداة اليهود ، استخدمه للمرة الأولى الصحفي الألماني وفيلهم مار عام 1873م في كتابه " انتصار اليهودية على الجرمانية " وانتشر بسرعة في سائر أنحاء أوروبا ودخل كل اللغات الأوروبية ، فاللاسامية كما تبلورت في القرنين التاسع عشر والعشرين تختلف نوعا عن العداء المسيحي لليهود ، إن احتواء هذا المصطلح على كلمة " السامية " أو " الساميين " يدل على علاقته الاستعمارية في أوروبا ، وكانت تلك الإيديولوجية تقول بتقسيم الإنسانية إلى عناصر متميزة بعضها عن بعض . انظر : عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، ج5 ، ص 379 .

فعل إزاء ما نعتوا به وناهضت اليهود وحاربتهم بأفكارها ، وكانت تتكون من مفكرين أوروبيين ، ووليدة مشاعرهم اتجاه اليهود .

إن العداة للسامية قدم فبعد الشتات اليهودي في العصر الروماني عاش اليهود في عزلة كما نصت كتبهم المقدسة ، وهذا ما جعل اليهود ذو أساليب عدائية ، الغاية منها إفساد وتخريب المجتمعات ، ومن هنا ظهرت فكرة العداة للسامية التي ارتبطت بفكرة العداة لليهودية أثناء سلطان الكنيسة الكاثوليكية⁽¹⁾ ، ولأن ما تلقنه اليهود من التلمود "أسلوب الاتخاذ من الضعف قوة" وادعاء "كراهية الشعوب لليهود" فكان لزاما التمسك بهذا العداة القديم مع جعله تحت تسمية جديدة وهي "العداء للسامية" حسبما يتوافق مع العصر⁽²⁾.

إن الجنس السامي لا يقتصر فقط على اليهود بل على أمم وشعوب أخرى منها الأمة العربية ، وقد استغل اليهود هذا الوضع ووجهوا للعالم بأن هذا العداة لليهود هو عداة للجنس السامي . إن هذه الظاهرة استخدمها اليهود لمواجهة كل من يقف في طريق تحقيق أهدافه وأهداف الصهيونية والماسونية⁽³⁾ و هذا السلاح كان مسلطا على البشر ، وخاصة من يهود الخزر⁽⁴⁾ الذين أتوا من شرق وجنوب شرقي أوروبا ولا علاقة لهم بالجنس السامي، وهم يشكلون أغلبية اليهود⁽⁵⁾.

1. الكاثوليكية : مذهب المسيحيين الذين يعتبرون بابا روما زعيمهم الروحي وهو يعتبر خليفة القديس بطرس ، يضمن وحدة الكنيسة في المكان وهيبتها في الزمان ، ولأنه يمثل هذه الوحدة فهو في نظر الكاثوليكين ، معصوم عن الخطأ في كل ما يتعلق بشؤون الدين . أنظر : المرجع نفسه ، ج5 ، ص 20.
2. عبد الفتاح محمد ماضي ، المرجع السابق ، ص 98.
3. الماسونية : تطرح نفسها على أنها مؤسسة إنسانية وجمعية فكرية تسعى إلى استقطاب " ذوي النفوس الحرة والأخلاق الحسنة " الراغبين في العمل من أجل تحسين الشروط المادية والمعنوية والبشرية ، والارتقاء بها إلى مستوى ثقافي وحضاري أرفع ، وتطمح إلى أن تكون شمولية ، حيث لا تتخطى الحدود السياسية والجغرافية ، بين الأقطار والأمم فحسب وإنما أيضا الحواجز العقائدية الفاصلة بين الأديان والأحزاب وقد نجحت في تحقيق هذا الهدف. أنظر : عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، ج5 ، ص 657.
4. الخزر : وكانت أكبر الكتل المتهودة وهم من الأتراك المغول وطنه في بلاد الخزر الواقعة في جنوب روسيا في جوار مصب نهر الفولغا في بحر الخزر (بحر قزوين) ، فقد اعتنق أكثر أهلها الدين اليهودي في العصور الوسطى ، بعد اعتناق أميرهم اليهودية وبقيت تمارس الديانة اليهودية بحرية هناك حتى أواخر القرن العاشر ميلادي . أنظر : أحمد سوسة ، المرجع السابق ، ص 88.
5. عبد الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، المرجع السابق ، ص 173 .

إن نتيجة تغير الأوضاع والظروف الاقتصادية في المجتمع ، وما آلت إليه النظم الجديدة وما حل بها من تطور وتقدم في مسارها ، وما عرفه اليهود من تخلف إذا قورن بما عايشه من تحظر ، كان لزاما على اليهود أن يبحثوا عن نظام بديل ، أو المغادرة إلى شرق أوروبا التي ما زالت تحتفظ بنظامها القديم آنذاك ، والعيش في أحياء الجيتو خوفا من طمس شخصياتهم ، والخوف من القضاء على كياناتهم والاندماج في المجتمع ، بل الانصهار والذوبان فيه ، بالإضافة إلى انتشار موجات الاضطهاد التي عانى منها اليهود في أوروبا والضغط عليهم ، فأدى إلى ظهور فكرة القومية والبحث عن وطن يهودي ، ومن ثم العودة إلى جبل صهيون مع حركات التوسع الواسعة التي انتشرت من الحركات الاستعمارية ومطامعها الكبيرة ، وتجدر الإشارة إلى أن وضع اليهود كان مختلفا وهم بالبلاد الإسلامية ولم يكن حالهم كهذا ، فقد كانوا في العهد الإسلامي يتمتعون بممارسة حقوقهم ، لكن مع دفعهم الجزية ، ولم يتعرضوا للمعاناة كما بدا في أوروبا ، بل عاشوا تحت ظل رحمة وسماحة الإسلام يعاملون باحترام ، وعرفوا هناك الأمن والسلام والإستقرار.

- أحباء صهيون (1882)

وأمام هذه الظروف والأسباب التي ساعدت على ظهور الحركة الصهيونية بصفة رسمية ، نجد هناك من لا يعترف بهذه الأسباب ، بل يعطي أسبابا أخرى⁽¹⁾ ، وهناك أوضاع ساعدت من جهة على ظهور بعض الاتجاهات ذات أفكار متشددة ومتطرفة تدعو إلى إعادة اليهود وإحيائهم من جديد فظهرت أحباء صهيون .

وقد كان مؤسسها الحاخام صموئيل موهليفر وظهرت في روسيا ثم عمت بعد ذلك دول أوروبا ، وسعت إلى استعمار فلسطين ، واعتبار اللغة العبرية لغة اليهود ، ونشر الفكر القومي⁽²⁾ .

1. يعطي صابر طعيمة تصورا آخر للظروف التي ساعدت على نشأة الحركة الصهيونية فيقول : (إن الظروف التي ساعدت على مولد الحركة الصهيونية ونموها ، لم تكن عوامل الاضطهاد الأوروبي لليهود ، بل إن المصادر المؤثرة في توجيه الحركة الصهيونية الحديثة هي فترات عدم الاضطهاد وانفتاحهم على الحياة العامة ، وتمكنهم من ممارسة حياتهم في ظل إرادتهم بتوجيه من تفكيرهم وحريرتهم ثم مراحل ازدهارهم وانطلاق تفكيرهم في خدمة أمانيتهم ومعتقداتهم) . أنظر : صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ص 188 .

2. جمال البدري ، السيف الأحمر " دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة " ، (دمشق : الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية ، ط1 ، 2003م) ، ص 85 .

فكانت تدعو إلى محاربة الاندماج ، وزرع خلق الإحساس القومي واستيطان فلسطين ، وهذا ما تصادم مع حركة التنوير التي كانت تدعو إلى نهضة اليهود ونموهم اقتصاديا واجتماعيا ليجددوا انتماءهم للدول التي يعيشون فيها ، فكانت الصهيونية أن طرحت نفسها كحل لليهودية ، ابتداء من جعل اليهود متميزين رافضين الاندماج أو العيش بسلام مع من يقيمون بينهم⁽¹⁾ .

وبذلك توجهت أنظار اليهود إلى فلسطين ، وفي اعتقادهم أنهم لا يمكنهم ممارسة نشاطهم في أي مجتمع خارج فلسطين ، واعتبارها الموطن الأول والأصلي لنشأتهم والذي لا يمكن الاستغناء عنه ، والعودة بذلك إلى شريعتهم من أجل إثبات أحقيتهم به .

2- دعاة الوطن القومي قبل تأسيس الحركة الصهيونية

سبقت تأسيس الحركة الصهيونية عدة أفكار ، بل ظهر مفكرون يسعون من أجل العمل للعودة إلى فلسطين ، وأنهم بحاجة إلى موطن أو أرض يجتمعون بها ويستقرون فيها بعد مرحلة الشتات التي سادت تاريخهم الطويل ، وبعد حملة العداة التي تحملها الشعوب نحو اليهود ، وبعد حركة الانغلاق في الجيتو وبعد الاضطهاد المستمر كان البحث عن وطن قومي .

- موسى هيس

كان من أبرز هؤلاء المفكرين اليهود الذين ظهوروا ونادوا بالموطن اليهودي ، خاصة في أوروبا الشرقية موسى هيس⁽²⁾ ، وكان من أبرز مفكر يهم ، ومن أكبر آباء الصهيونية عنصرية ومن دعاة القومية .

وقد أصدر موسى هيس كتابا يحمل عنوان " روما أورشليم " الذي تضمن ضرورة الاعتراف بوطنية الشعب اليهودي ، وأن أورشليم مركز لليهودية كما هي روما بالنسبة للكنيسة المسيحية الكبرى⁽³⁾ .

1. عبد الغني عمار ، الصهيونية وإشكالية بناء النموذج : <http://www.wahdah.net/sahyouni.htm-36k> .

2. موسى هيس (1812-1875) : (Moses Hess) : رائد الصهيونية ولد في ألمانيا وتلقى تعليما دينيا وتعلم العبرية واهتم بدراسة التاريخ ودرس الفلسفة في الجامعة وقد استقر في معظم حياته في باريس وكان له اتصال بالأوساط الاشرافية وعضو في أحد المحافل الماسونية . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج6 ، ص3365 .

3. عباس محمود العقاد ، المجموعة الكاملة ، (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ط1 ، 1978م) ، مج14 ، ص 86 .

وقد أثار في كتابه قضية صراع الأعراق وصراع الطبقات ، وذكر أن قضية المشكلات بين الشعوب فطرية وليست مكتسبة ، فكان هناك اعتراف صريح أن اليهود كشعب مواطن في فلسطين وأن عاصمتهم هي أورشليم .

- ليون ينسكسر

توالت بعد ذلك إصدار الكتب اليهودية الداعية للنهضة القومية ، وكانت مع المفكر اليهودي الروسي ليون ينسكسر⁽¹⁾ .

وقد أصدر كتابه "التحرر الذاتي" ، ولم يكن الشعب اليهودي متحمسا لهذا الكتاب بسبب عدم تحديد أرض الوطن واختيارها، رغم أنهم كانوا متحمسين للعودة إلى الأرض المقدسة ، واستمرت تلك المبادرات من طرفه ، فكان من مخلفاتها بناء أول استثمارات زراعية يهودية في فلسطين⁽²⁾ .

وقد استمرت تلك الكتابات التي تقترح معظمها إعادة توطين اليهود في فلسطين وتكريس جهودهم من أجل تحقيق ذلك المسعى .

وتجدر الإشارة إلى أن فلسطين كانت خاضعة للحكم العثماني في القرن الخامس عشر ، الذي تمكن من الاستيلاء على المشرق العربي خلال مدة أربعة قرون ، وكانت فلسطين ضمن ولايات الشام⁽³⁾ ، وذات رقعة جغرافية واحدة ولم تكن مقسمة على هذا النحو الذي نعرفه في القرنين الأخيرين .

1. ليون ينسكسر (1821-1891) : (leo pinsker) : طبيب روسي صهيوني وزعيم جماعة أحباء صهيون ، زوده أبوه بثقافة روسية علمانية وعرفه بالفكر حركة الاستتارة اليهودية كما تعلم اللغة الألمانية وقليلاً من العبرية ، وقد درس في مدرسة روسية ثم درس الحقوق في أوديسا ودخل جامعة موسكو ، وقد كتب عدة مقالات في مجلة أسبوعية يهودية ، وقام بجهود كبيرة كعضو في جمعية تنسية الثقافة بين يهود روسيا . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 6 ، ص 3302 .

2. درويش بن سيمون ، المرجع السابق ، ص 40 .

3. أما عن حدود فلسطين إبان الحكم العثماني ، تختلف عما كانت عليه سابقاً ، وجاء عنها (إن فلسطين الحالية لم تعرف الوحدة الجغرافية في الخلافة العثمانية وما قبلها ، بل كانت إما أن تقطع منها أرض أو مدن ، فتلحق بولايات أخرى ، أو كان يلحق بمدنها أرض أو مدن من ولايات أخرى ، وعندما رسم الإنجليز فلسطين حدودها الجغرافية الحالية ، لم يرسموها بناء على حقائق تاريخية أو دينية إنما يرسموها بناء على مصالح سياسية أثناء الحرب العالمية الأولى) . أنظر : غازي التوبة ، قضية فلسطين بين التأسيس الإسلامي والنصليات الأخرى : islamiyatonline.com/arabic/report/display.asp?reportid=360-55k .

وقد عرفت الإمبراطورية العثمانية آخر الإمبراطوريات الواسعة ، التي احتلت مكانة الإمبراطورية البيزنطية ، واحتلت عاصمتها القسطنطينية عام 1453م تحت قيادة محمد الفاتح ، واتخذت مدينة استانبول عاصمة لهم ، وضمت هذه الإمبراطورية جميع أقطار جنوب شرق أوروبا وسواحل البحر الأسود ، وجميع الأقطار العربية باستثناء (مراكش) ، وقد عاش اليهود تحت ظلها بالأمان والحرية والحماية ، وقد كانت ملجأ لهم ورحب بهم هناك ، غير أن اليهود استغلوا ذلك لصالحهم ، وعملوا بالتجارة والصناعة ، وسيطروا على اقتصاد البلاد ، ولم يتبه العثمانيين لذلك ، ورأوا ضرورة كسب اليهود ليكونوا عوناً لهم ضد رعايا جنوب شرق أوروبا الرافضين لوجودهم ، ولم يكتف اليهود بذلك بل طمعوا في السيطرة على الحكم والسياسة ، وتمكنوا من إحكام قبضتهم على هذه الإمبراطورية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، والتحكم بتسيير الأمور⁽¹⁾ .

وفي ظل استمرارية الدولة العثمانية وقرب نهاية أجلها وحكمها ، بدأت تظهر الحركة الصهيونية مستغلة أوضاع الدولة التي بدأ الضعف يتناها ويقضي عليها ، وهذا ما فتح المجال للتنافس الدول الاستعمارية على مناطق نفوذها واقتسامها ثم استعمارها.

- نابليون بونابرت

وكان نابليون⁽²⁾ من بين هؤلاء الذين يطمعون في كسب مناطق نفوذ والسيطرة على جزء كبير خاصة منطقة الشرق العربي .

وتوجهت أنظار نابليون إلى احتلال فلسطين على يد الصهيوينيين سنة 1799 والذي كان يهدف إلى إنشاء إمبراطورية في الشرق وطلب من جميع اليهود المقيمين في أنحاء العالم الإنطواء تحت رايته لاستعادة القدس القديمة واعتبر اليهود ورثة فلسطين ، فكان هذا النداء من أجل كسب تأييد

1. رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 259-261 .

2. نابليون بونابرت (1769-1821) : Napoleon Bonaparte : عسكري وإمبراطور فرنسي ، من مواليد أجاكسيو في جزيرة كورسيكا الإيطالية ، ومن عائلة ذات نسب أرستقراطي متواضع ، درس في فرنسا وتلقى العلوم العسكرية ، وأصبح ضابطاً للمدفعية ، وقد عين قائداً للجيش الفرنسي في إيطاليا وقد هزم الجيوش النمساوية والإيطالية وبقي يحارب وينتقل من نصر إلى نصر ، وكانت هذه الانتصارات سبباً في علو منزلته ، وقد تمكن من غزو مصر ، إلا أنه فشل في التوسع شرقاً ، إذا استعصت عليه عكا في فلسطين وقد حقق عدة انتصارات . أنظر : عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، مج 6 ، ص 538 .

اليهود واستغلال ذلك لإعانتته في تحقيق ما يطمع إليه في دول المشرق ، غير أن ذلك باء بالفشل خاصة بعد انهزام جيشه أمام حصن عكا ، الأمر الذي جعله ينسحب ويعود إلى فرنسا⁽¹⁾.

وكان نابليون يهدف من وراء ذلك (الحملة على مصر) تهويد مصالح بريطانيا في الشرق وخاصة في الهند ، وتكوين إمبراطورية فرنسية في الشرق تكون بمثابة تعويض عما خسرتة أثناء الثورة الفرنسية التي قامت ضد الملكية والإقطاع ، ومن أجل تحقيق أهدافها من الحرية والعدالة والمساواة⁽²⁾. وقد حاول نابليون إثارة اليهود وتشجيعهم للمطالبة بالعودة إلى فلسطين وإيجاد وطن فيها واستغلهم في ذلك لتحقيق سلطته الواسعة.

وقد دعا نابليون عام 1806م إلى اجتماع المجلس الأعلى "سنهدين" لإثارة حماسة اليهود من أجل تحقيق مساعيه لاحتلال الشرق العربي ، مع وعده إياهم بمنحهم فلسطين⁽³⁾.

وقد نبهت حملة نابليون بريطانيا إلى الأهمية الكبيرة لموقع مصر وفلسطين على طريق الهند ؛ وأصبحت مساعي بريطانيا في الشرق الاستيلاء على مصر بأي ثمن ، كما تفتنوا إلى أهمية الوجود اليهودي في فلسطين ، ولذلك كان موقفهم مع الحركة الصهيونية التي ساندوها ، وأصبح الإنجليز مركزا لقواد تلك الحركة ، وحتى يكون اليهود حراسا للبريطانيين في قناة السويس ، وحاجزا ضد أية وحدة بين مصر وبلاد الشام⁽⁴⁾.

وهكذا تواصلت سلسلة المحاولات والنداءات الموجه من اليهود لتحقيق أهدافهم وأمانهم ، ومن جهة أخرى ظهرت الدول الاستعمارية الكبرى خاصة بعدما فشل نابليون في تحقيق ما طمع إليه ، وتكملة المساعي التي بدأها ، واستغلال اليهود في احتلال فلسطين ، وهذه المرحلة شهدت انحياز أكبر دولة استعمارية في ذلك الوقت للحركة الصهيونية.

وأمام ما ذكرناه باتت الظروف مهيأة ومواتية لظهور الحركة الصهيونية ، وإتاحة الفرصة لفرض ما درجت على تحقيقه خلال مسيرتها الأولى وفي بيئة أوروبا بالذات .

1. أحمد سوسة ، المرجع السابق ، ص 148-149 .

2. رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 500 .

3. عبد الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، المرجع السابق ، ص 158 .

4. رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 501-502 .

3- الوضع قبل انعقاد مؤتمر الصهيونية

ظهرت عدة اجراءات كانت سببا في تسريع ظهور الحركة الصهيونية ، وخاصة بعد إعادة روسيا النظر في الأوضاع المتعلقة باليهود ، وإصدار قوانين لا تخدم مصالحهم .
- قوانين مايو (1882)

عرفت روسيا أحداث ساخنة في الفترة ما بين (1881/1882) ، وقد اتهم اليهود أنهم وراء اغتيال قيصر روسيا الإسكندر الثاني ⁽¹⁾ فتوجهت الأنظار إليهم على أساس أنهم مرتكبي هذه الجريمة ، كانت ردة فعل السلطات الروسية بإصدار مجموعة من القوانين صادرة ضد اليهود ، وقد نصت على مجموعة من البنود ، والتي تضمنت عدة إجراءات قاسية تعد كعقوبة لليهود على ما ارتكبه ، ومن أجل إخماد أية فكرة يمكن أن تسبب الفوضى أو الفساد في المجتمع الروسي ومنها :
منع اليهود من السكن في المناطق الريفية الروسية وحتى مناطق الاستيطان ⁽²⁾ ومن شأن طرد اليهود من القرى حسبما هو مخول من طرف رئيس البلدية ، وإذ ما غادر اليهودي القرية يمنع من الرجوع إليها ، وعدم تجديد عقود الإيجار له ، ورفض تشغيله في الريف ، وعدم السماح له بإدخال أي قريب له ، وتحديد طلاب اليهود والتقليل من نسبة عضوية القضاة اليهود التي حددت بنسبة 22 % إلى 9 % وعدم السماح لليهودي المقيم داخل روسيا بتوسيع أنشطته الاقتصادية ، وإلا يعاد إلى منطقة الاستيطان ، بالإضافة إلى إغلاق معبد موسكو ⁽³⁾.

- الهجرة اليهودية

إن هذه الإجراءات بشأن اليهود ليست في صالحهم ولا تخدم أغراضهم بل تحدد من أهدافهم فكانت لها أثر كبير في نفوس اليهود وتقوية فكرة العودة إلى فلسطين ، وكانت دافعا لهجرة اليهود من

1. جمال البديري ، المرجع السابق ، ص 83 .

2. مناطق الاستيطان : وتضم أوكرانياين وبولنديين وروسين ولتوانيين ومولدافيين وألمان ، وكان لكل جماعة قاعدتها الإقليمية أو أرضها المرتكزة فيها ما عدا أعضاء الجماعة اليهودية والألمان ، ومن هنا ظهرت إحدى السمات الخاصة للمسألة اليهودية في روسيا ، وقد قررت الحكومة القيصرية عام 1843 لاعتبارات أمنية عدم السماح لأعضاء الجماعة اليهودية بالسكنى على نحو 33 ميل من الحدود ، وحسب القانون الصادر لتنظيم منطقة الاستيطان ، لم يسمح لليهود بالانتقال خارجها ، ولم يسمح لهم بالدخول إلى وسط روسيا إلا بعد فترة . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 2219 .

3. جمال البديري ، المرجع السابق ص 83-84 .

روسيا إلى فلسطين ، وربما كانت من بدايات الهجرة الأولى التي تتابعت فيما بعد .
 وحددت مراجع الحركة الصهيونية عام 1882 كبداية للهجرة اليهودية الحديثة ، وتضاعف عدد المهاجرين اليهود من روسيا إلى الغرب ، وكان سبب ذلك معاداة السامية في روسيا ، والتي تفجرت بقوانين مايو 1881 ، وقد هاجر هؤلاء إلى أمريكا وأوروبا الغربية ، وذهبت نسبة قليلة إلى فلسطين لا تتعدى 25-30 ألف مهاجر خلال عشرين عاما ، ثم تتابعت في سنة 1891 هجرة ثانية⁽¹⁾.

وكانت حملة تشجيع اليهود للهجرة من طرف إنجلترا وذلك تمهيدا لهجرتهم إلى فلسطين ، فكان ذلك ضمن برامجها ومخططاتها من أجل الحفاظ على مستعمراتها وتوسيعها .
 وقد فتح أثناء الحكم العثماني مجال للهجرة اليهودية إلى فلسطين ، غير أن اليهود فضلوا الهجرة إلى المدن الكبرى مثل القاهرة وبيروت ودمشق واستنبول على الإقامة في فلسطين⁽²⁾.

كان من بين أسباب هذه الهجرات ظروف اليهود الروس القاسية كما ذكرنا سابقا ، ففضلوا الهجرة إلى مكان يسمح لهم بتوفير وسائل العيش وممارسة أنشطتهم دون ضغط أو تحت أي إجراء قانوني عوضا عن الهجرة إلى فلسطين ، بغض النظر عن أسباب أخرى كانت مخططة وضمن نوايا اليهود بالعيش في فلسطين لكن عبر هجرات متتالية .
 وقد لاقت هجرة اليهود إلى فلسطين تشجيعا خاصة وإعانات مادية من أجل إقامة مستعمرات فيها وتشجيعهم على البقاء فيها .

وأقيمت أول مستعمرة لليهود في قرية ملبس قرب يافا "بتاح تكفا" أي مفتاح الأمل ، وهي مشجعة وممولة من طرف اليهودي روتشيلد (ذا ثراء كبير) ، وقد بحثت الجمعية الصهيونية عن تمويل آخر وعقدوا مؤتمرين فالأول في سنة 1884م والثاني في سنة 1887م ، وقرروا فيه تنظيم تمويل المهاجرين من أجل شراء أراضي جديدة ، وتتابعت بعد ذلك جمعيات تعمل على جمع المال لنفس الغرض ، وأنشئت جمعيات تشكلت في أوروبا لتشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين ، كما كان

1. رشاد عبد الله الشامي ، المرجع السابق ، ص 71 .

2. تيسير جبارة ، تاريخ فلسطين ، (عمان : دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1998م) ، ص 60 .

للإنجليز دور في تجميع اليهود في فلسطين بغرض حماية قناة السويس ، وخاصة أن الإنجليز لا يثقون بالدولة العثمانية في الحفاظ على بواجرهم الآتية من الهند ، ولذلك عملوا على تشجيع بناء هذه المستوطنات (1).

- كتاب تيودور هرتزل

قبل تأسيس الحركة الصهيونية وقبل إصدار زعيمها النمساوي تيودور هرتزل (2) كتابه الشهير أثرت قضية الضابط الفرنسي اليهودي الذي شجعت على الكتابة.

وقد اتم هذا الضابط ألفريد دريفوس (1859-1935) بالخيانة العظمى التي حدثت عام 1891 ، وبعد الخسارة التي لحقت بالجيش الفرنسي أمام الجيش الألماني "نقله أسرار الجيش الفرنسي إلى ألمانيا" وقد جرد من رتبته ، وأحيل إلى محكمة عسكرية التي قررت نفيه إلى إحدى جزر ساحل إفريقيا ، وقد أثبتت براءته وظهرت تطورات جديدة بشأن القضية ، وأعيدت محاكمته من جديد مع إعطائه وسام شرف ، وكان من بين المهتمين بهذه القضية هرتزل الذي عد ذلك إساءة لليهود ، وكانت هذه القضية دافعا لكتابة مؤلفه الدولة اليهودية عام 1896 (3).

فقد سبق تأسيس الحركة الصهيونية الكتابة قبل العمل والتنفيذ في إصدار ونشر هذا الكتاب ، ورسم فيه معالم وأهداف الصهيونية في إطار منظم قبل تجسيدها على أرض الواقع ، وكيفية التمهد لدخول فلسطين وتكوين دولة يهودية ، التي تعتبر دعائم المجتمع الإسرائيلي ، فقام بتفصيل ذلك في كتابه قبل إدخالها حيز التنفيذ وفق المرجعية الدينية والتاريخية أو ترسيخ ذلك وفق ما أفرزته معطيات

1. المرجع نفسه ، ص 60-62 .

2. تيودور هرتزل (1849-1904) : (Theodor Herzl) : مؤسس الحركة الصهيونية ، وقد التحق بمدرسة يهودية لمدة أربع أعوام ، والتحق بعدها بمدرسة ثانوية فنية ومنها التحق بالكلية الإنجليزية وعمرة 15 سنة وأنهى دراسته ، والتحق بجامعة فيينا وحصل على دكتوراه في القانون الروماني وعمل بالمحاماة لمدة عام ، ولكنه فضل أن يكرس حياته للأدب والتأليف ، وقد نشر عدة مقالات وكتب بعض المسرحيات ، ولم يكن سوى واحد من جيل طويل من اليهود المغتربين الذين كانوا ينتصرون لإعلان ولانهم الغربي . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 6 ، ص 3313-3314 .

3. جمال البدري ، المرجع السابق ، ص 85-86 .

القرن التاسع عشر في أوروبا وما أحدثته من تطورات حضارية في وسط الإضطراب ، وحركات التوسع والصراع بين الدول الغربية الكبرى ، والتنافس من أجل اقتسام أملاك الدولة العثمانية ، وفي إطار الحاجة الملحة من أجل التخلص من المعاناة واللاستقرار.

- بروتوكولات حكماء صهيون

تجدر الإشارة إلى أنه غداة انعقاد المؤتمر الأول للصهيونية ، صدرت وثائق تعتبر في غاية الخطورة ، وتدعى بروتوكولات حكماء صهيون .

إن هذه البروتوكولات تسمى عند البعض بمقررات سنة 1897 على أساس أنها وضعت لدراسة وبمبحث ما سيأتي في المؤتمر المنعقد وتتلئ في ، وقد جاءت هذه الوثائق على شكل تقرير فقدت بدايته ، وهو عبارة عن مخطط لسيطرة اليهود على العالم ، وإنشاء حكومة ملكية استبدادية مقرها أورشليم أولاً ، ثم روما إلى الأبد ، والظاهر أن هذا المخطط مأخوذ من التلمود الذي نم الشخصية العصبية والعدائية اليهودية⁽¹⁾.

4- انعقاد مؤتمر بال

تنفيذا للمساعي الصهيونية تم عقد المؤتمر الأول في مدينة بازل "بال" الذي جمع مختلف يهود العالم وخاصة النخبة من المفكرين والباحثين ورجال المال والأدباء والسياسيين وكان عددهم حوالي مائتين ، وقد ناقش هذا المؤتمر حالة اليهود ووضعهم مع الدول الكبرى ومستقبل العمل الصهيوني⁽²⁾.

وقد التقى في هذا المؤتمر المؤيدون للحركة والمعارضون لها ، الذين فضلوا البقاء في أحياء الجيتو والرافضون له ، والذين منعوا الاختلاط بالشعوب و الذين طالبوا بالاندماج ، وهكذا امتزجت آراؤهم وتوحدوا واجتمعوا على كلمة واحدة من أجل تقرير مصير اليهود ، ودراسة أوضاعهم ووضع الحل المناسب لهم وما يرضي الطرفين وما يخدم مصالحهم .

1. أحمد سوسة ، المرجع السابق ، ص 147 .

2. جمال البديري ، المرجع السابق ، ص 97 .

وقد خرج المؤتمر بعد عدة أيام ووفق ما قرره اللجان ورئيس الحركة تيودور هرتزل وضع برنامج الحركة الصهيونية وتحقيق أهدافها ، وقد لخص ذلك في عدة قرارات.

وكانت هذه القرارات منها ما هو علني ومنها ما هو سري ، فالعلني إنشاء دولة يهودية في فلسطين ، وذلك من خلال تقوية الحركة الزراعية ومضاعفة شراء الأراضي لليهود في فلسطين وتحسين المداغل المالية لهم وإحياء الثقافة العبرية ، وتقوية المشاعر الوطنية اليهودية ، أما القرارات السرية فتمثل في مقررات حكماء صهيون التي لم تعد سرية وترجمت إلى اللغة الإنجليزية في أوائل القرن العشرين⁽¹⁾.

وبروتوكولات حكماء صهيون كتاب تضمن عدة فصول وضع فيه تصور إيجاد الدولة اليهودية التي تسيطر على العالم من القدس ، وذلك تحت راية ملك من نسل داود ، وقد وضع من طرف بعض زعماء اليهود بعد مؤتمر بال ، ويعد البروتوكول مصدرا من مصادر الفكر اليهودي المعاصر ، وقد أثير الجدل حول مصداقيته بين مؤيد ومعارض لذلك⁽²⁾.

فكانت محاور المؤتمر تعتمد على تبني الاستعمار اليهودي لفلسطين من خلال الهجرة وتأسيس منظمة تسعى لتوحيد جهود اليهود ومحاولة الحصول على حق قانوني بشأن هذا الاستعمار⁽³⁾.

والشيء الملاحظ أن هذا المؤتمر لم يذكر اسم فلسطين في قراراته ، وإنما وطن قومي ، فلم يتفق المشاركون على اختيار فلسطين مكانا لهذا الوطن القومي .

وتجدر الإشارة أنه في هذا المؤتمر تم اختيار بلد إفريقي لتوطين اليهود " أوغندا أو سيناء"⁽⁴⁾ مكانا شاغرا لهم ، فالحركة في ظاهرها لم يكن هدفها فلسطين بل وطن قومي يجمع اليهود.

فهذا القرار جوبه برفض من طرف الإنجليز ، و تم الاتفاق والاستقرار والاستيلاء على فلسطين دون سائر الأمكنة ، ومن نتائج هذا المؤتمر أيضا تشجيع الهجرة إلى فلسطين التي زادت نسبتها

1. عبد الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، المرجع السابق ، ص 164-165 .

2. عبد العزيز بن مصطفى كامل ، قبل الكارثة نذير .. ونفير ، المرجع السابق ، ص 156 .

3. جمال البديري ، المرجع السابق ، ص 98-99 .

4. أنظر : حسن صبري الخولي ، سياسة الإستعمار والصهيونية تجاه فلسطين " في النصف الأول من القرن العشرين " ، (مصر : دار

المعارف ، د.ط ، 1973م) ، ص 69 .

وأصبح اليهود يخططون تحت إطار منظم وقيادة موجهة .

وتنفيذ لتلك القرارات أنشئت عدة هيئات منها جمعية اليهود ، أو الرابطة اليهودية الصهيونية التي مثلت اليهود تمثيلا قانونيا وشرعيا ولها الصلاحية في توقيع الاتفاقيات والمعاهدات الخاصة بتهجير اليهود إلى فلسطين ، ومن تلك الهيئات الشركة اليهودية التي عملت على تنفيذ الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وتصفية ممتلكاتهم ، وتنظيم التجارة والاقتصاد في الوطن الموجهين إليه ، وجمع التبرعات ، وإنشاء الصندوق القومي اليهودي ، وتنفيذ ما تسعى إليه جمعية اليهود ، ومن الهيئات أيضا الوكالة اليهودية التي تسعى إلى تشجيع الهجرة اليهودية ، وتنمية اللغة العبرية على يهود العالم ، وامتلاك الأراضي شراء ، وتشجيع الإستيطان الزراعي⁽¹⁾ .

5- وعد بلفور

وهكذا بعد هذا المؤتمر الأول للصهيونية بدأت في توسيع أنشطتها وسارت في طريقها من أجل التنفيذ وفق البرنامج المستخلص ، وتوالت بعد ذلك المؤتمرات المكلفة بالنجاح والدوام وتكملة للمساعي المبذولة ، سواء في عهد هرتزل أو بعده والتي تزعمها كبار الصهاينة واختيار فلسطين كوطن قومي لليهود ، والتي اتخذت نفس القرارات السابقة ، والعمل الذي صاحب وساعد على تطبيق قرارات الحركة الصهيونية ما قامت به بريطانيا من إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، واعتبار فلسطين يهودية .

وتنحت عن التقاء المصالح البريطانية الاستعمارية بالمصالح اليهودية الصهيونية إلى إصدار وزير بريطانيا تصريحه المعروف بوعد بلفور في عام 1917م ، والذي ساعدت ظروف الحرب العالمية الأولى إلى إصداره ، وأعلن فيه الموقف البريطاني على التصميم لعودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة هناك ، وقد اعترف هذا الوعد بوجود " الشعب اليهودي " كأمة ثم أصبح "كيانا قوميا" يعترف به القانون الدولي⁽²⁾ .

1. رجا عبد الحميد عرابي ، المرجع السابق ، ص 524 .

2. يوسف أيوب حداد ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 384 .

ونص هذا الوعد: (إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين الارتياح ، إلى إنشاء وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وستبذل أطيح مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يلحق الضرر المدنية والدينية ، التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين - اليهود شعب وغيرهم مجرد طوائف- أو يؤثر على الحقوق ، أو الوضع السياسي ، الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى . وأكون شاكرا لو تفضلتم فأبلغتم هذا القرار إلى الاتحاد الصهيوني)⁽¹⁾.

فكان جيمس بلفور⁽²⁾ يخطط لتنفيذ الوعد البريطاني الذي ساند مطالب الصهيونيين ، وبدأوا يطالبون بتلك الوعود على اعتبار ما أصدره الإنجليز وما وعدهم به بلفور ، وقد تضمن هذا الوعد خطابا موجهها إلى اليهودي روتشيلد والذي كان أغنى اليهود ، فبهذا الخطاب منحت بريطانيا فلسطين لليهود ، وهذا الوعد يخالف القانون في حد ذاته ، وخاصة أنها أرض ليست ضمن ممتلكاتها.

1. نعمان عبد الرزاق السامرائي ، اليهود والتحالف مع الأقوياء ، (لندن : دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ، 1412هـ - 1999م) ، ص 158 .
2. جيمس بلفور (1848-1930م) : (James Balfour) : صهيوني غربي بريطاني ، وينسب إليه التصريح الذي أصدرته الحكومة البريطانية عام 1917م المسمى بوعد بلفور . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج6 ، ص3087 .

المبحث الثاني

الادعاءات اليهودية في الأرض المقدسة

نتحدث في هذا المبحث عن الادعاءات الصهيونية التي استندت عليها بأحقيتها في الأرض المقدسة ، ومنها الادعاء الديني الذي تمثل في مجموعة من الوعود الإلهية المعطاة لأنبياء بني إسرائيل في ظروف معينة وفي فترات مختلفة مشروطة بمجموعة من الالتزامات ، ثم الحديث عن الادعاء التاريخي وعرض أهم الشعوب التي دخلت فلسطين .

المطلب الأول : الادعاءات الدينية

ظهرت الحركة الصهيونية ووقع اختيارها في تنفيذ مشروعها على فلسطين ، وحاولت إقناع العالم بأنه ليس هناك ما يسمى فلسطين بل أرض الميعاد ، أو ما أطلقت عليه الوطن القومي بالمصطلح الجديد فكان اختيارها عليها دون سائر الأمكنة الموجودة في العالم .

فهذا الموطن الجديد ظل غائبا عن فكر اليهود ولم يتبلور إلا بعد خلق وهيئة هذا الشعب حتى يكون قادرا على السكن في فلسطين ، والذي ظل تائها وغريبا عن أي مكان يتزل فيه ، وظل يعيش مفرقا وموزعا بين مناطق مختلفة ، فحضر الشعب أولا ثم نشأ الوطن ، وهذا لم يعهد من قبل إلا مع هذه الحركة التي أجبرت دول العالم على الاعتراف بهذا الأمر ، واعتبرته حقائق لا مجال لمناقشتها ، وأثبتت أن لليهود موطن له جذور في القدم دون أي اعتبارات ، وضربت القرارات الدولية عرض الحائط بل لا تعتد بها أصلا ، ولم تنطلق الحركة الصهيونية من فراغ ، بل استندت إلى ما قرره لتبرير ما دعت إليه ودعمت رأيها بأدلة ، واتخذت بذلك ذرائع تتمثل في الادعاء الديني والادعاء التاريخي ، وأطلقت عليه اسم حقوق ، لكي تضي عليه شرعية قانونية .

إن هذا الصراع القائم على المنطقة بدعوى هذا الحق الديني والتاريخي يأخذ بعدا دينيا في طابعه وظاهره وبعدا سياسيا خفيا ، لا يدرك إلا من خلال ما نادى به الحركة وما عملت على تنفيذه ، غير أنه أصبح معلنا ومصرحا به في كثير من المواقف .

وسنحاول هنا أن نتبع ونسائر هذه الحجج التي اتخذها اليهود بما جاء في نصوص التوراة ، ونحاول أن نقف على حقيقة تلك الوعود من خلال عرض وتسليط الضوء على أهمها .

1- مفهوم مصطلح الأرض

قبل الحديث عن الوعود لابد من تحديد مفهوم الأرض في الفكر الصهيوني وما اعتقده اليهود بها ، فجاء في تعريفها : (هي الأرض المختارة ، وصهيون التي يسكنها الرب ، والأرض التي تفوق في قدسيتها أي أرض أخرى لارتباطها بالشعب المختار)⁽¹⁾.

فثمة علاقة وثيقة بين الإله والشعب والأرض ، هذا الثلاثي الذي يمثل كتلة مقدسة ، والأرض اكتسبت هذه القداسة خاصة بعد حلول الإله فيها ، وتسمى أرض الرب كما دلت التوراة⁽²⁾.

وهذه الأرض المختارة حسب اعتقادهم هي فلسطين ، وكانت الصهيونية تقوم على أساس تقديس الأرض ، وإصدار إيمانها بالدياسيورا ، فالأرض في عرفهم هي "أرض إسرائيل" ولا ذكر لأرض فلسطين ، وهو ما أشار إليه اليهودي مناحم بيجين⁽³⁾ أن حديث اليهود عن فلسطين عوضاً عن آرتس إسرائيل معناه فقدانهم هذه الأرض واعترافهم بوجود الفلسطينيين⁽⁴⁾.

فكانت هناك ضمن هذه التصريحات مخاوف الزعماء اليهود التي أعلنوها لليهود أنفسهم ، وكان هناك تعمد إبعاد استخدام مصطلح فلسطين وإخفائه بسبب الخوف من أخذ الأرض من اليهود ، وفي ذلك اعتراف تاريخي بوجود شعب غير اليهود في الأرض .

وقد تزايد ذكر أرض الميعاد وقدسيتها ومدى ارتباط اليهود بها ، وبذلك أصبحت فكرة لاهوتية وظهر ما يطلق عليه لاهوت الأرض المقدسة⁽⁵⁾.

1. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 2 ، ص 2426 .

2. جاء في الإصحاح التاسع : (لا يَسْكُونُ فِي أَرْضِ الرَّبِّ) سفر هوشع ، الإصحاح 9 ، الفقرة 3 .

3. مناحم بيجين (1913-1992) : (Menahem Begin) : زعيم صهيوني وزعيم حزب حيروت وتحالف ليكود وسياسي إسرائيلي ، وهو عضو الكنيست وزعيم منظمة الإرجون السابق ، ولد في بولندا وتخرج من كلية الحقوق بوارسو ، ثم انضم إلى منظمة بيتار وإلى الجيش البولندي وأتيح له دخول الوزارة الإنتلافية ، ثم انضم ثانية إلى حكومة جولدا مائير الإنتلافية عام 1969 ليُشغل منصب وزير الدولة لكنه انسحب منها ، وقد فاز حزبه في الإنتخابات وقام بعدة تغييرات اقتصادية ، وتم توقيع اتفاقية كامب ديفيد مع الرئيس المصري السادات ، وأصبح بطلاً للسلام ، وقد استقال من الوزارة متأثراً بمعارضيه . أنظر : المرجع نفسه ، مج 7 ، ص 3843-3844 .

4. خليل حسونة ، اليهودية الصهيونية والصهيونية اليهودية : <http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/18/page2htm-101k>

5. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 5 ، ص 2427 .

وهكذا تحولت الأرض في اعتقاد اليهود إلى فكرة لاهوتية واكتسبت طابعا دينيا ، وفقدت بذلك الجانب التاريخي الذي كان طابعها ، وقضت بمفاهيم جديدة لتعطي عليها في الأخير قداسة شرعية كما جاء تقديسها في التوراة ، وأخذ اليهود بهذا التعريف من نصوصها ، والتصقت بما عدة صفات ومعتقدات .

إن هذه المنطقة بتراهما وأرضها مقدسة ، فكان تعبد اليهودي لهذه الأرض بسبب هذه القدسية ، فتراهما مقدس ومبارك ولو كان على نعال الأقدام ، وكان التلموديون يضعون حفنة من تراهما تحت رؤوس موتاهم ، واعتقدوا أن المقيم في فلسطين معافي من الخطايا مهما ارتكب من آثام ، وأن الذي يعيش داخلها يعتبر مؤمنا بالله ، والذي يقيم خارجها فهو إنسان لا إله له (1).

ثم ارتبطت فكرة الأرض المقدسة بأرض الميعاد ، لأن الله وعد إبراهيم عليه السلام على إعطائه هذه الأرض ولنسله من بعده ، فهي مقدسة باعتبار عودة المسيح إليها في آخر الزمان ، الذي أصبح المصدر الأساسي في الدين اليهودي ، ويمثل عقيدة دينية وذا جذور تاريخية ضاربة في القدم ، فالأرض المقدسة تمثل مركزا للديانات السماوية وتحتوي آثارا دينية وتاريخية ، فهي تعتبر المستقبل في نظر اليهود ، والأمل في العودة إليها لإقامة ملكهم السابق .

وقد درج المؤرخون على تقسيم الحدود التاريخية والدينية "لأرض إسرائيل" من حيث زمانها ونطاقها وطبيعتها إلى ثلاث مجموعات: حدود الآباء ، وحدود مهاجري مصر "موسى ويشوع" وحدود مهاجري بابل (2).

وعن حدود أرض الميعاد في التوراة ، فقد جاء الحديث عنها في سفر التكوين خلال ذكر الوعد الذي منحه لإبراهيم عليه السلام ، وهي تمتد من نهر مصر إلى نهر الفرات ، غير أن هذه الحدود لا

1. عابد توفيق الهاشمي ، فلسطين في الميزان ، (بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1420هـ - 2000 م) ، ص 93 .

2. موشيه برافر ، حدود أرض إسرائيل ، ترجمة : بدر عقيلي ، (عمان : دار الجليل للنشر و الأبحاث الفلسطينية ، ط1 ، 1990م) ، ص51-55 .

ليست واضحة في سفر العدد⁽¹⁾ الذي رسم لها حدودا وجعلها ذات شكل آخر. وقد شبه الحاخامات هذه الأرض بجلد الإبل الذي ينكمش في حالة العطش والجوع ، ويتسع في حالة الشبع والإرتواء ، وهكذا هي الأرض تنكمش بحجرة ساكنيها من اليهود ، وتتسع بمجيء اليهود من أقطار العالم⁽²⁾.

2- بعض أقوال زعماء اليهود حول الأرض المقدسة

في سياق الحديث عن هذه الأرض نذكر بعض أقوال زعماء اليهود الذين تحدثوا عنها بتعصب وعنصرية ، ومن ذلك قول زعيم الصهيونية تيودور هرتزل : (... إن هدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص الوارد في الكتاب المقدس بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين)⁽³⁾. وقال دافيد بن جورويون⁽⁴⁾: (قد لا تكون فلسطين لنا عن طريق الحق السياسي أو القانوني ،

1. جاء تحديد أرض الميعاد في سفر العدد أثناء الحديث عن الوعد المعطى لموسى عليه السلام وهذا نص الإصحاح : (هذه هي الأرض التي تقع لكم نصيبا . أرض كنعان بثخومها . تكون لكم ناحية الجنوب من برية صين على جانب أدوم . ويكون لكم تخم الجنوب من طرف بحر الملح إلى الشرق ويثور لكم التخم من جنوب عقبة عقرينم ويعبر إلى صين وتكون مخرجة من جنوب قادش برنيع ويخرج إلى حصر أدار ويعبر إلى عصمون . ثم يثور التخم من عصمون إلى وادي مصر وتكون مخرجة عند البحر . وأما تخم الغرب فيكون البحر الكبير لكم تخما . هذا يكون لكم تخم الغرب . وهذا يكون لكم تخم الشمال . من البحر الكبير ترسمون لكم إلى جبل هور . ومن جبل هور ترسمون إلى جبل حماة وتكون مخرج التخم إلى صدد . ثم يخرج التخم إلى زفرون وتكون مخرجة عند حصر عينان . هذا يكون لكم تخم الشمال . وترسمون لكم تخما إلى الشرق من حصر عينان إلى شفام . ويحدر التخم من شفام إلى ربلة شرقي عين . ثم يحدر التخم ويمس جانب بحر كئارة إلى الشرق . ثم يحدر التخم إلى الأردن وتكون مخرجة عند بحر الملح) . الإصحاح 34 ، الفقرات 2-12 .

2. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 5 ، ص 2427 .

3. محمد بن علي بن محمد آل عمر ، المرجع السابق ، ص 213 .

4. دافيد بن جورويون (1886-1973) : (David Ben Gurion) : زعيم صهيوني وسياسي إسرائيلي ، كان اسمه "ديفيد جرين" ثم غيره إلى " بن جورويون" ، ولد في بلدة بلونسك ببولندا التي تقع في منطقة الاستيطان اليهودي في روسيا ، نشأ نشأة يهودية تقليدية ، وقضى سني حياته الأولى يدرس التوراة والتلمود وكتب الصلوات المختلفة في المدارس الحاخامية ، وبدأ نشاطه الصهيوني وهو في سن الرابع عشر ، إذ كان أبوه عضوا في جماعة أحباء صهيون ، وقد التحق بجامعة اسطنبول لدراسة القانون على أمل أن يمكنه هذا من المساهمة في تحويل فلسطين إلى وطن يهودي ، وبعد تخرجه عاد إلى فلسطين ، وقد تولى منصب رئيس الوزارة عدة مرات ، وكان يشغل أحد المناصب في الكنيسة بعد أن فاز حزبه بأربع مقاعد لكنه استقال واعتزل السياسة. أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 7 ، ص 3839-3840 .

ولكنها حق لنا على أساس ديني ، فهي الأرض التي وعدنا الله وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل⁽¹⁾ .
وقال بيحال ألون نائب رئيس مجلس الوزراء الإسرائيلي : (جاء اليهود إلى البلاد لكي يستردوا الأرض التي يعتقدون أنها كانت أرض آبائهم ، الأرض التي وعدنا الله لهم ولذراريهم في العهد القديم المبرم قبل آلاف السنين بين الله وإبراهيم)⁽²⁾ .

وتوالى تصريحات تيارات اليهود الذين يؤمنون بالوطن القومي بأنه حقيقة مسلمة لا تقبل الرفض ، بل معطاة لهم من الإله ، وأن شرعية وجود إسرائيل مستمدة من النصوص الدينية ، كما قالت جولدا مائير⁽³⁾ : (وجد هذا البلد تنفيذا لوعده الرب ذاته ، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحا عن شرعية هذا الوجود)⁽⁴⁾ ، إن هذا الحرص الشديد والمتفاني في طاعة الرب وتنفيذ أمر وعده خاصا فقط بإقامة الوطن ، أما في أمور الشريعة وما يتعلق بها فلا أهمية له عندهم ، فقد حاول هؤلاء الصهاينة انتقاء النصوص الدينية التي تخدم أغراضهم واعتبارها ذات أهمية كبيرة في اعتقادهم .

وقال مناحم بيجين : (لقد وعدنا هذه الأرض ولنا الحق فيها)⁽⁵⁾ .

وقال موسى دايان⁽⁶⁾ : (إذا كنا نملك الكتاب ، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة ، فينبغي

أن نمتلك بلاد التوراة ، بلاد القضاة ، أرض أورشليم و حبرون وأريحا ، وأماكن أخرى)⁽⁷⁾ .

1. محمد بن علي بن محمد آل عمر ، المرجع السابق ، ص 213 .
2. عابد توفيق الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 83 .
3. جولدا مائير : (1898-1978) : سياسية صهيونية تولت رئاسة الوزارة 1969-1974 ولدت في روسيا ، هاجرت مع عائلتها عام 1906 إلى الولايات المتحدة وانضمت إلى حزب عمال صهيون عام 1915 ، وفي عام 1921 هاجرت إلى فلسطين حيث نشطت للعمل في حركة الكيبوتز ، وانتخبت عام 1934 عضوا في قيادة الهستدروت ، وقد تولت رئاسة الوزارة عام 1969 وأولت تطوير العلاقات مع إفريقيا ، اشتهرت بتشددها مع العرب والتمسك بالأراضي العربية المحتلة عام 1967 وبتنكارها وجود الشعب الفلسطيني . أنظر : عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، مج 5 ، ص 618 .
4. روجيه جارودي ، ملف إسرائيل ، المرجع السابق ، ص 82 .
5. المرجع نفسه .
6. موسى دايان : (1915-1981) عسكري وسياسي صهيوني ولد في مستوطنة ديجانيا كفويزة في فلسطين ، انضم إلى المجموعة الإرهابية "الهاغاناه" تعلم في مدرسة كبار الضباط في بريطانيا ، قاد الكتيبة الإسرائيلية التي احتلت اللد والرملة ، وعين قائدا للقطاع الجنوبي ثم للقطاع الشمالي وتولى رئاسة المخابرات العسكرية ثم قائدا لعمليات الجيش ورئيسا للأركان ، عين وزيرا للخارجية في حكومة بيجين ثم استقال منها . أنظر : عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 656-657 .
7. روجيه جارودي ، ملف إسرائيل ، المرجع السابق ، ص 82 .

إن هذه العبارات تترد على ألسنة الزعماء الصهيونيين من مختلف الاتجاهات والأحزاب ، كما تصدر منهم أيضا أدلة من التوراة لإقامة الحججة في المطالبة بالأرض مستندين إلى "حق إلهي" في أحقيتهم بهذه الأرض⁽¹⁾.

وهكذا حاول الصهاينة تسطير التاريخ الديني لليهود ، منطلقين من الإرادة والوعود الإلهية للأرض الموعودة ومحاولين الربط بين الإله والوعد والشعب .

3- الوعود التوراتية

إن التوراة تحمل في طياتها وعودا عديدة وكثيرة تتناسب وفترة كل نبي ، وهي متكررة في كثير من الأحيان ، وموجهة خاصة لخمسة عشر⁽²⁾ نبيا ابتداء بإبراهيم عليه السلام وانتهاء بملاخي⁽³⁾ وسنحاول أن نذكر الوعود الموجهة لأكثر وأهم أنبيائها.

وقبل الحديث عن ذلك لا بد أن نبين بأن الوعد يعني العهد والميثاق أيضا ، وإن كانا يمثلان أعلى رتبة من الوعد ، وهي مترادفات لكلمة واحدة تؤدي المفهوم ذاته ، وهذه الوعود خاصة باليهود دون سواهم من البشر صارت لهم من بعد أنبيائهم ، وهذا الوعد قد اختاره الله ليكون لبني إسرائيل . وهذه العهود التوراتية تذكر أن هناك أرض أعطيت لبني إسرائيل زمن الأنبياء وهي تنطبق عليهم في الوقت الحاضر ، ويدعون أنهم أصحاب الأرض التي طالبوا بها ، ومكثوا فيها واستوطنوا واستقروا بها ، وهي جملة من عهود متكررة عبر الزمن ، وسنحاول أن نناقش بعض النقاط التي لها علاقة بالبحث ولها صلة بالموضوع ، ونكتشف حقيقة ذلك الوعد وما هي الأمور المرتبطة بقضية

1. المرجع نفسه ، ص 82 - 83 .

2. الأنبياء الخمس عشر الذين منحت لهم الوعود هم : إبراهيم ، إسحاق ويعقوب ، موسى وهارون ، يشوع بن نون ، داود وسليمان ، أشعيا ، هوشع ، عاموس ، ميخا ، حزقيال ، زكريا ، ملاخي .

3. ملاخي (حوالي 450 ق.م) : اسم عبري معناه "رسولي" أو "ملاكي" ، وملاخي آخر أنبياء العهد القديم ، يقرنه البعض بعزرا ويساورون بينهما ، ويرى بعض العلماء أن "ملاخي" ليس إسم علم وإنما صفة لكاتب السفر ، وقد عاش ملاخي بعد بناء الهيكل الثاني ، ويتضمن السفر توبيخا للكهنة لتراخيهم في تطبيق قواعد القرابين والعشور ، فهم يقدمون ذبائح بها عيوب ولا يعيشون وفقا للشريعة ، وهم لا يعلمون الناس الحق ، وهو يذم التزوج بمن هن من خارج المجتمع ، وينتهي السفر برؤية أخروية ليوم الإله . أنظر : عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 5 ، ص 2479 .

الأرض ، ونذكر لمن منحت هذه الوعود وما حدود هذه الأرض مع ذكر طبيعتها وما يتعلق بها ، وهل هي مطلقة أو مقيدة بشروط ؟.

- الوعد لإبراهيم عليه السلام

جاء في سفر التكوين : (وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ (حاران) وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكُكَ وَأَعْظِمُ اسْمَكَ . وَتَكُونُ بَرَكَةً . وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ وَلَعْنُكَ أَلْعُنُهُ . وَتَبَارَكَ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ . فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ... وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ . فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ وَكُلَّ مُقْتَنِيَاتِهَا الَّتِي اقْتَنَى وَالنَّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ . وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ . فَاتُّوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ . وَاجْتَاَزَ أَبْرَامُ فِي الْأَرْضِ إِلَى مَكَانٍ شَكِيمَ إِلَى بَلُوطَةَ مُورَةَ . وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينئذٍ فِي الْأَرْضِ . وَظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ⁽¹⁾ .

وأول ما نتساءل هنا لماذا وقع الاختيار على هذه الأرض دون غيرها من الأراضي ؟ على الرغم أن إبراهيم عليه السلام كان في منطقة لا تقل أهمية عن هذه الأرض ، ولماذا هذا الارتباط الدائم بها رغم حركة الهجرة التي صاحبت تاريخ اليهود منذ نشأتهم .

ويبدأ هذا النص بخروج إبراهيم عليه السلام ومغادرته من موطنه الأصلي بمدينة أور ، و يحمل صورة شتى كان أولها وعد إبراهيم عليه السلام وذريته بورثة الأرض التي ظلت غايته الوصول إليها بطلب من الرب ، فكان ذلك إذا تنفيذا لإرادته وأوامره فلبى الطلب وكان ذلك بدافع إيمانه ، فتلقى الوعد في منطقة شكيم .

ويعد هذا النص من أهم النصوص التي أسفرتها التوراة وتمسك بها اليهود لما تضمنه من وعد إلهي بأرض أجنبية وغريبة عنه ، ولم تكن لهم بها صلة من قبل ، بل لا يعلم عنها شيء سوى أنها الأرض التي عينتها الإرادة الإلهية ، وهي أرض جديدة بالنسبة لإبراهيم عليه السلام ولم يسبق أن أتى إليها ، ويتضح من هذا النص عدة مسائل وأمور من بينها بعض الانتقادات التي وجهت لكاتب هذا السفر.

1. سفر التكوين ، الإصحاح 12 ، الفقرات 7-1 .

تذكر التوراة أن إبراهيم خرج وخالف تقاليد قومه ، وهل الخروج على التقاليد يحتم الخروج من الأرض؟ وإذا كان إبراهيم عرف إلهه في أرض الكلدانيين فلما لم يقيم شعائر العبادة أين ظهر له الإله؟ ولماذا أرادها في أرض كنعان؟ وعبادة الله لا تنحصر في منطقة دون أخرى ، كما أنه ليس هناك وضوح لسبب اختيار إبراهيم أو لقطع العهد معه ، وهنا يكمن التفضيل الذي اتخذته اليهود⁽¹⁾.

إن هذا النص حدد العبارة الموجهة لإبراهيم حيث ذكر أن "الرب قال لأبرام" دون ذكر عبارة "الرب ظهر لأبرام" أو "الرب أوحى لأبرام" فهذا الخبر فيه مساواة بين الرب وأبرام حيث جلسا معا يتحدثان ، وترد عبارة اذهب من أرضك وفيها إشارة أن الرب نسي أن حاران أرض أبرام التي حل بها مع عشيرته لأن "الرب قال أرضك" ولم يقل "من هذه الأرض التي أنت فيها"⁽²⁾.

إن إبراهيم قد فوجئ وهو بأرض حاران بما عرضه عليه الرب ، ويبدو أن إبراهيم قد قام بأشياء سر بها الرب ، مما دفع بأبرام إلى الخروج من تلك الأرض التي قرر الرب أنه سيظهرها له "أرض كنعان" فمؤلفي التوراة لم يذكروا تلك الأمور السارة الخاصة بإبراهيم والتي كافأه بها الرب وأعطاه أرض قوم ليست له ، فكل ما استظهره الرب بفضل إبراهيم لا تتعدى عن كونه من نسل سام⁽³⁾.

إن النسل الذي ذكرته التوراة المقصود به الأبناء والأحفاد ، غير أن القرآن الكريم وضع تفسيراً آخر لذلك وقصد به الأبناء الذين يتبعون الملة ، وأعطى القرآن نموذجاً بالنبي إبراهيم لذلك ، فجاء في قوله ﷻ : ﴿ إِنِ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾⁽⁴⁾ . وجاء في آية أخرى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾⁽⁵⁾ .

1. عبد المجيد همو ، ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية ؟ ، المرجع السابق ، ص 154 .

2. عشراتي سليمان ، المرجع السابق ، ص 33 .

3. المرجع نفسه ، ص 33-34 .

4. سورة آل عمران ، الآية 68 .

5. سورة البقرة ، الآية 124 .

إن هذه الآية القرآنية وضحت قضية الإمامة وأنها ليست وراثية تنتقل من أفراد لآخرين وأن الظالمين لا يمنحون عهد الله ، لأن ذلك يمنح بالعمل لا بالنسب⁽¹⁾.

إن الشيء الملاحظ في هذا النص أنه ذكر عبارة " لنسلك أعطي هذه الأرض " وهذه المسألة التي أكدت عليها التوراة في كثير من نصوصها المختلفة كانت واضحة ، بحيث لم توجه لنسل معين دون الآخر ، فقد أطلقت على عمومها ، وكما نعلم من خلال ما ذكرنا وما ورد في التوراة أن هذه الفترة التي تلقى فيها إبراهيم عليه السلام الوعد لم يكن له فيها أولاد ، وقد فسر اليهود العبارة على أنها خاصة بإسحاق عليه السلام ونسله ، ولم يعنى بها إسماعيل عليه السلام فهو خارج النسل.

كما تحدث النص عن البركة وهي الأخرى ترد متكررة في التوراة ، وأحيانا تقترن مع اللعنة ، ومن هذا النص يمكن أن نستخرج ما يتضمنه الوعد من أمور وما يركز عليه من أسس ، وهي إعطاء الوعد بالأرض وكثرة النسل ، ثم العهد الأبدي ، وأخيرا البركة واللعنة .

و فقرة نص سفر التكوين تشير إلى البركة التي تحل بالإسرائيليين ترتبط "بجميع قبائل الأرض" وهذا معناه أن القبائل التي تعيش مع الإسرائيليين تتقاسم أراضي فلسطين⁽²⁾.

وليس هناك فترة تاريخية محددة تبين متى ظهر الرب لإبراهيم ومنحه أرض كنعان ، ومن الناحية القانونية لا وجود لصك فيه توقيع الله لهذه الهبة ، فهذا النص الوارد في سفر التكوين لا يقدم حادثة تاريخية ، وليس معنى هذا إعطاء هذا الطابع استغلال أحقيتهم في الملكية ، واستخدامه للتوسع⁽³⁾.

بين سفر التكوين فيما يخص إعطاء الله لإبراهيم الأرض أنه لا علاقة له باستيطان أرض كنعان وكل ما ذكره السفر أنه قدم شرحا وضح فيه أن إبراهيم قام ببناء خيمته وهو في سن الخامسة والسبعين أثناء ظهور الرب وإعلامه بأنه لنسله⁽⁴⁾.

1. يوسف القرضاوي ، القدس قضية كل مسلم ، (دم : المكتب الإسلامي ، دط ، دبت) ، ص 82-83 .

2. روجيه جارودي ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ترجمة : محمد هشام ، (مصدر : دار الشروق ، ط4 ، 2002م) ، ص 47 .

3. المرجع نفسه ، ص 48 .

4. صابر طعيمة ، المرجع نفسه ، ص 10-11 .

إن هذا النص التوراتي الوارد في سفر التكوين أثار تساؤلات عدة من طرف الباحثين والمؤرخين من حيث مخالفته للحقائق ، ومن حيث استغلال اليهود له ، دون أن توضح التوراة ما جاء فيه ، وما المقصود بالعبارات الواردة فيه والمطلقة على عمومها .

ويمكن اليهود من استغلال هذا النص لصالحهم من سلسلة النصوص المتوالية ، ووصلوا إلى النتيجة التي يريدونها ، ووضعوا بذلك تاريخاً لهم مرتبطاً بأرض كنعان ولم يصل الحد عندها ، بل تعدى ذلك ليشمل أراضٍ أخرى ، وذلك ما سوف نراه من خلال عرض بعض النصوص التي تظهر الغرض التوسعي والاستيطاني .

إن الوعد الإلهي على هذا النحو غير مقيد بحدود معلومة ، فالأرض الواردة جاءت معرفة أكثر منها مبهمة ، فهذا اللاتعيين يفيد طول مدة البحث عن الأرض الموعودة ، إذ يطوف إبراهيم بلاد ما بين النهرين وصولاً إلى مصر ثم يعود إلى أرض كنعان وينتهي أيامه هناك ، وتواصل رحلة البحث عن أرض الميعاد في أيامه أحفاده وذريته شأنهم شأن إبراهيم (1) .

ثم تكررت بعد ذلك عبارة منح الأرض لنسل إبراهيم ، فجاء في الإصحاح الثالث عشر: (وَوَظَّهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لِنَسْلِكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضُ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ) (2) . وفي هذا تأكيد على نسل إبراهيم الذي أطلق أيضاً على عمومه ، فكان المراد به جميع نسل إبراهيم دون استثناء ، وكان قبل ولادة إسماعيل وإسحاق عليهما السلام .

ثم تابعت إصحاحات التوراة التي ذكرت في نصها الصريح بإعطاء أرض كنعان لإبراهيم ونسله إلى الأبد ، فجاء في الإصحاح الثالث عشر: (وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ بَعْدَ اعْتِرَالِ لُوطٍ عَنْهُ إِرْفَعُ عَيْنَيْكَ وَاَنْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شَمَالًا وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا. لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ. وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَثْرَابِ الْأَرْضِ. حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَابَ الْأَرْضِ فَتَسْلُكَ أَيْضًا يَعُدُّ. قُمْ امشِ فِي الْأَرْضِ طُولَهَا وَعَرْضَهَا لِأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا. فَتَقَلَّ أَبْرَامُ حِيَامَهُ وَأَتَى وَأَقَامَ عِنْدَ بِلُوطَاتٍ مَمْرًا الَّتِي فِي حَبْرُونَ. وَبَنَى مَذْبَحًا لِلرَّبِّ) (3) .

1. عشراتي سليمان ، المرجع السابق ، ص 44-45 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 12 ، الفقرة 7 .

3. سفر التكوين ، الإصحاح 13 ، الفقرات 14-18 .

بعد ذكر الإصحاح أن الأرض لم تعد تسع الإثني لوطا وإبراهيم عليهما السلام بعد عودكما من أرض مصر ، نجد هنا تكرر الوعد في بيت إيل ، ووعد إبراهيم بتكثير نسله ، وجعله في جميع الاتجاهات الأربعة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، وقد أخذ الوعد طابعا جديدا و تحول إلى الأبد .

إن الإمعان في الإصحاحين (الثاني والثالث عشر) يشير بأن لفظة "أنظر" أفادت أن الأرض لا تتجاوز كيلو مترا مربعا ، غير أن الوعد يفيد أنها أوسع إذ ارتبط بالمشي في الأرض طولها وعرضها⁽¹⁾ . فكلما أنظر إذا قلصت حدود الأرض التي أمره الرب بالنظر إليها ، وجعلت منها حدود واسعة وذات اتجاهات مختلفة من شمال وجنوب وشرق وغرب .

ويبدو أن إبراهيم عليه السلام لم يستطيع أن يرى عن شماله وجنوبه وشرقه وغربه إلا في حدود عشرة كيلومترات ، فكان لا بد من وضع وعود أخرى أعم وأشمل بحيث تمتد في بعض الأحيان إلى النيل جنوبا والفرات شرقا حتى تتسع للذرية الصالحة ، ويصير عددها كتراب الأرض⁽²⁾ .

والشيء الملاحظ على هذه النصوص عدم وضع حدود لهذه الأرض ، بل جاءت غامضة ومبهمة ومعينة فقط في المكان الذي يقف فيه إبراهيم عند أحنائها الأربعة .

والغموض الذي يشوب هذه النصوص متعمد ، إذ تركت أسماء الحدود غامضة مع جعل الأسماء مشتركة لكي يزداد اللبس أكثر ولكي يستطيع اليهود تأويل النصوص حسب أهدافهم⁽³⁾ .

ثم تكررت صيغة الوعد بالأرض أيضا في الإصحاح : (وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ أَنَا اللَّهُ الْقَدِيرُ . سِرُّ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلًا . أَجْعَلْ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَأَكْثِرْكَ كَثِيرًا جَدًّا . فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ . وَتَكَلَّمَ اللَّهُ مَعَهُ قَائِلًا . أَمَا أَنَا فَهُوَ ذَا عَهْدِي مَعَكَ وَتَكُونُ أَبَا لِحْمُورٍ مِنَ الْأُمَّمِ . فَلَا يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدَ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ . لِأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبَا لِحْمُورٍ مِنَ الْأُمَّمِ وَأَتَمَّرَكَ كَثِيرًا جَدًّا وَأَجْعَلُكَ أُمَّمًا . وَمُلُوكُ مِنْكَ يَخْرُجُونَ . وَأَقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِأَكُونَ إِلَهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ مِنْ بَعْدِكَ كُلُّ أَرْضِ غُرْبَتِكَ كُلُّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا وَأَكُونَ إِلَهُهُمْ)⁽⁴⁾ .

1. خليل حسونة ، اليهودية الصهيونية والصهيونية اليهودية : <http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/18/page2htm-101k>

2. عبد الله التل ، جذور البلاء ، (د.م : المكتب الإسلامي ، ط2 ، 1408 هـ - 1988م) ، ص 11 .

3. محمد بن علي بن محمد آل عمر ، المرجع السابق ، ص 221 .

4. سفر التكوين ، الإصحاح 17 ، الفقرات 1-8 .

أطلق النص على الأرض التي توجه إليها إبراهيم بأنها أرض غربة ، فهي ليست موطنه الأصلي ، بل دخلها لاجئا وفارا بدينه ، وقد ظل غريبا بها ، فكيف تعطى أرض غريبة عن إبراهيم ، بل وتصبح ملكا أبديا له ؟ ثم جاء خطاب الرب لإبراهيم في الإصحاح الخامس عشر : (أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَوْرِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيكَ هَذِهِ الْأَرْضَ لِتَرْتَهَا)⁽¹⁾.

إن لهذا التكرار وظيفة سياسية ، دينية ونفسية ، بحيث أصبح قوة ضاغطة على "العبران" وذلك من أجل امتلاك المكان المقدس والسيطرة عليه ، فكان التكرار متعمدا ولم يكن صدفة⁽²⁾.

ولم يكتف الوعد إلى حد وراثه الأرض واعتبارها ملكا أبديا ، بل عقد الله مع إبراهيم ميثاقا ، لتوسيع هذه الأرض التي أصبحت مساحتها كبيرة ، ووعده بأن يصبح هذا الشعب متسلطا على جميع المناطق الواقعة من نهر مصر إلى نهر الفرات ، فجاء في الإصحاح : (فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ مِيثَاقًا قَائِلًا . لِنَسْلِكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضَ مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ)⁽³⁾.

وهنا نجد اختلافا في تحديد نهر مصر ما المقصود به ، فقد اعتبره البعض أنه وادي العريش بمصر ، وذكر بعضهم الآخر أنه وادي النيل في حد ذاته ، وبغض النظر عن هذا الاختلاف فالأهم أن مصر ضمت ضمن حدود هذه الأرض التي وعدت لإبراهيم ، وهذا النص بين أن نسل إبراهيم سيصبح شعبا كبيرا لا تسعه هذه المنطقة ، على الرغم أنه مثل جماعات صغيرة .

إن هذا الوعد الذي جعل الإقليم يمتد من النيل إلى الفرات كان سابقا لإسماعيل وإسحاق ويفيد هذا المعنى أن الإقليم ليس إسرائيليا بالضرورة⁽⁴⁾.

وهكذا تحولت الأنظار من أرض كنعان إلى أرض الميعاد ، وكان ذلك الوعد الذي قطعه الرب مع إبراهيم يمثل شعارا لإسرائيل حاليا من النيل إلى الفرات ، وتردد ذلك على ألسنتهم ، وأصبح لديهم خريطة وضحت حدودها بعدما كانت مجهولة لعدة قرون .

1. سفر التكوين ، الإصحاح 15 ، الفقرة 7 .

2. ناجح المعموري ، أفنعة التوراة " تزوير الرموز واستبدال العقائد والأساطير " ، (عمان : دار الأهلية للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2002 م) ، ص 111 .

3. سفر التكوين ، الإصحاح 15 ، الفقرة 18 .

4. صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ص 319 .

إن الإله العبراني من صنع اليهود ، فهناك دليل على الكذب لأن نهر النيل أطول من نهر الفرات "نهر النيل من أطول أنهار العالم حوالي 6640 كم في حين أن نهر الفرات 2330 كم منها 1200 كم في العراق ، 675 كم في سوريا ، 455 كم في تركيا" فلو كان يعلم هذا الإله بعض المعلومات الجغرافية لما وقع في الخطأ ، فالإله يفترى حتى يمنح الأراضي لشعبه (1).

تمسك اليهود بحجة أنهم من نسل إبراهيم من أجل وراثة الوعود ، وحاولوا أن يوهوا من والاهم بأن إسحاق هو صاحب النسل المقصود ولا صلة لإسماعيل بذلك الوعد ، غير أن هذا النسل لم يحدد ، بل شمل جميع النسل المنحدر من إبراهيم ، و من متابعة إصحاحات التوراة وجدنا أن هذا الوعد أعطي ولم يكن لإبراهيم أولاد ، فكيف يلصق وعد بنسل لم يوجد بعد ؟.

ثم جاء في الإصحاح السابع عشر : (وَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظْ عَهْدِي أَنْتَ وَنَسْلَكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ . هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ يُخْتَنُ فِيكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ . فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ . فَيَكُونُ عَلَامَةً عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ . ابْنُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ مِنْ أَجْيَالِكُمْ . وَلِيَدُ الْبَيْتِ وَالْمُبْتَاعِ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنٍ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ . يُخْتَنُ خِتَانًا وَلِيَدِ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعِ بِفِضَّتِكَ . فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا) (2).

ثم يتابع الإصحاح : (فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ ابْنَهُ وَجَمِيعَ وَلَدَانِ بَيْتِهِ وَجَمِيعَ الْمُبْتَاعِينَ بِفِضَّتِهِ كُلُّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْلَتِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ كَمَا كَلَّمَهُ اللَّهُ . وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً حِينَ خَتَنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ . وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً حِينَ خَتَنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ . فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ خَتَنَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنَهُ . وَكُلُّ رِجَالِ بَيْتِهِ وَلَدَانِ الْبَيْتِ وَالْمُبْتَاعِينَ بِالْفِضَّةِ مِنْ ابْنِ الْعَرِيبِ خَتَنُوا مَعَهُ) (3).

وقد اقترن الوعد بمولد إسماعيل فكان الوريث الأول لإبراهيم قبل غيره من الأبناء ، وكان هذا الوعد هو الختان الذي حصل لإسماعيل عليه السلام وهو ابن ثلاثة عشرة سنة دون إسحاق الذي لم يولد

1. طلعت رضوان ، مقال سابق ، ص 66 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 17 ، الفقرات 9 - 13 .

3. سفر التكوين ، الإصحاح 17 ، الفقرات 23-27 .

بعد ، فكيف يغيب عن الوعد من كان حاضرا على من كان غائبا ، فكان الأولى للابن البكر من الابن الأصغر .

إن الوعد بامتلاك الأرض لإبراهيم لم يتجسد على أرض الواقع في تلك الفترة التي عايشها إبراهيم ، فالتوراة تشهد أن إبراهيم لم يملك شيئا من أرض كنعان ، بل كان فيها غريبا ، وحل ضيفا على بني حث ، واشترى منهم مغارة لكي يدفن زوجته فيها ، فإذا كانت أرض كنعان ملكا لإبراهيم كما وعده الرب ، فهل يشتري مالك الأرض وهي ملك له؟! ، وهل هذا المكان الذي اشتراه إبراهيم أو بالأحرى ذلك المدفن الذي امتلكه إبراهيم أصبح المكان لهم؟! ، وهل نقول أنه بمجرد الشراء أثبت اليهود أن الأرض لهم وأصبحت لهم حرية البيع والشراء! .

إن هذه الخطوات التي قام بها إبراهيم عليه السلام المتعلقة بشراء المغارة لم يكن من هدفها الاستيطان أو توريثها لمن سيأتون خلفه من اليهود ، كما أن هذا المكان الذي اشتراه إبراهيم عليه السلام يعد جزءا صغيرا ، ولا مجال للمقارنة به بمنطقة كنعان ، فهل نقول انطلاقا من هذه المعطيات والخلفيات أن هذا المدفن الذي امتلكه إبراهيم عليه السلام يرثه اليهود بمجرد إثبات الملكية لإبراهيم ؟ ويحق لهم أن يمتلكوه ويطالبون بالأرض التي احتوتها؟ وينتزعونها من المالكين الشرعيين والحقيقيين لها؟ .

وهكذا غدا ذلك المكان الصغير مرجعا حقيقيا وله علاقة رابطة باليهود ويجنون إلى العودة إليه ، ويستشيرون عواطف الأمم ، وترسخت في فكرهم عقيدة الأرض الموعودة .

إن التوراة على أساس عدة اعتبارات وضعت للقبيلة العبرية مجموعة من القواعد ، منها أن النبي إبراهيم هو أب كل العبريين ، وهم منحدرين من نسله وبفضل علاقته مع الرب "إيل" تمكن من ضمان أرض خاصة بهم بعدما أتوا إليها وهي لم تكن ملكهم ، وأن الشاهد على ذلك هو بصمة الختان التي عززت وثاق العقد وأكدته ، وأصبحت هذه العلامة رمز فخر اليهودي يتميز به عن بقية الناس (1) .

- الوعد لإسحاق عليه السلام

يتحول الوعد بعد البشرية بمولد إسحاق عليه السلام ويختص به ، كما دلت على ذلك التوراة في الإصحاح السابع عشر: (وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلَّهِ كَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعْيشَ أَمَامَكَ. فَقَالَ اللَّهُ بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ

1. سيد محمد القمني ، المرجع السابق ، ص 12-13.

لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ . وَأَقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسَلِهِ مِنْ بَعْدِهِ . وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ . هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأَكْثُرُهُ كَثِيرًا جَدًّا . ائْتِي عَشْرَ رَئِيسًا يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً . وَلَكِنْ عَهْدِي أَقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةَ⁽¹⁾ .

وقد انتقلت بعض النصوص من الأب إلى الابن ، وأصبحت سلسلة الوعود بالأرض مقصورة على بني إسرائيل وحدهم ، وهكذا أفردت التوراة إسحاق ليرث الأرض عن أبيه وجردت إسماعيل من حقه وأقصته واستبعدت بذلك ذرية إسماعيل من هذا الوعد ، ودليلها في ذلك ضعيف لأنها احتجت بأن إسماعيل ابن جارية وأبناء الجوارى لا حقوق لهم ، رغم أنها نصت على أن تجعل إسماعيل أمة وتكثر نسله ، فليس هناك إشارة إلى حرمان إسماعيل من الوعود .

ومن ذلك ما جاء في الحديث عن رفض سارة وراثته إسماعيل : (فَقَبَحَ الْكَلَامُ جِدًّا فِي عَيْنِي إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ . فَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ . لَا يَقْبَحُ فِي عَيْنِكَ مِنْ أَجْلِ الْعَلَامِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ . فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعُ لِقَوْلِهَا . لِأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ . وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لِأَنَّهُ نَسْلُكَ)⁽²⁾ .

إن هدف كاتب "سفر التكوين" هو التمهيد لعودة (ملكة داود) ولكي تكون القضية ذات صبغة شرعية حيث يجعل وعد إبراهيم ويحوله إلى إسحاق من أجل إخراج إسماعيل وأبنائه ، وليجعل من إسحاق وسيلة لكي يحول هذا الوعد إلى يعقوب ، ثم يتمكن من حصره في جماعة إسرائيل ، ثم يجعله في ذرية داود حتى يصبح في مملكة الجنوب بدلا من الشمال ، وترجع بذلك مملكة يهوذا⁽³⁾ .

ثم تضيي التوراة قداسة على إسحاق وتحاول أن تخلق علاقة وثيقة بين الأب والابن وتجعله الابن المفضل والقريب منه ، بل تصرح بأنه وحيد أبيه ، وذلك في سياق حديثها عن قصة الذبيح التي ذكرناها سابقا فجاء في الإصحاح الثاني والعشرين : (خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ)⁽⁴⁾ .

1. سفر التكوين ، الإصحاح 17 ، الفقرات 18- 21 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 21 ، الفقرة 11- 12 .

3. محمد بن علي بن محمد آل عمر ، المرجع السابق ، ص 220 .

4. سفر التكوين ، الإصحاح 22 ، الفقرة 2 .

وقد ذكرنا سابقا أن الولد الوحيد هو إسماعيل عليه السلام ورافقه طوال المرحلة التي لم يرزق بها بالولد الثاني إسحاق ، وأن إسحاق قد أقحم في هذا النص لإفراد بني إسرائيل بالوعد ، على الرغم أنه لم يصرح بالمقصود في النص .

ثم توالت بعد ذلك الوعود على إسحاق ومنها ما جاء في سياق الحديث عن هجرة إسحاق إلى مصر بسبب المجاعة : (وَوَضَعَهُ لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ لَا تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ . اسْكُنْ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ . تَعَرَّبْ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ . فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكُكَ . لِأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ . وَأَكْثَرُ نَسْلِكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ وَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعِ أُمَّمِ الْأَرْضِ)⁽¹⁾.

ثم تابع الإصحاح السادس والعشرون : (فَوَضَعَهُ لَهُ الرَّبُّ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَقَالَ أَنَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ . لَا تَخَفْ لِأَنِّي مَعَكَ وَأُبَارِكُكَ وَأَكْثَرُ نَسْلِكَ مِنْ أَجْلِ إِبْرَاهِيمَ عَبْدِي)⁽²⁾.

بين هذا الإصحاح أن الرب ظهر لإسحاق لكنه لم يمنحه الأرض ، فلم يعد الوعد مرتبطا بما بل ظهر له بعد وفاة إبراهيم ومنحه البركة فقط .

كما أن هناك دليلا من التوراة يشير إلى أن إسماعيل وإسحاق قد اشتركا في دفن أبيهما إبراهيم ، ولم يحدث تفريق بينهما ، جاء في الإصحاح الخامس والعشرون : (وَدَفَنَهُ إِسْحَاقُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنَاهُ فِي مَعَارَةِ الْمَكْفِيلَةِ فِي حَقْلِ عَفْرُونَ بْنِ صُوحَرَ الْحِثِّيِّ الَّذِي أَمَامَ مَمْرًا)⁽³⁾.

وأثناء اقتراب أجل إبراهيم كان بقره ابنه البكر إسماعيل مع إسحاق ، وقد اشتركا في دفن أبيهما وكل واحد منهما متحملا المسؤولية التي ألقيت على كاهله ، وعلى هذا الاعتبار فمن غير المنطق أن نأخذ بالأفكار التوراتية عن تفضيلها لإسحاق التي لا سند لها في تقديم الحقائق⁽⁴⁾.

غير أننا نلاحظ في النص تقديم الإبن الأصغر على الإبن البكر ، كما أن التوراة في أسفارها تحت إسم إسماعيل ولم يعد يذكر في إصحاحاتها.

1. سفر التكوين ، الإصحاح 26 ، الفقرة 2-4 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 26 ، الفقرة 23-24 .

3. سفر التكوين ، الإصحاح 25 ، الفقرة 9 .

4. صابر طعيمة ، المرجع السابق ، ص 19 .

- الوعد ليعقوب عليه السلام

ثم تستأنف التوراة سردها للعهود وتنهال على أنبيائها ، وتؤكد ذلك باستمرار وتصر على موقفها ، حتى انتهى بها المطاف إلى تحويل الوعد إلى يعقوب وبنيه لكي يتسنى لهم فتح الطريق لامتلاك فلسطين وإلى الأبد بمواثيق غير متناهية ، وتصبح حجتهم في ذلك شرعية وقانونية في العودة إلى فلسطين واحتلالها.

وتواصل التوراة في إقصائها الأبناء ، والاعتراف بالوعد لأبناء آخرين ، وقد جاء ذكر الوعد في التوراة هذه المرة بعدما شاخ إسحاق عليه السلام وأصبح طاعنا في السن ، ولم تكن هناك مناسبة لذكر ابنه إلا في هذا السن ، والمرحلة المتأخرة.

وقد تم إبعاد عيسو الابن الأكبر بحيلة دبرتها أم يعقوب عليه السلام وألبسته ثياب أخيه عيسو وقدمته لأبيه إسحاق الشيخ الكبير والضرير ، على أساس أنه ابنه عيسو من أجل أخذ البركة التي تمكن من أخذها بالفعل وأصبح وريثه ، وبعد أن تم له ذلك علم الأب في الأخير بهذه الحيلة ، فجاءت قصة ذلك : (وَقَالَ عَيْسُو) لَأَبِيهِ بَارِكْنِي أَنَا أَيْضًا يَا أَبِي . فَقَالَ قَدْ جَاءَكَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ⁽¹⁾.

ثم جاء في الإصحاح الثامن والعشرين : (فَدَعَا إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ وَأَوْصَاهُ... وَاللَّهُ الْقَدِيرُ يُبَارِكُكَ وَيَجْعَلُكَ مُثْمِرًا وَيُكثِّرُكَ فَتَكُونُ جُمْهُورًا مِنَ الشُّعُوبِ . وَيُعْطِيكَ بَرَكَاتٍ إِبْرَاهِيمَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ مَعَكَ . لِتَرِثَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ الَّتِي أَعْطَاهَا اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ)⁽²⁾ ، فكانت البركة التي أخذها مزيفة بل مغتصبة من الحق الشرعي.

ويرد الوعد ليعقوب عليه السلام بعدما كان متوجها إلى حاران ليتزوج من قبيلة آبائه أثناء رؤية كما تذكر التوراة (أَنَا الرَّبُّ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ . الْأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ . وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَثْرَابِ الْأَرْضِ وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالًا وَجَنُوبًا . وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي

1. سفر التكوين ، الإصحاح 27 ، الفقرة 24-25 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 28 ، الفقرة 1 ، 3-4 .

نَسَلِكَ جَمِيعَ قَبَائِلِ الْأَرْضِ. وَهَآ أَنَا مَعَكَ وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ وَأَرُدُّكَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ . لِأَنِّي لَا أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّفْتُكَ بِهِ (1).

وهكذا يصبح عيسو كإسماعيل خارجا من إطار الوعد والعطاء الإلهي ، على الرغم أن اليهود احتجوا بأن إسماعيل ابن جارية ، لكن عيسو ويعقوب من أم واحدة ، فلا مجال لصرف الوعد عنه ، والتوراة في حد ذاتها لم تنكر بركة الرب لإسماعيل وعيسو ، فقد أكدت ذلك ورضت عنهما ، وهنا نلمس العنصرية اليهودية من خلال نصوصها والأفضلية في الأولاد.

يجب التفريق بين الوعود التي منحت لإبراهيم والتي منحت ليعقوب عليهما السلام ، فوعد إبراهيم بمنحه الأرض التي امتدت من نهر مصر إلى نهر الفرات ، أما وعد يعقوب فكان مقتصرًا على المكان الذي كان يضطجع فيه وهو بذلك منطقة صغيرة من أرض كنعان (2).

ويوصف يعقوب بالمكر والخداع والغدر ، وانتهاز كل الفرص لتحقيق أهدافه ، وتذكر نصوص التوراة أن الإرث إرث البركة وليس الأرض .

وكان باستطاعة الأب الذي خُدِعَ أن يترع البركة ممن أخذها منه خداعا ومكرا ويعطيها ممن له حق فيها ، أو تعطي للإثنين معا على أساس المساواة بينهما ، ولا يعقل أن يكافئ الأب ابنه يعقوب المخادع ببركة كان قد أخذها عنوة وخداعا (3).

ثم يتكرر الوعد ليعقوب ومن ذلك : (وَقَالَ لَهُ اللَّهُ الْقَدِيرُ . أَتَمِرُ وَأَكْثُرُ . أُمَّةٌ وَجَمَاعَةٌ أُمَّمٌ تَكُونُ مِنْكَ . وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ وَالْأَرْضُ الَّتِي أُعْطِيتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ لَكَ أُعْطِيهَا . وَلِنَسَلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الْأَرْضَ) (4).

ويعقوب عندما حضرته الوفاة أعطى لأبنائه الإثني عشر من بركته ، لكنها تختلف ولم تكن متساوية بينهما ، فكانت توزع بحسب ما رآه مناسبًا لكل سبط (5) وهذه البركة منع منها سبط لاوي.

1. سفر التكوين ، الإصحاح 28 ، الفقرة 13-15 .

2. طارق العماري ، المرجع السابق ، ص 34 .

3. عبد المجيد همو ، ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية ؟ ، المرجع السابق ، ص 167 .

4. سفر التكوين ، الإصحاح 35 ، الفقرة 11-12 .

5. أنظر : سفر التكوين ، الإصحاح 49 .

وهناك إشارة لأصول ذلك الوعد وأسبابه الفكرية وأهمها أن الوعد بالأرض له معنى الوعد بالاستقرار ، الذي أعطي في بداية الأمر لجماعات من البدو الرحل وكان هدفهم الاستقرار في أي مكان يصلون إليه ، ولم يكن هدف ذلك الوعد الغزو السياسي والعسكري⁽¹⁾.

– الوعد لموسى عليه السلام

وقد ذكرت التوراة جملة من وعود كانت موجهة للنبي موسى عليه السلام وهي مكررة في مواضع كثيرة كغيرها من الوعود التي كانت موجهة لإبراهيم وذريته كما رأينا سابقا .
ومن بين هذه الوعود الأمر الإلهي بدخول بني إسرائيل إلى أرض الميعاد وتخصيص جزء منها لهم بحدودها التي ذكرتها التوراة ، ومنها أيضا الوعد بدخول هذه الأرض مع منع موسى وهارون من دخولها⁽²⁾ باعتبار أنهما خانا الرب حسب قول التوراة⁽³⁾.

وهناك جملة من الوعود لموسى عليه السلام وقومه بإعطائهم أرضا جيدة وإنقاذهم من الأرض التي كانوا يعيشون فيها ، فجاء في الإصحاح الثالث من سفر الخروج : (فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ . فَقَالَ الرَّبُّ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخَّرِيهِمْ . إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ . فَنَزَلْتُ لِأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ وَأُصْعِدُهُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَّاسِعَةٍ . إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبْنَا وَعَسَلًا)⁽⁴⁾.

ذكرت التوراة أن موسى عليه السلام علم بمغبة قومه ، وما عانوه أثناء تلك الفترة ، وما كانوا يعيشونه من مذلة واستعباد في أرض مصر ، فتحصر لذلك الموقف وكان تطلعه إلى أرض أكثر أمانا وسلاما لقومه إلى موطن يجمعهم من هذا التشرذم والضياع بين الأمم ، فحمل مهمة القائد المنقذ لشعبه ، وكانت المبادرة بالإخراج من الإله الذي استعان به موسى فاستجاب لإنقاذهم ووعدهم بإخراجهم

1. روجي جارودي ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، المرجع السابق ، ص 45 .

2. ذكرت التوراة أن موسى وهارون حرمت عليهما الأرض المقدسة ومنعا من دخولها كما هو وارد في سفر التثنية من الإصحاح الثاني والثلاثون قال الرب لموسى وهارون : (لِأَنَّكُمْ خُتَمْتُمَا فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِيْبَةَ قَادِشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينِ إِذْ لَمْ تُقَدِّسَانِي فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَإِنَّكَ تَنْظُرُ الْأَرْضَ مِنْ قِبَالِهَا وَلَكِنَّكَ لَا تَدْخُلُ إِلَى هُنَاكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) . الإصحاح 33 ، الفقرة 51-52 .

3. عابد توفيق الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 136 .

4. سفر الخروج ، الإصحاح 3 ، الفقرات 6-9 .

إلى أرض كنعان ، الأرض التي اشتهرت بأنها تذر لبنا وعسلا ، ويستمر الوعد لموسى حيث يكلمه الله بقوله (أَقَمْتُ مَعَهُمْ عَهْدِي أَنْ أُعْطِيَهُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ غُرْبَتِهِمُ الَّتِي تَعْرَبُوا فِيهَا)⁽¹⁾.
ذكرنا فيما سبق أن بني إسرائيل مكثوا في مصر أربعمئة وثلاثين سنة حسبما ذكرت التوراة ، وكان ذلك ما يعادل أربعة أجيال.

إن طول المدة التي أقامها بنو إسرائيل في مصر تعني أنهم لم يكونوا مهتمين بأرض فلسطين ولم تكن تخطر على بالهم فهي بعيدة كل البعد عن أفكارهم حتى أنهم نسوها ، بل ونسى إلههم وعده لهم بهذه الأرض كما نصت على ذلك نصوصهم⁽²⁾.

ويتضح من نسيان الرب لهذه الأرض ما ذكره الإصحاح من أن الرب قد جذبته صراخ بني إسرائيل تحت وطأة المصريين : (وَأَنَا أَيْضًا قَدْ سَمِعْتُ أَنِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ اسْتَعْبَدَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَتَذَكَّرْتُ عَهْدِي)⁽³⁾ ، وهكذا توصف الأرض بأنها أرض غربة كما عهدت أن توصف مع آباء بني إسرائيل.

ثم يذكر الإصحاح السادس أن الرب جعل بني إسرائيل شعبه دون بقية الشعوب وأنه إله خاص بهم وحدهم دون البقية فهو الذي أخرجهم من مصر وأدخلهم إلى الأرض التي وعد بها آباءهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وأصبحت هذه الأرض ميراثا لبني إسرائيل (وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا . فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ الَّذِي يُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ . وَأُدْخِلُكُمْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي أَنْ أُعْطِيَهَا لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ . وَأُعْطِيَكُمْ إِيَّاهَا مِيرَاثًا)⁽⁴⁾.

وحتى يتمكن بنو إسرائيل من دخول أرض كنعان جاءهم الدعم من الإله بإرسال ملاك يسير أمام موسى وقومه من أجل تشجيعهم وإبادة الشعوب التي تعيش في فلسطين ، فجاء في الإصحاح الثالث والعشرين : (فَإِنَّ مَلَكَ يَسِيرُ أَمَامَكَ وَيَجِيءُ بِكَ إِلَى الْأُمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفَرُزِيِّينَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ وَالْحُوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ . فَأَبِيدُهُمْ)⁽⁵⁾.

1. سفر الخروج ، الإصحاح 6 ، الفقرة 4 .

2. محمد بن علي بن محمد آل عمر ، المرجع السابق ، ص 233 .

3. سفر الخروج ، الإصحاح 6 ، الفقرة 5 .

4. سفر الخروج ، الإصحاح 6 ، الفقرة 8-7 .

5. سفر الخروج ، الإصحاح 23 ، الفقرة 23 .

ثم تحدث نفس الإصحاح عن طرد هذه الشعوب وإكثار بني إسرائيل وتملكهم هذه الأرض التي اتسعت حدودها بعدما كانت تشمل فلسطين فقط : (قَلِيلًا قَلِيلًا أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ إِلَى أَنْ تُثْمَرَ وَتَمْلِكَ الْأَرْضَ . وَأَجْعَلَ تَخُومَكَ مِنْ بَحْرِ سُوفٍ إِلَى بَحْرِ فِلِسْطِينَ وَمِنْ الْبَرِّيَّةِ إِلَى النَّهْرِ . فَإِنِّي أَدْفَعُ إِلَى أَيْدِيكُمْ سُكَّانَ الْأَرْضِ فَتَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ)⁽¹⁾.

إن الرب عين لبني إسرائيل حدود الأرض التي يمتلكونها وينتزعونها من أصحابها ، ثم يطردونهم منها ، وهذا ما لم يحصل عبر تاريخ بني إسرائيل وطوال تواجدهم بفلسطين ، فقد عرف عنهم أنهم جنباء يخافون الموت ، ويختبئون خشية الحرب ، فكيف يواجهون أصحاب الأرض ثم يطردونهم ؟ كما أن هذه الحدود التي عينها الرب ظلت غامضة.

ثم تواصل التوراة عهودها لبني إسرائيل لبحث أحوال المنطقة واستقصاء أخبارها ، ويحيى أمر الرب ببعث موسى عليه السلام جواسيساً من أجل جمع المعلومات التي تسبق الهجرة إلى أرض كنعان، ثم تتكرر عبارة منحهم الأرض فحاء : (أَرْسِلْ رِجَالًا لِيَتَحَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)⁽²⁾.

ثم جاء في الإصحاح الأول من سفر التثنية أمر الرب بكف بني إسرائيل عن التحول والبحث حول جوانب المدينة بل أمرهم بالدخول إليها مباشرة وبسرعة ، ووسع لهم مساحة الإمتلاك سواء داخل فلسطين أو خارجها : (الرَّبُّ إِلَهْنَا كَلَّمَنَا فِي حُورَيْبَ قَائِلًا . كَفَاكُمْ قُعُودٌ فِي هَذَا الْجَبَلِ . تَحَوَّلُوا وَارْتَحَلُوا وَادْخُلُوا جَبَلَ الْأُمُورِيِّينَ وَكُلِّ مَا يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبَةِ وَالْجَبَلِ وَالسَّهْلِ وَالْجَنُوبِ وَسَاحِلِ الْبَحْرِ أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ وَلُبْنَانَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ)⁽³⁾.

والواضح أن موسى عليه السلام وبني إسرائيل أثناء وقوفهم على مشارف أرض كنعان قد دخل إليهم الطمع وتحول إلى وعد جديد ، وهذا أفصح عن أغراضهم التي أصبحت تشمل مناطق لبنان والساحل حتى امتدت إلى نهر الفرات⁽⁴⁾.

1. سفر الخروج ، الإصحاح 23 ، الفقرة 30-31 .

2. سفر العدد ، الإصحاح 13 ، الفقرة 1-2 .

3. سفر التثنية ، الإصحاح 1 ، الفقرة 6-7 .

4. عبد الله التل ، جذور البلاء ، المرجع السابق ، ص 13 .

ثم يأتي أيضا طلب الرب لموسى بدخول أرض كنعان من أجل امتلاكها وتذكيرهم بوعده الرب لأجدادهم : (انظرُ قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكُمْ . ادْخُلُوا وَتَمَلَّكُوا الْأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِآبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ وَلِنَسْلِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ⁽¹⁾).

ثم يذكر الإصحاح الثامن صفات الأرض التي منحت لبني إسرائيل وما يختص بها من مميزات جعلتها تفوق كثيرا من الأراضي بما تتميز به من ثروات طبيعية ومعنوية ، فهي أرض خصبة ذات خضرة وماء وتتمتع بأشجار مختلفة الألوان وذات زروع وثمار كثيرة ، يعيش فيها الشخص دون أن يحتاج لأي شيء ، على اعتبار ما توفر بها وما احتوته من خيرات كثيرة : (لَأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ آتٍ بِكَ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ أَرْضٍ أَنْهَارٍ مِنْ عُيُونٍ وَعِمَارٍ تَتَّبِعُ فِي الْبَقَاعِ وَالْجِبَالِ . أَرْضٍ حَنْطَةٍ وَشَعِيرٍ وَكَرْمٍ وَتِينٍ وَرُمَّانٍ . أَرْضٍ زَيْتُونٍ زَيْتٍ وَعَسَلٍ . أَرْضٍ لَيْسَ بِالْمَسْكَنَةِ تَأْكُلُ فِيهَا خُبْزًا وَلَا يَعُوزُكَ فِيهَا شَيْءٌ . أَرْضٌ حِجَارُتُهَا حَدِيدٌ وَمِنْ جِبَالِهَا تَحْفَرُ نَحَاسًا . فَمَتَى أَكَلْتَ وَشَبِعْتَ ثُبَارَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ لِأَجْلِ الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ الَّتِي أَعْطَاكَ⁽²⁾).

فهذه النصوص وغيرها لا تقف عند أرض كنعان ، بل تتعدها لتشمل أراض أخرى ليست لهم ؛ فالرب كان مخططا لهم في مسيرتهم التاريخية ومنفذا لهم في نفس الوقت ، فحدود الأرض تتسع كلما سنحت لهم الظروف ، وكانت نصوص التوراة صريحة في ذلك.

- الوعد ليشوع بن نون

وهكذا تستمر الوعود لأنبياء بني إسرائيل ويأتي الأمر الإلهي لخليفة النبي موسى يشوع بن نون في الإصحاح الأول من سفر يشوع : (فَالآنَ قُمْ اعْبُرْ هَذَا الْأَرْضَ أَنْتَ وَكُلُّ هَذَا الشَّعْبِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . كُلُّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بَطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أُعْطِيَتْهُ كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى . مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَكِبْنَانَ هَذَا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ جَمِيعِ أَرْضِ الْحَثِيِّينَ وَإِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ نَحْوَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ يَكُونُ تُخْمُكُمْ⁽³⁾).

1. سفر التثنية ، الإصحاح 1 ، الفقرة 8 .

2. سفر التثنية ، الإصحاح 8 ، الفقرات 7-10 .

3. سفر يشوع ، الإصحاح 1 ، الفقرة 2-4 .

وفي هذا الإصحاح أمر الرب يشوع بدخول أرض كنعان ، وقد استغل اليهود هذا النص بإعطاء شرعية بوراثة أرض الميعاد وهي تمتد من بحر الفرات إلى البحر الكبير الذي قصد به البحر الأبيض المتوسط كما جاء في قاموس الكتاب المقدس .

- الوعد لأسباط بني إسرائيل

ثم جاءت العهود بعد وفاة يشوع بن نون ، وصدرت أوامر الرب بتقسيم أرض كنعان على أسباط بني إسرائيل ، فجاء في الإصحاح : (وَقَدْ بَقِيَتْ أَرْضٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا لِلْأُمَّتِكَ . هَذِهِ هِيَ الْأَرْضُ الْبَاقِيَةُ كُلُّ دَائِرَةِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَكُلُّ الْحِشُّورِيِّينَ مِنَ الشَّيْحُورِ الَّذِي هُوَ أَمَامَ مِصْرَ إِلَى تُخْمِ عَقْرُونَ شِمَالًا تُحْسَبُ لِلْكَنْعَانِيِّينَ أَقْطَابُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ الْخَمْسَةِ الْعَزِيِّ وَالْأَشْدُودِيِّ وَالْأَشْقَلُونِيِّ وَالْجَتِّيِّ وَالْعَقْرُونِيِّ وَالْعَوِيِّينَ مِنَ التَّيْمَنِ كُلُّ أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَمَعَارَةُ الَّتِي لِلصَّيْدُونِيِّينَ إِلَى أَفِيقَ إِلَى تُخْمِ الْأُمُورِيِّينَ . وَأَرْضُ الْجَبَلِيِّينَ وَكُلُّ لُبْنَانَ نَحْوِ شُرُوقِ الشَّمْسِ مِنْ بَعْلِ جَادَ تَحْتَ جَبَلِ حَرْمُونَ إِلَى مَدْخَلِ حَمَاةَ جَمِيعِ سُكَّانِ الْجَبَلِ مِنْ لُبْنَانَ إِلَى مِسْرَفُوتَ مَائِمَ جَمِيعِ الصَّيْدُونِيِّينَ أَنَا أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا أَقْسِمُهَا بِالْقُرْعَةِ لِإِسْرَائِيلَ مُلْكًا كَمَا أَمَرْتُكَ⁽¹⁾ .

- الوعد لداود عليه السلام

وقد جاءت الوعود أيضا للبي داود عليه السلام وهي في بعض مواضع العهد القديم ، نذكر منها ما ورد في سفر صموئيل الثاني : (وَالرَّبُّ يُخْبِرُكَ أَنَّ الرَّبَّ يَصْنَعُ لَكَ يَتِيمًا . مَتَى كَمَلْتَ أَيَّامَكَ وَأَضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ أَقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثْبِتُ مَمْلَكَتَهُ هُوَ يَبْنِي يَتِيمًا لِاسْمِي وَأَنَا أُثْبِتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الْأَبَدِ . أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ ابْنًا)⁽²⁾ .

وجاء في نفس السفر : (قَالَ لِي أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ اسأَلْنِي فَأَعْطِيكَ الْأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ وَأَقَاسِي الْأَرْضَ مُلْكًا لَكَ تُحْطِمُهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ مِثْلَ إِنَاءِ خِزَافٍ تُكْسِرُهُمْ)⁽³⁾ .

- الوعد لسليمان عليه السلام

ومن أمثلة الوعود أيضا ما جاء بإعطاء العهد الأبدي للبي سليمان عليه السلام ، وتذكره بأبيه داود

1. سفر يشوع ، الإصحاح 13 ، الفقرات 1-6 .

2. سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح 7 ، الفقرات 12-14 .

3. سفر المزامير ، الإصحاح 2 ، الفقرة 8-9 .

وما تميز به من استقامة ، واشترط الرب على سليمان عليه السلام بحفظ الوصايا وإقامة ملكه على بني إسرائيل (. . .) وَأَنْتَ سَلَكَتَ أَمَامِي كَمَا سَلَكَ دَاوُدَ أَبُوكَ بِسَلَامَةِ قَلْبٍ وَاسْتِقَامَةِ وَعَمَلَتْ حَسَبَ كُلِّ مَا أَوْصَيْتَكَ وَحَفِظْتَ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي . فَإِنِّي أُقِيمُ كُرْسِيَّ مُلْكِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الْأَبَدِ كَمَا كَلَّمْتُ دَاوُدَ أَبَاكَ قَائِلًا لَا يُعْدَمُ لَكَ رَجُلٌ عَنِ كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ⁽¹⁾ .

4- عدم تعلق بني إسرائيل بالأرض المقدسة

وأما هذه الوعود التي أعطيت لأنبياء بني إسرائيل لا نجد أن أرض كنعان كانت مقدسة لديهم أو ذات قيمة فلم يتعلقوا بها ، بل تخلوا عنها في كثير من الأحيان خاصة بعدما مكثوا مدة طويلة في أرض مصر ، ويمكن أن نستخرج ذلك من خلال نصوص التوراة ذاتها ، ومن ذلك ما ورد في إصحاحها : (فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ . وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَيْتَنَّا مِتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ . فَإِنَّكُمْ أَخْرَجْتُمُونَا إِلَى هَذَا الْقَعْرِ لِكَيْ تُمِيتَنَا كُلَّ الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ)⁽²⁾ .

وهذا النص بين رفض دخول بني إسرائيل أرض كنعان بعد خروجهم من أرض مصر وكيف أبدوا غضبهم من النبي موسى عليه السلام فلو كانت مقدسة عندهم لما رفضوا دخولها .

والدليل على أن بني إسرائيل لم يتعلقوا بهذه الأرض ، رغبة بعض أسباط بني إسرائيل منهم : سبط رأوبين ، وسبط جاد ، ونصف سبط منسي ؛ الذين فضلوا السكن في شرق الأردن لما احتوه من مراعي ، بعد إذن موسى لهم بذلك ، شريطة أن يساعد القادرون على القتال بقية الإسرائيليين من أجل دخول أرض كنعان واحتلالها ثم العودة بعد ذلك إلى المنطقة "شرقي الأردن" التي اختاروها⁽³⁾ .

بالإضافة إلى هذه الأدلة التي بينت عدم الرجوع إلى أرض كنعان والاستقرار في المناطق الأخرى عوضاً عنها ، والبحث عن أراضي تسهل لهم سبل العيش وحياة أفضل ، نجد أيضاً هناك

1. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 9 ، الفقرة 4-5 .

2. سفر الخروج ، الإصحاح 16 ، الفقرة 2-3 .

3. محمد بن علي بن محمد آل عمر ، المرجع السابق ، ص 234 .

محاولات أخرى دالة على رفض العودة إلى أرض كنعان بعد السبي البابلي رغم إتاحة فرصة العودة ، حيث فضلوا البقاء هناك كما ذكرنا سابقا.

5- شروط امتلاك الأرض المقدسة

أ- الأدلة من التوراة

وهذه الشروط تكررت كثيرا في النصوص الدينية واعتبرت شروطا مقيدة غير مطلقة ، ونجد هناك اتفاقا بين التوراة و القرآن الكريم على أن الأرض المقدسة قد كتبها الله عزوجل لبني إسرائيل وفق شروط وضوابط ملزمين بالأخذ بها ، وإلا زال عنهم العهد بالأرض ، ويحل عليهم غضب الله ولعنته ويفرقون بين الأمم ، ونحاول هنا أن نستعرض بعض النصوص الدالة على ذلك .

ومن ذلك كلام الرب الموجه لبني إسرائيل وما يحتويه من وصايا ، فجاء في الإصحاح الرابع :
(فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ اسْمَعْ الْفَرَائِضَ وَالْأَحْكَامَ الَّتِي أَنَا أُعَلِّمُكُمْ لِتَعْمَلُوهَا لِكَيْ تَحْيَوْا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الْأَرْضَ الَّتِي الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِكُمْ يُعْطِيكُمْ. لَا تَزِيدُوا عَلَيَّ الْكَلَامَ الَّذِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهِ وَلَا تُنْقِصُوا مِنْهُ لِكَيْ تَحْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلَهُكُمْ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا...أَنْظُرْ قَدْ عَلَّمْتُكُمْ فَرَائِضَ وَأَحْكَامًا كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ إِلَهِي لِكَيْ تَعْمَلُوا هَكَذَا فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ دَاخِلُونَ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكُوهَا...احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَنْسُوا عَهْدَ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَكُمْ وَتَصْنَعُوا لِأَنْفُسِكُمْ تَمَثَالًا مَنْحُوًّا صُورَةَ كُلِّ مَا نَهَاكَ عَنْهُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ)⁽¹⁾.

فكانت هذه مجموعة من الوصايا بطاعة الرب في الأوامر والنواهي والتي تكررت كثيرا في التوراة بسبب ما بدر من بني إسرائيل من عصيان وتمرد واتخاذ آلهة أخرى من دون الله ، فقد عرفوا بتقليد الأمم الأخرى ؛ فكان الالتزام بهذه الوصايا شرط في امتلاك الأرض .

ثم تابعت النصوص ما يحل لبني إسرائيل لعدم الامتثال لأمر الله بمنعهم من دخول الأرض المقدسة ، فجاء في الإصحاح الرابع عشر من سفر العدد : (فَقَالَ الرَّبُّ . . . إِنَّ جَمِيعَ الرِّجَالِ الَّذِينَ رَأَوْا مَجْدِي وَآيَاتِي الَّتِي عَمَلْتُهَا فِي مِصْرَ وَفِي الْبَرِّيَّةِ وَجَرَّبُونِي الْآنَ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِي.

1. سفر التثنية ، الإصحاح 4 ، الفقرة 1-2 ، 5 ، 23 .

لَنْ يَرَوْا الْأَرْضَ الَّتِي حَلَفْتُ لِأَبَائِهِمْ وَجَمِيعِ الَّذِينَ أَهَانُونِي لَأَيَّرُونَهَا (1).

ثم تابعت الوصايا المختلفة لبني إسرائيل وحذرتهم من عبادة آلهة أخرى وبإلحاق عذاب الله بهم ، وإن لم يلتزموا بذلك يندثر ون من هذه الأرض ؛ فيذكر الإصحاح الحادي عشر من سفر التثنية :
(فَاحْفَظُوا كُلَّ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا فِي الْيَوْمِ لِكَيْ تَتَشَدَّدُوا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الْأَرْضَ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا . وَلِكَيْ تُطِيلُوا الْأَيَّامَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِأَبَائِكُمْ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ وَلِنَسْلِهِمْ أَرْضُ تَفِيضُ لَبْنًا وَعَسَلًا . . . فَاحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَنْغَوِيَ قُلُوبُكُمْ فَتَرْتِعُوا وَتَعْبُدُوا آلِهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُوا لَهَا . فَيَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ وَيُعْلِقُ السَّمَاءَ فَلَا يَكُونُ مَطَرٌ وَلَا تُعْطَى الْأَرْضُ غَلَّتَهَا . فَتَيِيدُونَ سَرِيعًا عَنِ الْأَرْضِ الْحَيَّةِ الَّتِي يُعْطِيكُمْ الرَّبُّ) (2).

ثم يحذره الرب من قطع العهود مع سكان أرض كنعان فجاء : (احْفَظْ مَا أَنَا مُوصِيكَ الْيَوْمَ .هَا أَنَا طَارِدٌ مِنْ قُدَّامِكَ الْأُمُورِيِّينَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفَرِزِيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ . احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ آتٍ إِلَيْهَا لئَلَّا يَصِيرُوا فِخًّا فِي وَسْطِكَ) (3).

كما جاء ذلك أيضا في وصية الله للنبي سليمان عليه السلام وعقابه لبني إسرائيل إذا عبدوا آلهة غيره ويصبحون عبرة لجميع الشعوب بسبب ما يفعله بهم الرب : (إِنْ كُنْتُمْ تَنْقَلِبُونَ أَنْتُمْ أَوْ أَبْنَاؤُكُمْ مِنْ وَرَائِي وَلَا تَحْفَظُونَ وَصَايَايَ فَرَأَيْتِي الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَكُمْ بَلْ تَذْهَبُونَ وَتَعْبُدُونَ آلِهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُونَ لَهَا . فَإِنِّي أَقْطَعُ إِسْرَائِيلَ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الَّتِي أُعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا وَالْبَيْتُ الَّذِي قَدَّسْتَهُ لَأَسْمِي أَنْفِيهِ مِنْ أَمَامِي وَيَكُونُ إِسْرَائِيلُ مِثْلًا وَهَزْأَةً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ . وَهَذَا الْبَيْتُ يَكُونُ عِبْرَةً . كُلُّ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ يَتَعَجَّبُ وَيَضْفَرُ وَيَقُولُونَ لِمَاذَا عَمِلَ الرَّبُّ هَكَذَا لِهَذِهِ الْأَرْضِ وَلِهَذَا الْبَيْتِ) (4).

هذه بعض الوعود التي نصت عليها التوراة بالالتزام بأوامر ونواهي الرب، وهي لم تكن مطلقة بل مقيدة بشروط إن انتفى الشرط بطل الوعد ، والالتزام معناه تحقيق الوعد ، وقد أكدت النصوص الدينية والأخبار التاريخية أن بني إسرائيل لم يلتزموا بهذه العهود ، بل ارتكبوا أكبر الكبائر و أفضع

1. سفر العدد ، الإصحاح 14 ، الفقرات 20-23 .

2. سفر التثنية ، الإصحاح 11 ، الفقرة 8-9 ، 16-17 .

3. سفر الخروج ، الإصحاح 34 ، الفقرة 11-12 .

4. سفر الملوك الأول ، الإصحاح 9 ، الفقرة 6-8 .

الجرائم ، ضارين عرض الحائط غير مبالين بما سوف يلحق بهم في تاريخهم المستمر ، المملوء بالمصائب والنكبات .

إن الوعد لبني إسرائيل ليس معناه أفضليتهم عن الشعوب واصطفائهم عنها ، وإنما بسبب ما ارتكبه الشعوب التي تسكن هذه الأرض من آثام ، وهذا الامتلاك ليس مقترنا مع استمرار هذا الشعب في الشرك ، وإنما هو من أجل التوحيد فلو لم يكن مقترنا بذلك لعاشت تلك الأقوام ولما زالت واندثرت مثل قوم لوط وقوم عيسو (1) .

ب- الأدلة من القرآن

الشروط التي ذكرتها التوراة كانت واضحة وموافقة لما جاء في القرآن في خطابه لبني إسرائيل في الكثير من المواضع والمناسبات حيث يقول ﷺ: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (2) .

يقرر القرآن الكريم في هذه الآية حقيقة وراثه الأرض ولن تكون ، فقد وضع شرطا لتمكين بني إسرائيل في الأرض بعدما كانوا مستضعفين في مصر من طرف فرعون الذي استعبدهم وأذلهم ، فالأرض يورثها الله لمن يشاء من عباده إذا استعانوا بالصبر وكانوا من المتقين الصالحين .

فالحقيقة التي بينها القرآن الكريم واضحة ؛ فوراثة الأرض تكون لمن واضب واستمر في حمل الدين ونشر شرائعه ، وليس لمن تخلى عن هذه التعاليم .

كان شرط وراثه الأرض المقدسة التمسك بالدين ، وقد كان بنو إسرائيل ساكنين بها قبل أن يحل عليهم غضب الله ولعنته ، وهم أصحاب الحق فيها غير أنهم لما لجأوا إلى الفساد بدل الصلاح أصبحت الأرض من حق العرب بعد أن دخلوا في دين الله و صاروا ورثة أرض المقدسات لإقامة الشعائر الدينية فيها (3) .

1. ليلي حسن سعد الدين ، مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ، (عمان : دار الفكر ، ط1 ، 1405هـ -

1984م) ، ص 88 .

2. سورة الأعراف ، الآية 128 .

3. عبد العزيز بن مصطفى كامل ، حمى سنة 2000 ، (لندن : المنتدى الإسلامي ، ط3 ، 1420هـ - 2000م) ، ص 28 .

كما بين القرآن أن التمكين في الأرض إنما يكون للقوم الصالحين وليس للقوم المفسدين ، فهذا الشرط إذا انتفى لا حق لهم في وراثة الأرض يقول ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (1).

وقال أيضا ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ فَبِمَا نَقُضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (2).

لقد اشترط الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة التزام بني إسرائيل بما أمرهم به من التمسك بالقواعد الأساسية للدين وجزاهم بمكافأتهم بالجنة ، غير أنهم لم يطيعوا الله ولجأوا إلى الفساد والتحريف .

كما اشترط عزوجل لقطع الميثاق مع بني إسرائيل الثبات على الإخلاص لله وبر الوالدين والإحسان إلى الأقربين والفقراء ، غير أنهم لم يستقيموا وأعرضوا عن ذلك فزالت بذلك مشروعية ملكية الأرض (3).

والدليل على ذلك ما ذكره الله ﷻ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (4).

1. سورة الأنبياء ، الآية 105 .

2. سورة المائدة ، الآية 12- 13 .

3. عابد توفيق الهانسي ، المرجع السابق ، ص 144 .

4. سورة البقرة ، الآية 83 .

ويذكر عز وجل بني إسرائيل بنعمه التي لا تحصى والتي أنعمها عليهم ، ثم قطع عليهم عهدا إن هم أوفوا وفى بعده ، وفي ذلك يقول ﷻ : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (1) .

وهكذا فإن الله بين أن التمكين في الأرض قائما على الصلاح والتقوى ، فإن ذهب ذلك فقدوا الأرض ، وقد قررت التوراة من خلال أسفارها أن بني إسرائيل لم يلتزموا بالوصايا التي فرضها الله عليهم ، بل خالفوها فكان الوعد بالأرض مقيدا بالوصايا .

والسؤال الذي يطرح هل تمسك اليهود بالوصايا المفروضة عليهم ؟ إن التوراة بينت عبر عرضها لتاريخ بني إسرائيل أنهم لم يتمسكوا بالشرائع وتوجهوا نحو تعدد الآلهة وارتدوا عن عبادة الله ، والدليل على فسقهم ما شهدت به أسماء القبائل والمدن والأماكن ، والذين ساندوا فكرة احتلال إسرائيل لفلسطين جهلوا تلك الأخبار ، فاليهود نقضوا ميثاقهم (2) .

ونشير هنا إلى أن التوراة نفسها قد أبت وعد الله بالأرض ، وقد تحقق الهلاك لبني إسرائيل وأصبحوا مشتتين في مختلف بقاع العالم ، وانحرفوا عن عبادة إلههم إلى عبادة آلهة الأقوام الآخرين ، فكانت حياتهم في تلك المناطق تفتقر إلى الأمن والطمأنينة ، فكانوا يعيشون حالة اللااستقرار غير آمنين على حياتهم وذلك عقاب الله لهم ، فجاء في الإصحاح الثامن والعشرين من سفر التثنية : (وَيَبْدُدُكَ الرَّبُّ فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ مِنْ أَقْصَاءِ الْأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا وَتَعْبُدُ هُنَاكَ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلَا آبَاؤُكَ مِنْ خَشَبٍ وَحَجَرٍ . وَفِي تِلْكَ الْأُمَّمِ لَا تَطْمَئِنُّ وَلَا يَكُونُ قَرَارٌ لِقَدَمِكَ بَلْ يُعْطِيكَ الرَّبُّ هُنَاكَ قَلْبًا مُرْتَجِفًا وَكَلَالَ الْعَيْنَيْنِ وَدَبُولَ النَّفْسِ وَتَكُونُ حَيَاتُكَ مُعَلَّقَةً قُدَّامَكَ وَتَرْتَعِبُ لَيْلًا وَنَهَارًا وَلَا تَأْمَنُ عَلَى حَيَاتِكَ) (3) .

ونستطيع القول أن الأرض التي وعدوا بها وضعت تحت شروط وضيابط كما رأينا، وأن الوعد لم يكن قاصرا عليهم وأن الأنبياء ينتسبون إلى من اتبع الدين وليس لمن فرط فيه ، فالأولى بالأرض

1. سورة البقرة ، الآية 40 .

2. محمد بن علي بن محمد آل عمر ، المرجع السابق ، ص 226- 229 .

3. سفر التثنية ، الإصحاح 28 ، الفقرة 64- 66 .

أصحاب التوحيد والعقيدة الصحيحة القائمة على الحق والعدل ، المستقاة من الشريعة السماوية الفاضلة التي لا زيف فيها ولا انحراف .

المطلب الثاني : الادعاءات التاريخية

حاولت الحركة الصهيونية ترير ادعاءاتها وإثبات أن لليهود حقوقا تاريخيا في الأرض الموعودة وأنكرت وجود أي شعب آخر يشاركهم هذه الأرض ، وصاغت هذه الفكرة إلى جانب الأدلة الدينية ، الأدلة التاريخية .

1- أقوال بعض زعماء اليهود حول الأحقية بفلسطين

وقد جاءت شهادات عديدة لأراء بعض اليهود تطالب بهذا الحق ، وأن لليهود جذور تاريخية ضاربة في القدم ، وأن هذا الأمر مسلم به دون مناقشة .

ومن هذه الآراء أن المنظمة الصهيونية العالمية قدمت مذكرة إلى مؤتمر السلام الذي عقد بجنيف عقب الحرب العالمية الأولى ، وجاء فيه أن هذه الأرض هي الموطن التاريخي لليهود⁽¹⁾ .

وجاء في إعلان إنشاء دولة إسرائيل عام 1948 : (موجب الحق الطبيعي والتاريخي للشعب اليهودي تقوم على أرض فلسطين دولة اليهود)⁽²⁾ .

وقد جعل تاريخ فلسطين وكأنه للإسرائيليين فقط ويعنيهم وحدهم ، وتتواصل التصريحات حول الحديث عن هذا الموطن فيقول هرتزل : (إن فلسطين التي نريد هي فلسطين داود وسليمان)⁽³⁾ .

فهذا النص جعل لأرض فلسطين امتدادا تاريخيا ، وجعلها مرتبطة بمملكة داود وسليمان ، هذه المملكة التي يفتخر بها اليهود دائما ، ويذكرونها في تصريحاتهم ، ويعتقدون بأنها لم تشمل فلسطين فحسب بل تتعدها بكثير

ويقول هرتزل أيضا في نص آخر : (فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ينسى ، وهذا الإسم وحده سوف يكون صرخة التجمع القوية لقومنا)⁽⁴⁾ .

1. روجيه جارودي ، ملف إسرائيل ، المرجع السابق ، 33 .

2. المرجع نفسه .

3. محمد بن علي بن محمد آل عمر ، المرجع السابق ، ص 237 .

4. المرجع نفسه .

إن ما تروجه الحركة الصهيونية هي جعل علاقة بين "الحقوق التاريخية" وفكرة "أرض الميعاد" حتى تعطي صبغة شرعية لامتلاك فلسطين وجعل سند لها وحق إلهي⁽¹⁾.

ويقول بن جوربون: (لا معنى لإسرائيل من غير القدس ، ولا معنى للقدس من غير الهيكل)⁽²⁾.

وقد اعتبر القدس عاصمة دينية مقدسة وهي جزء من فلسطين ، ولا معنى لها إلا ببناء الهيكل لكي يكتمل الوطن ، فهما مرتبطتان ببعضهما البعض ولا يمكن فصلهما.

والسؤال المطروح أليس هناك دعائم وأسس يقوم عليها الوطن الذي يستدعي الإقامة بصفة دائمة و مستمرة ، والاستقرار دون الهجرة ، وعدم المغادرة بنية الابتعاد أو الهرب ، أو دون مواجهة ودفاع عنه إذا تعرض لأذى!؟.

والمتفق عليه أن حق أي شعب بوطن يقوم على ركيزتين : الأقدمية في السكن والإستمرار دون ابتعاد ، و الركيزتان لا تنطبقان على الشعب اليهودي بالدليلين التوراتي والتاريخي ، وهما ينطبقان على الفلسطينيين وليس من حق إرادات دولية إسناد الركيزتين لشعب ما بوطن لا حق له فيه⁽³⁾.

ونقول أن المصدر الذي اعتمد عليه اليهود ، واعتبروه كوثيقة تاريخية يعتد بها في إثبات أحقيتهم في فلسطين ، و كمرجع يمكن أن يستدلوا بما جاء فيه من أجل المطالبة بهذا الحق ، فلا وجود غير التوراة والعهد القديم الذي تحدث بصورة وافية وبصورة تفصيلية عن تاريخ فلسطين القديم ، وعلى الأرجح مسيرة اليهود وتاريخهم وحرورهم وسلوكهم وانقساماتهم وتشتتهم ، وكل ما يتعلق بهم ، فهو تاريخ شامل لليهود ، بغض النظر عما احتواه من تناقضات واختلافات وافتراءات.

2- قدماء سكان فلسطين

نحاول أن نعرض ما جاء فيه من أحداث وأخبار ، ونبين الأسبقية الزمنية لتواجد شعوب كانت أكثر قوة وحضورا وتوافدا على منطقة فلسطين وما جاورها ، وذلك من خلال الهجرات المتتابعة والمستمرة ، والتي تعد من أقدم الهجرات قبل هجرة اليهود إليها ، والاستقرار الدائم الذي صاحب فترات وجودها ، خلافا لما كان وما بدى من اليهود الذين عرفوا اللااستقرار في المنطقة ، بل

1. روجيه جارودي ، ملف إسرائيل ، المرجع السابق ، ص 33 .

2. المرجع نفسه .

3. يوسف أيوب حداد ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 305 .

المجرة والفرار إلى مناطق أخرى أكثر أمنا واستقرارا ، في حين بقيت شعوب فلسطين الأخرى ، وأثبتت وجودها ، وقاومت بشدة ما تعرضت له من هزات وصراعات وتنافسات في فلسطين.

أ- الأدلة التوراتية

للبحث عن هذا التاريخ نرجع إلى إصحاحات التوراة ، ونبدأ بإبراهيم عليه السلام ونتعرض لأهم الدلائل على أسبقية السكان ، وهم الكنعانيون ، وقد جاء الحديث عنهم أثناء ذكر الهجرة التي قادها إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان ، ومن ذلك ما ورد في الإصحاح الثاني عشر : (وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الْأَرْضِ) (1).

فهذا أول نص توراتي يأتي على ذكر الكنعانيين كشعب سابق لوجود اليهود ، فيدل على أسبقية الوجود الكنعاني ، فاليهود لم يجدوا المنطقة خالية من السكان بل مأهولة ، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق .

وقد جاء ذكر الكنعانيين وأرض كنعان في كثير من المشاهد التوراتية -ولا داعي لإعادة ذلك فقد ذكرناها سابقا - وكيف أن أرض كنعان كانت أرض غربة بالنسبة لإبراهيم وأحفاده من بعده ، وقد جاء ذكر الفلسطينيين أيضا في أثناء الحديث عن غربة إبراهيم ، ومن ذلك : (وَتَعَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَيَّامًا كَثِيرَةً) (2).

والواضح أن التوراة يرد فيها عبارتي "أرض كنعان" و "أرض فلسطين" في مواضع كثيرة وفي أسفار مختلفة (3) ، غير أنه لم يرد في هذه الأسفار عبارات "أرض العبرانيين" أو "أرض الإسرائيليين" أو "أرض اليهود" ، وهذا يعد دليلا على أقدمية وأسبقية القبائل الساكنة في أرض كنعان (4).

1. سفر التكوين ، الإصحاح 12 ، الفقرة 6 .

2. سفر التكوين ، الإصحاح 21 ، الفقرة 34 .

3. أنظر : سفر التكوين ، الإصحاح 42 ، الفقرة 29 ، (الإصحاح 39 ، الفقرة 42) ، (الإصحاح 25 ، الفقرة 45) ، سفر الخروج ، الإصحاح 17 ، الفقرة 3 ، (الإصحاح 6 ، الفقرة 4) ، (الإصحاح 11 ، الفقرة 13) ، سفر العدد ، الإصحاح 13 ، الفقرة 1 ، (الإصحاح 34 ، الفقرة 1) .

4. المرجع نفسه ، ص 308 .

وجاء ذكر هذه القبائل في الإصحاح الثالث من سفر الخروج: (الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْأُمُورِيِّينَ وَالْفِرْزِيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ)⁽¹⁾.

وهذه الشعوب ترد في مواقف عديدة ومرتبطة بما يحدث لليهود من أمور مختلفة ومتعلقة بمسارهم التاريخي ومشتركة معهم ، فأحيانا يرد ذكرها عندما يتوجه الأنبياء إلى ملوك هذه الشعوب ، أو الاستطلاع و الجوسسة عليهم ، بغية دخول الأرض ، أو عندما تذكر حروب أو غزوات كما ذكرنا سابقا خاصة في عهد القضاة وانقسام المملكة الإسرائيلية ، وقد أبدت التوراة ذكر مقاومة هذه الشعوب لبني إسرائيل والتي كانت بينهم مواجهة دائمة ومستمرة⁽²⁾.

وفي عهد موسى عليه السلام جاء ذكر هذه الشعوب في الحديث عن عودة موسى عليه السلام من رحلته من مدين ، متوجها بشعبه إلى أرض كنعان لإنقاذهم من المصريين ، الذين مارسوا عليهم الذل والاستعباد ، فجاء في سفر الخروج : (فَقُلْتُ أُصْعِدُكُمْ مِنْ مَدْلَةَ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْأُمُورِيِّينَ وَالْفِرْزِيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ إِلَى أَرْضِ تَفِيضُ لَبْنَا وَعَسَلًا)⁽³⁾.

أين كان بنو إسرائيل ؟ ألم يكونوا في مصر خارج المكان الذي يطالبون بالعودة إليه ؟ ولماذا هذا الاستقرار في مصر ما دامت لهم أرض يعتزون بها ؟ إن الشعب الذي يولد بموطنه لا يتخلى عنه ، وكما هو واضح من خلال دراسة هذه الشعوب أنهم استقروا في أرض كنعان بشكل متواصل .

وقد استمرت مقاومة الفلسطينيين الأصليين لبني إسرائيل بعدما تولى قيادتهم بعد وفاة موسى عليه السلام خليفته كما تذكر نصوص العهد القديم يشوع بن نون الذي تمكن من دخول أرض فلسطين ، ولا توجد أي إشارة إلى أن سكان فلسطين قد غادروا أرضهم ، بل ثبت دوام استقرارهم وممارستهم حياتهم الطبيعية ، ويبين ذلك حضارتهم العريقة ، كما دل على ذلك سفر يشوع⁽⁴⁾.

1. سفر الخروج ، الإصحاح 3 ، الفقرة 8 .

2. أنظر : سفر الخروج ، الإصحاح 17 ، الفقرة 8 ، سفر العدد ، الإصحاح 13 ، الفقرة 29 ، (الإصحاح 14 ، الفقرة 45) ، (الإصحاح 21 ، الفقرة 21-35) ، (الإصحاح 31 ، الفقرات 7-11) ، سفر التثنية ، الإصحاح 1 ، الفقرة 44 ، (الإصحاح 2 ، الفقرة 33 - 35) ، (الإصحاح 3 ، الفقرات 1-5) .

3. سفر الخروج ، الإصحاح 3 ، الفقرة 17 .

4. أنظر : سفر يشوع ، الإصحاح 6 ، الفقرة 5 ، (الإصحاح 17 ، الفقرة 18) .

كما أن هناك إشارات أيضا في سفر القضاة التي تذكر بقاء السكان بعد عملية الغزو التي مارسها أسباط بنو إسرائيل وتؤكد تعايشهم مع بعضهم البعض دون ذكر لأية مغادرة أو طرد ، فجاء في الإصحاح الأول من سفر القضاة : (وَبَنُو بَنِيَامِينَ لَمْ يَطْرُدُوا الْيُوسِيِّينَ سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ فَسَكَنَ الْيُوسِيُّونَ مَعَ بَنِي بَنِيَامِينَ فِي أُورُشَلِيمَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ)⁽¹⁾.

وفي عصر الملوك أظهر الفلسطينيون مقاومة ولم يتبين أنهم غادروا فلسطين كما دلت على ذلك أسفار صموئيل الأول والثاني وسفر الملوك الأول .

وفي عهد السبي الأشوري والبابلي نجد أن السبي حصل للسكان الطائرين على فلسطين ، أما سكان فلسطين الأصليين فلم يسهم هذا السبي ، فكان السبي مقصورا على اليهود دون سواهم ، كما دل على ذلك الإصحاح الرابع والعشرون : (وَسَبَى كُلُّ أُورُشَلِيمَ وَكُلُّ الرُّؤَسَاءِ وَجَمِيعَ جَبَابِرَةِ الْبَّاسِ عَشْرَةَ آلَافٍ مَسْبِيٍّ وَجَمِيعَ الصُّنَّاعِ وَالْأَقْيَانِ . لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا مَسَاكِينُ شَعْبِ الْأَرْضِ)⁽²⁾.

وبعد السبي نجد أن الأكثرية فضلت البقاء والاستغناء عن الأرض التي عاش فيها أجدادهم طوال تاريخهم الطويل ولم يفكروا إطلاقا في العودة إلى القدس ، وظلوا تحت حكم الإمبراطوريات الكبرى آنذاك الفارسية واليونانية والرومانية .

ب- الأدلة التاريخية

إن التاريخ القديم الذي اعتمد على علم الآثار و التنقيبات الواسعة في منطقة فلسطين وما جاورها ، و الاكتشافات العلمية لم تجد مستندات تدعم ما ذهب إليه اليهود ، بل أثبتت الآثار خلال هذا المسار التاريخي قوة الوجود الفلسطيني .

إن فلسطين تاريخيا تعد من أقدم المواطن ، وقد حوت الكثير من الشعوب لما كانت تتميز به ، فهي تربط بين القارات وقد عدت من قبل العلماء منطقة أهلة بالسكن منذ عصور ما قبل التاريخ "قبل ظهور الكتابة" وكانت ملجأ للهجرات السامية من الجزيرة العربية ، والتي كان لها دور كبير في تكوين البنية السكانية في فلسطين⁽³⁾.

1. سفر القضاة ، الإصحاح 1 ، الفقرة 21 ، أنظر سفر القضاة ، الإصحاح 1 ، الفقرة 19 ، (الإصحاح 1 ، الفقرة 27) .

2. سفر الملوك الثاني ، الإصحاح 24 ، الفقرة 14 .

3. سليم عبد السلام العكش ، مقال سابق ، ص 36 .

سنحاول أن نعطي بعض اللمحات التاريخية والموجزة عن بعض المناطق والشعوب ذات الصلة باليهود ، ومن بينها منطقة فلسطين التي كانت تعد اتصالا وملتقى بين الشعوب والحضارات ، وقد شملت قبائل وشعوبا وفدت إليها من الجزيرة العربية في شكل موجات بشرية ، وهذه الهجرات تمت في الألف الثالث قبل الميلاد .

– الفينيقيون

ومن بين هذه الهجرات التي استقرت في فلسطين والتي كانت لها سابقة من الجماعات المهاجرة وعدت من أهم الهجرات.

وقد أطلق على الفينيقيين اسم الكنعانيين وبقوا على تلك التسمية حتى جاء العصر الروماني ، وهم من الساميين وإن اختلطوا بشعوب البحر التي أتت من إيجه واستقرت في بلادهم ، والاسم الفينيقي يطلق عادة على المدن التي تقع شمالا على الساحل الشرقي للبحر المتوسط عند جبال لبنان لحماية من الخطر ، وهذه المدن لم تقم أية تحالفات إلا في إطار الخطر ، وقد اشتهرت هذه المدن بممارسة الصناعة والتجارة الخارجية . وقد تعرضت فينيقيا لسيطرة المصريين عام (1500 ق.م) ثم حصلوا على استقلالهم ، وقد أقاموا علاقات مع العبرانيين خاصة في عهد سليمان ، وخضعت فينيقيا لحكم الآشوريين والبابليين والفارسيين والرومانيين ، وأصبحت بعد الفتح العربي ذات صبغة عربية⁽¹⁾ . عرف الفينيقيون الاستقرار في فلسطين والسواحل اللبنانية قبل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، ويبدو من خلال ما ذكرناه أنهم كانوا يسكنون مناطق واسعة وعاشوا مع اليهود وظهروا في عهد أنبيائهم ، واختلطوا مع شعوب فلسطين وامتزجوا بهم ، وكان لهم دور في تقدم الصناعة والتجارة ، كما ساهموا في إحياء فلسطين .

– الأموريون

ومن الهجرات الأخرى التي صاحبت السكن في فلسطين والاستقرار بها ما يطلق عليهم الأموريون.

1. عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، مج 4 ، ص 1847 .

إن كلمة "أموريون" غير سامية وهي تعني "الغربيون" ، والعاصمة الأمورية ماري جنوب مصب الخابور ، وهي من جهة الاشتقاق تشبه بلاد أمورو ومارتو وتعني بلاد الغرب ، وقد وسع البابليون الاسم وأصبح يطلق على سوريا وأطلق على بحر المتوسط "بحر أمورو العظيم"⁽¹⁾.

والمتعارف عليه إطلاق على هذه الموجات بالأموريين أو العمونيين ، ويعدون من أوائل الشعوب السامية التي كانت تبحث عن موطن تسكن فيه في البلاد السورية⁽²⁾.

وقد أطلق عليهم في التوراة اسم الأموريون ، وكما هو معروف ومتداول أنهم سكنوا في العراق وسوريا وفلسطين ، واستطاعوا أن يكونوا حضارة ، مثلهم مثل بقية الشعوب التي سكنت المنطقة .

– الكنعانيون

وتعد هجرة الكنعانيين من أولى الهجرات ، وقد ورد هذا الاسم كثيرا في التوراة كما رأينا سابقا ، وهم أيضا من القبائل السامية كما ذكر المؤرخون نزحت من جزيرة العرب وتمركزت في فلسطين ، وقد عد بعض الباحثين أن الكنعانيين انبتقوا من العمونيين .

وقد ارتبط الكنعانيون بالأموريين وأصبحا يشكلان فرعان من قبيلة كبرى ، وانطلقت في هجرة واحدة ذات هجرتين مختلفتين وهما متشابهتان من حيث اللهجة مع وجود بعض الاختلافات بينهما ، شأنها شأن اللهجات الشامية "سوريا لبنان فلسطين" ، وقد عد بعض المؤرخين اعتبار الأموريين هم الكنعانيين والعكس كذلك⁽³⁾.

واتفق الأغلبية على أن الكنعانيين سكنوا فلسطين قبل بني إسرائيل كما أكد ذلك العهد القديم ، أو كما ذهب إلى ذلك الحفريات .

ويستفاد من بعض الحوليات السورية أن الكنعانيين سكنوا جنوب فلسطين أثناء هجرتهم من الجزيرة العربية ومكثوا هناك مدة طويلة ، وكان لهم دور في بناء بعض المدن من أهمها "بئر سبع" و

1. فيليب حتي ، المرجع السابق ، ص 70 .

2. المرجع نفسه ، ص 48 .

3. محمد سلامة النحال ، المرجع السابق ، ص 115 .

"أشدود" وحتى أن العبريين لما سكنوا فلسطين شيّدوا مملكة في أوائل الألف الأولى قبل الميلاد ، وظلت مناطق كثيرة تحت سيطرة الكنعانيين⁽¹⁾.

وقد أشارت هذه الحقائق إلى وجود علاقة بين أرض فلسطين وهؤلاء الشعوب ، وهي بارزة من خلال ما توصلت إليه بعض الحفريات من معلومات واكتشافات أثرية قديمة ، وبذلك أصبحت صحة أقدمية الشعوب قبل مجيء بني إسرائيل إليها ، وأنهم يمتلكون حضارة مستقرة .

ومن الفروع التي انبثقت من القبائل الكنعانية اليبوسيون ، وهم أحد قبائل الكنعانيين الذين استقروا بمنطقة القدس وما حولها وهم الذين بنو مدينة القدس ، وكان لهم الفضل في تسميتها باسم ييوس ، أو مدينة اليبوسيون كما دل على ذلك سفر القضاة⁽²⁾ ، واستطاعوا أن يكونوا حضارة عريقة .

وهذه الحضارة كان لها تأثير بالغ على مدينة القدس ، وقد تمكنوا من إقامة تحصينات وإحاطة مدينتهم بصور عظيم ، الذي كان حاجزا مانعا في رد هجومات الغزاة اليهود الذين لم يستطيعوا أن يدخلوها⁽³⁾ .

وقد جاء ذكر اليبوسيون أيضا كما ذكرنا سابقا في سفر يشوع ، وكانت لهم معارك مع اليهود بقيادة يشوع بن نون .

– الفلسطينيون

كان اسم الفلسطينيين متداولاً في نصوص العهد القديم ، فقد جاء استخدام عبارة الفلسطينيين وبلاد الفلسطينيين في مواضع عديدة من سفر الخروج⁽⁴⁾ وسفر صموئيل الأول⁽⁵⁾ ، وأصبحت تسمية فلسطين من بين الأسماء الشائعة ، التي أطلقت على سكان فلسطين .

1. سعيد عيد السلام العكش ، مقال سابق ، ص 36 .

2. أنظر : سفر القضاة ، الإصحاح 19 ، الفقرة 12 .

3. محمد سلامة النحال ، المرجع السابق ، ص 117 .

4. أنظر : سفر الخروج ، الإصحاح 13 ، الفقرة 17 .

5. أنظر : سفر صموئيل الأول ، الإصحاح 27 ، الفقرة 1 .

وقد أتى هؤلاء الفلسطينيون من جزر اليونان ، وبخاصة جزيرة كريت ، وسكنوا في الجزء الجنوبي من ساحل فلسطين الواقع بين يافا وغزة ، وكان ذلك نحو عام 1200 ق.م "وفي رواية أخرى 1194 ق.م " وتمكنوا من السيطرة على هذا الساحل ، وانتقلوا إلى الأراضي السهلة الواقعة بين ذلك الساحل ، ورغم أنهم كانوا خاضعين لمصر إلا أنهم اندمجوا مع مرور الزمن بسكان الكنعانيين وتأثروا بهم وانصهروا فيهم⁽¹⁾.

بالإضافة إلى موجات أخرى ، وعرفت بذلك منطقة فلسطين هجرات مختلفة مكونة من عناصر مختلفة ، التي سكنت فيها موزعة على مناطقها ، وكونت بذلك حضارة راقية ، واستقرت في أرض فلسطين .

– الأراميون

ومن بين القبائل أيضا التي كان لها السبق التاريخي من حيث السكن في المنطقة المجاورة لفلسطين الأراميون ، الذين كان لهم دور بارز مع شعوب المنطقة .

وهم قبائل جاءت من حوض الفرات والمعروفة في الكتب المقدسة بالسوريين ، والتي اتخذت دمشق عاصمتها ، وتسكن في الشمال الشرقي لنهر الأردن⁽²⁾.

وإلى جانب تلك الشعوب والقبائل التي تحدثنا عنها وجدت ممالك أخرى عرفت بممالك عمون ومؤاب وأدوم .

وهذه الممالك تقع شرق الأردن إلى جنوب البحر الميت ، وهم ينحدرون من سهل الفرات ، وقد كانت مملكة مؤاب أكثر حضارة وتحولت من نظام البدو إلى التمدن والحضارة ، وكانت مملكة أدوم تمتد إلى خليج العقبة وعرفت برعي الأغنام ، وكانت عمون في الشمال من مؤاب وهي وسط بين مؤاب وأدوم ، و مال بعض سكانها إلى الزراعة والبعض الآخر إلى الرعي⁽³⁾ .

1. فايز فهد جابر ، المرجع السابق ، ص 16.

2. أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 50 .

3. المرجع نفسه ، ص 50-51 .

إن هذا المسار التاريخي المختصر لبعض الشعوب ، لا نجد لليهود ذكرا فيه ، ولا دلت الآثار على وجودهم رغم الجهود المكثفة لمحاولة خلق تاريخ مع هذه الشعوب ، التي سبقت وجود اليهود . فقد وجدت بفلسطين أقوام عاشت بها قديما لمدة طويلة قبل دخول بني إسرائيل إليها ، فهل يعطي لبني إسرائيل حقا تاريخيا في خضم هذه المعطيات والخلفيات التاريخية ، ويمنع هذا الحق لمن يستحقونه ، و الذي سبقه إليهم الكنعانيون وغيرهم من الشعوب ؟ بالإضافة إلى التوراة التي نطقت بهذا الحق ، بل أوضحت عكس ما يدعون ، وتحدثت مطولا عن هذه الشعوب .

بالتذاتفة

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

من خلال هذه الدراسة نستخلص ما يلي :

1- بعد البحث عن نشأة بني إسرائيل واليهود ، ودراسة تنقلاتهم المختلفة التي عرف بها تاريخهم القديم المستقى من التوراة والعهد القديم بالدرجة الأولى والقرآن الكريم ، وما قدمته الأخبار التاريخية عنهم ، وما توصل إليه علم الآثار ، وبعد معرفة علاقتهم بالمناطق والشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها وصلتهم بها ، وجدنا أن بني إسرائيل واليهود لم يكن لهم مكانا محددًا ، فقد اختلفت النشأة وتباين المكان وتعدد من منطقة إلى أخرى وتنوعت وجهتهم ، فلم يتواجدوا بمكان ثابت ، ولم يكن لهم موطنًا واضحًا وخاصًا بهم وحدهم دون سائر شعوب المنطقة التي حل بها بنو إسرائيل واليهود ، فقد اشتركت في هذه الأماكن قبائل وشعوب مختلفة والتي كانت لها الأقدمية الزمنية لظهور بني إسرائيل ، وحتى أن مدة إقامتهم في هذه الأماكن طال في بعض الأحيان وقصر في بعض أحيان أخرى ، وقد غير بنو إسرائيل مكان الإقامة من مكان لآخر نتيجة تعرضهم لأزمات متعددة اشتركت معهم فيها الشعوب الأخرى التي لم تطأ أقدامهم خارج مواطنهم ، بل تشبثوا بها وأظهروا قوتهم وأعلنوا رفضهم للأجنبي وتمسكوا بموطنهم مهما استجدت عليهم من ظروف ومهما طرأت عليهم من أحوال ، وحتى أن وجود بني إسرائيل واليهود بفلسطين ظل منقطعًا ومحددًا في أجزاء معينة ، وكان للدول الكبرى دورًا كبيرًا آنذاك ، وقد شكلت هذه الدول المحور الأساسي للصراع ، وحولت مجرى الأحداث في منطقة الشرق الأدنى القديم ، وغيرت من الخارطة المرسومة وما فرضته من أساليب وإجراءات ، كان لها الأثر الواضح والبالغ في المنطقة وقع على اليهود الذين لم ينعموا بالاستقرار ، وخضعوا لسيطرة تلك الدول ، وانتهى وجودهم بالسبي الآشوري والبابلي ، ولم يعد لهم حكم ، بل توزعوا بين أنحاء العراق ومناطق أخرى ، وتم جلاءهم عن فلسطين ، ولم يستعيدوا كيانهم وأصبحوا مشتتين يبحثون عن موطن يلتم شملهم ويجمعهم تحت راية وأرض واحدة ، وعاش اليهود كجماعات متفرقة بين أقطار مختلفة ، وتعرضوا للرفض من قبل المجتمعات ، ورغم الثورات التي قاموا بها إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل .

2- تضارب المعلومات والأخبار واختلافها حول نشأة بني إسرائيل واليهود ، والمواطن التي تواجدوا بها ، وليس هناك تحديد واضح من قبل المؤرخين والباحثين حول تاريخهم ، خاصة فترات تاريخ ظهور أنبياءهم وأهم شخصياتهم وماتعلق بهم ، وعدم اتفاهم على بداية وجودهم ، ومع من ارتبطت نشأتهم .

3- لم تكن هجرة بني إسرائيل قاصرة على فلسطين فحسب ، بل تعدت إلى مصر وإلى الجزيرة العربية ، هذه الأخيرة التي أنكرتها التوراة ، وأثبتها القرآن الكريم باعتبارها تحوي قبلة المسلمين ، وهو ما عبرت عنه الآيات القرآنية بالأرض المباركة ، فكان أنبياء بني إسرائيل وغيرهم من الأمم يتوجهون إليها لأداء الحج .

4- استضعاف بني إسرائيل وإذلالهم من طرف الشعوب التي عاشوا فيها ، واضطهادهم وتعذيبهم من قبل الآخرين ، وخاصة ما حصل لموسى من طرف فرعون مصر ، وما تلا فترات العصور اللاحقة ، ولم يتمكن بنو إسرائيل من دخول أرض فلسطين في عهد موسى عليه السلام إلا بعد أجيال ، وبعد تطهير بني إسرائيل من ذنوبهم التي ارتكبوها ، وكان دخولهم الأرض المقدسة مع يوشع بن نون كما تذكر التوراة بعد موسى عليه السلام ، فقد أشار القرآن الكريم إلى أن بني إسرائيل كانوا بفلسطين ، خاصة حينما تعرضت الآيات القرآنية لقصة داود عليه السلام مع المسجد الأقصى ، أو كما أطلق عليه الحديث النبوي الشريف مسجد داود ، فكان هناك ربط بمسجد داود والمكان الذي تواجد به في فلسطين وهو القدس ، وكان سبب منعهم من دخول الأرض يعود إلى عدم الالتزام بأوامر الله ونواهيه ، وعدم تطبيق وصاياه ، وأن هذه الأرض التي أقام بها بنو إسرائيل لم يضع القرآن الكريم حدودا لها ، وإنما أشار إليها بالأرض المقدسة ، ووضعها مقدسة في موضع واحد ، ووصفها بأنها مباركة في عدة مواضع ، وهذا معناه احتواء الأرض المباركة للأرض المقدسة ، ووصفها بهذا الوصف لما تميزا به من احتواءها أماكن مقدسة ، وما تعلق بهما من صفات أخرى .

5- الفترة التي سادت تاريخ بني إسرائيل عمت فيها الفوضى وعرفت بعدم النظام ، وكان خضوعهم لزعيم أو قائد كما ذكرت نصوص العهد القديم يعتبر كحاكم على بني إسرائيل ، وهو ما أطلقت عليهم قضاة ، والذي اتسم حكمهم بالضعف وكثرة المعارك والحروب خاصة بين الإسرائيليين وشعوب فلسطين ، وانتشار المفاسد والمنكرات ، وانتشار الوثنية وارتكاب الذنوب .

6- لم يرد ذكر بني إسرائيل في المدونات والسجلات التاريخية التي أنكرت هذه الفترات من تاريخ بني إسرائيل خاصة في العصور الأولى لتكوينهم ، سواء أكانت هذه الوثائق آشورية أو مصرية ، وهذا ما أدى إلى إنكارها من طرف بعض الباحثين ، بل واعتبروها من نسيج خيال بني إسرائيل واليهود ، وذلك يعني اختفاء تاريخهم من المسار الأثري والحفريات .

7- أجمع الباحثون والمؤرخون أن بني إسرائيل لم يعرفوا الاستقرار ، وأن المرحلة الهامة من تاريخهم هي فترة داود وسليمان عليهما السلام ، فقد أصبح لهم نفوذ سياسي وديني ، ووزن بين الأمم كما عرفت المملكة في عصرهما أوج مجدها ، ، غير أن الباحثين اختلفوا كثيرا حول مملكتهما وحدود الأرض التي امتلكوها ، وتحدثت التوراة عنهم كملوك وليس كأنبيا ، وبيان ما وقع فيه العلماء المسلمين في عدم التفريق بين قضية الملك التي كانت خاصة بسليمان دون بني إسرائيل ، وقضية المملكة التي تضمنت الأرض وما يتعلق بها ، وأن الهدف من إقامة المملكة نشر الإسلام عن طريق الفتوحات ، وإعطاء صورة مشرفة للملك وعدم استغلاله فيما يضيع أمور الرعية .

8- سوء أحوال بني إسرائيل بعد عصر المملكة الموحدة ، وما اتتاهما من انقسام إلى مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا ، والتي تميزت بالحروب المستمرة بين المملكتين أو بين الأمم الأخرى ، والصراع على الملك ، وأصبحتا خاضعتين لدول أخرى تدفع الجزية باستمرار ، وقد ضعف كيانهم وانقطعت صلتهم بفلسطين بعدما أقاموا بها مدة من الزمن ، ولم يبق لهم كيان بعد ذلك ، وسببهم من فلسطين إلى أراض أخرى وخضوعهم تحت سيادة الإمبراطوريات الكبرى ، ومحاوله قيامهم ببعض الثورات الداخلية من أجل التحرر ، والتخلص من هذه السيطرة لكن دون جدوى ، وأصبحوا بذلك مشتتين في كافة أرجاء الأرض ، وأثناء تواجدهم تحت كنف حكم الدول ، تأثروا جدا بثقافة وحضارة من يحيطون بهم ، ويعيشون إلى جانبهم ، وتلوا هؤلاء الأمم وأخذوا عنهم كثيرا من الطقوس والعبادات والعادات ، وقد بدا ذلك من خلال أسفارهم ، وعاش بنو إسرائيل بعد نشأتهم كأقليات موزعة بين أقطار مختلفة ، وتعرضهم باستمرار للاضطهاد والتنكيل والرفض من قبل المجتمعات ، ومحاوله بعضهم تفضيل الاندماج بين الشعوب ، واختيار بعضهم العزلة والانطواء بعيدا عن الآخرين ، واعتبار أنفسهم شعب الله المختار .

9- شهدت فلسطين أقدم وأعرق الأمم ، والتي كانت هدفا للهجرات المتتابعة ، فقد دخلت إليها عن طريق هجرات متعددة ، وسكنت بها ، وأصبحت أهلة بالشعوب منذ عصور ما قبل التاريخ ، كما أثبتت ذلك التوراة ونصوص العهد القديم والتي تذكر تلك الشعوب بأسمائها والمعارك التي خاضوها مع اليهود ، كما أقر بتلك الأسبقية علم الآثار أيضا ، فكان الفينيقيون والكنعانيون ومنهم اليوسيون والحويون والعمالقة والفرزيون أول من هاجر إليها ، كما أن بني إسرائيل دخلوا فلسطين كقبائل مهاجرة ، كما رأينا في فترة الآباء ، ولم يكن لهم وزن أو قوة سياسية ذات أثر في تاريخ

الشرق الأدنى القديم ، ولم يكن حضورهم مكثفا ، بل ظل دخولهم فلسطين على فترات متقطعة ، وفي أجزاء محدودة ، ولم يتبين أن السكان غادروا يوما منطقة فلسطين ، بل ظلوا ماكين مدافعين عنها من أي خطر أجنبي يتعرض لها .

10- رفض ادعاءات الحركة الصهيونية التي تستند إلى النصوص الدينية في إثبات أحقيتها بأرض فلسطين ، أو ما أطلقت عليه الوطن القومي ، انطلاقا من الوعود المعطاة لأنبياء بني إسرائيل ، وقد ظلت فكرة الموطن غائبة عن الفكر اليهودي ، ولم تتبلور إلا في عصور متأخرة بعدما تضافرت جهود الحركة وتكاثفت ، وحاولت جمع قوى اليهود وفرضت معتقداتها ، واعتبرتها حقائق لا مجال لمناقشتها ، واعتمدت في ذلك على أسانيد دينية وتاريخية ، وأطلقت عليها اسم حقوق ، وقد كانت هذه الوعود التوراتية التي تمسكت بها الحركة الصهيونية أطلقت وفق شروط وضوابط كان لزاما على بني إسرائيل الأخذ بها ، والوعد بالأرض كان مقترنا بالالتزام ، وهذا ما خالفه بنو إسرائيل واليهود ونقضوا عهود الله ولم يلتزموا بها ، وضربوا الوصايا الإلهية عرض الحائط ، بل وارتكبوا أكبر الكبائر ، وزاغوا عن العقيدة الإلهية وعصوا الله وحل عليهم غضبه ولعنته في الأرض ، فكان أن تفرقوا وتشتتوا بين الأمم ، كما أن الوعد لم يكن قاصرا عليهم ، وكان لذوي التوحيد والعقيدة الصحيحة القائمة على الحق والعدل ، فالأولى بالأرض الورثة الحقيقيون وهم العباد الصالحون المتقون المنتمون لملة إبراهيم عليه السلام ودين المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فليس من العدل أن يترع الحق من أصحابه ويمنح لمن لا يستحقه ، ولا يمكن أن تمنح أرض فلسطين وغيرها من الأراضي إلى بني إسرائيل بمجرد إقامتهم فيها مدة من الزمن ، ولا يمكن تغيير خريطة العالم وتقسيمه من جديد .

11- الأخبار التي قدمتها التوراة ونصوص العهد القديم عن تاريخ بني إسرائيل تشمل كثيرا من التناقضات والاختلافات والافتراءات في حق الأنبياء ، وقد شوهدت صورهم ، وقدمت صورا منافية لأخلاقهم ، وألصقت بهم التهم والجرائم ، ورغم كل ذلك لا بد من الاعتقاد بأنها وحي من الله ، ويجب الإيمان بالجزء الذي لم يمسه التحريف ، وخاصة أن التوراة في بعض القضايا أو بالأحرى عندما تحدثت عن قصص الأنبياء لم تتعارض مع القرآن الكريم الذي قدم صورا مخالفة عما قدمته التوراة وذلك في كثير من آياته ، وهي صورة مشرفة وعالية تليق بمقام الأنبياء ومترلتهم ، فهم حملة الوحي الإلهي يؤدون رسالة ربانية لمجتمع ساد فيه الفساد والانحلال الأخلاقي ، ولم يستقيم على مدى امتداد تاريخه ، ولا يصح أن ينتسب إلى أنبياء الله .

الفهرس

أولا : فهرس الآيات القرآنية

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية

ثالثا : فهرس العهد القديم

رابعا : فهرس الأعلام

خامسا : فهرس الأماكن

سادسا : فهرس المصادر والمراجع

سابعا : فهرس الموضوعات

أولا : فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	بداية الآية
سورة البقرة		
290	40	"يا بني إسرائيل....."
90	59-58	"وإذ قلنا ادخلوا....."
289	83	"وإذ أخذنا....."
269	124	"وإذ ابتلى إبراهيم....."
32	127	"وإذ يرفع إبراهيم....."
53	133	"أم كنتم شهداء....."
111-110	251-246	"إذ قالوا لبي لهم....."
116	251	"فهزموهم بإذن الله....."
سورة آل عمران		
12	67-65	"يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم.."
269	68	"إن أولى الناس....."
42	93	"كل الطعام كان حلالا....."
31	96	"إن أول بيت....."
سورة النساء		
116	163	"وآتيناه داوود زبوراً....."

سورة المائدة

289	14-12	"ولقد أخذ الله....."
82	22-21	"يا قوم ادخلوا الأرض....."
85	26-24	"قالوا يا موسى....."

سورة الأعراف

288	128	"قال موسى لقومه....."
71	129	"قالوا أوذينا....."
71	130	"ولقد أخذنا....."
78	136-132	"وقالوا مهما تأتنا....."
83	137	"وأورثنا القوم....."
231	168	"وقطعناكم في الأرض....."

سورة يونس

70	87	"وأوحينا إلى موسى....."
----	----	-------------------------

سورة هود

39	71	"وامراته قائمة....."
----	----	----------------------

سورة يوسف

57	5-4	"إذ قال يوسف لأبيه....."
57	15-8	"إذ قالوا ليوسف....."

67	40	"وقتل نفسا"
78	77	"ولقد اوحيانا"
سورة الانبياء		
16	56-51	"ولقد آتينا ابراهيم"
43، 20	72-71	"ونجينا ولوطا"
116	80	"وعلمناه صنعة لبوس"
133	81	"ولسليمان الريح عاصفة"
135	82	"ومن الشياطين"
289	105	"ولقد كتبنا"
سورة الحج		
32	26	"واذ بوأنا لابراهيم"
32	27	"واذن في الناس"
سورة المؤمنون		
75	20	"وشجرة تخرج من طور"
سورة النور		
75	35	"يوقد من شجرة"

سورة الشعراء

65	18	"قال ألم نربك فينا وليدا....."
81	66-53	"فأرسل فرعون....."

سورة النمل

133	17	"وحشر لسليمان....."
141 ، 134	18	"قالت نملة يا أيها النمل....."
140	22-20	"وتفقد الطير....."
138	24	"وجدها وقومها يسجدون....."
139-138	31-27	"قال سننظر أصدقت....."
139	37-34	"قالت إن الملوك إذا دخلوا....."
140	44	"قيل لها ادخلي الصرح....."

سورة القصص

70	6-5	"ونريد أن نمن....."
63	15	"ودخل المدينة على حين غفلة....."
67	22	"ولما توجه تلقاء....."
67	27	"قال إني أريد....."
74	30-29	"فلما قضى موسى الأجل....."

سورة العنكبوت

20	26	"فأمن له لوط....."
----	----	--------------------

سورة سبأ

133	12	"ولسيمان الريح غدوها"
137	13-12	"وأسلنا له عين القطر"
141	14	"فلما قضينا عليه الموت"

سورة الصافات

17	89	"فنظر نظرة في النجوم"
39-38	112-100	"رب هب لي"
36	113-112	"وبشرناه بإسحاق"

سورة ص

121	20	"وشددنا ملكه"
126	21	"وهل أتاك نبأ"
128،122	26	"ياداود إنا جعلناك"
134	33-31	"إذ عرض عليه"
132	35	"قال رب اغفر لي"
135	37	"والشياطين كل بناء"

سورة عبس

76	29	"وزيتونا ونخلاً"
----	----	------------------------

سورة التين

76	3-1	"والتين والزيتون"
----	-----	-------------------------

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	بداية الحديث
31	"ثم جاء بما إبراهيم"
33	"قلت يا رسول الله أي"
86	"أرسل ملك الموت"
127	"أوتيت بالبراق"

عبد القادر للعطوم الإسلامية

ثالثا : فهرس العهد القديم

الصفحة	رقم الفقرة	الإصحاح	بداية الفقرة
سفر التكوين			
18 ، 15-14	32-30	11	"وأخذ تارح أبرام....."
15	32-31	11	"فأتوا إلى حاران....."
15	1	12	"وقال الرب لأبرام....."
20	5-1	12	"وقال الرب لأبرام....."
293	6	12	"وكان الكنعانيون....."
268	7-1	12	"وقال الرب لأبرام....."
271	7	12	"وظهر الرب لأبرام....."
22-21	9-6	12	"فأتوا إلى أرض كنعان....."
33	9	12	"ثم ارتحل أبرام....."
23	11	12	"وحدث جوع....."
33	1	13	"فصعد أبرام....."
24-23	9-5	13	"ولوط السائر....."
36	17-14	13	"وقال الرب لأبرام....."
271	18-14	13	"وقال الرب لأبرام....."
24	18	13	"فنقل أبرام خيامه....."
24	13	14	"فأتى من نجح....."
26	19-18	14	"وكان كاهنا....."
273	7	15	"أنا الرب....."
273	18	15	"في ذلك اليوم قطع....."

25	21-18	15	"في ذلك اليوم"
28	11-4	16	"فدخل على هاجر"
36	16-15	16	"فولدت هاجر"
273	8-1	17	"ولما كان أبرام"
37	8-7	17	"وأقيم عهدي"
26	8	17	"وأعطي لك"
37	11-9	17	"وقال الله لإبراهيم"
274	13-9	17	"وقال الله لإبراهيم"
276 -38، 275	21-18	17	"وقال إبراهيم لله"
274	27-23	17	"فأخذ إبراهيم"
33 ، 28-26	1	20	"وانتقل إبراهيم"
35	45	20	"وقال أيمالك"
35	3-1	21	"وافتقد الرب"
36	5	21	"وكان إبراهيم"
37	13-9	21	"فقلت لإبراهيم"
30	13-10	21	"فقلت لإبراهيم"
276	12-11	21	"فقبح الكلام"
30	15-14	21	"فبكر إبراهيم"
45	23-17	21	"فقام يعقوب"
30	21-18	21	"قومي احلمي"
293	34	21	"وتغرب إبراهيم"
276 ، 38	2	22	"خذ ابنك"
16	10	24	"فقام وذهب إلى أرام النهرين"

277	9	25	"ودفنه إسحاق"
277	4-2	26	"وظهر له الرب"
40	7-1	26	"وكان في الأرض"
40	14-13	26	"وزرع إسحاق"
277	24-23	26	"فظهر له الرب"
41	25-23	26	"ثم صعد من هناك"
41	30-26	26	"وذهب إليه"
278	25-24	27	"وقال لأبيه"
44	44-41	27	"فحقد عيسو"
16	1	28	"فدعا إسحاق يعقوب"
278	4-3، 1	28	"فدعا إسحاق يعقوب"
44	5-1	28	"فدعا إسحاق يعقوب"
45-44	15-10	28	"فخرج يعقوب"
279	15-13	28	"أنا الرب إله"
47	29-24	32	"فبقى يعقوب"
48	20-17	33	"وأما يعقوب"
52	30	34	"فقال يعقوب"
49	12-9	35	"وظهر الله ليعقوب"
279	12-11	35	"وقال له الله"
41	29-27	35	"وجاء يعقوب"
55	5-1	37	"وسكن يعقوب"
55	11-9	37	"فقال إني حلمت"
55	28-25	37	"فرفعوا عيونهم"

56	26	37	"وأما المديانيون"
50	5-1	42	"فلما رأى يعقوب"
60	20-18	45	"وتخذوا آباءكم"
52,60	6-5	47	"فكلم فرعون يوسف"
52	33-28	49	"وهذا ما كلمهم به"

سفر الخروج

52	5	1	"وكانت جميع نفوس"
84	8-6	1	"الرب إلهنا"
65	14-13	1	"فاستعبد المصريون"
63	16	1	"وقال حينما"
63	2	2	"ولما رأته"
66	15	2	"فهرب موسى"
66	23	2	"وحدث في تلك"
72	5-1	3	"وأما موسى"
63	6	3	"قال أنا إله أهلك"
280	9-6	3	"فغطى موسى"
294	8	3	"الكنعانيين والحثيين"
294	17	3	"فقلت أصدكم"
281	4	6	"أقمت معهم عهدي"
281	5	6	"وأنا أيضا قد سمعت"
281	8-7	6	"واتخذكم لي شعبا"
77	32-31	12	"وقال قوموا"

283	10 -7	8	"لأن الرب إلهك"
287	، 9 -8 17-16	11	"فاحفظوا كل الوصايا....."
36	17-15	21	"إذا كان لرجل....."
86	4	34	"وقال له الرب....."
231-230	64-63	27	"وكما فرح الرب....."
290	66-64	28	"ويبددك الرب....."
سفر يشوع			
283	4-2	1	"فالآن قم اعبر....."
89-88	12-9	3	"فقال يشوع لبني إسرائيل....."
91-90	17-12	3	"فالآن اتخبوا....."
91	1	6	"وكانت أريحا....."
92	21-20	6	"فهتف الشعب....."
92	24	6	"وأحرقوا المدينة....."
93	9-1	8	"فقال الرب ليشوع....."
93	12-10	11	"ثم رجع يشوع....."
284	6-1	13	"وقد بقيت أرض كثيرة....."
سفر القضاة			
295	21	1	"وبنو بنيامين....."
98	11-5	3	"فسكن بنو إسرائيل....."
99	15-12	3	"فشدد الرب....."

100-99	30-29	3	"فَضْرَبُوا مِنْ مَوَّابٍ....."
100	1	4	"فَبَاعَهُمُ الرَّبُّ....."
100	24-23	4	"فَأَذَلَّ اللَّهُ....."
100	5-1	6	"فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ....."
101	28	8	"وَذَلَّ مَدْيَانَ....."
101	22	9	"فَتَرَأَسَ أَيْمَالَكَ....."
101	3-1	10	"وَقَامَ بَعْدَ أَيْمَالِكَ....."
101	9-7	10	"فَحَمَى غَضَبُ الرَّبِّ....."
102	23-22	11	"ثُمَّ عَرِيَ يَفْتَاخُ....."
102	6-4	12	"وَجَمَعَ يَفْتَاخُ....."
102	1	13	"ثُمَّ عَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ....."
103	4	14	"وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ....."
سفر صموئيل الأول			
104-103	4-1	4	"وَوَجَّهَ إِسْرَائِيلَ....."
104	22	4	"وَأَخَذَ الْفِلَسْطِينِيُّونَ....."
109	5	8	"فَالآنَ اجْعَلْ لَنَا....."
109	15	9	"وَالرَّبُّ كَشَفَ....."
112	2-1	11	"وَصَعِدَ نَاحِشُ الْعَمُونِيِّينَ....."
112	11	11	"وَكَانَ فِي الْغَدِّ....."
112	19	13	"وَلَمْ يَوْجَدْ....."
112	48-47	14	"وَأَخَذَ شَاوُلُ....."
113	6-5	15	"ثُمَّ جَاءَ شَاوُلُ....."

113	5-1	17	"و جمع الفلسطينيين....."
114	52-50	17	"فتمكن داود....."
114	1	31	"وحارب الفلسطينيين....."
117	15	18	"وكان داود....."
117	1	27	"وقال داود....."
117	8	27	"وصعد داود....."
سفر صموئيل الثاني			
118	11	2	"وكانت المدة التي ملك....."
119	5-3	5	"ومسحوا داود....."
120	9-6	5	"وذهب الملك....."
237	7,9	5	"وأخذ داود....."
284	14-12	7	"والرب يخبرك....."
122	3-1	8	"وضرب داود....."
123	6-5	8	"فجاء أرام دمشق....."
123	12	8	"من أرام....."
123	2-1	10	"وكان بعد ذلك....."
124	15	21	"وكانت أيضا حرب....."
125-124	25-21	24	"فقال داود....."
سفر الملوك الأول			
130	41-39	1	"فأخذ صادوق الكاهن....."
131	1	3	"وصاهر سليمان فرعون....."

132-131	-24 ، 21 25	4	"كان سليمان متسلطا....."
136	4-1	6	"وكان في السنة الأربع....."
136	11-10	7	"وكان مؤسسا....."
285	5-4	9	"وأنت سلكت....."
287	8-6	9	"إن كنتم....."
138	7-1	10	"وسمعت ملكة سبأ....."
154	25	12	"وبنى يربعام....."
155	31	12	"وبنى بيت المرتفعات....."
157-155	27-25	14	"وفي السنة الخامسة....."
155	30	14	"وكانت حرب....."
158،178	18-16	15	"وكانت حرب بين آسا وبعشا....."
159	20	15	"فسمع بنهدد....."
178	22-20	15	"فسمع بنهدد....."
157	26-25	15	"وملك ناداب بن يربعام....."
158	27	15	"وفتن عليه....."
161	2-1	20	"وجمع بنهدد....."
161	30-26	20	"وعند تمام السنة....."
163،179	5-2	22	"وفي السنة الثالثة....."
سفر الملوك الثاني			
163	1	1	"وعصى موآب....."
164،179	9	3	"فذهب ملك إسرائيل....."

164	26-23	3	"قد تحارب الملوك....."
180	28	8	"وانطلق مع يورام....."
181	18-17	12	"حينئذ صعد حزائيل....."
166	5-1	13	"في السنة الثالثة والعشرين....."
167	25-24	13	"ثم مات حزائيل....."
181	12-11	14	"فصعد يهوآش....."
167	14-11	14	"فصعد يهوآش....."
168	25-23	14	"في السنة الخامسة عشر....."
169	20-19	15	"فجاء فول....."
171	29	15	"في أيام فقح....."
182	37	15	"في تلك الأيام....."
171	5	16	"حينئذ صعد....."
171	9-7	16	"أنا عبدك....."
172	3	17	"وصعد عليه....."
172	6-4	17	"ووجد ملك أشور....."
174	24	17	"وأتى ملك أشور....."
184	14-13	18	"وفي السنة الرابعة عشرة....."
185	37-35	19	"وكان في تلك الليلة....."
186	4	23	"وأمر الملك حلقيا....."
186	8	23	"حيث كان الكهنة....."
168	27	23	"وأرفض هذه المدينة....."
187	29	23	"في أيامه صعد....."
188	2-1	24	"في أيامه صعد....."

سفر المزامير

284	9-8	2	"قال لي أنت....."
238	11	9	"رغموا للرب....."
203	5-1	137	"على أنهار بابل....."
238	2	149	"ليتهج بنو صهيون....."

سفر أشعيا

237	4-2	2	"ويكون في آخر الأيام....."
237	19	30	"لأن الشعب في....."
201	28 - 27	44	"القائل للجة....."
202-201	8-1	45	"هكذا يقول الرب....."
237	1	52	"اليسي عزك....."

سفر أرميا

180	2-1	49	"عن بني عمون....."
-----	-----	----	--------------------

سفر حجي

206	2-1	1	"في السنة الثانية....."
-----	-----	---	-------------------------

رابعاً : فهرس الأعلام

الصفحة	العلم
-أ-	
14 ، 15 ، 18 ، 20 ، 21 ، 22 ، 23 ، 24 ، 25 ، 26 ، 28 ، 33 ، 36 ، 268 ، 269 ، 271 ، 272 ، 273	أبرام
33	أبي ذر الغفاري
11 ، 12 ، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 17 ، 18 ، 20 ، 21 ، 22 ، 23 ، 24 ، 25 ، 26 ، 28 ، 30 ، 31 ، 32 ، 33 ، 34 ، 35 ، 36 ، 37 ، 38 ، 39 ، 40 ، 41 ، 42 ، 43 ، 44 ، 49 ، 52 ، 53 ، 54 ، 60 ، 63 ، 84 ، 86 ، 126 ، 133 ، 134 ، 145 ، 147 ، 264 ، 266 ، 267 ، 268 ، 269 ، 270 ، 271 ، 272 ، 273 ، 274 ، 275 ، 276 ، 277 ، 278 ، 279 ، 280 ، 281 ، 283 ، 293	إبراهيم <small>عليه السلام</small>
124	أبشالوم
31	ابن عباس
86	أبي هريرة
157 ، 177 ، 178	أيام بن رجعم
28 ، 35 ، 39 ، 40 ، 41 ، 101	أيمالك
171 ، 183	أحاز بن يوثام
163	أحازيا بن أخاب
41	أحزات
160 ، 161 ، 163 ، 164 ، 179	أخاب بن عمري
180 ، 181	أخزيا بن يورام
168	أداد نيراري الثالث

130	أدونيا
210 ، 208 ، 207	أرتحشتا الثاني
222	أرسطوبولوس الأول
225 ، 222	أرسطوبولوس الثاني
198 ، 195	إرميا
125 ، 124	أرنان اليبوسي
125	أرونة
179 ، 178 ، 159 ، 158 ، 157	آسا بن أيام
42 ، 41 ، 40 ، 39 ، 38 ، 37 ، 36 ، 35 ، 30 ، 16 ، 12 ، 11 ، 271 ، 270 ، 145 ، 86 ، 84 ، 63 ، 53 ، 49 ، 44 ، 43 ، 283 ، 281 ، 279 ، 278 ، 277 ، 276 ، 275 ، 274 ، 273	إسحاق <small>عليه السلام</small>
255	الإسكندر الثاني
214 ، 213 ، 211	الإسكندر المقدوني
53 ، 42 ، 39 ، 38 ، 37 ، 36 ، 32 ، 31 ، 30 ، 28 ، 12 ، 279 ، 277 ، 276 ، 275 ، 274 ، 273 ، 271 ، 270	إسماعيل <small>عليه السلام</small>
201 ، 185	أشعيا
24	أشكول
185	أشور بانيال
147	أشور ناصر بال الثاني
227	أغريبا
88	أفرايم
257	ألفريد دريفوس
222	ألكسوندر يانايوس
220	اليعازار

182 ، 181 ، 168 ، 167	أمصيا بن يوآش
145	أمنحوتب الثالث
145	أمنحوتب الرابع
63	آمون
185	آمون بن منسى
59	أميني
222	أنتباترس
213	أندر ماخوس
226	أنطونيوس
214	انطيوخس
218 ، 217 ، 216	انطيوخس الثالث
220 ، 218	انطيوخس الرابع
214	انيتباتر
226	انيتباتور
100 ، 99	إهود بن جيرا
231	أورليوس
173	أوسركون الرابع
226	أوكتافيان (أغسطس)
225	أولوس جابينوس
160	إيزابيل
118	إيشبوشت
102	إيصان
159	إيلا بن بعشا

102	أيلول الزبولوني
- ب -	
100	باراق بن أبنوعم
44	بتوئيل
186	بسماتيك الأول
215 ، 214	بطليموس الأول (سوتر)
216 ، 215	بطليموس الثاني (فيلاذلفوس)
216	بطليموس الثالث
216	بطليموس الرابع
217	بطليموس السابع (فيلوميتور)
217	بطليموس السادس
178 ، 159 ، 158 ، 157	بعشا بن أخيا
194	بلشاصر
55 ، 47	بلهة
178 ، 167 ، 166 ، 161 ، 159 ، 158	بن هدد
50 ، 47	بنيامين
245	بولس الرابع
225 ، 223	بومي (بوميوس)
266	بيجال ألون
213	بيردكاس

- ت -

18 ، 15 ، 14	تارح بن ناحور
147	تجلات بلاسر الأول (تغلات فالصر)
183 ، 171 ، 170 ، 169 ، 147	تجلات بلاسر الثالث
145	تحتمس الثالث
229 ، 228	تراجان
145	توت عنخ أمون
101	تولع بن فوأة
228	تیتوس
291 ، 265 ، 260 ، 259 ، 257	تیودور ہرتزل

- ج -

180 ، 124	جاد
116 ، 115 ، 114 ، 111	جالوب
101 ، 100	جدعون
114 ، 113	جلیات
266	جولدا مائیر
231	جولیان
261	جیمس بلفور

- ح -

123	حانون بن ناحاش
-----	----------------

246	حایم وایمان
206	حجی
181 ، 180 ، 167 ، 166 ، 165	حزائیل
185 ، 184 ، 183	حزقیا بن آحاز
186	حلقیا
49 ، 48	حمور ابی شکیم
147	حمورابی
169 ، 122	حیرام

- خ -

231	خسرو الثاني
89	الخضر
59	خیتی الثاني

- د -

211 ، 206	دارا / داریوس
292 ، 265	دافید بن جوریون
241	دافید روین
117 ، 116 ، 115 ، 114 ، 111 ، 110 ، 108 ، 84 ، 62 ، 34 ، 126 ، 125 ، 124 ، 123 ، 122 ، 121 ، 120 ، 119 ، 118 ، 150 ، 146 ، 142 ، 136 ، 132 ، 130 ، 129 ، 128 ، 127 ، 284 ، 276 ، 259 ، 241 ، 240 ، 238 ، 237 ، 180 ، 153 ، 291 ، 285	داود علیہ السلام

222	ديكتريروس الثالث
- ر -	
47 ، 45	راحيل
116	راعوث
177 ، 158 ، 157 ، 155 ، 152	رحبعام بن سليمان
182 ، 171 ، 170 ، 169	رصين
146	رعمسيس الثالث
146 ، 66 ، 65 ، 64	رعمسيس الثاني
44 ، 43	رفقة
261 ، 256	روتشيلد
- ز -	
206 ، 205 ، 204 ، 202	زربابل
169	زكريا بن يربعام
55 ، 47	زلفة
159	زمري
- س -	
268 ، 30 ، 28 ، 18 ، 14	ساراي
276 ، 275 ، 40 ، 38 ، 37 ، 35 ، 30 ، 28 ، 23	سارة
222	سالومي ألكسندرا
269	سار

102	سبولت
200 ، 183 ، 173 ، 172 ، 147	سرجون الثاني
165 ، 161 ، 147	سلما نصر الثالث
173 ، 172	سلما نصر الخامس
168	سلما نصر الرابع
214	سلوقس
، 131 ، 130 ، 129 ، 127 ، 125 ، 108 ، 84 ، 62 ، 49 ، 34 ، 140 ، 139 ، 138 ، 137 ، 136 ، 135 ، 134 ، 133 ، 132 ، 176 ، 157 ، 154 ، 152 ، 151 ، 150 ، 146 ، 142 ، 141 296 ، 291 ، 287 ، 285 ، 284 ، 238 ، 205 ، 180 ، 178	سليمان <small>عليه السلام</small>
221 ، 220	سمعان (المكابي)
146	ستخت
185 ، 184 ، 183	سنحاريب
173 ، 172	سوا
131	سي آمون
93	سيبي الأول
100	سيسرا
241 ، 230 ، 229	سيمون باركوخبا

- ش -

، 118 ، 117 ، 115 ، 114 ، 113 ، 112 ، 110 ، 109 ، 108 150 ، 122	شاؤل
169	شلوم بن يابيش
103 ، 102	شمشون

221	شمعون
52	شمعون بن یعقوب
242	شیتای لیفی
205 ، 204 ، 200	شیشبصر
177 ، 155 ، 154 ، 146 ، 131	شیشنق
- ص -	
130	صادوق
188 ، 187	صدقیا بن یوشیا
111 ، 110 ، 109 ، 104 ، 103	صموئیل
250	صموئیل موہلیفر
- ط -	
110 ، 109	طالوت
- ع -	
24	عابر
102	عبدون بن ہلیل
181 ، 179	عثلیا ابنة أحاب
99 ، 98	عثنییل بن قناز
99	عجلون
210 ، 209 ، 207 ، 206 ، 205 ، 204	عزرا
182	عزیا بن أنصیا

277 ، 52	عفرون الحثي
232 ، 126	عمر بن الخطاب
164 ، 161 ، 160 ، 159 ، 152	عمري
13	عيسى السليمان
288 ، 279 ، 278 ، 48 ، 44 ، 43 ، 42 ، 41	عيسو

- ف -

126	فاسيل
172 ، 171 ، 170	فالق بن رمليا
228	فسبسيان
170	فقحيا بن مناحم
169	فول
41	فيكول

- ق -

231	قسطنطين
207 ، 205 ، 204 ، 202 ، 201 ، 200 ، 199 ، 198 ، 148	قورش
226 ، 225	قيصر

- ك -

98	كالب
227	كاليغولا
98	كوشان رشعتايم

- ل -

45 ، 44 ، 43	لابان
96 ، 52	لاوي
84 ، 43 ، 36 ، 33 ، 24 ، 23 ، 22 ، 21 ، 20 ، 19 ، 18 ، 14 288 ، 272 ، 271 ، 268 ، 134 ،	لوط عليه السلام
47	ليئة
252	ليون بنسكر

- م -

221 ، 220	ماتياس
226	مارك أنطونيو
253	محمد الفاتح
86	مسلم بن الحجاج
267	ملاخي
125 ، 121 ، 26	ملكيبادق
169	مناحم بن جادي
266 ، 263	مناحم بيجين
185	منسى بن حزقيا
242 ، 241	منشى بن إسرائيل
146 ، 65	منفتاح (مرنبتاح)
241	موزيس الكريتي
68 ، 67 ، 66 ، 65 ، 64 ، 63 ، 62 ، 56 ، 54 ، 13 ، 12 ، 11 ، 82 ، 81 ، 80 ، 78 ، 77 ، 75 ، 74 ، 73 ، 72 ، 71 ، 70 ، 186 ، 146 ، 97 ، 91 ، 89 ، 88 ، 87 ، 86 ، 85 ، 84 ، 83	موسى عليه السلام

207 ، 209 ، 236 ، 241 ، 264 ، 280 ، 281 ، 282 ، 283 ، 285 ، 288 ، 294	
247	موسی مندلسون
251	موسی ہیس
266	موشی دایان
144	مینا

-ن-

253 ، 254	نابلیون بونابرت
194	نابونید
112	ناحاش
157 ، 158	ناداب بن یربعام
148 ، 187 ، 188 ، 190 ، 192 ، 195 ، 200 ، 201 ، 205	نبوخذنصر
34 ، 127	النبي صلى الله عليه وسلم
204 ، 205 ، 206 ، 207 ، 208 ، 209 ، 210	نحميا
187	نخاو الثاني
227 ، 228	نیرون

- ه -

28 ، 30 ، 36	هاجر
70 ، 280 ، 285	هارون
70	هامان
122 ، 123	هدد عزير

230 ، 229	هدريان
232 ، 231	هرقل
173 ، 172 ، 171	هوشع بن إيلة
225 ، 222	هيركانوس الثاني
227 ، 226	هيرووس
- ي -	
101	يائير الجلعاوي
105 ، 100	يايين
180 ، 166 ، 165	ياهو بن نمشي
72	يرون
178 ، 177 ، 175 ، 168 ، 166 ، 158 ، 157 ، 155 ، 154	يربعام بن نباط
168	يربعام (الثاني) بن يواش
، 283 ، 264 ، 97 ، 96 ، 94 ، 93 ، 92 ، 91 ، 90 ، 89 ، 88	يشوع بن نون
298 ، 294 ، 284	
، 47 ، 45 ، 44 ، 43 ، 42 ، 41 ، 39 ، 35 ، 16 ، 12 ، 11	يعقوب <small>عليه السلام</small>
86 ، 84 ، 66 ، 63 ، 60 ، 55 ، 53 ، 52 ، 51 ، 50 ، 49 ، 48	
283 ، 279 ، 278 ، 276 ، 237 ، 145 ، 96 ، 88 ،	
102 ، 101	يفتاح الجلعاوي
192	يكنيا
166	يهو أحاز بن ياهو
187	يهو أحاز بن يوشيا
221 ، 220	يهودا بن ماتياس

55	يهوذا بن يعقوب
181 ، 179 ، 163 ، 161	يهوشافاط بن آسا
206 ، 205	يهوشع بن يهوصاداق
188 ، 187	يهوياقيم
205 ، 204	يهوياكين
181 ، 167 ، 166	يوآش بن أحمزيا
168 ، 167 ، 166	يوآش بن يهو أحمز
182	يوثام بن عزيا
220	يوحنا
222 ، 221	يوحنا هيركانوس الاول
180 ، 179 ، 165 ، 164	يورام بن أخاب
180	يورام بن يهوشافاط
60 ، 59 ، 58 ، 57 ، 56 ، 55 ، 54 ، 52 ، 51 ، 50 ، 43 ، 11 ، 244 ، 145 ، 88 ، 87 ، 86 ، 70 ، 65 ،	يوسف <small>عليه السلام</small>
187 ، 186 ، 185	يوشيا بن آمون
230	يوليوس سيفيرس
112 ، 110	يونانان
220	يونانان بن ماتياس

خامسا : فهرس الأماكن

الصفحة	المكان
-أ-	
178 ، 171 ، 159 ، 102	آبل
178 ، 123	أرام دمشق
99 ، 98 ، 16	أرام النهرين
283 ، 102 ، 101 ، 96 ، 91 ، 90 ، 88 ، 83 ، 82 ، 68	الأردن
264 ، 263	أرض إسرائيل
37 ، 35 ، 34 ، 26 ، 25 ، 24 ، 22 ، 21 ، 20 ، 18 ، 15 ، 14 ، 94 ، 91 ، 88 ، 55 ، 53 ، 52 ، 50 ، 49 ، 48 ، 42 ، 41 ، 269 ، 199 ، 180 ، 151 ، 115 ، 113 ، 109 ، 108 ، 96 ، 283 ، 282 ، 281 ، 279 ، 275 ، 273 ، 272 ، 271 ، 270 ، 294 ، 293 ، 287 ، 286 ، 285 ، 284	أرض كنعان
292 ، 284 ، 280 ، 273 ، 271 ، 264 ، 263 ، 262 ، 239	أرض الميعاد
266 ، 225 ، 93 ، 92 ، 91	أريحا
256 ، 253	استانبول
228 ، 227 ، 216 ، 213	الإسكندرية
214 ، 186 ، 170 ، 147 ، 145	آسيا
298 ، 184 ، 176 ، 104	أشدود
166 ، 163 ، 151 ، 150 ، 147 ، 146 ، 144 ، 130 ، 108 ، 183 ، 182 ، 175 ، 172 ، 171 ، 170 ، 169 ، 168	أشور
257 ، 148	إفريقيا
113	أفس دميم

284 ، 103	أفريق
257 ، 247	ألمانيا
256	أمريكا
256 ، 174	إنجلترا
273 ، 268 ، 147 ، 18 ، 16 ، 15 ، 14	أور
، 138 ، 136 ، 131 ، 124 ، 121 ، 120 ، 119 ، 49 ، 22 ، 177 ، 174 ، 171 ، 168 ، 167 ، 157 ، 155 ، 154 ، 153 ، 200 ، 199 ، 198 ، 188 ، 186 ، 184 ، 183 ، 182 ، 181 ، 213 ، 210 ، 209 ، 208 ، 207 ، 205 ، 204 ، 203 ، 201 ، 252 ، 251 ، 237 ، 236 ، 230 ، 229 ، 228 ، 226 ، 214 295 ، 266 ، 258	أورشليم
، 250 ، 249 ، 248 ، 247 ، 246 ، 245 ، 244 ، 243 ، 174 258 ، 256 ، 254 ، 253 ، 251	أوروبا
259	اوغندا
232 ، 230	أيلاكابيتوليا (إيلياء)
80	إيليم
198	أيونيا

- ب -

، 183 ، 174 ، 150 ، 148 ، 147 ، 146 ، 144 ، 141 ، 17 ، 200 ، 198 ، 196 ، 195 ، 194 ، 192 ، 190 ، 188 ، 187 228 ، 214 ، 207 ، 202 ، 201	بابل
297 ، 186 ، 132 ، 44 ، 41 ، 30	بئر سبع
259 ، 258	بال (بازل)

167 ، 68	البتراء
246	بتسبورغ
228	برقة
80	برية سين
30	برية فاران
261 ، 260 ، 254 ، 242	بريطانيا
271 ، 25 ، 24	بلوطات عمرا
268 ، 21	بلوطة مورة
18	البوكمال
243	بولندا
272 ، 186 ، 178 ، 157 ، 22	بيت إيل
230	بيت تير (بيطار)
225	بيت شان
181 ، 167	بيت شمس
178 ، 171 ، 159	بيت معكة
256	بيروت

- ت -

18	تدمر
159 ، 158 ، 154	ترصة
274	تركيا
177	تعنك
131	تفسح

190 ، 176	تل أيب
190	تل حرشا
190	تل ملح
194	تيماء
- ج -	
225 ، 131	جازر
62 ، 60 ، 52	جاسان
158	جيثون
186	جمع
181	جت
41 ، 40 ، 39 ، 35 ، 33 ، 28 ، 26	جرار
299	جزر اليونان
، 129 ، 77 ، 76 ، 67 ، 35 ، 34 ، 33 ، 32 ، 31 ، 30 ، 21 297 ، 296 ، 295 ، 146 ، 141	الجزيرة العربية
299	جزيرة كريت
110	الجلحال
171 ، 102 ، 101 ، 55 ، 45	جلعاد
226 ، 225 ، 171 ، 103 ، 94	الجليل
291	جنيف
182	جور بعل

- ح -

278 ، 269 ، 268 ، 48 ، 44 ، 20 ، 18 ، 17 ، 16 ، 15 ، 14	حاران
171 ، 100 ، 93	حاصور
271 ، 266 ، 119 ، 118 ، 41 ، 24	حبرون
194 ، 190 ، 75 ، 73 ، 72	الحجاز
172	حلب
284 ، 174 ، 168	حماة
153	حيفا

- خ -

190 ، 172	الخابور
67	الخليج
78 ، 67	خليج السويس
299 ، 73 ، 67	خليج العقبة
118 ، 76	الخليل
173	خورساباد

- د -

178 ، 159 ، 132	دان
145 ، 144 ، 70 ، 66 ، 65 ، 60 ، 59	الدلتا
، 256 ، 171 ، 170 ، 169 ، 168 ، 165 ، 144 ، 83 ، 18 ، 299	دمشق

- ر -

178 ، 158	الرامة
180 ، 179 ، 165 ، 163 ، 160	راموت جلعاد
66 ، 65	رعمسيس
80 ، 72	رفيليم
256 ، 255 ، 250	روسيا
258 ، 251 ، 225 ، 223	روما

- ز -

190	زينوى
-----	-------

- س -

، 172 ، 170 ، 168 ، 167 ، 164 ، 161 ، 160 ، 159 ، 153 225 ، 216 ، 213 ، 208 ، 175 ، 174 ، 173	السامرة
141 ، 140 ، 139 ، 138	سبأ
68	السعودية
174	سفروايم
48	سكوت
167	سلع
190	سورا
174 ، 159 ، 148 ، 147 ، 145 ، 132 ، 129 ، 96 ، 63 ، 21 ، 223 ، 216 ، 215 ، 214 ، 196 ، 187 ، 186 ، 183 ، 182 ، 297 ، 274 ، 232 ، 225	سوريا
113	سوكود

88 ، 87 ، 86 ، 80 ، 77 ، 76 ، 75 ، 74 ، 73 ، 72 ، 68 ، 67 259 ، 113 ،	سيناء
- ش -	
، 144 ، 134 ، 133 ، 129 ، 90 ، 83 ، 76 ، 75 ، 70 ، 21 254 ، 252 ، 232 ، 231 ، 207 ، 148	الشام
49	شخيم
226 ، 223 ، 211 ، 198 ، 196 ، 148 ، 144	الشرق الأدنى القديم
285 ، 225 ، 163 ، 112 ، 42	شرق الأردن
268 ، 222 ، 160 ، 155 ، 154 ، 48 ، 22 ، 21	شكيم
117 ، 80 ، 33 ، 28	شور
103	شيلوه

- ص -

154	صردة
59	الصعيد
133	صنعاء
211 ، 169 ، 166 ، 165 ، 129	صور
211 ، 166 ، 165 ، 160 ، 129	صيدا

- ط -

177	طبية
190	طيسفون

- ع -

93 ، 22	عاى
173 ، 150 ، 147 ، 106 ، 53 ، 47 ، 21 ، 20 ، 17 ، 16 ، 15 297 ، 274 ، 194 ، 193 ، 186 ، 176 ،	العراق
102	عروئير
113	عزىقة
68	عسبر
76	عقبة أيلة
284 ، 184 ، 178 ، 157	عقرون
254	عكا
174	عوا
178 ، 171 ، 159	عيون

- غ -

132 ، 105	غرب الأردن
299 ، 184 ، 176 ، 131 ، 100 ، 74	غزة

- ف -

53 ، 49 ، 48 ، 47 ، 45 ، 44 ، 43 ، 16	فدان آرام
254 ، 243	فرنسا
ذكرت فى أغلب صفحات البحث	فلسطين
154	فنونيل
190	فوسدبنة

66 ، 65	فيثوم
296 ، 214 ، 183 ، 144 ، 129	فينيقيا
59	الفيوم

- ق -

171 ، 33 ، 26	قادش
256 ، 59	القاهرة
228	قبرص
141	قحلاف روداع
176 ، 153 ، 131 ، 129 ، 126 ، 121 ، 119 ، 34 ، 26 ، 21 ، 210 ، 204 ، 202 ، 193 ، 192 ، 188 ، 185 ، 184 ، 181 ، 226 ، 225 ، 223 ، 222 ، 221 ، 219 ، 218 ، 216 ، 211 ، 238 ، 237 ، 233 ، 232 ، 231 ، 230 ، 229 ، 228 ، 227 ، 298 ، 295 ، 292 ، 259 ، 253	القدس
187	قرقميش
190	قزينا
253	القسطنطينية
257 ، 254	قناة السويس
171 ، 164	قير

- ك -

178 ، 159	كنروت
174	كوث

- ل -

84 ، 145 ، 165 ، 218 ، 282 ، 283 ، 284 ، 297	لبنان
184	لخيش
198	ليديا

- م -

190	الماحوزي
172 ، 173	مادي
18	ماري
176	المجدل
187	مجدو
177	مجيدو
66 ، 72 ، 101	مديان
66 ، 67 ، 68 ، 71 ، 73 ، 294	مدين
253	مراكش
284	مسرفوت مام
196 ، 198 ، 252 ، 254	المشرق العربي
21 ، 22 ، 23 ، 33 ، 35 ، 40 ، 43 ، 50 ، 51 ، 52 ، 53 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 ، 58 ، 59 ، 60 ، 62 ، 63 ، 66 ، 67 ، 68 ، 70 ، 71 ، 76 ، 77 ، 78 ، 80 ، 81 ، 83 ، 86 ، 87 ، 88 ، 108 ، 113 ، 117 ، 130 ، 131 ، 135 ، 141 ، 144 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 ، 154 ، 155 ، 157 ، 169 ، 170 ، 174 ، 175 ، 182 ، 183 ، 186 ، 187 ، 188 ، 190 ، 192 ، 194 ، 214 ، 215 ، 216 ، 217 ، 227 ، 228 ، 241 ، 244 ، 254 ، 271	مصر

288 ، 286 ، 285 ، 284 ، 281 ، 280 ، 277 ، 273 ، 272 ، 299 ، 294	
68 ، 67	مصرايم (متسرايم)
244	المغرب
214	مقدونيا
126 ، 76 ، 34 ، 32 ، 31 ، 30	مكة
67	منف
68	موزري
255	موسكو
201 ، 200 ، 174 ، 173	ميديا

- ن -

76 ، 48	نابلس
80 ، 77 ، 73 ، 33	النقب
173	نمرود
190	نهر دعة
188	نيبور (نفر)
186 ، 185	نينوى

- ه -

187	الهلال الخصيب
257 ، 254 ، 141	الهند

- و -

59	الوعل
246	الولايات المتحدة

- ي -

112	يايش جلعاد
299 ، 256 ، 176 ، 129	يافا
171	يانوح
178 ، 157	يشانة
244 ، 141 ، 140	اليمن

سادسا : فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص

- الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط

• ابن الأثير ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني

1- الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، د.ط ، د.ت).

• أحمد ، محمد خليفة حسن

2- تاريخ النبوة الإسرائيلية ، (القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، د.ط ، 1985م).

3- علاقة الإسلام باليهودية ، (القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، د.ط ، 1988 م).

4- تاريخ الديانة اليهودية ، (القاهرة : دار قباء ، ط1 ، 1998م).

• إدريس ، محمد جلال

5- فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي ، (القاهرة : مركز الدراسات الشرقية، د.ط ، 2001 م).

• أرمسترونج ، كارين

6- القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث ، ترجمة : فاطمة نصر ، محمد عناني ، (دم : در ، د.ط 1998م).

• الأصفهاني ، الراغب

7- المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد خليل عتياني ، (بيروت : دار المعرفة ، ط1 ، 1418هـ - 1918م) .

• آل عمر ، محمد بن علي بن محمد

8- عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين ، (الرياض : مكتب مجلة البيان ، ط1 ، 1424هـ - 2003م).

- أيوب ، سعيد
- 9- ابتلاءات الأمم ، (بيروت : دار الهادي ، ط2 ، 1419هـ - 1999م).
- البار ، محمد علي
- 10- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، (دمشق : دار القلم ، ط1 ، 1410هـ - 1990م).
- 11- الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، (دمشق : دار القلم ، ط1 ، 1410هـ - 1990م).
- البخاري ، محمد بن إسماعيل
- 12- صحيح البخاري ، (بيروت : عالم الكتب ، د.ط ، د.ت).
- البدري ، جمال
- 13- السيف الأحمر "دراسة في اليهودية المعاصرة" ، (دمشق : الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية ، ط1 ، 2003م).
- برافر ، موشيه
- 14- حدود أرض إسرائيل ، ترجمة : بدر عقيلي ، (عمان : دار الجليل للنشر والأبحاث الفلسطينية ، ط1 ، 1990م).
- برستيد ، جيمس هنري
- 15- تاريخ مصر " من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي " ، ترجمة : حسن كمال ، مراجعة : محمد حسنين الغمراوي ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، د.ط ، 1990م).
- بوكاي ، موريس
- 16- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم : " دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة " ، (طرابلس : جمعية الدعوة الإسلامية ، ط8 ، 1982م)
- التل ، عبد الله
- 17- جذور البلاء ، (د.م : المكتب الإسلامي ، ط2 ، 1408هـ - 1988م).
- 18- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، (الجزائر : قصر الكتاب ، د.ط ، 1989م).
- جابر ، فايز فهد
- 19- القدس "ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها" ، (عمان : ط1 ، دار الجليل للنشر ، ط1 ، 1985م).

- جارودي ، روجيه
- 20- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ترجمة : محمد هشام ، (مصر : دار الشروق ، ط4 ، 2002م).
- 21- ملف إسرائيل "دراسة للصهيونية السياسية" ، ترجمة : مصطفى كامل فودة ، (بيروت : دار الشروق ، ط1 ، 1983م).
- جبارة ، تيسير
- 22- تاريخ فلسطين ، (عمان : دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1998م).
- حتي ، فيليب
- 23- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة : جورج حداد ، عبد الكريم رافق ، مراجعة : جبرائيل جبور ، (بيروت : دار الثقافة ، ط2 ، 1958م).
- حداد ، يوسف أيوب
- 24- هل لليهود حق ديني أو تاريخ في فلسطين ؟ ، (بيروت : بيسان للنشر والتوزيع و الإعلام ، ط1 ، 2004م).
- الحليمي ، مجير الدين الحنبلي
- 25- الأانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، تحقيق ومراجعة : عدنان أحمد يونس ، (عمان : مكتبة منديس ، د.ط ، 1999م).
- الخالدي ، صلاح عبد الفتاح
- 26- الشخصية اليهودية من خلال القرآن "تاريخ-سمات-مصير" ، (دمشق : دار القلم ، ط1 ، 1419هـ-1998م).
- خان ، ظفر الإسلام
- 27- تاريخ فلسطين القديم (1220 ق.م - 1359م) "منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي" (بيروت : دار النفائس ، د.ط ، دت).

- الخولي ، حسن صبري
- 28- سياسة الإستعمار والصهيونية تجاه فلسطين" في النصف الأول من القرن العشرين" ، (مصر : دار المعارف ، د.ط ، 1973م).
- داود ، أحمد يوسف
- 29- الميراث العظيم ، (دمشق : دار المستقبل ، ط1 ، 1991م).
- دروزة ، محمد عزة
- 30- تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، (بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، ط3 ، 1389هـ- 1969م).
- 31- عبرة من تاريخ فلسطين ، (بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، د.ط ، دت).
- ديورانت ، ول
- 32- قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، تقديم : محي الدين صابر ، (بيروت : دار الجليل للطباعة والنشر ، د.ط ، 1998م).
- راشد ، سيد فرج
- 33- السامريون واليهود ، (الرياض : دار المريخ ، د.ط ، 1407هـ- 1987م).
- أبو رحمة ، محمد
- 34- الإسلام والديانة المصرية القديمة ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ط1 ، 2005م).
- رضا ، محمد رشيد
- 35- تفسير المنار ، (بيروت : دار المعرفة ، ط2 ، د.ت)
- الزبدة ، عبلة المهتدي
- 36- القدس تاريخ وحضارة "3000 ق.م - 1917م" ، (بيروت : دار نعمة للطباعة ، ط1 ، 1420هـ- 2000م).
- الزغبني ، أحمد بن عبد الله بن إبراهيم
- 37- العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها ، (الرياض : مكتبة العبيكان ، ط1 ، 1998م).

- الزمخشري ، محمد بن عمر
- 38- الكشاف عن حقائق غوامض الترتيل وعيون الأقاويل في وجوب التأويل ، ضبط وتصحيح : مصطفى حسين أحمد ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ط3 ، 1407هـ — 1987م).
- السامرائي ، نعمان عبد الرزاق
- 39- اليهود والتحالف مع الأقوياء ، (لندن : دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ، 1419هـ — 1999م).
- السعد ، جودت
- 40- أوهام التاريخ اليهودي ، (عمان : الإهلية للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1998م).
- 41- الشخصية اليهودية عبر التاريخ ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، 1985م).
- سعد الدين ، ليلي حسن
- 42- مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ، (عمان : دار الفكر ، ط1 ، 1405هـ — 1984م).
- السقا ، أحمد حجازي
- 43- نقد التوراة "أسفار موسى الخمسة" ، (بيروت: دار الجيل، ط1 ، 1416هـ — 1995م) .
- سليم ، أحمد أمين
- 44- في تاريخ الشرق الأدنى القديم "مصر ، سوريا القديمة" ، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية ، د.ط ، 1993م).
- سليمان ، عشراقي
- 45- الكتاب المقدس والواقعة الإسرائيلية ، (دم : در ، د.ط ، د.ت)
- سنقراط ، داود عبد السلام
- 46- جذور الفكر اليهودي ، (الجزائر: دار الثقافة للنشر والتوزيع ، د.ط ، د.ت).

- سوسة ، أحمد
- 47- أبحاث في اليهودية والصهيونية ، (الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع ، د.ط ، 2003م).
- السويدان ، طارق
- 48- فلسطين التاريخ المصور ، (الكويت : دار الإبداع الفكري ، ط3 ، 2002م).
- سيد ، عبد المنعم عبد الحليم
- 49- المخالطات والإفتراءات الصهيونية على تاريخ وحضارة مصر الفرعونية ، (القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع ، د.ط ، 2000م).
- بن سيمون درويس ، إريرا إجلال
- 50- إسرائيل وشعوبها ، ترجمة وتعليق : نعيمة شومان ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1423هـ - 2002م).
- السيوطي ، جلال الدين
- 51- تفسير الجلالين ، (بيروت : دار المعرفة ، د.ط ، د.ت)
- الشامي ، رشاد عبد الله
- 52- الشخصية الإسرائيلية والروح العدوانية ، (بيروت : سلسلة علم المعرفة ، د.ط ، 1986م).
- الشرقاوي محمد عبد الله
- 53- بحوث في مقارنة الأديان ، (القاهرة : دار الفكر العربي المعاصر ، 1420هـ - 2000م).
- 54- الكتر المرصود في فضائح التلمود ، (بيروت : دار عمران ، ط1 ، 1414هـ - 1993م).
- شلبي ، أحمد
- 55- اليهودية ، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط12 ، 1997 م).
- شمالي ، نصر
- 56- ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية ، (دمشق: مكتبة الخدمات ، ط2 ، 1985م).
- الشهرستاني ، محمد عبد الكريم
- 57- الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، (بيروت : دار المعرفة ، ط2 ، 1975م).

- الشين ، يوسف حامد
- 58- الأديان السماوية بين العقل والنقل ، "محاضرات في مقارنة الأديان" ، (بنغازي : منشورات جامعة قاريونس ، ط1 ، 2002م).
- الصابوني ، محمد علي
- 59- النبوة والأنبياء ، (الجزائر : دار الهدى ، د.ط ، د.ت).
- 60- صفوة التفاسير ، (بيروت : دار القرآن الكريم ، ط4 ، 1981م).
- الصليبي ، كمال
- 61- التوراة جاءت من جزيرة العرب ، ترجمة : عفيف الرزاز ، (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية ، ط6 ، 1997م).
- طبارة ، عفيف عبد الفتاح
- 62- اليهود في القرآن ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ط11 ، 1986م).
- الطبري ، محمد بن جرير
- 63- جامع البيان في تفسير القرآن ، (لبنان : دار الفكر ، د.ط ، 1984م).
- طعيمة ، صابر
- 64- التاريخ اليهودي العام ، (بيروت : دار الجيل ، ط3 ، 1411هـ - 1999م).
- طهماز ، عبد الحميد محمود
- 65- المعجزة والإعجاز في سورة النمل ، (دمشق : دار القلم ، ط1 ، 1407هـ - 1987م).
- ظاظا ، حسن
- 66- الفكر الديني اليهودي "أطواره ومذاهبه" ، (دمشق : دار القلم ، ط4 ، 1420هـ - 1999م).
- 67- الشخصية الإسرائيلية ، (دمشق : دار القلم ، ط3 ، 1420هـ - 1999م).
- 68- أبحاث في الفكر اليهودي ، (دمشق : دار القلم ، ط1 ، 1997م).
- 69- الساميون ولغاتهم ، (دمشق : دار القلم ، ط2 ، 1410هـ - 1990م)

- بن عاشور ، محمد الطاهر
- 70- تفسير التحرير والتنوير ، (تونس : الدار التونسية للنشر ، د.ط ، 1984م).
- عبد العليم مصطفى كمال ، راشد سيد فرج
- 71- اليهود في العالم القديم ، (دمشق : دار القلم ، ط 1 ، 1416هـ - 1993م).
- عبد الملك بطرس ، طمسن جون ألكساندر وآخرون
- 72- قاموس الكتاب المقدس ، (الشرق الأوسط : دار الثقافة ، ط 10 ، 1995م).
- عرابي ، رجا عبد الحميد
- 73- سفر التاريخ اليهودي ، (دمشق : دار الأوائل للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1425هـ - 2004م).
- عطار ، أحمد عبد الغفور
- 74- الديانات والعقائد في مختلف العصور، (دم.م: مكتبة مكة المكرمة ، ط 1 ، 1420هـ - 1981م).
- 75- اليهودية والصهيونية ، (دم.م : دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ط ، د.ت).
- - العقاد ، عباس محمود
- 76- إبراهيم أبو الأنبياء ، (بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، د.ط ، د.ت).
- 77- المجموعة الكاملة ، (بيروت: دار الكتاب اللبناني ، ط 1 ، 1978م).
- أبو عليه عبد الفتاح ، عويس عبد الحليم
- 78- بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ ، (دم.م : دار المريخ للنشر ، د.ط ، 1401هـ - 1981م).
- العماري ، طارق محمد
- 79- أسرار المعبد اليهودي ، (القاهرة : دار الفكر الحديث ، د.ط ، د.ت).
- عيد ، يوسف
- 80- موسوعة الأديان السماوية والوضعية ، (بيروت : دار الفكر اللبناني ، د.ط ، د.ت).

• فتوحى لؤى ، الدرکزلى شذى

81- التارىخ يشهد بعصمة القرآن العظىم "تارىخ بنى إسرائيل المبكر" ، (لندن : دار الحكمة ، ط 1 ، 1422هـ - 2002م).

• فروىد ، سىغموند

82- النبى موسى ورسالة التوحىد ، ترجمة : عبد المنعم حفنى ، (القاهرة : دار الرشاد ، ط 1 ، 1991م).

• فضل ، محمد عبد الخالق محمد وآخرون

83- الموسوعة العربىة العالمىة ، (الرىاض : مؤسسه أعمال الموسوعة للنشر والتوزىع ، ط 2 ، 1419هـ - 1999م).

• القرضاوى ، يوسف

84- القدس قضىة كل مسلم ، (د.م : المكتب الإسلامى ، د.ط ، د.ت).

• القرطبى ، محمد بن أحمد الأنصارى

85- الجامع لأحكام القرآن ، (مصر : دار الكتاب العربى ، ط 3 ، 1967م).

• قطب ، سىد

86- فى ظلال القرآن ، (بىروت : دار الشروق ، ط 7 ، 1978م).

• القمنى ، سىد محمود

87- النبى إبراهىم والتارىخ المجهول ، (القاهرة : مكتبة مدبولى الصغىر ، ط 1 ، 1416هـ - 1996م)

• كامل ، عبد العزىز بن مصطفى

88- قبل الكارثة نذىر.. ونفىر ، (لندن : المنتدى الإسلامى ، ط 1 ، 1421هـ - 2001م).

89- حمى سنة 2000 ، (لندن : المنتدى الإسلامى ، ط 3 ، 1420هـ - 2000م).

• ابن كثر ، إسماعىل

90- البداىة والنهاىة ، (بىروت : مكتبة المعارف ، ط 6 ، 1985م).

91- تفسىر القرآن العظىم ، (بىروت : دار الخىر ، ط 2 ، 1991م).

- الكيالبي ، عبد الوهاب
- 92- موسوعة السياسة ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، 1990م).
- لمعي ، إكرام
- 93- الاختراق الصهيوني للمسحية ، (بيروت : دار الشروق ، ط2 ، 1413هـ- 1993م).
- لومير ، أندريه
- 94- تاريخ الشعب العبري ، ترجمة : أنطوان إ. الهاشم ، (بيروت : عويدات للنشر والطباعة ، ط1 ، 1999م).
- ماضي ، عبد الفتاح محمد
- 95- الدين والسياسة " دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ط1 ، 1999م).
- مجموعة من الباحثين
- 96- الاستعمار والفراغ ، (بنغازي : منشورات جامعة قار يونس ، ط1 ، 1991م).
- محمد ، محمد عبد القادر
- 97- الساميون في العصور القديمة ، (القاهرة : دار النهضة العربية ، د.ط ، د.ت).
- المراغي ، محمود أحمد
- 98- أشعيا " نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي القديم " ، (بيروت : دار العلوم العربية ، ط1 ، 1992م).
- المراغي ، مصطفى أحمد
- 99- تفسير المراغي ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ط ، د.ت) .
- مسلم بن الحجاج النيسابوري
- 100- صحيح مسلم ، (لبنان : دار الكتاب العربي ، د.ط ، 1987م).
- المسيري ، عبد الوهاب
- 101- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، (دم : شركة صخر لبرامج الحاسوب ، 1999م).

- المعموري ، ناجح
- 102- أقتعة التوراة "تزوير الرموز واستبدال العقائد والأساطير" ، (عمان : دار الأهلية للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2002م).
- مقار ، شفيق
- 103- السحر في التوراة والعهد لقدم ، (لندن : رياض الريس للكتب والنشر، د.ط ، 1990م).
- منى ، زياد
- 104- مقدمة في تاريخ فلسطين القدم ، (بيروت : بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، ط1 ، 2000م).
- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم
- 105- لسان العرب ، (دم : دار المعارف ، د.ط ، د.ت) .
- مهران ، محمد بيومي
- 106- دراسات تاريخية من القرآن الكريم في "بلاد العرب" ، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، د.ط ، 1995م).
- ناظم ، منى
- 107- تاريخ العراق القدم ، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، د.ط ، 1990م).
- ناظم ، منى
- 108- المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية ، (أبو ظبي : مؤسسة الإتحاد للصحافة والنشر ، د.ط ، د.ت).
- النجار ، حسين فوزي
- 109- أرض الميعاد ، (القاهرة : دار المعارف ، ط2 ، د.ت).
- النجار ، عبد الوهاب
- 110- قصص الأنبياء ، (الجزائر: مكتبة رحاب ، د.ط ، د.ت).
- النحال ، محمد سلامة
- 111- فلسطين أرض وتاريخ ، (عمان : دار الجيل للنشر ط1 ، 1984م).

• الهاشمي ، عابد توفيق

112- فلسطين في الميزان ، (بيروت : مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1420هـ-2000م).

• همو ، عبد المجيد

113- اليهودية بعد عزرا وكيف أقرت ، مراجعة وتدقيق : إسماعيل الكردي ، (دمشق : الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية ، ط1 ، 2003م).

114- ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية ؟ ، مراجعة وتدقيق : إسماعيل الكردي ، (دمشق : الأوائل للنشر والتوزيع ، ط2 ، 1425هـ-2004م).

• وايتلام ، كيث

115- إختلاق إسرائيل القديمة " إسكات التاريخ الفلسطيني" ترجمة : سحر الهنيدي ، مراجعة : فؤاد زكريا ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، د.ط ، 1420هـ - 1999م).

• وجدي ، محمد فريد

116- دائرة معارف القرن العشرين ، (بيروت : دار الفكر ، د.ط ، د.ت).

-المجالات

• أحمد ، محمد خليفة حسن

117- التاريخ العبري ، مجلة الفيصل ، (السعودية : دار الفيصل الثقافية ، ع80 ، نوفمبر 1983م).

• الدليمي ، إبراهيم مصعب

118- أضواء على خطط إسرائيل وبرامجها لتهود القدس منذ عام 1968م ، مجلة آفاق ، (الأردن : جامعة الزرقاء الأهلية)، ع7، حزيران 2002م.

• رضوان ، طلعت

119- الصهيونية بذور سوداء داخل ديانة قديمة ، مجلة الكتاب العربي ، (الكويت : وزارة الإعلام ، ط1 ، 15 أبريل 2004م).

• شامة ، محمد

120- الجذور التاريخية لصراع الوجود في فلسطين ، مجلة الرابطة ، (مكة :ع21، ديسمبر 2001م).

• العكش ، سليم عبد السلام

121- خرافة الحق التاريخي لليهود في فلسطين ، مجلة الفيصل ، (السعودية : دار الفيصل الثقافيةع262 ، أغسطس 1998م).

• الغول ، زكي

122- ندوة عن الأخطاء الإعلامية في تاريخ المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة ، مجلة الشريعة ، (عمان : د.ر ، ع 422 ، شباط 2001م).

- قائمة الانترنت

123 - أحمد عبد الواحد ، تاريخ وجغرافية بني إسرائيل في القرآن

[Http://.Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs.htm-101k](http://.Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs.htm-101k)

124 - باشر ، من هم هؤلاء اليهود :

[http://www.Yashababab.net/modules/news/php?storyid=275.](http://www.Yashababab.net/modules/news/php?storyid=275)

125- تاريخ فلسطين قبل الإسلام ووقفات مع تاريخ الحق والباطل على أرض فلسطين :

[HTTp://www.palestinne.info-net/arabic/history/before.Islam.htm.](HTTp://www.palestinne.info-net/arabic/history/before.Islam.htm)

126- تاريخ اليهود في التوراة والتلمود :

[http://.Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs6,htm.](http://.Kalwid.opi.com/chapters/pt1chs6,htm)

127- حسن الباشا ، سليمان عليه السلام بين الحقيقة القرآنية والتحريف اليهودي

<www.qudsway.com/links/majallah-islam/number-77/77-9.htm-30k>

128 - خليل حسونة ، اليهودية الصهيونية والصهيونية اليهودية :

<http://www.sis.qov.ps/arabic/roya/18/page2htm-101k>.

129 - عبد الغني عمار ، الصهيونية وإشكالية بناء النموذج :

<http://www.wahdah.net/sahyouni.htm-36k> .

130 - غازي التوبة ، قضية فلسطين بين التأصيل الإسلامي والتأصيلات الأخرى :

islamiyatonline.com/Arabic/report/display.asq?reportid=360-55k.

131 - فيصل دراج ، التلقيق والعدوانية في الإيديولوجية الصهيونية :

[http://www.wahdah.net zioni deology.htm](http://www.wahdah.net/zioni_deology.htm).

132 - محمد أبو زيد ، أرض الميعاد

[www.palestine-info/arabe shlooalk aim/researches/mead htm](http://www.palestine-info/arabe_shlooalk_aim/researches/mead.htm).

الإسلامية
القادر للعلوم
عبد القادر

سابعا : فهرس الموضوعات

01 المقدمة
الفصل الأول: مواطن اليهود	
11 المبحث الأول : عصر الآباء
11 المطلب الأول : إبراهيم <small>عليه السلام</small>
11 1- ملة إبراهيم <small>عليه السلام</small>
13 2- موطن إبراهيم <small>عليه السلام</small>
18 3- هجرة إبراهيم <small>عليه السلام</small>
18 أ- الهجرة إلى أرض حاران
20 ب- الهجرة إلى أرض كنعان
22 ج- الهجرة إلى أرض مصر
23 د - الهجرة الثانية إلى أرض كنعان
28 هـ- الهجرة إلى الجزيرة العربية
35 المطلب الثاني : إسحاق <small>عليه السلام</small>
35 1- مولد إسحاق <small>عليه السلام</small> وموطنه
38 2- قصة الذبيح
39 3- هجرة إسحاق <small>عليه السلام</small>
42 المطلب الثالث : يعقوب <small>عليه السلام</small>
42 1- لقب يعقوب <small>عليه السلام</small> وموطنه
43 2- هجرة يعقوب <small>عليه السلام</small> إلى فدان آرام
48 3- العودة إلى أرض كنعان
49 4- الهجرة إلى أرض مصر
54 المطلب الرابع : يوسف <small>عليه السلام</small>

- 1- النبي يوسف عليه السلام ودخوله مصر..... 54
- 2- دخول يعقوب عليه السلام وبنيه إلى مصر..... 60
- المطلب الخامس : موسى عليه السلام 62
- 1- أصل النبي موسى عليه السلام 62
- 2- زمن وبيئة النبي موسى عليه السلام 64
- 3- هجرة موسى عليه السلام إلى أرض مدين..... 66
- 4- عودة موسى عليه السلام إلى أرض مصر 68
- أ- معنى مصطلح مصر 68
- ب- مكان تلقي موسى عليه السلام الوحي وقدسيته 71
- تحديد المكان وصفته 71
- الاتفاق على قدسية المكان 75
- 5- خروج بني إسرائيل من مصر 77
- 6- محاولة دخول بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة 81
- أ- معنى الأرض المقدسة 82
- ب- غاية دخول الأرض المقدسة 85
- ج- تحريم دخول الأرض المقدسة 85
- المبحث الثاني : عصر القضاة 88
- المطلب الأول : بنو إسرائيل بعد الآباء وقبل القضاة..... 88
- 1- بنو إسرائيل قبيل الأرض المقدسة وعبورهم الأردن 88
- 2- غزو مدينة أريحا..... 91
- 3- غزو مدينة عاي..... 92
- 4- غزو مدينة حاصور..... 93
- المطلب الثاني : عصر القضاة..... 94
- 1- القاضي عثنييل بن قناز ودوره في صد غزوة الأراميين..... 98
- 2- القاضي إهودا بن جيرا ودوره في صد غزوة المؤابيين..... 99
- 3- القاضي باراق بن أيبنوعم ودوره في صد غزوة الكنعانيين..... 100
- 4- القاضي جدعون ودوره في صد غزوة المديانيين..... 100

- 101 5- القاضي يفتاح الجلعادي ودوره في صد غزوة العمونيين والفلسطينيين.....
- 103 6- القاضي صموئيل.....
- 106 المبحث الثالث : عصر الملوك
- 108 المطلب الأول : شاول
- 108 1- تعيين شاول أول ملك على بني إسرائيل.....
- 112 2- حروب شاول مع سكان فلسطين.....
- 115 المطلب الثاني : داود عليه السلام
- 115 1- نشأة داود عليه السلام وتعيينه ملكا على الإسرائيليين
- 119 2- فتح داود عليه السلام القدس.....
- 121 3- حروب داود عليه السلام
- 124 4- بناء داود عليه السلام مكانا للعبادة.....
- 128 5- مملكة داود عليه السلام
- 129 المطلب الثالث : سليمان عليه السلام
- 129 1- تولي سليمان عليه السلام الملك
- 131 2- مملكة سليمان عليه السلام وحقيقة الملك
- 138 3- سليمان عليه السلام ومملكة سبأ

الفصل الثاني : اليهود في الحضارات القديمة

- 150 المبحث الأول : اليهود في أرض العراق.....
- 150 المطلب الأول : اليهود في أرض آشور.....
- 150 1- انقسام مملكة سليمان عليه السلام
- 152 2- المملكة الشمالية (إسرائيل) وحدودها.....
- 153 3- ملوك المملكة الشمالية.....
- 154 - يربعام نباط.....
- 157 -ناداب بن يربعام.....
- 157 - بعشا بن أحيا.....
- 159 - إيلا بن بعشا.....

- 159 زمري -
- 159 عمري -
- 161 أخاب بن عمري -
- 163 أحازيا بن أخاب -
- 164 يورام بن أخاب -
- 165 ياهو بن نمشي -
- 166 ياهو أحاز بن ياهو -
- 166 يوأش بن ياهو أحاز -
- 168 يربعام (الثاني) بن يوأش -
- 169 زكريا بن يربعام -
- 169 شلوم بن يابيش -
- 169 مناحم بن جادي -
- 170 فقحيا بن مناحم -
- 170 فاقح بن رمليا -
- 171 هوشع بن إيله -
- 172 4- السبي الشوري
- 176 المطلب الثاني : اليهود في أرض بابل
- 176 1- المملكة الجنوبية (يهوذا) وحدودها
- 177 2- ملوك المملكة الجنوبية
- 177 - رحبعام بن سليمان
- 177 - أبيام بن رحبعام
- 178 - آسا بن أبيام
- 179 - يهو شافاط بن آسا
- 180 - يورام بن يهو شافاط
- 180 - أخزيا بن يورام
- 181 - عثليا ابنة أخاب
- 181 - يوأش بن أخزيا

181
182 - عزريا بين أمصيا
182 - يوثام بين عزريا
183 - آحاز بين يوثام
183 - حزقيا بين آحاز
185 - متسى بين حزقيا
185 - آمون بين متسى
185 - يوشيا بين آمون
187 - يهو آحاز بين يوشيا
187 - ياهو ياقيم
188 - صلحيا بين يوشيا
188 3- السبي البابلي
194 البحث الثاني : اليهود في أرض فلسطين
196 المطلب الأول : اليهود في عصر الفرس (الدولة الأخمينية)
198 1- قورش
198 أ- سياسة قورش اتجاه الدول الخاضعة له
199 ب- مرسوم قورش
202 2- عودة اليهود إلى فلسطين
204 3- مراحل عودة اليهود وأهم الشخصيات اليهودية
205 - شيشير
206 - زربابل
206 - عزرا
207 - نحيا
210 المطلب الثاني : اليهود في عصر اليونان
211 1- الإمبراطورية اليونانية في عهد الإسكندر المقدوني
213 2- الإمبراطورية اليونانية بعد الإسكندر
214 3- فلسطين تحت حكم البطالمة

- 215 بطليموس الأول -
- 215 بطليموس الثاني -
- 216 بطليموس الثالث -
- 216 بطليموس الرابع -
- 217 بطليموس السابع -
- 217 4- فلسطين تحت حكم السلوقيين -
- 217 أ- حكام السلوقيين قبل الثورة اليهودية -
- 217 - انطيوخس الثالث -
- 218 - انطيوخس الرابع -
- 218 ب- إندلاع الثورة اليهودية "المكابية" -
- 220 - يهوذا -
- 221 - سمعان المكابي -
- 221 ج- الحكام المكابيون بعد الثورة اليهودية -
- 221 - يوحنا هيركانوس الأول -
- 222 - أرسطوبولوس الأول -
- 222 - ألكسوندر يانايوس -
- 223 المطلب الثالث : اليهود في عصر الرومان -
- 223 1- حكام الرومان قبل اندلاع الثورة اليهودية الثانية -
- 223 - بومبي -
- 225 - قيصر -
- 226 - أوكتافيان -
- 226 - هيروودس -
- 227 - نيورن -
- 228 - تيتوس -
- 228 - تراجان -
- 229 - هدريان -
- 229 2- الثورة اليهودية الثانية "باركوخبا" -

- 231 قسطنطينين.....
231 هرقل.....

الفصل الثالث: الادعاءات اليهودية في الأرض المقدس

- 235 المبحث الأول : الحركة الصهيونية.....
235 المطلب الأول : مفهوم الحركة الصهيونية ونشأتها.....
235 1- مفهوم الحركة الصهيونية.....
236 أ- تعريف الصهيونية واشتقاقها.....
238 ب- مفهوم الصهيونية.....
239 ج- العلاقة بين الصهيونية واليهودية.....
240 2- نشأة الحركة الصهيونية ومراحلها.....
242 المطلب الثاني : أسباب ظهور الحركة الصهيونية وفكرة الوطن القومي.....
242 1- أسباب ظهور الحركة الصهيونية.....
243 - تغيير الأنظمة.....
244 - الجيتو.....
247 - حركة المسكالاہ.....
248 - اللاسامية.....
250 - أحباء صهيون.....
251 2- دعاة الوطن القومي قبل تأسيس الحركة الصهيونية.....
251 - موسى هيس.....
252 - ليون بنسکر.....
253 - نابليون بونابرت.....
255 3- الوضع قبل انعقاد مؤتمر الصهيونية.....
255 - قوانين مايو.....
255 - الهجرة اليهودية.....
257 - كتاب تيودور هرتزل.....
258 - بروتوكولات حكماء صهيون.....
258 4- انعقاد مؤتمر بال.....

260 وعد سفور.....
292 سبحت انثالي: الادعاءات اليهودية في الأرض المقدسة
262 المطلب الأول : الادعاءات الدينية.....
263 1- مفهوم مصطلح الأرض.....
265 2- بعض أقوال زعماء اليهود حول الأرض المقدسة.....
267 3- الوعود التوراتية.....
268 - الوعد لإبراهيم <small>عليه السلام</small>
275 - الوعد لإسحاق <small>عليه السلام</small>
278 - الوعد ليعقوب <small>عليه السلام</small>
280 - الوعد لموسى <small>عليه السلام</small>
283 - الوعد ليشوع بن نون.....
284 - الوعد لأسباط بني إسرائيل.....
284 - الوعد لداود <small>عليه السلام</small>
284 - الوعد لسليمان <small>عليه السلام</small>
285 4- عدم تعلق بني إسرائيل بالأرض المقدسة.....
286 5- شروط امتلاك الأرض المقدسة.....
286 أ- الأدلة من التوراة.....
288 ب- الأدلة من القرآن.....
291 المطلب الثاني : الادعاءات التاريخية.....
291 1- أقوال بعض زعماء اليهود حول الأحقية بفلسطين.....
292 2- قدماء سكان فلسطين.....
293 أ- الأدلة التوراتية.....
295 ب- الأدلة التاريخية.....
296 - الفينيقيون.....
296 - الأموريون.....
297 - الكنعانيون.....
298 - الفلسطينيون.....
299 - الآراميون.....
301 الخاتمة.....
306 التهاويل.....